الغزو الفكرى

عقبات .... وتحديات

فى طريق الدعوة

للدكتور

محمود محمد رسلان

الأستاذ المساعد فى كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

والأستاذ المشارك فى جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الشريعة فرع الجنوب

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

ايداع ٥٤٩٦/١٩٩٦
دولى I.S.B.N 977 - 19 - 0815 - 4

دار اللواء للطباعة
ت/ ٢٧٩٢٩٤٨ – ٢٨٩٦٧٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

«الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا».

الكهف: ١، ٢

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد: فمما لاريب فيه أن العالم العربى والإسلامى يشغل اليوم مكانة دولية هامة ومرموقة، وله أصوات مسموعة فى المحافل الدولية، ومن ثم وجب أن يكون للإسلام بمبادئه وتعاليمه ونظمه معرفة لدى دول الأرض التى لها علاقة بالوطن العربى والإسلامى، ولما كانت معرفة الغربيين تصل إليهم عن طريق المستشرقين، ويكون الحكم الغربى على الإسلام والمسلمين حسب الصورة التى تقدمها بحوث وكتب المستشرقين كان لزاما على المتخصصين معرفة بما يكتب وينشر على الإسلام والمسلمين، وإذا كنا نشير إلى الغزو الفكرى الذى يقوم به التبشير والإستشراق، فإن لهم أتباع ومؤرخون، تناولوا الإسلام بالبحث والتحليل، وإجتماعيون لهم مذاهب ونظريات، وسياسيون لهم غايات وأهداف، وصحفيون لهم شهرة وأنصار من هؤلاء من اهتدى فاعتنق الإسلام، ومنهم المعتدل الذى أنصف الإسلام، ومنهم الذى ركبه الغرور، فأخذ يكيل التهم الجزاف للإسلام وأهله، ولهذا وجب على كل مسلم متخصص أن يضع دراسات المستشرقين فى طليعة بحوثه، بل فى الصف الأول من شواغله العقلية.

نظرة عامة: لما بسط الإسلام سلطانه على قارتى أفريقيا وآسيا، وجزء عظيم من قارة أوربا من الناحيتين النظرية والعملية، ثم اخترق صليل صوته أسماع الشعوب التى لم تدن به، ودوى فى رءوسها صوت جلاله القوى كان من الطبعى أن يدفع الغيظ المتعصبين إلى الاشتغال بنصوص هذا الدين ودراستها للوقوف على ما فيها من فكر وآراء نظرية، فنظروا فى نصوص القرآن الكريم، والحديث الشريف والسيرة النبوية ودعوا إلى نقد حر وتمحيص برئ... لكن الواقع أن الدراسات التى أجراها الغربيون عن الإسلام والترجمات القليلة التى قاموا بها للقرآن كان أكثرها صادرا عن المتعصبين من رجال الدين المسيحى، وكان مبعثها محاربة الإسلام وتصيد المثالب المزعومة، أواقتناص الحجج المغالطة لتقديمها إلى المبشرين كى يستغلوها فى جدالهم مع المسلمين[1]..، ولقد تنبه إلى هذه النية المبيتة ضد الإسلام عدد من مفكرى الغرب فكتبوا مظهرين الحقيقة يقول الأستاذ دير مانجيم: «حين اشتعلت الحرب بين الإسلام والمسيحية ودامت عدة قرون اشتد النفور بين الفريقين، وأساء كل منهما فهم الآخر.

ولكن يجب الاعتراف بأن اساءة الفهم كانت من جانب الغربيين أكثر مما كانت من جانب الشرقيين، ففى الواقع أنه على أثر تلك المعارك العقلية العنيفة التى أرهق فيها الجدليون البيزنطيون الإسلام بمساو واحتقارات، دون أن يتعبوا أنفسهم فى دراستها، هب الكتاب والشعراء المرتزقة من الغربيين العرب، فلم تكن مهاجمتهم إياهم إلا تهما باطلة بل متناقضة» [2].

(١) انظر د. محمد غلاب: نظرات استشراقية فى الإسلام ص٣ ومابعد ط وزارة الثقافة: المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر - القاهرة بدون تاريخ.

(٢) كتاب «حياة محمد» لأميل دير مانجيم ص٢٣٥، ط باريس ١٩٢٩.

وقال الأستاذ كارادى فو :

«إن محمدا ظل وقتا طويلا معروفا فى الغرب معرفة سيئة، فلم توجد خرافة ولافظاظة إلا نسبوها إليه»[1]

وأحسن وصف لهؤلاء وأمثالهم ماقاله الأستاذ أحمد فارس الشدياق: [2] من «أن هؤلاء (المستشرقين) لم يأخذوا العلم عن شيوخه، وإنما تطفلوا عليه تطفلا، وتوثبوا فيه توثبا، ومن تخرج فيه: بشئ فإنما تخرج على القسس، ثم أدخل رأسه فى أضغاث أحلام، أوأدخل أضغاث أحلام فى رأسه، وتوهم أنه يعرف شيئاً وهو يجهله، وكل منهم إذا درس فى إحدى لغات الشرق أوترجم شيئا منها تراه يخبط فيها خبط عشواء، فما اشتبه عليه منها رقعه من عنده بما شاء، وما كان بين المشبهة واليقين حدس فيه وخمن فرجح منه المرجوح وفضل المفضول».

وحين انتشرت الثقافة الشرقية فى أوربا أخذ المستشرقون يجدون فى كشف الثقافة الإسلامية، وكان من وراء ذلك أن افترق الناس فى القرآن إلى معجب به، وطاعن فيه لغرض فى نفسه، وإن الإسلام اليوم بحاجة إلى بيان مزاياه وفضائله أمام العالم المتمدن ودحض المعتقدات السيئة التى ألصقت به، وإظهار حقيقة ماقدمه من علاج لأزمات الإنسانية المستعصية، وفى العالم اليوم من يبحث عن العلاج الناجع مهما كان مصدره للخلاص من المشاكل التى تنتاب الإنسانية، والإسلام اليوم هو خير علاج.[3]

(١) كتاب «المحمدية» للبارون كارادى فو ط باريس ١٨٩٧.

(٢) فى كتابه «ذيل الفارياق» نقلا عن «الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم» د. مصطفى السباعى ص١٣ ط الثالثة: المكتب الإسلامى: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥.

(٣) انظر: عفيف طبارة: روح الدين الإسلامى السادسة والعشرون ١٩٨٥.

مكانة المستشرقين فى وزارات بلادهم : اهتمت الحكومات الغربية بالمستشرقين وبجهودهم ونشاطاتهم فأنشأت لهم « المعاهد » للدراسات الشرقية والاستشراقية ، وأغدقت عليهم الأموال والالقاب الفخرية ، وأصبح المستشرقون مستشارون مخلصون فى خدمة بلادهم ، حتى أن انتونى إيدن وزير خارجية انجلترا سابقا ، ورئيس مجلس وزرائها كان لا يتخذ قرارا سياسيا عائدا لشئون الشرق الأوسط قبل أن يجمع عددا من المستشرقين الانجليز فى جلسة خاصة ،ويستمع الى أرائهم فى الموضوع ، وعلى ضوئها يتخذ ما يستنسب من القرارات (١) .

المستشرقون فى الميزان : من الانصاف أن نذكر طائفتين من المستشرقين فنقول :

يمثل المستشرقون فئتين : فئة ملتزمة وذو موقف منصف وغير متحيز، وفئة عكس ذلك تماما .

الفئة الأولى : نفر (٢) من المستشرقين من كافة الجنسيات يستحق الاحترام والتقدير لماله من المآثر فى نشر العلم والثقافة وتسهيل الوصول الى مؤلفات وأعمال ودراسات ، لو لم يبادروا الى تحقيقها ودرسها ، وفهرستها فهرسة كاملة ونشرها من مخطوطات كتب وتراث وحضارة ، ومن أحاديث نبوية وتاريخ ولغة وآداب وفلسفة ... الخ لكانت ماتزال قابعة سجينة الخزائن بعيدة عن النور ، ناهيك بالدراسات ، والتحقيقات والنصوص والمستندات ، والأعمال التى تشكل تراثا هائلا ،... وكان من أثر هذه الأعمال : تمكين العرب والمسلمين وغيرهم من الوقوف عليها والاستفادة منها واطلاع الاجانب والأوربيين عليها ، بحيث أصبح فى الغرب من يقدر

---

(١) انظر د. محمد صالح البنداق: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ص ٩٠ .

(٢) راجع «المستشرقون» : لنجيب العقيقى فى أجزائه الثلاثة .

الحضارة العربية والإسلامية ، ويدافع عنها ويستقى من مصادرها ويستوحى نخرها فيما يؤلف وينشر، ومنهم من ظل سادرا فى جهله أوتجاهله لها وشارعا فى محاربتها [1] .

الفئة الأخرى : أن نفرا اخر [2] ، وفى معظمهم من اليهود ، أو ممن يتعاطف معهم ، درس الدين الإسلامى واللغة والآداب العربية والفلسفة العربية والإسلام والفقة ... الخ ، فراح يحاربها وينكر عليها أصالتها ، وأهميتها ودورها وأثرها فى تفكير المؤلفين الأوربيين أنفسهم ، وفى المنجزات الفكرية الحضارية ، ولم يروا فى الإسلام شيئا ذا شأن – مع أن الإسلام كله تتمة غيرت مجرى التاريخ ، وحولته فى مصلحة الإنسانية جمعاء – وإذا وجدوه قالوا : إنه دخيل من أصل غير إسلامى أما يهودى ، أو نصرانى ، فكم منهم من قال : إن الفلسفة العربية ليست سوى الفلسفة اليونانية بأحرف عربية وكم منهم من قال : « إن الفقة الإسلامى ليس فى الواقع سوى الفقة الرومانى باللغة العربية » .

هؤلاء المستشرقون يمثلون إذن تلك الفئة من الناس الذين تحكمت أهواؤهم بنفوسهم وبغاياتهم الرخيصة وهم مهما حاولوا النيل من الإسلام وقرآنه ، ونبيه لن يفلحوا – إن شاء الله تعالى– لقد ران على قلوبهم وسيظلون قابعين فى الظلام الذى حبسوا أنفسهم فيه [3] .

إن العلماء الحقيقيين يكون ميدان عملهم العالم أجمع ، أى : الانسانية بمختلف أجناسها وألوانها وأوطانها ، أما الحشرات فعملها محصور فى الزوايا المظلمة والقمامة المنتنة [4] .

---

(١) انظر «المستشرقون وترجمة القرآن الكريم» ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) المستشرقون بأجزائه الثلاثة .

(٣) انظر «المستشرقون وترجمة القرآن الكريم» ص ٩٤ .٤

(٤) انظر المرجع نفسه .

إن الفتنة الكبرى المعاصرة ، والتى نعيشها آتية من الآراء والأفكار والشعارات والمذاهب الفكرية التى تلف الكرة الأرضية اليوم ، والتى تناولت حرمات العقائد الدينية الربانية الكبرى وتناولت مقدسات المبادئ والأخلاق ، بالهدم والتشويه، وعبثت بالنظم ومناهج السلوك الانسانى الفردى والاجتماعى ، التى جاءت بها الشرائع الربانية ، وأكملها الله سبحانه بالرسالة الخاتمة ، رسالة الإسلام التى بعث الله سبحانه بها محمدا ﷺ خاتم الأنبياء والرسل .

ولم تنتشر هذه المحدثات الفكرية الحالية إلا مع تفجر منجزات الحضارة المادية المعاصرة التى بدأت منذ أواخر القرن السابع عشر الميلادى فى الغرب ، ومازالت تتسارع بصورة مذهلة حتى وقتنا هذا .

وصار لزاما على دعاة الحق وأهل الفكر أن يكشفوا للناس زيوف هذه المذاهب ، وما اشتملت عليه من باطل كثير . وقد حمّل الله الأمة الإسلامية مسؤلية دعوة الخلق إلى الحق ، وتبصير الناس به ، ليكونوا يوم القيامة شهداء على الناس(١) .

الحوار مع المستشرقين هل يأتى بثمرة؟

مما لا ريب فيه أن الحوار مع المستشرقين بواسطة المناظرات أوالمناقشات على صفحات الكتب والمجلات يؤدى ثمرة إيجابية ينبغى التوسع فيها كلما سنحت الظروف، لأن الحوار العلمى الهدف منه التوصل إلى إظهار الحق، ومن ثم ينبغى علينا نحن المسلمين أن نعد للأمر عدته ونتبع الطرق الآتية:

١ - رصد الدرسات الاستشراقية رصرا دقيقا شاملا.

---

(١) انظر أ. عبد الرحمن حسن حبنّكة : كواشف زيوف فى المذاهب الفكرية المعاصرة ص ٩ ، ١٠.

ب – التعرف على مدارس الاستشراق ومراكزه وأهدافه.

جـ – اعداد مجموعة من الباحثين المسلمين القادرين على الحوار والنقاش، وفق مبادىء وصفات معينة مثل :

١ – الالتزام بالمنهجية العلمية.

٢ – الشخصية القوية المعتزة بالإسلام وفكره، أما أولئك المهزومون من داخلهم فلايصح أن يتصدروا لمثل تلك القضايا، لأن النتيجة معروفة سلفا وهى الاستسلام والتبعية.

٤ – سعة الثقافة والعمق العلمى.

ه –إنشاء وحدات للبحث العلمى فى مجال الدراسات الاستشراقية وتقويم الموجود منها.

د – إصدار مجلات علمية لهذا الغرض.

هـ – إيفاد عدد من الباحثين المتمكنين إلى مراكز الاستشراق فى الغرب للتعرف عن كثب على المستشرقين والدخول فى حوار علمى معهم (١) .

بدأ المستشرقون دراسة العربية فى أديار الرهبان، وكان أول وأهم عمل قاموا به فى مجال الترجمة من العربية هو القرآن الكريم، لكن ليس للاستفادة منه والهداية به، والانضواء تحت تعاليمه كلا، ولكن لمحاربته بعد الوقوف على مضمونه وقد عبر عن هذا الواقع الدكتور محمد البهى بقوله:

(١) انظر د. محمد عبد الرحمن ربيع: من قضايا البحث العلمى فى الجامعات السعودية ط إدارة الثقافة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. عمادة البحث العلمى ص٩٠ سنة ١٤١٥هـ ويمثل هذه الصورة المشرفة فى الحوار الشيخ أحمد ديدات .

«إن الاستشراق كمنهج وكمحاولة فكرية لفهم الإسلام حضارة وعقيدة وتراثا كان دافعه الأصيل العمل من أجل إنكار المقومات الثقافية والروحية فى ماضى هذه الأمة والتنديد والاستخفاف بها» (1).

لقد وضع المستشرقون الدراسات التى لاتحصى فنشروا «دائرة المعارف الإسلامية» ونشروا الخرائط الجغرافية للبلدان العربية والإسلامية، كما نشروا دواوين الشعر، وكتب الأدب والفلسفة والطب والهندسة والجبر، ولم يتركوا بابا إلا وطرقوه، ولاموضوعا إلا تخصصوا به وعالجوه، وتوسعوا فيه.

ولولا أن الإسلام حق بذاته، مؤيد بتأييد الله عز وجل، محفوظ بحفظ الله سبحانه، لم تبق منه بقية تصارع قوى الشر والطغيان فى الأرض، التى ماتركت سبيلا من المكر إلا سلكته، ولاسببا لإطفاء نوره إلا أخذت به، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

«يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون».

التوبة: ٣٢.

ويقول عز وجل:

«يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون».

الصف: ٨.

إن الغزو الفكرى يضع العقبات فى طريق تنمية البلدان الإسلامية لتظل متأخرة ليعزى بذلك إلى الإسلام.

---

(1) د. محمد البهى: المبشرون والمستشرقون فى موقفهم من الإسلام ص1.

وأمام الشعوب الإسلامية تحديات فهل ستصمد لها، وتتخطاها؟ هذا ما ستتكفل بالإجابة عليه الأيام.

إن الغزو الثقافى للعالم الإسلامى يستميت فى محو الإيمان الصادق، ويستميت أكثر فى تعليق الأجيال الجديدة بعرض الدنيا ولذة الحياة، إنه يستميت فى إرخاص المثل الرفيع وترجيح المنافع العاجلة.

ويوم تكثر الشخصيات المعلولة من عبيد الحياة، ومدمنى الشهوات فإن العدو يشق طريقه كالسكين فى الزبد لايلقى عائقا ولاعنتا.

فى يوم جاء إلى حصن الأزهر وفد يجمع بين جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار ولويس عوض وتوفيق الحكيم وآخرين.

كان فيلسوف الوجودية وعشيقته مدعوين لزيارة القاهرة والقاء محاضرات بها...، من الذى استقدم إلى عاصمة العروبة والإسلام هذا الفرنسى الكفور ليلقى فيها بنور انحلاله؟ إن التحذير من النيات المبيتة، والتوجيهات المسمومة أمانة دينية وواجب وطنى.

ينبغى أن نتعرف على الدوائر التى يعمل فيها عدونا، لهدم عقائدنا ودك حصوننا من داخلها، فإن هؤلاء الأعداء كثيرون.

إن الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية فى البحث وهى أبعد ماتكون عن بيئة العلم والتجرد وجمهرة المستشرقين مستأجرون لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه والافتراء عليه.

لقد نال هؤلاء المستشرقون مكانة لدى جم غفير من المثقفين فى بلاد العروبة والإسلام، فكان لابد من كشفهم حتى يعرف القاصى والدانى حقيقتهم[1].

(١) انظر للشيخ محمد الغزالى: قذائف الحق ص١٣٨، ١٩٤: بتصرف واختصار.

يقول د. إدوارد سعيد[1]: أن الإستشراق «أسلوب غربى للسيطرة على الشرق وامتلاك السيادة...، وبأن الاستشراق قد شكل الحضارة الشرقية فى كوكبة من الأفكار «الشرقية» كالاضطهاد، الأبهة الشرقية، القسوة الشرقية، الحواسية الشرقية»

إن الإلحاد الحديث وآراءه المنحرفة، وأحكامه الجائرة، أثر من آثار الاستشراق والسالكين مسلكه، والمقلدين له الناظرين بعينه، وبين الحين والحين. يرمون الإسلام بأوصاف هو منها براء.

يقول الشيخ محمد زاهر الكوثرى فى حديثه عن كتابات المستشرقين ضد الإسلام: ومن أخطر هذا الفريق المموِّه - جولد تسيهر - المجرى الدم اليهودى النحلة العريق فى عداء الإسلام، الماضى فى هذا السبيل طول حياته.

وهو من رجال أوائل هذا القرن الميلادى الحاضر وله دراسات فى القرآن وعلومه والحديث وعلومه والفقه وأصوله، وفى الكلام وفرق المتكلمين، إلا أنه محتال فى توليد مايشاء من نصوص يتصيدها من مصادر تعجبه باعتبار غايته مغالطا فى تحميلها من المعانى عند أهل البصيرة متجاهلا اختلاف منازل تلك المصادر فى الثقة والتعويل.

فلو شكلت لجنة لفحص كتب هذا المجرى المنطوى على عداء بالغ للإسلام لوضح الصبح لكل ذى عينين، ولسهل الرد على الماكر المخادع[2].

---

(١) فى كتابه الشهير «الاستشراق» نقلا عن الاستشراق فى الفن الرومانسى الفرنسى ص٢٥ د. زينات بيطار عالم المعرفة رقم ١٥٧. اصدار المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب: الكويت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٢) نقلا عن الشيخ محمد الغزالى: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ص٨ ومابعدها بتصرف واختصار.

وخطورة هذا المستشرق أن كتاباته يتتلمذ عليها الكثيرون فينتهجون نهجه وهذا هو مكمن الداء.

من عجائب الأمور - كما يقول الشيخ محمد الغزالى - أننا حينما ننقل المباذل ومظاهر التفسخ الخلقى من البلاد الغربية ننقلها بسرعة الصوت، أما عندما ننقل علما نافعا وخيرا يسيرا فإن ذلك يتم بسرعة السلحفاة.

ذهب أحد الصحفيين المشهورين إلى باريس لا لمهمة علمية تنفع البلد اقتصاديا، وإنما ذهب ليزيد القراء العرب فهما فى الأمور الجنسية، وليمد حريق الشهوات بوقود جديد يأتى على الأخضر واليابس، إنه يكتب عن مشاهد جنسية رآها مع الجمهور الفرنسى على «شاشة المسرح» بين زوجين، كما شاهد فيلما بعنوان «الزواج الجماعى» إن من يكتب عن هذه الأمور، لايعرف شيئاً عن قضايا الحلال والحرام، ولاعن شرائع السماء فى السلوك الخاص والعام.

إن علماء الإسلام ما نادوا فى طول البلاد وعرضها بكبت الغريزة الجنسية، ونحن نقدس فطرة الله التى فطر الناس عليها، ونحترم رغبة الذكر والأنثى فى لقاء يتم بالطريق الحلال، وسبيل ذلك الزواج، أما تيسير الزنا، وتكثير أسبابه، وتمهيد سبله، وقبول نتائجه فهو ارتكاس إنسانى يصحب الأمم عندما تبدأ شمسها فى الغروب[1].

والصحفى المشهور هو توفيق الحكيم، ويأتى الرد عليه من المؤرخ الإنجليزى أرنولد توينبى تحت عنوان: درس من التاريخ للإنسان المعاصر[2] قال: «إن امرأة

---

(١) انظر قذائف الحق ص١٩١.

(٢) نشر هذا المقال بالإنجليزية فى مجلة الإسلام الباكستانية، وترجمته إلى العربية مجلة رسالة الإسلام العراقية التى تصدر عن كلية أصول الدين ببغداد. نقلا عن قذائف الحق ص١٩٢ ومابعدها.

اليوم لها عملان: العمل الأول من حيث هى أم وزوجة، والثانى من حيث هى عاملة فى الإدارات والمصانع، وقد كانت المرأة الإنجليزية تقوم بهذا العمل الثانى فلم نؤمل الخير من وراء عملها المرهق، إذا أثبت التاريخ أن عصور الانحطاط هى تلك العصور التى تركت فيها المرأة بيتها..

«فى القرن الخامس قبل الميلاد حين وصلت اليونان إلى أوج حضارتها كانت المرأة منصرفة إلى عملها فى البيت، وبعد مجئ الإسكندر الكبير وسقوط دولة اليونان كانت هناك حركة نسوية شبيهة بالحركة التى نشهدها اليوم!

«لقد نسوا الله «والكلام لتوينبى» حين وضعوا حلولا لمعالجة الأمراض الاجتماعية انتهت بالأمم إلى علل مستعصية ومآس كبيرة.

«إن عصر الآلة أوجد لنا نقصا لم يسبق له مثيل فى المساكن مثلا، وخلق لنا فترات متناوبة من البطالة، ونقصا فى الأيدى العاملة».

إن الدعوات الإعلامية المستمرة لتخلى العرب والمسلمين عن دينهم وأوطانهم دعواة محقورة لا أساس لها، إن التنازل عن الدين والأوطان سبيل العار والدمار، فى استطاعة المسلمين الاستناد إلى ربهم، والمجاهدة دون وجودهم المادى والمعنوى، وهذا النص الآتى يشد أزر المسلمين ويقوى عزيمتهم يقولﷺ: «إن ربى قال يامحمد إذا قضيت قضاء فإنه لايرد، وإنى أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة، وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها»[(١)]

أى أن قوى الشر والبغى لو تألبت كلها ضدنا مانالت منا شيئا إذا توحدت كلمتنا، وتجمع شملنا، وتمسك صفنا، أما إذا فرقتنا الأهواء، والمنازعات فقد خلا الطريق للمتربصين. «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الأنفال: ٤٦.

هذا وقد اقتضى تقسيم البحث إلى

مقدمة وخاتمة، وبينهما تسعة فصول جاء ترتيبها كالآتى:

الفصل الأول: «الغزو الفكرى»

الفصل الثانى: «من شبه المستشرقين والرد عليه»

الفصل الثالث: «نشأة الاستشراق»

الفصل الرابع: «مواقف استشراقية»

الفصل الخامس: «التبشير»

الفصل السادس: «من أسباب طعن الأوربيين على الإسلام»

الفصل السابع: «نظرات إسلامية»

الفصل الثامن: «من وسائل الغزو الفكرى»

الفصل التاسع: « الأدلة على عدم الإكراه فى دين السلام»

والله العلى القدير أسأل أن يثيب كاتب هذا البحث، وكل من أعان على إخراجه بالعفو والعافية، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

دكتور/ محمود محمد رسلان
الأستاذ المساعد
فى كلية أصول الدين جامعة الأزهر
والأستاذ المشارك فى كلية الشريعة وأصول
الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
فى الجنوب

القاهرة فى ١٤١٦/١١/٢٦ هـ
١٩٩٦/٤/١٥ م

الفصل الأول

الغزو الفكرى

* تاريخ الغزو الفكرى.
* طبيعة الثقافة الغربية.
* من أهداف المستشرقين ومؤتمراتهم.
* الجانب الإسلامى الذى نسيه الغرب.
* هذا هو وقت تنصير المسلمين.

تاريخ الغزو الفكرى

أصبح الغزو الفكرى الغربى من أخطر التحديات التى تواجه الثقافة الإسلامية، والمجتمعات العربية، .. وهو غزو كانت بدايته فى أوائل القرن التاسع عشر، حيث بدأت الثقافة الغربية تفرض وجودها على شعوب العالم الإسلامى فى ظل الاستعمار العسكرى الذى كان مسيطرا على مقدرات تلك الشعوب، وعندما بدأ الاستعمار ينحسر فى منتصف القرن العشرين، ظلت الهجمة الفكرية الاستعمارية مستمرة فى صبغ المجتمعات الإسلامية بصبغتها مستهدفة فى ذلك طمس معالم الهوية الإسلامية[1].

«وتشويه القيم الاخلاقية والروحية، وتحويل المسلمين شيئاً فشيئاً عن طريق وسائلها المبتدعة وخططها المحدثة عن الانتماء إلى هذه الأمة إلى انتماءات جديدة وولاءات مبتكرة»[2].

طبيعة الثقافة الغربية:

عبر المفكر الإسلامى محمد أسد[3] عن طبيعة الثقافة الغربية ومؤسساتها خير تعبير حيث يقول:

«وقد كان البلاء الأكبر فى حضارة اليونان والرومان قديما، وفى حضارة الغرب الحديثة هو فى سيطرة المادية فى غاياتها وأهدافها ومن هنا نشأ الفساد

---

(١) انظر الثقافة الإسلامية دراسة تأصيلية لمضمون الرسالة الإسلامية ص٣٥٧ .

(٢) د/ محمد عبده يمانى «المعادلة الحرجة فى حياة الأمة الإسلامية» ص١٧ دار الشروق بجدة ط الثانية سنة ١٤٠٠ هـ.

(٣) ليوبولد فيل سابقا فى كتابه: الاسلام على مفترق الطرق.

والحروب والخصومات أن الرجل العادى فى أوربا ديمقراطيا كان أم فاشيا، ورأسماليا أم اشتراكيا، عاملا أم رجلا فكريا، إنما يعرف دينا واحدا هو عبادة الرقى المادى والاعتقاد بأنه لاغاية فى الحياة إلا أن يجعلها الانسان حرة طليقة من قيود الطبيعة.

أما كنائس هذا الدين، فهى المصانع الضخمة، ودور السينما، ومختبرات الكيمياء، ودور الرقص، ومراكز توليد الكهرباء، وأما كهنتها فهم رؤساء المصارف والمهندسون والممثلات، وكواكب السينما، وأقطاب التجارة والصناعة والطيارون والمبرزون، ونتجة هذا النهم للقوة والشرة للذة - النتيجة اللازمة - ظهور طوائف متنافرة، مدججة بالسلاح، والاستعدادات الحربية، مستعدة لإبادة بعضها إذا تصادمت أهواؤها، ومصالحها وأما فى جانب الحضارة فنتيجتها ظهور طراز من الانسان يعتقد الفضيلة فى العقائد العملية، والمثل الكامل عنده والفارق بين الخير والشر هو النجاح المادى لاغير وليس فى هذه الحضارة ولا فى نظامها الفكرى موقع لله فى الحقيقة، ولاتعرف له فائدة ولاتشعر بحاجة إليه»[1]

هذا ويكمن الخطر ثانيا فى تبنى والحضارة الغربية للمؤسسات التعليمية والثقافية التى تبث ثقافتها وتعمل فى الوقت نفسه على إظهار الإسلام بما ليس هو على الحقيقة، وطمس معالمه الصحيحة، وتشويه مبادئه المثالية، ويقوم بهذه المهمة من يسمون بالمستشرقين وأذنابهم من المستغربين، ومما يدل على ماسبق أنك:

«لاتجد موقف الأوربى من الإسلام موقف كره فى غير مبالاة فحسب كما هى الحال فى موقفه من سائر الأديان، والثقافات غير الإسلامية بل هو كره عميق الجذور يقوم فى الأكثر على صدور من التعصب الشديد وهذا الكره ليس عقليا فقط ولكنه يصطبغ بصبغة عاطفية قوية، إنه كره نابع من الغزو الفكرى.

(١) نقلا عن عبد الكريم عثمان: معالم الثقافة الإسلامية ص٩٨.

قد لاتقبل أوربا تعاليم الفلسفة البوذية، أوالهندوكية، ولكنها تحتفظ دائماً فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلى متزن ومبنى على التفكير، إلا أنها حالما تتجة إلى الإسلام يختل التوازن، ويأخذ الميل العاطفى فى التسرب، حتى أن أبرز المستشرقين الأوربيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمى فى كتاباتهم عن الإسلام، ويظهر هذا فى معظم بحوثهم، كما لو أن الإسلام لايمكن أن يعالج على أنه موضوع دراسة فى البحث العلمى، بل أنه متهم يقف أمام قضاته، إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذى يطلب أثبات الجريمة وبعضهم يقوم مقام المحامى فى الدفاع فهو مع قناعته شخصيا باجرام موكله لايستيع أكثر من أن يطلب له مع شئ من الفتور اعتبار الأسباب المخففة»[1]

من أهداف المستشرقين ومؤتمراتهم:

لقد كان من أهداف «المستشرقين من دراساتهم أضعاف مثل الإسلام وقيمه العليا من جانب، وإثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها من جانب آخر، واظهار أى دعوة إلى التمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر، بينما عملوا على إحياء حضارات ماقبل الإسلام: مثل الحضارة الفرعونية فى لغتها فى مصر، والحضارة الأشورية ولغتها فى العراق، والبربرية فى أفريقيا الشمالية والفينيقية فى سواحل فلسطين وسوريا ولبنان»[2]

كما أن من أهداف الاستشراق عقد المؤتمرات ووضع أحدث الصيغ لعرقلة سير الإسلام، ونهوض المسلمين.

وإليك مقتطفات من المؤتمر الذى طبع فى كتاب «التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى» والذى يعد صرخة فى آذان المسلمين ليستيقظوا:

(١) معالم الثقافة الإسلامية ص٩٩.

(٢) المرجع السابق.

قال أحد المنصرين وهو «دون ماكرى» فى مؤتمر سنة ١٩٧٨م. «أن أكبر عقبة تواجه عملية تنصير المسلمين هى عدم وجود كنيسة خاصة بالمتحولين عن الإسلام ممن قبلوا الرسالة النصرانية، أى كنيسة تلائم تقاليدهم الثقافية والاجتماعية»[١]

أى أنهم يبحثون إقامة كنيسة مفصلة على مقاس المسلمين لأنهم لايريدون ضم المسلمين الذين تحولوا عن دينهم إلى حوزة كنائسهم الرسمية.

وفى هذا المؤتمر الذى عقد فى ١٥/٥/١٩٧٨م كان عدد الحاضرين (١٥٠) شخصا، وتمخض عنه إنشاء معهد فى جنوب كاليفورنيا فى أمريكا الشمالية وأطلق عليه اسم: معهد صاموئيل زويمر، وأختير «دون ماكرى» مديرا له[٢].

ومن البحوث المقدمة لهذا المؤتمر بحث يقول:

«العالم الإسلامى يمر اليوم بحالة من التمزق الاجتماعى والسياسى، ولذلك يوجد لدى المسلمين اليوم استعداد قلبى وعقلى لتقبل رسالة المسيح كما توجد هنالك بعض «الشعوب» الإسلامية التى يصعب الوصول إليها، ولذلك يجب على الكنيسة أن تبتعد عن الأساليب غير المثمرة وتسلك طرقا ثقافية ملائمة من أجل تقديم عيسى المسيح بكل إخلاص وقوة إلى المسلمين، إن الأعمال التى يجب على الكنيسة القيام بها متعددة:

١- لابد أن يجد الانجيل طريقه إلى الملايين من المسلمين.

٢- يجب على القائمين على التنصير أن يتخلوا عن الإحساس المتبلد واللامبالاة، والتعصب للتقاليد البالية وسبل التنصير الفاشلة.

---

(١) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى ص٢.

(٢) المرجع نفسه ص٤، ومهمة هذا المعهد إعداد البحوث، وتدريب العاملين فى صفوف المسلمين، وبصورة عامة تعزيز قضية تنصير المسلمين راجع المرجع نفسه ص٢٠.

٣- يجب أن تخرج الكنائس القومية من عزلتها وتقتحم بعزم جديد ثقافات ومجتمعات المسلمين الذين تسعى إلى تنصيرهم.

٤- يجب على المواطنين النصارى فى البلدان الإسلامية، وإرساليات التنصير الأجنبية العمل معا بروح تامة من أجل الاعتماد المتبادل والتعاون المشترك»[١]!!

فهل وجدت تحريضا سافرا، أقبح من هذا التحريض؟ إن المسألة باتت تدخل فى دور التحدى الخبيث والنيات المبيته على ضرب المجتمعات الإسلامية فى أعد ماالديها وهو أمر العقيدة.

لقد أوصى هذا المؤتمر بدراسة المشاكل اللاهوتية التى تؤثر على تنصير المسلمين، ونشر كافة الدراسات التى تساعد النصرانى العامل فى هذا المجال.. وفيمايلى جانب بسيط من النتائج المثيرة التى تمخض عنها هذا الاجتماع التاريخى:

* لقد كشف المؤتمر عن تصور وأمل جديد للتنصير يجب على الكنيسة الاستجابة لهما.
* لقد حان الوقت لتوقع حصاد وافر بين المسلمين.
* لقد حان الوقن للعمل الجاد والالتزام المالى.
* لقد حان للصلاة المؤمنة والتفانى المخلص والشجاعة والشهادة لرسالة المسيح.
* لقد حان الوقت لأن نؤمن أن الرب سوف يجلب مجده للعالم الإسلامى كله.
* لقد حان الوقت لخلاص العالم الإسلامى، ونضج الحصاد، ورب الحصاد ينادينا فأين هم الحاصدون؟ يجب على الكنيسة ألا تتأخر أكثر من ذلك»[٢].

(١) المرجع السابق ص٦، ٧.

(٢) المرجع السابق ص٨.

أما نحن المسلمين فلا ينبغى أن نترك الساحة خالية بل لابد من ملئها بمنهج الإسلام. يجب علينا أن نذكر هؤلاء المغرورين بقوتهم، المفسدين فى الأرض بعقيدتهم.

يقول الله عز وجل: «إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدور عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون.ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون، قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين»[1]

والعمل الجاد لرفع عزة الإسلام وتطبيقه قولا وعملا نصار ورحا.

وتحت عنوان المسيح وثقافات الشعوب الإسلامية ومجتماعتها جاء مايلى:

«.. تاريخ الكنائس وإرساليات التنصير يفضل اقتلاع المسلم المتنصر كلية من بيئته الاجتماعية والثقافية، وأساس ذلك هو إيمان النصارى بأن الثقافة والحضارة الإسلامية شريرة برمتها وليس فيها مايمكن خلاصه، بل يتوجب إدانتها ورفضها جميعا، ويرافق هذا الموقف الحكمى من الثقافات والمجتمعات الإسلامية قصور ملحوظ فى التفكير النقدى من جانب المنصر لثقافته، وقد أدى هذا إلى حدوث مايسمى بالصدمة الثقافية بالنسبة للمسلم المتنصر، فبالإضافة إلى اتباعه الشرعى للمسيح فإنه يجبر كذلك على قبول المفاهيم الثقافية والاجتماعية الخاصة بالمنصر سواء كان بروتستانتيا أم غير ذلك»[2]

---

(١) الانفال: ٣٦–٣٨.

(٢) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى ص١٥.

الثقافة الإسلامية ليست خامدة:

وتحت عنوان: حان الوقت لمنطلقات جديدة جاء مايلى:

«أعطى علماء الأجناس البشرية من النصارى وغير النصارى اهتماما كبيرا للثقافات والمجتمعات الإسلامية، وراقبوا المسلمين فى أماكن تواجدهم، وحددوا وشرحوا القوة المحركة فى صفوفهم وبدأت عبارات «الإسلام الشعبى» أو«الإسلام المعمول به بين الناس» تظهر فى كتابتهم، وتفتح الطريق أمام آفاق جديدة كثيرة لاتنطبق على التصور التقليدى للإسلام ويظهر من الوصف الذى قدمه أولئك العلماء أنه لاتوجد ثقافة إسلامية خامدة إطلاقا»[1]

الجانب الإسلامى الذى نسيه الغرب:

قال و. ستانلى مونيهام:

«إن العالم الإسلامى يشغل اليوم حيزا مهما فى الأخبار أكثر من أى وقت مضى، فالمواجهة فى الشرق الأوسط لاتزال بعد عقدين من الزمن تقلق العالم كل لحظة، وكل إنسان فى العالم يتأثر فى الواقع تأثرا مباشرا متى اجتمعت الأمم الإسلامية المنتجة للنفط لتقرركم ستتقاضى على برميل النفط الخام، ويحبس العالم كله أنفاسه قلقا كلما اجتمعت منظمة الأوبيك، والمظاهرات وأعمال الشغب التى يقوم بها المسلمون المحافظون فى مصر، وايران والباكستان مطالبين بالرجوع إلى الطرق التقليدية توضح لعالم القرن العشرين الجانب الثورى للإسلام والذى نسينا وجوده، وإليكم ما استنتجته إحدى المجالات الأمريكية فى أحد أعدادها الأخيرة «تصارع الثروة النفطية وحركة العلمنة فى الشرق الأوسط طرق الحياة القديمة مما أوجد

---

(١) المرجع السابق ص١٧.

اندفاعا إسلاميا للعودة إلى الجذور» وتسترسل المجلة قائلة: «إن التعصب الدينى يتحرك باتجاه المواقع السياسية الأمامية فى أرجاء العالم الإسلامى من كازبلانكا، وحتى مضيق خيبر!»(١).

إن مؤشرات هذا الوضع بالنسبة لحركات التنصير ملحة وتشكل تحديا خطيرا لايمكن تجاهله، وإذا لم يكن هناك ما هو أقوى من الفكرة الناضجة فإنى أومن أيضاً أنه لايوجد ماهو أكثر مدعاة للأمل فى الحدث الذى تختاره العناية الربانية توقيته. ثم يقول و. ستانبلى مونيهام: عن هذا المؤتمر: إنها المرة الأولى خلال جيلين يعقد فيها مؤتمر يضم هذا العدد من قادة النصارى جاءوا ليناقشوا معا حالة عملية تنصير المسلمين، ففى بداية هذا القرن قام:

صموئيل زويمر عام ١٩٠٦م يتنظيم مؤتمر فى القاهرة وصف بأنه «يمثل بداية عهد جديد لإرساليات التنصير بين المسلمين» وقد ضم ذلك المؤتمر ٦٠ ممثلا لثلاثين كنيسة وإسالية للتنصير، وكان هذا المؤتمر هو الذى هيأ المناخ لعقد مؤتمر أدنبره للإرساليات العالمية عام ١٩١٠م، ومؤتمر لكنؤ فى الهند عام ١٩١١م واللذان ركزا على حاجات العالم الإسلامى(٢).

لقد كان الهدف الأساسى من مؤتمر لوزان هو: تنصير المسلمين خاصة لوجود حقيقتان معاصرتان عن الإسلام تؤيدان تفاؤل و. ستانلى مونيهام:

أولهما: الخلافات والفرقة فى داخله، والضغوط التى تدعو إلى التغيير والتى تهاجمه، ثم يقول لاحظوا أن الإسلام لم يكن ذلك الدين المتماسك كما كان عادة يوصف فى السنوات الماضية، بل هو عالم من الخلافات الواسعة والتفرق.. المسلمون يمثلون واحدا من كل ستة من البشر فى العالم، يتوزعون فوق رقعة واسعة تمتد من

---

(١) المرجع نفسه ص٢٥ من الخطاب الرئيسى. و. ستانلى مونيهام.

(١) المرجع نفسه ص٢٦.

الصحراء الجرداء فى شمال أفريقيا والجزيرة العربية إلى القاهرة، وكابول المكتظتان بالسكان، وحتى غابات جاو الاستوائية[1].

إنهم قبائل الهوسا فى شمال نيجيريا، والمهاجرون الباكستانيون فى نيجيريا، وقبائل البربر فى المغرب، والأرواحيون الجايون، والنخبة الايرانية والفلسطينية فى المنفى، والمدراء العاملون فى بيروت من خريجى جامعة اكسفورد، والمهاجرون الاتراك فى ألمانيا، لقد عددت القليل منهم والذين يمثلون اليوم جماعات متابينة إلى حد كبير فلقد أصبحنا أكثر وعيا بعد لقاء لوزان على ضرورة النظر إلى العالم على أنه يتكون من مجموعات متميزة من البشر، وإن علينا التعامل مع كل مجموعة باستراتيجية تنصيرية خاصة، إن هنالك أكثر من (٥٠) أمة تقول بأنها إسلامية كما توجد جاليات إسلامية فى أكثر من (١٥٠) دولة، وأكد دكتور رالف ونتر وجود حوالى ٣٥٠٠ مجموعة فرعية من المسلمين فى أنحاء العالم[2].

وكما أن المسلمين ليسوا شعبا واحدا فإن الإسلام ليس عقيدة موحدة، فهناك الإسلام الشعبى الذى يتبعه ملايين المسلمين والذى هو خليط من الأرواحية والتقاليد، وهنالك الإسلام الأسود الذى تدين به الأقليات السوداء فى أمريكا، كما يوجد أيضاً الدين الإسلامى المدنى الذى يمارسه ظاهريا المتعلمون والطبقات الراقية من المسلمين الذين يفتقرون داخليا إلى «الإيمان الحقيقى» وتطبق أقلية نسبية الإسلام المستند إلى تعاليم القرآن والسنة النبوية[3].

ويضاف إلى اختلاف المسلمين أنفسهم أن الإسلام كعقيدة يتعرض لضغوط عديدة منها اندفاع المسلمين لتقليد الغرب، والأفكار العلمانية، والتغييرات

---

(١) المرجع نفسه ص٢٧.

(٢) المرجع نفسه ص٢٧.

(٣) المرجع نفسه ص٢٨.

الاجتماعية، فأولئك الذين كانوا يسكنون خياما مصنوعة من جلود الأغنام، ويركبون الجمال عبر كثبان الصحراء فى نمط من الحياة لم يتغير منذ قرون عديدة أصبحوا اليوم فجأة يقتنون سيارات المرسيدس، وأجهزة التلفاز والساعات الالكترونية والبنوك الأمريكية، وتم افتتاح فروع «لدجاج كنتاكى المقلى» فى الكويت، وأبو ظبى، حيث يتمكن العرب من مضغ قطع لحوم الدواجن المشحونة من ولاية كارولينا الشمالية[1].

ويتزايد باضطراد عدد المسلمين الذين يسافرون إلى الغرب، ولأنهم يفتقرون إلى الدعم التقليدى الذى توفره المجتمعات الإسلامية فإنهم يشعرون بالتمزق، ويكونون غير واثقين من أنفسهم، ويعيشون أنماطا من الحياة يختلف عن ذلك الذى يجب عليهم اتباعه لقد كتب ماكس كيرشو فى بحثه الذى قدمه إلى هذا المؤتمر يقول: «يبدو أن عقيدة الغالبية العظمى من المسملين فى الغرب سواء أكانوا مهاجرين أم طلابا أم زوارا تتعرض للتأثير».

ويشكل هذا تهديدا خطيرا للتماسك الإسلامى، وقد أشار أحد الكتاب المسلمين إلى أن انتشار النزعة العصرية لم: «يزرع الارتباك فقط، ولكنه أضعف من قبضه الإسلام وتأثيره كما أدى إلى فصل أجزاء مختلفة من العالم الإسلامى عن بعضها البعض أكثر من أى وقت مضى»[2].

ونقل عن مصدر إسلامى آخر قوله إن ثلث عددسكان الباكستان فقط الذين يبلغ عددهم ٦٦ مليون مسلم يؤدون كل الفرائض المطلوبة، أنا اعتقد أننا نستطيع أن نجد وسط هذا التباين داخل الإسلام والضغوط التى يتعرض لها من خارجه الكثير من أسباب التفاؤل بأن رسالة يسوع المسيح ستجد آذانا صاغية[3].

(١) المرجع نفسه ص٢٨.

(٢) المرجع السابق ص٢٨.

(٣) المرجع السابق ص٢٩.

هذا هو وقت تنصير المسلمين:

قال قس يعلم فى منطقة الخليج: «إن العالم العربى لم يفتح أبوابه أبداً أمام أهل الكتاب كما يفعل اليوم»[1].

وكتب منصر يعمل فى الهند مايلى: «يصغى المسلمون اليوم إلى رسالة الكتاب المقدس بانفتاح واهتمام لم يسبق لهما مثيل على الإطلاق»[2]

وكتب قس ثالث من شمال افريقيا يقول: «نحن على أبواب اختراق طالما صلينا من أجله»[3].

ومن الباكستان يؤكد رابع مايلى: «لقد فتح الرب للكنيسة بابا على المسلمين لم يسبق له مثيل فى تاريخ الإرساليات التنصيرية الحديثة»[4].

ومن الأردن كتب منصر خامس يقول: «إن أربعين عاما من الزرع بدأت تثمر آخر الأمر، إن هذا وقت تنصير المسلمين»[5].

مؤهلات المنصر الفعال فى صفوف المسلمين كمايلى:

أ- التمكن من اللغة العربية والقرآن والمصادر اللاهوتية الإسلامية.

ب- التحلى بالصبر والحزم فى النقاش.

جـ- الشعور المتعاطف الذى يمكنه أن يقود المسلم من الحقائق التى يؤمن بها إلى المسيح الحقيقة المطلقة.

---

(١) المرجع السابق ص٣٣.

(٢) المرجع السابق ص٣٣.

(٣) المرجع السابق ص٣٣.

(٤) المرجع السابق ص٣٣.

(٥) المرجع السابق ص٣٣.

د- الاستعداد لنبذ الطرق البالية التى تثير الكثير من الجدل.

هـ- أن يكون لديه روح الأمل[1].

هذه شروط من يتصدى للتنصير بين المسلمين، فعليه أن ينزع عن نفسه الكسل والجبن، والانطلاق نحو الرغبة والحماس كتب زويمر فى أول افتتاحية له فى «مجلة العالم الإسلامى» إن الكنيسة فى خدمتها بين المسلمين «مدعوة إلى دراسة أعمق للمشكلة إضافة إلى إعداد شامل للمنصرين وإيمان واسخ بالرب»[2].

وقال فى مكان آخر أنه إذا أرادت الكنيسة أن توصل الكتاب المقدس إلى العالم الإسلامى: «فعلينا أولا أن نعرف العالم الإسلامى ونفهمه»[3].

أرأيت أيها القارئ اللبيب الفرق بين أتباع الإسلام وأنصار الكنيسة؟

أتباع الإسلام أخلصوا فى نشر العلم والمعرفة والثقافة الهادفة فى كل بلد فتحوه، واحترموا أموال أهله وعقيدة شعبه، وحافظوا عليهم كما يحافظون على أنفسهم وأطلقوا عليهم «أهل الذمة» أى العهد والميثاق.

أما اتباع الكنيسة فى عصرنا فيحاولون بشتى الطرق زحزحة المسملين عن دينهم: يقيمون المؤتمرات ويؤلفون الكتب ويدبرون المكائد ويشنون الهجوم السافر على الإسلام وأتباع المسلمين.

لقد كان للمسلمين الفضل فى إخراج أوربا من ظلمات العصور الوسطى وهمجيتها إلى نور العلم والحضارة المادية والثقافية إنهم يرون القضاء على الحضارة

---

(١) المرجع السابق ص٣٦.

(٢) المرجع السابق ص٣٧.

(٣) المرجع نفسه ص٣٧.

التى أضاءت لهم طريق القوة والمدنية على الإسلام وأتباعه، وهيهات يصلون إلى غرضهم فإن الذى أمسك السموات والأرض أن تزولا أمسك القرآن من الزوال والانحراف، وهو الذى يجمع المسلمين ويوحد كلمتهم: «هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»[١].

«يريدون ليطفئوا نور الله بأفواهم والله متم نوره ولو كره الكافرون»[٢].

وفى حديث رسول الله * مايبشر بالمستقبل الأغر للإسلام: «ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار، ولايترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل به الكفر»[٣].

إن عز المسلمين فى تمسكهم بدينهم مهما تقلبت الدنيا والعالم من حولهم، إن دين الإسلام هو صمام الأمان للفرد والأسرة وللأمة كلها.

(١) التوبة: ٣٣.

(٢) الصف: ٨.

(٣) رواه ابن ماجه فى صحيحه: ١٦٣١، ١٦٣٢.

من شبه المستشرقين والرد عليها

دأب المستشرقون على إثارة الريب حول الكتاب والسنة ، والهدف تحويل أنظار المسلمين عن الاهتمام بهذين المصدرين الجليلين اللذين كانا - ولايزالان - سببا فى وحدة المسلمين وقوتهم .

تلازم التبشير والاستشراق :

عندما اتسعت الفتوحات الإسلامية ، ورفرفت راية الإسلام على مملكتى كسرى وقيصر ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، واتسعت الرقعة الإسلامية حتى شملت كثيرا من بلاد افريقيا وآسيا ، وأوروبا ، وكانت انتصارات الإسلام والمسلمين فى الحروب الصليبية .. رأى أعداء التشويش على دعوة الإسلام وثقافته ، بعد ان عجزوا عن الوقوف أمامها بالسيف والقتال ، فحاول قادتهم من المستشرقين والمبشرين أن يشوهوا صورة الإسلام بالقاء الأباطيل والمفتريات ، خصوصا بعد ان انتشر الألحاد فى الغرب النصرانى ، وانكشف أمر العقائد عندهم فى التثليث (١)

---

(١) أما عن التثليث فيقول الفيلسوف أرسطو : « كل مركب صائر إلى الانحلال ، لذلك لايكون الواحد إلا بسيطا غير قابل للتجزئة» . نقلا عن الله واحد أم ثالوث . تأليف : محمد مجدى مرجان ص ٧٣ دار النهضة العربية . القاهرة .

* ويقول الشيخ رحمة الله الهندى رحمه الله تعالى فى كتابه إظهار الحق متحدثا عن استحالة الجمع بين الوحدانية والتثليث لمخالفة ذلك لكل عقل ومنطق فيقول : « .. الواحد الحقيقى ليس له ثلث صحيح أما الثلاثة فلها ثلث صحيح ، وهو واحد ، وان الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة والواحد الحقيقى جزء الثلاثة ، فلو اجتمعا فى محل واحد يلزم كون الواحد ثلث نفسه ، والثلاثة ثلث الواحد ، وتكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة » .

* ثم يروى الشيخ رحمة الله أن أحد القساوسة تولى تنشئة ثلاثة من الصبية الرهبان فى أحد الأديرة ، وعلمهم كافة العقائد المسيحية وخاصة عقيدة الثالوث ، ثم حضر يوما أحد أصدقاء القسيس وسأله عن حال الصبية الثلاثة ومدى الماهم بالعقائد المسيحية ، فطلب واحدا منهم

=

ليرى صديقه وسأله عن عقيدة الثالوث فقال الصبى لقد علمتنى أن الآلهة ثلاثة أحدهم الذى فى السماء ، والثانى تولد من مريم العذراء والثالث الذى نزل فى صورة حمامة على الإلة الثانى، فغضب القسيس وطرده ، ثم طلب الثانى ، وسأله فقال : إنك علمتنى أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم ، والباقى إلهان فغضب القسيس وطرده ، ثم طلب الثالث وكان ذكيا عن الباقيين ، فسأله فقال لقد : لقد علمتنى أن الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحد ، وقد صلب واحد منهم ، ومات فمات الكل لأجل الاتحاد ، ولا إله الآن وإلا يلزم نفى الاتحاد .

* هذا هو أقصى ما استطاع الصبية الثلاثة فهمه عن عقيدة الثالوث ، وهو أيضاً أقصى مايستطيع أى ذى عقل أن يفهمه ، هذا إن استطاع الفهم ، ولقد ادرك هذه الحقيقة أساقفة الثالوث أنفسهم ، وكبار أحبار وفلاسفة المسيحية فهم لرغم اضرارهم بحكم الظروف الى الدفاع عن عقيدة الثالوث ومحاولة تبريرها للعامة والبسطاء ، فإنهم يشعرون فى اعماقهم بمجافاتها لنعقل والمنطق ، وببعدها عن الحق والصواب. إنظر محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث ص ٧٥ .
* يقول القس توفيق جيد فى كتابه سر الأزل ص ١١ : « إن الثالوث سر يصعب فهمه وادراكه ، وان من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الادراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها فى كفه » .
* يقول الدكتور محمد عبد الله دارز رحمه الله فى كتابه الدين ص ٨٩ : أنه لايقول بالتعدد إلا العقل القانع المتعجل الذى يقف عند أدنى مبادئ الغيب وغاياته فيرى أن وراء كل فصيلة من الظواهر الكونية مبدأ يدفعها وينظمها ، فيقوده ذلك الى الاعتقاد بوجود اله للريح ، وإله للشعر واله للحرب ... وهكذا ، أما العقول الواعية الطليقة المتسامية فإنها ترى أن خلف هذا كله قوة واحدة اسمى وأعظم تصرف جميع الشئون ، فهى لا ترضى بآحاد القوانين ، ولكنها تسمو الى قانون القوانين ، وتستشرق إلى اليد التى جمعت تلك القوانين ونسقتها .... » .
* وفى مقالة للدكتور وولتر أوسكار لندبرج نقلا عن كتاب « الله يتجلى فى عصر العلم » ص ٣٢ تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين ترجمة د. الدمرداش عبد الحميد سرحان ، يقول الدكتور وولتر : « إن جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم فى إله على صورة إنسان بدلا من الاعتقاد أن الانسان قد خلق خليفة لله على الأرض ، وعندما تنمو العقول بعد ذلك ، وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية ، فإن تلك الصورة التى تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم فى التفكير ، أو مع أى منطق مقبول ، وأخيرا عندما تفشل جميع المحاولات فى التوفيق بين تلك الافكار الدينية القديمة وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمى نجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبذ فكرة الله كلية..... » . نقلا عن كتاب محمد مجدى مرجان ص ٧٨ ، ٧٩ . مرجع سابق .

والحلول [١] والصلب [٢] تلك الأمور التى لم يستطع العقل البشرى إدراكها ولا المنطق أن يقبلها ..

« فخشى الصليبيون أن يطل الإسلام بوجهه المشرق على أوربا وأمريكا فيجد قلوبا مهيأة وعقولا متجاوبة معه فشجع رجال الكنيسة حركة الاستشراق ، وقام الكثير منهم بالتبشير فى أرض الإسلام للتشويش على الدعوة الإسلامية ، واضعاف نفوذ الدين الإسلامى ، واضعاف تأثيره على النفوس : فيقل عزم المسلمين عن الجهاد فى سبيل الدعوة ، مما يضعف ثورة الإسلام وأهله أمام الزحف الغربى ، والغزو الغربى » [٣] .

فالاستشراق والتبشير حركاتان متلازمتان هدفهما :

أ- إبعاد الإسلام عن مجال العلاقات بين الأفراد فى السياسة والحكم والاقتصاد ، والعلاقات الاجتماعية .

ب- ترويج فكرة أن الظروف الدولية تدعو المسلم الى الولاء لغير المسلم والى الرضاء بحكومته .

---

(١) أما الحلول فمعناه : اتحاد الجسمين بحيث تكون الاشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، ومذهب الحلول: القول بأن الله حال فى كل شئ. المعجم الوسيط مادة: حل.

(٢) أما الصلب وهو صلب عيسى عليه السلام كما يزعمون فمن لم يؤمن به عندهم فقد خرج من الملة .

(٣) الدعوة الى الله سبحانه على بصيرة ص ٢٥١ .

جـ- إشاعة فكرة أن الإسلام نفسه يتجدد ، ويخضع لعامل الزمن فى تطوره ، ومن ثم فلا داعى للتقيد بتعاليم الماضى جملة فى تكييف الحاضر .

د- إشاعة فكرة أن الإسلام كدين يتعدد بتعدد شعوبه واجناسه وبتعدد مصادره التى يستقى منها .

هـ- ترويج فكرة عزل الإسلام عن الحكم ، والفصل بين مايسمى دينا ومايسمى دولة[1] .

ز- إشاعة الدعوة بين المسلمين بوجوب الخيار : فإما الدين وإما العلم .

ويظهر التبشير مكشرا على أنيابه ووجه الكالح ، فيقول القس زويمر ، رئيس مؤتمر القدس التبشيرى مخاطبا المبشرين أعضاء الإرساليات التبشيرية :

« .. إن مهمة التبشير التى ندبتكم دول المسيحية بها فى البلاد المحمدية ليست هى إدخال المسلمين فى المسيحية ، فإن فى هذا هداية لهم وتكريما .... وانما مهمتكم أن تخرجوا المسلمين من الإسلام ليصبح مخلوقات لا صلة له بالله ، وبالتالى لا صلة تربطه بالاخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها ، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الإسلامية ، وهذا ماقمتم به فى خلال الأعوام السالفة خير قيام ، وهذا ما أهنئكم عليه !! »[2] .

وهذا الكلام يمثل وثيقة خطيرة جدا ، وإدانه فاضحة للتبشير العالمى ، إذ يجعل تدمير أخلاق المسلمين هى مهمته الأولى[3] . فالتبشير هو الصورة الجديدة

(١) انظر د. محمد البهى الفكر الإسلامى فى الحديث وصليته بالاستعمار الغربى ص ٤٨، ٤٤-٤٩

(٢) سفر عبد الرحمن : العلمانية : نشأتها وتطورها وآثارها ص ٥٥٢ .

(٣) د . جابر قميحة :آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم ص ٣٧ : دعوة الحق تصدرها رابطة العالم الإسلامى ، مكة المكرمة . ع ١١٦ لسنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

للاستشراق و، فقد كانت الصليبية مصدرا نفسيا وروحيا وعقديا وماديا لكثير من المستشرقين على مدار التاريخ وأصبح التبشير فى وقتنا الحاضر يتمثل فى عنصرين :

الأول : هو العنصر الأجنبى .. الأوروبى والأمريكى فى هيئة قسس، وعلماء وأطباء ورجال أعمال ينطلقون لمباشرة مهماتهم فى بلاد العالم الثالث وغاباته وأحراشة ، مع الاهتمام الخاص بالمناطق ذات الكثافة السكانية البدائية .

الأخر : هو العنصر الوطنى ، ويتمثل : فى رجال الدين المحليين ، وأغلبهم صنعهم المستشرقون على أعينهم ، وكثير منهم تربوا فى الكليات اللاهوتية فى أوربا وأمريكا(1) .

واذا رجعنا الى الدعوة التى أشاعوها وهى وجوب الخيار بين الدين والعلم ، لوجدنا أكذوبة تطوع بإشاعتها قوم موتورون جهلة ، إذ كيف يتأتى التفريق بين الإسلام وبين أجزائه ؟! ان السعى لطلب العلم عبادة ، فأى تخيير للانسان بين الإسلام والعلم ؟ مع ان الانسان المسلم يدرك تماما أنه بمزوالته للتعلم والتعليم إنما يمارس حقيقة من حقائق العبادة ، أو سببا من سباب التقرب الى الله عزوجل (2) .

وإذا عدنا الى ما أشاعوه ، ومايهدف اليه الاستشراق والتبشير ، لوجدنا ان هذه الافكار تعتبر قيما استعمارية ، وركائز بنى الاستعمار الغربى عليها سياسته فى استعمار الشعوب ، وخلق جماعات فى الشعوب الإسلامية ، تروج لهذه الافكار مثل جماعة « القديانية » (3) التى يدعى زعيمها أنه نبى مرسل يوحى اليه ، وأنه نبى

(1) المرجع السابق ص ٣٧ ، ٣٨ .
(2) انظر د. أمير عبد العزيز : دراسات فى الثقافة الإسلامية مدخل الى الدين الإسلامى ص ٢٥.
(3) نسبة الى ميرزا غلام أحمد القديانى : (من قديان بإقليم البنجاب) ت سنة ١٩٠٨ م .

متبع كهارون لموسى ، وحرف معانى القرآن ، وأولها تأويلات فاسدا ، ونصب نفسه مفتيا ومن فتاويه بأنه لا يجوز لمسلم ان يرفع السلاح فى وجه الانجليز، لأن الجهاد قد رفع ، لأن الانجليز هم خلفاء الله فى الأرض (١) .

وتتضح فكرة الصلة بين الاستشراق والاستعمار أن الحروب الصليبية نفسها كانت منبعا من منابع الاستشراق فقد أطلعت الغربيين على مواطن الضعف فى دينهم بالمقارنة بينه وبين الإسلام فوجدوا أن الامر يحتاج الى مراجعة ... أو تعديل ، وهذا ماظهر عندهم وسمى بحركة الإصلاح الدينى ، ومن ثم استدعت المراجعة نوعا من الدراسات العربية ، ثم انتقلوا الى الدراسات العربية بالفعل ، ثم كانت هناك الرغبة فى التبشير بالمسيحية فى الشرق ، فاستلزم هذه دراسة اللغة العربية على أيدى المستشرقين ، ومن هنا تلاقت وجهة الاستعمار ، ووجهة التبشير ، ووجهة الاستشراق(٢) .

---

(١) احسان الهمى ظهير : القديانية ص ٢٠ نقلا عن آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم ص ٢٨ .

(٢) نجيب العقيقى المستشرقون : ٣ / ٦١٣ .

المستشرقون والقرآن

عنى المستشرقون بالقرآن واهتموا بدراسته من جميع جوانبه عناية فائقة فبحثوا فى : «جمعه ، ونزوله ، ووحيه ، وأصالته وتفسيره وترجمته وأسلوبه ولغته ، وفلسفته ، وأثره فى اللغة والأدب والفكر ... واعتباره مصدرا رئيسيا للدعوة الإسلامية وتشريعاتها ، كما قارن المستشرقون القرآن الكريم بالكتب المقدسة لديهم »(١) .

وكان للقس « بيتر» أثر كبير فى حركة الترجمة للقرآن الكريم حيث ظهرت له فى القرن الثانى عشر أربع تراجم قرآنية ، وكانت إحداها باللغة اللاتينية ، وكان الغرض من هذه الترجمة تشويه القرآن أولا ، ثم الرد عليه ، وتفنيد مايترجم منه ثانيا (٢) .

« ثم ظهرت ترجمات أخرى باللغة الانجليزية والفرنسية منها ترجمة فرنسية قام بها « أندريه دى روير» عام ١٧٤٧م ، ثم ترجمه جورج لرسالته التى نشرت عام ١٧٧٣ م ، واستفاد منها كل من ادوارد جيبسون ، وتوماس كارليل ، وغيرهما فى مؤلفاتهم الشهيرة عن الإسلام والغرب ، والقرآن ومحمد ﷺ واستفاد منها كل من أتى بعدهم من المستشرقين » (٣) .

وقد كانت ترجمة المستشرقين للقرآن ترجمة ناقصة شديدة التحريف ، لأن المترجم لم يستطع فهم النص القرآنى ، وظلت صعوبة اللغة العربية حائلا دون فهم هؤلاء للإسلام ، وتقدير الاعجاز القرآنى (٤) .

(١) فلسفة الاستشراق ، وأثرها فى الأدب العربى المعاصر . أحمد سمايلوفتشى ص ١٧٣ .

(٢) صور الاستشراقية ص ٢٧ .

(٣) فلسفة الاستشراق ص ١٧٣ هامش .

(٤) الإسلام والمستشرقون ص ٢٨ : محمد الدوسوقى .

وقد وقف المستشرقون المعاصرون عند بعض النصوص بغية الطعن فيها بفهمهم الخاطئ دليلا على أن محمدا ﷺ أخذ تعاليمه من أهل الكتاب .

مثال ذلك الآية الكريمة : « يا أخت هارون ماكان أبوك أمرأ سوء وماكانت أمك بغيا »(١) .

يقول الفريد جيوم المستشرق الانجليزى ويوافقه آخرون : « إن محمدا كان دارسا مبتدأ للكتاب المقدس فظن أن مريم أم عيسى عليه السلام هى مريم أخت هارون ، مع أن بين عيسى وهارون زمنا طويلا »(٢) .

ومن العجيب ان يتناقل الفكرة أخرون ويتمسكوا بها : وكلمة أخت فى اللغة العربية لاتعنى فقط الأخوة فى النسب ، وإنما تعنى ذلك السببية والمماثلة ، فيقال هذا الشاعر أخ الأخر ..... فشوقى أخ للمتنبى وهكذا ... فكل منهما يشبه الآخر ، وليس المعنى أن أبا هذا هو والد هذا .

وتتجلى الحقيقة فى أن مريم أم المسيح عليه السلام كانت معروفة بورعها وتقواها ، ومن ثم اختارها الله عز وجل لتكون أما لانسان يولد من غير أب ، على نحو فريد لم تألفه البشرية من قبل ، وهى وحدها التى تقبلها ربها بقبول حسن لهذا الغرض، فلما حملت بعيسى عليه السلام على نحو ما أراده الله سبحانه ، ظنوها أرتكبت الفاحشة ، وهى بارة تقية ، فقالوا لها : كيف يتأتى منك ذلك ، وأنت تشبهين هارون فى عبادته وطهارته وتقواه .. ، وهذا هو معنى الأخوة فى الآية على حد قوله تعالي : « إنما المؤمنون إخوة »(٣) .

(١) مريم : ٢٨ .
(٢) الإسلام والمستشرقون ص ٢٩ .
(٣) الحجرات : ١٠ .

وكقوله ﷺ لأهل نجران حين جاءوا يناظرونه « إن عيسى أخى » ، ومحمد ﷺ يعرف انه لا أخ له ، كما أنه ﷺ لم ير عيسى بل بينهما مايقرب من ستمائة عام ، ولكنها أخوة النبوة والرسالة التى يشترك فيها الأنبياء والرسل على حد قوله ﷺ « الأنبياء أولاد تعلات أبوهم واحد وأمهاتهم شتى »[1] .

هذا هو تفسير القوم للقرآن الكريم ، وليس غريبا على قوم يحاولون طمس معالم الحق ، أن يحرفوا الكلام عن مواضعه .

دور رجال الكنيسة فى نشر الاستشراق :

بدأت حركة الاستشراق أول مابدأت فى رعاية الكنيسة الكاثوليكية ، وخضعت لاشراف دقيق منظم من كبار رجالها ، وكان الرهبان جنودها الأولون[2] .

نماذج من الشبه والرد عليها :

يقول جورج سيل فى مقدمة ترجمته الانجليزية لمعانى القرآن الكريم : أما إن محمدا كان فى الحقيقة مؤلف القرآن ، والمخترع الرئيسى له ، فأمر لايقبل الجدل[3] .... واعتبر سيل ، ورينان اللذين جاءا من بعده أن رسالة محمد ، إنما هى امتداد طبيعى للحركة الدينية التى كانت سائدة فى عصره ، دون ان تشتمل على أى جديد !!! .

وإذا كان محمد ﷺ هو مؤلف القرآن فى زعمهم ، فإنه لجأ في ذلك واعتمد على العهد القديم وخاصة ماجاء فيه من قصص ، وقد كانت فرصته فى المدينة

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) الإسلام والمستشرقون : محمد الدسوقى ص ٢٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٤ .

للتعرف على العهد القديم أكثر من مكة حيث كان على اتصال بالجاليات اليهودية فى المدينة ، وعن طريقها حصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى عليه السلام ، على الأقل .. هذه معلومات القوم الضحلة عن محمد ﷺ ، ويزعم هؤلاء أيضا ان محمدا ﷺ تعرف على النصرانية من بحيرا الراهب فى رحلته التجارية الى الشام أى أن محمدا ﷺ جمع القرآن من اليهود والنصارى ، وهذه مزاعم كاذبة وساقطة، وافتراءات باطلة يروجها المستشرقون ضد القرآن المصدر الأول للإسلام .

وقد رد الله عز وجل عليهم قائلا : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين » [(١)] ، وفى هذا رد على المكذبين من أهل مكة ، كما هو رد مفحم للمستشرقين : « ولقد نعلم » علما مستمرا ، « إنما يعلمه » أى لايعلم محمدا ﷺ القرآن إلا بشر أى لاجبريل كما يدعى ، وهذا البشرى هو : قين وكان حدادا روميا ، وقيل : يعنون : جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل ، وكان الرسول ﷺ يمر عليهما ويسمع مايقرآنه ، وقيل : يعنون عائشا غلام حويطب بن عبد العزى، قد اسلم ، وكان صاحب كتب ، وقل : يعنون سلمان الفارسى .

وكان رد الله عز وجل على هذه المقولة الشنيعة « لغة الذى .. الخ » أى كلامه ، فاللغة بمعنى الكلام فصح تذكير الخبر ، واللسان : اللغة « يلحدون أعجمى » ، والملحد الذى مال مذهبه عن كل الأديان [(٢)] .

الأعجمى : الذى لم يتكلم العربية وقال الراغب : الأعجم من فى لسانه عجمة عربيا كان أو غير عربى اعتبارا بقلة فهمه ، فكيف يعلمه أعجمى ؟ إن الذين

---

(١) النحل : ١٠٣ .

(٢) انظر تفسير النسفى جـ٢ ص ٣٠٠ .

يشيرون اليه رجل أعجمى ، فى لسانه عجمة تمنعه من الاتيان بفصيح الكلام ، ومحمد ﷺ قد جاء قومه ، والناس جميعا بهذا القرآن الفصيح الذى أعجز الفصحاء والبلغاء من قومه ، فكيف يقدر من هو أعجمى على مثله وأين فصاحة القرآن من عجمة هذا الذى تشيرون اليه؟ ولا هو ﷺ أتى به من تلقاء نفسه ، بل هو وحى من الله عز وجل [1] .

يقول الله سبحانه فى التنزيل العزيز :

« وإذا تتلى عليهم أياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل مايكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا مايوحى الى إنى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم. قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبل أفلا تعقلون » [2] .

جهود المستشرقين فى ترجمة القرآن

انحصرت جهود المستشرقين بوجه عام فى درس القرآن الكريم وترجمته من لغته الأصلية إلى اللاتينية ، ومنها الى سائر اللغات الأوربية والأمريكية ، وتجمع المراجع العديدة على مايلى :-

١- أول ترجمة للقرآن الكريم باللغات الأوربية كانت باللاتينية ، وقد تمت بإيعاز واشراف رئيس دير « كلونى » بجنوب فرنسا الراهب « بطرس المجل » وهذا اسمه ، وكان ذلك سنة ١١٤٣م ، وعلى يد راهب انجليزى يدعى روبرت الرتينى ، وراهب المانى يدعى هرمان .

---

(١) انظر الفتوحات الإلهية على الجلالين للشيخ الجمل جـ٢ ص ٥٩٨ ، ٥٩٩ . ط الحلبى .

(٢) يونس : ١٥ . ١٦ .

٢- وقفت الدوائر الدينية المسيحية من هذه الترجمة موقفا حازما ، وهو منعها من الظهور بعد أن اعتبرتها هذه الدوائر عاملا مهما من شأنه أن يسهل التعريف بالإسلام ، وانتشار هذا الدين بدلا من أن تخدم الهدف الذى سعت اليه الكنيسة أصلا ، وهو محاربة الإسلام ، وظلت هذه الترجمة المذكورة ضمن محفوظات الدير ، ولم تصدر إلا فى سنة ١٥٤٣م أى بعد مئات من السنين على وضعها ، حتى قيض لها الظهور فى مدينة « بال » بسويسرا على يد الطابع « ثيودور بليبلياندر » وبعد تمام طبعها اعتمدت هذه الترجمة لمدة طويلة اساسا للترجمات الى عدد من اللغات الأوربية » .

٣- بعد طبع هذه الترجمة على يد العالم الإيطالى « باغانينى » أمر البابا بولس الثالث بإتلافها ، ولم تسمح الكنيسة بطبع ترجمة القران الكريم باللاتينية إلا فى عهد البابا الكسندر السابع (١٥٥٥ - ١٥٦٧) وبعد ذلك أخذت الترجمات تتوالى بالعديد من اللغات ، ومنها العبرية التى وضعها حاخام جزيرة زانتى Zante يعقوب ابن اسرائيل سنة ١٦٣٤ م نقلا عن الترجمة اللاتينية (١) .

٤- يقول الفيكونت فيليب دو طرازى ، أن ابن الصليبى مطران دياربكر (ت ١١٧١) نقل فى القرن الثانى عشر إلى اللسان السريانى آيات جمة من القرآن الكريم ضمها فى مؤلف خاص انطوى على ثلاثين فصلا فى ١٤٤ صفحة تحت عنوان (كتاب الجدل) وهو مخطوط فى مكتبة بطريركية السريان ببيروت.

ويضيف طرازى قائلا : « وأطلعنا نحن على ترجمة سريانية للقرآن كاملة ، ويتبادر الى الظن أن مترجم تلك النسخة القرآنية العريقة هو باسيل مطران الرها الذى كان من أبرع كتاب تلك الحقبة ، وأبلغهم وقد أفلتت هذه المخطوطة النادرة من

(١) انظر المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ص ٩٥ ، ٩٦ .

نكبة هائلة اجتاحت مدينة الرها ، وأهلها عام ١١٤٥م يوم دخول زنكى ملك الموصل سنة(٥٤٢ - ٥٩١هـ)(١) .

يتضح مما سبق أن عمل المستشرقين ، لم يكن قائما على مبدأ العمل المتجرد والبحث العلمى النزيه والمنزه عن الأهواء ، وكيف يكون ذلك ومعظمهم فاقد لهذه الميزة الشريفة النبيلة للآتى :

ثبت بما لايقبل الريب أن فئة من المستشرقين الذين يدعون فهم العربية هم فى الواقع لايحسنونها ، وهذا نقص فادح فى مستلزمات العمل العلمى ، ومع ذلك فإنهم يتصدون لترجمة أعظم كتاب فى الوجود ، لاعظم رسالة الى البشرية قاطبة إنه القرآن الكريم ، يقول عنهم الدكتور عمر فروخ بحق « إنهم جهال فعلا، ولكن فيهم نفرا أذكياء جدا ألبسوا ذكاءهم الماكر ثوب البساطة والغباء »(٢) .

وتعقيبا على هذا الجهل الفادح ، وهو عدم معرفة المستشرقين للغة العربية ، ثم اندفاعهم الأرعن الى ترجمة القرآن الكريم بالذات يقول الاستاذ محمد الانصارى(٣) : « إذا كانت الأمة العربية التى نزل القرآن بلغتها فى يوم لم يمر على العربية - من قبل ومن بعد - مثله قوة وابداعا عجزت عن خطوة واحدة لمعارضة القران ومناقضته ، مع ما ألحقه بهم فى تفكيرهم وإعلان الذلة والجمود عليهم أمام صولته القاهرة وبيانه المعجز الساحر ، فكيف بلغات لاتذكر بجانب العربية فى واحدة من خصائص اللغات ؟» .

---

(١) انظر المستشرقون وترجمة القران الكريم ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) الاستشراق ماله وماعليه المجلة العربية العدد الأول سنة ٢٢ رجب ١٣٩٧ هـ . يناير ١٩٧٧ ص١١٦ .

(٣) مجلة الجامعة الإسلامية العدد الأول السنة ٢٨ جمادى الأخرة ١٣٩٥ هـ يونية ١٩٧٥ ص١١٦. تموز .

هذا وقد أثبتت الدراسات فى اللغات الفرق الكبير بين حروف العربية وجملها الاسمية والفعلية ، واساليبها المتعددة وبين اللغات الأخرى كالفرنسية والانجليزية ، فاللغة العربية عالية بكل المقاييس ، نزل بها كتاب أعلى منها فى ذاتها ، فكيف يوضع هذا الكتاب ويقرأ بلغات قاصرة ونازلة عن هذا الكتاب ، إضافة الى جهل القائم بنقل القرآن إلى اللغات الأعجمية ؟ (١) .

العوائق التى تقف أمام الأجانب فى فهم القرآن الكريم

يعزو الشيخ محمد رشيد الأسباب العائقة عن فهم الأجانب للقرآن الكريم إلى «جهل بلاغة» كتاب الله عز وجل ، وإلى « قصور ترجمات القرآن وضعفها» فيقول :

« إن أول الأسباب العائقة عن فهم الأجانب للقرآن جهل بلاغة اللغة العربية التى بلغ القرآن فيها ذروة الاعجاز فى أسلوبه ونظمه وتأثيره فى أنفس المؤمنين والكافرين جميعاً .

وإن ترجمات القرآن التى يعتمد عليها علماء الافرنج فى فهم القرآن كلها قاصرة عن أداء معانيه التى تؤديها عباراته العليا وأسلوبه المعجز للبشر ، وهى إنما تؤدى بعض مايفهمه المترجم له منهم إن كان يريد بيان مايفهمه ، وإنه لمن الثابت عندنا أن بعضهم تعمدوا تحريف كلمه عن مواضعه ، على أنه قلما يكون ، فهمهم تاما صحيحا ، ويكثر هذا فيمن لم يكن به مؤمنا ، بل يجتمع لكل منهم القصوران كلاهما : قصور فهمه ، وقصور لغته» (٢) .

١- إنهم مع هذا الجهل الفادح بالنسبة للغة العربية ، فإنك ترى من يتصدى منهم لنصوص أدبية تعود الى مختلف عصور الأدب العربى ، أو من يتصدى إلى

(١) انظر المستشرقون وترجمة القرآن الكريم .

(٢) الوحى المحمدى ط الثامنة المكتب الإسلامى ص ٢٤ ، ٢٥ .

نصوص القرآن الكريم بالذات « ليصدروا أحكامهم على لغته وأسلوبه » !!

٢- إن رغبة معظمهم فى هدم كيان اللغة - فضلا عن هدمهم لمبادئ الإسلام- جعلهم يستنبطون نظريات من وحى شياطينهم فاسدة خاطئة ، ويطلعون بآراء مغرضة موجهة ضد اللغة العربية لغة القرآن ، وهذا دليل على انحرافهم دون ريب[١] .

٣-استطاع هؤلاء أن يؤثروا بنظرياتهم وانحرافاتهم على بعض أبناء العربية - مع الأسف - تأثيرا مريعا ، بحيث أصبح هذا النفر من المفكرين العرب منجرفا بتيارهم ومشكلا نسخة طبق الأصل عمن تخرج على أيديهم فنقد دينه ومجتمعه كما فعل أساتذته من المستشرقين[٢] .

٤- مع التزام القوم بحرية الترجمة، بحيث تأتى الترجمة موافقة لأهوائهم من حيث التصرف بالنصوص على طريق التقديم والتأخير والتحوير ، ومن ثم رفعوا شعار هداما بقولهم : إن فى هذا القرآن ماليس بقرآن ، أو أن القرآن لا يشكل نموذجا عاليا للفصاحة والبلاغة العربية ، ولم يكتفوا بهذا ، بل شككوا فى وجود الاعراب فى القرآن الكريم ، ومن حملة لواء هذه النظرية الكاذبة فولر Fuller ، وباوكاله Pawkale قال : إن النص الأصلى قد « ألف » باحدى اللهجات المحلية التى كانت سائدة فى الحجاز أو التى لايوجد فيها تلك النهايات المسماة بالإعراب، وهم فى ذلك إنما يقصدون الإنكار بإن لغة القرآن كانت معروفة موجودة فى مكة على عهد النبى [ﷺ] [٣] .

٥- أعلن بعض المستشرقين « رأيه » بأن ثمة آيات ، أو كلمات ليست فى مكانها فى القرآن الكريم ، وأنه ينبغى أن يكون فى مكان آخر سابق ، أو لاحق ، وقد

(١) انظر المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ص ١٠١ .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) انظر المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ص ١٠٢ .

انطلقوا من هذه الفكرة وحققوها لما فى ذلك من تضليل للقارئ وبلبلته ، وحمله على عدم الإحاطة بحقيقة النص القرآنى ، وبصحة المبادئ الإسلامية ، متصادمين مع قول الحق «: « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » هود : ١ .

وهنا موقف لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهو أمير البلاغة وأقرب من حفظ القرآن عن النبى ﷺ ، فقد جاء فى كتب التفاسير أن الإمام عليا كان يرى أن كلمة « طلع» هى المقصودة لا « طلح» فى آية « وطلح منضود» ، فقد قرئ عليه : « وطلح منضود» فقال على رضى الله عنه مابال الطلح ؟ أو ماتقرأ « » وطلع » ثم قرأ : « لها طلع نضيد» فقيل له « « يا أمير المؤمنين انحكها من المصحف؟» أى أنصحها ؟ فقال : « لا يهاج القرآن اليوم » – لا يغير ولايبدل مافيه – ويقول أبو بكر الانبارى والقشيرى أن عليا رجع إلى مافى المصحف وعلم أنه الصواب ، وأبطل الذى قد بدر منه [1] .

لقد حدث ذلك فى زمن قريب العهد من نزول القرآن الكريم ، وفى حضور أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وعلى هو من هو من الإسلام والبلاغة ، لقد كان سلاحه عندما حدثت هذه الواقعة أية من القرآن الكريم « لها طلع نضيد» استشهد بها .

فكيف يصح ، أو يجوز أن يأتى أحد فى هذا العصر المتأخر ليروى روايات عن كلمة يستبدلها البعض مكان كلمة [2] ؟.

٥- انطلق المبشرون والمستشرقون من فكرة ترجمة القرآن الكريم صراحة إلى دحض المبادئ الإسلامية ، وتفنيدها ، وقد فعلوا ذلك بروح رجعية متزمتة سداها

(١) انظر المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ص ١٠٣ .

(٢) انظر المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ص ١٠٣ .

معاداة الإسلام ، ولحمتها دحض أركان الإسلام ، ومثال ذلك الترجمة الإسبانية التى وضعها « مور كيوندو أى أو أوكراتوندو » وعنوانها هكذا بكل صراحية :

« القرآن مترجما بأمانة الى الاسبانية ومعلقا عليه ، ومدحضا طبقا للعقيدة والتعاليم المقدسة والأخلاق الكاملة للكاثوليكى المقدس الرسولى الرومانى » وهى بدون تاريخ [1] .

٦- لقد انطلقوا نحو الترجمة الكيفية لا الصحيحة ، والعلمية ، أوحتى النسبية لحد ما ، أمعانا فى التحريف والتضليل خوفا من أنه يعتنق الإسلام من يقف من الأوربيين على حقيقة النصوص القرآنية فيما لو حصل على ترجمة صادقة أو صحيحة .

لم يكتفوا بهذا ، بل حبذوا العمل على إعادة نشر هذا النوع بالذات من الترجمات عدة مرات وتشجيع ترجمة هذه الترجمات للغات أخرى ، وتحبيذ نشر الترجمات التى تنطوى على الأضاليل والتحويرات والأخطاء الفنية والشطحات التى ترمى الى الحقد والتعصب والخوف الذميم ، ولكن الحق لابد وأن ينتصر وإن طال الزمن[1] .

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت *** أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت *** ماكان يعرف طيب عرف العود

٧- من الغرابة أنهم استعملوا عبارات قديمة فى الترجمة ، أصبحت اليوم مهجورة وغير مألوفة مع تطور اللغات واللغة تتطور ، وقد يأتى زمان على أبنائها

(١) انظر المرجع نفسه ص ١٠٤ .

(١) انظر المرجع نفسه ص ١٠٤ .

لايعرفون فيه شيئا عن لغتهم القديمة ، كما هو الحال بالنسبة للغة الفرنسية والانجليزية واليونانية القديمة مثلا ، وقد تدل على معان مشبوهة ، أو تنطوى على شئ من اللمز والغمز وكثيرا ما تكون إحدى المفردات ذات معنيين (١) .

٨- تعمدوا التحوير فى ترجمة بذاتها عندما يعاد طبعها بحيث يبرز شرح أو تفسير كلمة مغايرا تمام المغايرة عما كان عليه فى الطبعة السابقة مما يدل على روح التضليل ، كما نشروا الترجمات تحت أسماء ، أو بأحرف فقط تدل على اسم المترجم بغية عدم اظهار شخصيته الحقيقية ، وهذا ماحصل فى الثلاثينات من هذا القرن ، ومعلوم أنه لا يعرف اسم المترجم من خلال الأحرف الأولى لاسمه سوى المطلعين على أعماله والمعتادين على كتاباته ، ومثال ذلك الترجمة الأسبانية كانت قد صدرت الطبعة الأولى بقلم OBBJ وصدرت فى الطبعة الثانية JBB ،وأخيرا صدرت فى الطبعتين الثالثة والرابعة بقلم JBBO أى بعكس الطبعة الأولى OBBJ فليتأمل (٢)!

٩- أعادوا نشر ترجمات سداها الضغن ، ودحض الإسلام كما فعل ماراكسى Marracci الذى جمع ترجمات من هذا النوع أصدرها أشخاص لايفقهون العربية بالتعاون مع من لايعرف اللاتينية ، ونشروها عام ١٦٩٨م وكان لها ردود فعل إيجابية بحيث وجدت محبذين كُثُر .

ولقد تصدى هذه الطبعة النبيل الفرنسى المؤرخ والفيلسوف : الكونت (هنرى دو بولنفيلييه) وكان يتزعم حركة شريفة موالية للنبى الكريم فى باريس فلقى كل معارضة ، وقد هاجمه (ريجس بلاشير) واتهمه بأنه « نصب نفسه مدافعا عن

---

(١) انظر المستشرقون والقرآن الكريم ص ١٠٥ .

(٢) انظر المستشرقون والقرآن الكريم ص ١٠٥ .

الإسلام من أجل تحطيم خير الكاثوليكية»[1] .

ولما صدر كتاب فى باريس بعنوان : « قرآن فرنسا » تأليف جان ماليا :

Lecoran Pour La France Par Jean Melia.

قرظة الاستاذ محمد كرد على الرئيس الأسبق للمجمع العلمى العربى فى دمشق فى مجلة المجمع [2] حيث قال : « خاض فيه الكاتب فى أبحاث مهمة فى القرآن ، وقال : إن الواجب أن يطرح بعد الآن ما ادعاه بعض المتفلسفين من الفرنسيين فى القرآن ، فالقرآن يجب أن يتلى بتؤدة ، فليس فيه مايتهمه به الأعداء من أنه ملقن التعصب ، وقال : إن الإسلام دين سماوى وهو دين حب وعاطفة وشرف وانه ليس فى الأديان دين أكثر تساهلا منه، إلى غير ذلك من المباحث التى تخدم بها أمته ، أولا ، والأمة الإسلامية ثانيا ، فاستحق كل الثناء على بعد غوره وسعة علمه ، واطلاعه واتساع محيط عقله وحريته» .

١٠- كذلك انطلقوا من خلال الترجمات استنادا الى مبدأ يظهر القرآن الكريم للعالم أنه من وضع محمد ﷺ ، وأنه كتاب متناقض ، وليس بكتاب موحى به من الله تعالى إلى النبى محمد ﷺ .

كما زاد واعلى فكرة عدم كون القرآن من عند الله فقالوا : إنه مأخوذ باللفظ أو بالمعنى من كتب اليهود ، كما فعل المستشرق اليهودى إبراهام جيجر Abraham Geager محاولة منه فى اثبات نظريته الشريرة بأن النبى اطلع على كتب اليهود وبلغاتها المختلفة : العبرية والارامية ، وبأنواعها المختلفة : التوارة والمكتوبات والأنبياء والمشناو الجمارا (التلمو) والمدراش والترجوم وغير ذلك .. ، والمعروف الذى

---

(١) انظر المرجع نفسه .

(٢) مجلد ٩ سنة ١٣٤٧هـ- ١٩٢٩ ص ٣٨٠ .

لايستوجب السؤال ان النبى ﷺ كان رجلا أميا لايقرأ ولايكتب ، هكذا أخبر القرآن الكريم ، وهذا أمر ثابت وهذا مايحققه كل من عرف النبى ﷺ وكتب فى سيرته [1] مستندا الى قول الله عز وجل :

« وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون» [2] .

« وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل مايكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى أن اتبع إلا مايوحى الى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم ، قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون» [3] .

١١- كذلك وضعوا المقدمات والدراسات لترجمات القرآن ونشروها قبل الترجمة ، مدخلا الى القرآن ، متضمنة التشهير بالإسلام والنبى ﷺ ، والعرب استنادا الى المصادر اليهودية [4].

١٢- وإمعانا فى التضليل ، وفى طمس الحقائق ، اختلقوا فكرة تقول : بأن الخلفاء زادوا أو انقصوا من سور القرآن وحذفوا وبدلوا من نصوصه ماشاؤا ... ، وهذا افتراء كاذب ، فلم يخضع القرآن الكريم لما خضع له دين النصارى حينما لعبوا به فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ، وما حدث فى بقية المجامع ، فهم كما يقول المثل العربى « رمتنى بدائها وانسلت» .

---

(١) انظر المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ص ١٠٨ .

(٢) العنكبوت : ٤٨ .

(٣) انظر يونس : ١٥ ، ١٦ .

(٤) المستشرقون وترجمة القران الكريم ص ١٠٨ .

كما اختلقوا مقولة إن القرآن عقبة فى سبيل ارتقاء الأمم الإسلامية ، وقد قال اللورد كرومر ، الذى يتفق فى الرأى مع المستشرقين مستشاريه ، والذى كان حاكما على مصر ، قال فى كتاب له عن « مصر الحديثة » نشر عام ١٩٠٨م « إن القرآن هو المسؤول عن تأخر مصر فى مضمار الحضارة الحديثة » ومن أقواله المعروفة « « لن يفلح الشرق مالم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ، ويغطى به القرآن» .

وقد تصدى له ورد عليه الدكور شميل شميل حيث قال : « لقد أخطاء المستر كرومر ، والخطأ تسرب الى حكمه حينما قال : إن شريعة القرآن لاتوافق العمران فى كل عصر ، والمنصف لايسعده أن يلقى على القرآن تبعة تقهقر الأمم الإسلامية ، فإذا أرادات الأمم الإسلامية أن تجارى الأمم المتمدنة فى ارتقائها ، فالقرآن لايحول دونها وإن فى القرآن أصولا اجتماعية عامة وفيها من المرونة (اليسر) مايجعلها صالحة للأخذ بها فى كل زمان وإن القرآن فتح أمام البشر أبواب العمل للدنيا والآخرة لترقية الروح والجسد بعد أن أوصد غيره من الأديان تلك الأبواب فقصر وظيفة البشرية على الزهد والتخلى عن هذا العالم الفانى » [١] .

وكم من رجال السياسة قبل كرومر وبعده ، قالوا مثل قوله ، فقد صرح غلادستون (١٨٠٩ - ١٨٩٨م) الذى ترأس الوزارة البريطانية أربع مرات ، بقوله : «لاراحة للعالم - ويقصد العالم البريطانى الذى يمثله - ماكان القرآن» ! وقال أحد رجال السياسة الفرنسيين ممن تحكموا فى المغرب العربى المسلم : « لن يكون لنا الملك الحق فى بلاد المغاربة أو نغرب دين القوم » !! [٢] .

---

(١) نقلا عن المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ص ١٠٩ .
(٢) نقلا عن المرجع السابق نفس الصفحة .

بشريـة القرآن *

لم يقف أمر المستشرقين فى فهم القرآن وتفنيدهم له عند هذا الحد ، ولكنهم كرسوا جهدهم لزعزعة عقيدة المسلمين ، وإيمانهم بالقرآن الكريم ، فانطلقوا يذيعون أن القرآن ليس كلام الله (سبحانه) كما يعتقد المسلمون ، ولكنه كلام محمد أى أنه بشرى ، وأن محمدا قد كتبه متأثرا بالبيئة التى نشأ فيها وهى مكة حيث تأثر محمد بمظاهر الحياة فيها من مادية ، وروحية ، واجتماعية من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن محمدا قد نقل بعضا منه من اليهودية والنصرانية .

يقول جب فى كتابه : « المذهب المحمدى »

وعنوان الكتاب يدل دلالة واضحة على مايكنه هذا المستشرق من عداء سافر للإسلام ولنبى الإسلام ﷺ حيث يزعم ان الإسلام مذهب وليس دين ، وهى دعوة يطير بها المستشرقون فى أرجاء الأرض مدعين أن الإسلام دين قومى ، أو خاص ، وليس دينا عاما وهذا كذب وافتراء وادعاء عار من الحجة والبرهان ، فالله عز وجل يقول : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبد ليكون للعالمين نذيرا »[1] ، « قل يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا »[2] ، « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا

(*) يشترك فى هذه لشبهه كل من : فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٨ ط .. كتاب بإشراف ادارة الثقافة العامة فى مصر ، د . بروز استاذ الفقه الانجيلى فى جامعة بيل ، ود رمنجهم ، ولويون فى ص ١١١ فى « حضارة العرب » حيث ورد : تاليف القرآن» راجع الإسلام فى قفص الاتهام ص ١٩ .

(١) الفرقان : ١ .

(٢) الاعراف : ١٥٨ .

ونذيرا » [١] ، « إن الدين عند الله الإسلام » [٢] ، « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » [٣] .

لكن فى المذهب المحمدى يدعى صاحبه : « إن محمدا ككل شخصية مبدعة قد تأثر بضرورات الظروف الخارجة (عنه) المحيطة به من جهة ، ثم هو من جهة أخرى قد شق طريقا جديدا بين الأفكار والعقائد السائدة فى زمانه والدائرة فى المكان الذى نشأ فيه :

« لقد كان أحد سكان (مدينة) غير رئيسية ، وليس هناك ماصح أن يصوره بأكثر من أنه « بدوى » شارك فى الفكر والنظرة فى الحياة التى كانت للبدو الرحل من الناس » .

« ومكة فى ذات الوقت .. كانت مدينة ذات ثروة اقتصادية ولها حركة دائبة كمركز للتوزيع التجارى بين المحيط الهندى والبحر الأبيض المتوسط ، وسكانها مع احتفاظهم بطابع البساطة العربية الأولية فى سلوكهم ومنشآتهم اكتسبوا معارف واسعة بالانسان والمدن عن طريق تبادلهم الاقتصادى والسياسى مع العرب الرحل ، ومع الرسميين من رجال الامبراطورية الرومانية .

« والسيادة الروحية التى اكتسبها المكيون من قديم الزمان على العرب الرحل زادتهم قوة وعزا بفضل الاشراف على عدد من « المقدسات الدينية» التى وجدت داخل مكة وبالقرب منها .

(١) سبأ : ٢٨ .
(٢) المائدة :
(٣) آل عمران : ٨٥.

« وانطباع هذا الماضى الممتاز « لمكة » يمكن ان تقف على أثره واضحا فى كل أدوار حياة محمد ...، وبتعبير إنسانى إن محمداً نجح لأنه كان أحدا من المكيين.

ويستطرد « جب » قائلا : « ولكن بجانب هذا الازدهار فى مكة ، كانت هناك ناحية أخرى مظلمة خلقتها تلك الشرور المعروفة لجماعة اقتصادية ثرية فيها فجوات واسعة من الغنى والفقر هذه الناحية هى ناحية الإجرام الانسانى الذى تمثل فى الأرقاء والخدم ، وفى الحواجز الاجتماعية .

وواضح من دعوة محمد الصارخة إلى مكافحة الظلم الاجتماعى .. أن هذه الناحية كانت سببا من الأسباب العميقة لثورته الداخلية النفسية ، ثم يدعى المستشرق أن هذه الثورة النفسية عند محمد كانت نواة للاتجاه الدينى ليعلن بعد ذلك أنه رسول فيقول :« ولكن نواة هذه الثورة النفسية لم تظهر فى صورة « إصلاح اجتماعى » بل بدلا من ذلك دفعته الى اتجاه دينى ، أعلنه فى اعتقاد ثابت لا يتأرجح بأنه رسول من الله لينذر اتباعه بإنذار الساميين القديم ،... وكل ماجد بعد ذلك كان نتيجة منتظرة للتصادم بين هذا الاعتقاد « بأنه رسول وبين الكفر به ومعارضته من فريق بعد فريق » .

ثم يدعى هذا المستشرق أن محمدا لم ينزل عليه وحى ولكنه جاء بماجاء به من تعاليم وتشريعات ومبادئ تمثلت فى القران الكريم بسبب معارضة قومه وخصومه له تلك المعارضة التى قادته الى ماجاء به فيقول .

« ومحمد فى البداية لم يكن نفسه على علم بأنه صاحب دعوة الى دين جديد ، بل كانت معارضة المكيين له ، وخصومتهم له من مرحلة إلى أخرى هى التى قادته أخيرا ، وهو فى المدنية بعد ان هاجر اليها الى اعلان الإسلام كجماعة دينية جديدة، بايمانها الخاص وبمنشآتها الخاصة ، والمكيون لم يعارضوا شيئا فى القرآن : «سوى ما انتزعه محمد من اليهود والنصارى كفكرة الجزاء الأخروى وأوصاف الجنة

والنار ، فإن فكرة الجزاء الأخروى لم تكن منتزعة بالتأكيد من التقاليد العربية ، ولكنها مأخوذة من المصادر المسيحية ، ومقابلة المكيين بهذه الفكرة بالكفر العميق والسخرية تدل على أنها لم تكن معروفة تماما لديهم .

وليست هذه الفكرة وحدها ، بل أيضاً ما يختص بالجنة والنار من تفصيلات تساوى تماما مافى المسيحية السريانية »[1] .

إن مؤلف كتاب « المذهب المحمدى » يريد أن يقول : أن محمدا أراد ان ينافس فى الزعامة القائمة بمكة ، وان يكون صاحب سلطة فيها ، بما ان المقدسات الدينية كانت لها صلة وثيقة بالازدهار الاقتصادى المكى ، وبسيادة المكيين الروحية على بقية العرب الرحل !! . لم يشأ محمد ان يظهر فى منافسته للمكيين فى صورة أخرى غير الصورة الدينية .. لقد تحكمت فيه الرغبة الى « الحكومة الدينية » منذ البداية فى الصراع ، ولقد كافح لأن يكون صاحب حكومة دينية حتى أعلن في النهاية ...وهو بالمدينة – نظام هذه الحكومة فيما سماه الاسلام ، « الجماعة الإسلامية »[2] ..!!

وملخص مايقوله « جب » حتى الآن هو :

« إن مكة كانت فيها حضارة وزعامة ..ولم تكن أرضا جرداء ، ولم يكن سكانها حفاة غلاظا ، بل كانت لديهم فطنة ، وملكة فى السياسة ومعارف واسعة بالناس والمدن على السواء .

---

(١) المذهب المحمدى : للمستشرق « جب » ص ٢٧ – ٣٨ باختصار ، وانظر الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور محمد البهى ص ٢٠٢ ومابعدها باختصار .
(٢) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٢٠٦ .

« وأن حياة محمد » كانت حياة مكية خالصة ،، بما فيها نشأته ، ودعوته ، وصراعه ، فهى حياة محددة بظروف الزمان والمكان ، فدعوته عندئذ ليست دعوة عامة ، بل لأناس معينين ! واختياره طابع الدعوة بأن تكون دينية ، ثم تأثير ما دار فيها من اتجاهات سياسية واقتصادية ودينية !

« وأن القرآن ليس جديدا كله على العرب (المكيين) وأن مافيه من مسيحية لايتعدى المسيحية الشرقية السريانية [1] ، وكذا مافيه من يهودية لا يتعدى اليهودية المعروفة فى «المدينة » ! وليست معارضة « المكيين » له بسبب تمسكهم بالقديم ، أوبسبب الايمان ، كما يذكر القرآن مثلا فى قوله تعالى : « بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلاقال مترفوها إنا وجدنا آبانا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون. قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون » [2] .

وإنما جاءت معارضة « مكة » فى نظر « جب » بسبب المنافسة فى الزعامة والسياسة ، والخوف من انهيار حياتهم الاقتصادية !

« والقرآن ... كما يريد « جب » أن يقول إذن هو من عمل « إنسان » إنسان معين هو « محمد » عاش فى حياة خاصة وهى حياة « المكيين » وتبلورت حياته الخاصة هذه فيما قاله فيه [3] !!!

---

(١) المسيحية الشرقية السريانية : هى مسيحية الزهد التى تأثرت بالاتجاه الاشراقى الزهدى ، المرجع السابق ص ٢٠٧ هامش ١ .

(٢) الزخرف : ٢٢ - ٢٤ .

(٣) الفكر الحديث وصلته بالاستعمار ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

فيتبين لنا من تلك المزاعم التى يدعيها « جب » على القرآن الكريم ، بأنه ليس من وحى الله تعالى إلى رسوله محمد ﷺ ، بل إن محمدا كتبه متأثرا بالنواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية لمكة والمدينة ، وأن محمدا ﷺ لما هاجر من مكة الى المدينة نقل كثيرا من تعاليم اليهودية والنصرانية الى القرآن الكريم (١) .

وقد رد القرآن الكريم على مزاعم هذا المستشرق ، وعلى كل من سار فى فلكه مفندا مزاعمهم وافتراءاتهم ومبينا بأنه وحى من الله تعالى الى رسوله ﷺ ، وأن محمدا رسول الله الى العالمين جميعا :

قال رب العزة : « وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » (٢)

« قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا مايوحى إلى » (٣) .

« وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » (٤) .

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٥).

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (٦) .

---

(١) الدعوة الى الله سبحانه على بصيرة .
(٢) النمل : ٦ .
(٣) الانعام : ٥٠ .
(٤) الشورى : ٥٢ .
(٥) سبأ : ٢٨ .
(٦) الانبياء : ١٠٧ .

فالقرآن الكريم وحى أوحاه الله عز وجل إلى رسوله محمد ﷺ ، وليس هناك شخص ما على مدار العصور والأزمان أدعى أنه علم محمدا ﷺ هذا القرآن الكريم، كيف والله عز وجل تحدى به الانس والجن على أن يأتوا بمثل فعجزوا .

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (١) .

وصدق الله العظيم إذ يقول : « وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا » (٢) .

نعم ، ولكنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

دور اليهود فى الغزو الفكرى:

يأتى فى مقدمة الطاعنين على الإسلام ، والقرآن الكريم ، ومحمد ﷺ اليهودى جولد تسيهر ، ويحتل هذا المستشرق الصدارة لبقية المستشرقين ، ذلك لأنه كرس حياته للطعن على الإسلام ، مستخدما الاسلوب العلمى الذى يقنع به كل من لم يعرف خبثه وحقده على القرآن ، ومحمد ﷺ ، وليس من قبيل المصادفة ان يكون اليهودى صموئيل زويمر ، هو الذى كان يدبر عملية الغزو التبشيرى فى ديار المسلمين كلها ، فهذان الرئيسان الخطيران للاستشراق والتبشير من اليهود ، وأصابع اليهود تلعب بعقول الغربيين فتخدعهم بمعاداة الإسلام ومحاربته ، وهدفهم إضعاف المسلمين والمسيحين على حد سوآء ، ليضمنوا الغلبة في نهاية المطاف (٣) .

---

(١) الاسراء : ٨٨.

(٢) الاسراء : ٨٢ .

(٣) انظر الاستاذ عبد الله التل : جذور البلاء ص ١٩٨ ، وراجع للشيخ محمد الغزالى: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين.

ان القرآن الكريم يجل المسيح عليه السلام وأمه البتول : « وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين » (١) ثم يقول عز وجل : « إذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والاخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين » (٢) .

ثم يقول القرآن أيضاً فى شأن المسيح عليه السلام وتعليم الله سبحانه له : «ويعلمه الكتاب والحكمة والتوارة والانجيل ، ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بأية من ربكم ...» (٣) .

فهل قرأ النصارى القرآن الكريم ، وتدبروا ماجاء فيه بشأن المسيح عليه السلام وأمه الصديقة البتول ، إن القرآن يشير بالمدح لطائفة من النصارى ومن يسير على نهجهم فيقول :

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون ، واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين (٤) .

فإذا تأملنا آيات سورة آل عمران ألفيناها تطلق على عيسى عليه السلام اسم المسيح والمسيح لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق ، وأصله مشيما

(١) آل عمران : ٤٢ ، ٤٣ .
(٢) آل عمران : ٤٨ ، ٤٩ .
(٣) آل عمران : ٤٥ ، ٤٦ .
(٤) المائدة : ٨٢ ، ٨٣ .

بالعبرية ومعناها المبارك ، كقوله : « وجلعني مباركا إينما كنت » ، وقيل سمي مسيحا لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برأ ، أو لأنه كان يمسح الأرض بالسياحة لا يستوطن مكانا ، وقوله « وجيها » أي ذا جاه وقدر « في الدنيا » بالنبوة والطاعة «والأخرة» بعلو الدرجة والشفاعة ، « ومن المقربين » برفعه الى السماء . .

كما أنه عليه السلام « يكلم الناس طفلا وكهلا ، أي يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحالة الكهولة التي سيتحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء (١) .

وإذا ما انتقلنا الى آيات سورة المائدة وجدناها توضح موقف اليهود والنصارى بأحسن توضيح ، فوصفت اليهود بشدة الشكيمة والنصارى بلين العريكة ، وجعلت اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين .

وعن النصارى بأن منهم علماء ، وعباد ، « وأنهم لا يستكبرون » فعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأن فيهم تواضعا واستكانة واليهود على خلاف ذلك ، وفيه دليل على أن العلم أنفع شيء وأهداه الى الخير وقوله سبحانه : « وإذا سمعوا ماأنزل الى الرسول .. الخ فهذا وصف لهم برقة القلوب ، وأنهم يبكون عند استماع القران كما روى عن النجاشي أنه قال لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه : حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يقرأونه عليهم هل في كتابكم ذكر « مريم » قال جعفر فيه سورة تنسب الى مريم فقرأها الى قوله سبحانه : « ذلك عيسى ابن مريم » وقرأ سورة طه الى قوله : « هل أتاك حديث موسى » فبكى النجاشي ، وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله ﷺ وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم سورة يس فبكوا ،

(١) انظر تفسير النسفي : ١ / ١٥٨ .

وفى التعبير من المبالغة مافيه فقد صور فى وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أى تسيل من أجل البكاء ، كما ان فيض الدمع ابتداء إنما نشأ من معرفة الحق ، وكان من أجله ومن فى « من » الحق لتبيين الموصول الذى هو ماعرفوا ، أو للتبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم ، فيكف إذا عرفوا كله، وقروا القرآن وأحاطوا بالسنة ؟ « يقولون ربنا أمنا بمحمد ﷺ ، والمراد انشاء الإيمان والدخول فيه ، « فاكتبنا مع الشاهدين » مع أمة محمد ﷺ الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس ، وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم فى الانجيل كذلك (١) .

فهل تدبر أتباع المسيح ما أنزل على محمد ﷺ ، وما امتدح به المسيح عليه السلام وأمه ؟

إن العامل الأول فى الحرب العلمية الروحية المستعرة بين الأديان ، ليس الإيهوديا خبيثا ماكرا سداه التوارة المحرفة ولحمته تعاليم التلمود .. إن أقلام اليهود هى التى قادت الحرب المستعرة ضد الإسلام ونبى الإسلام محمد ﷺ ، فوصفته باللصوصية والشهوانية والسحر كما زعمت أقلامهم أنه ﷺ رئيس عصابة مصاب بداء الصرع ، وأن المسلمين يعبدونه ويقربون له الضحايا من البشرية ، وجعلت منه أحيانا صنما من ذهب (٢) ... وهاتان النقطتان الأخيرتان الضحايا البشرية وصنم الذهب هما من صميم الفكر اليهودى والطقوس اليهودية .

وهذا مستشرق آخر إنه : برو كلمان يهودى لم يخف فى دراساته الأكاديمية .. أن محمد ا ﷺ دعى وليس بنبى ، وإن كل مادعا اليه مقتبس عن الأنبياء السابقين

---

(١) انظر النسفى : ١ / ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٢) انظر محمد عبد الغنى حسن الإسلام بين الانصاف والجحود ص ١٩ مؤسسة المطبوعات الحديثة د . ت .

وعادات الأمم ... ويقول كذلك إن محمدا ﷺ أخذ فكرة الحساب والعقاب من المصادر اليهودية ونسج حولها تخيلات وأوهاما وأكاذيب .. إن الصلاة طقوس فارسية وتقبيل الحجر الأسود وثنية (١) .. ويخرج بروكلمان الى نتيجة واضحة هى : أن محمدا ﷺ لم يكن شخصا عاديا وأن دينه لم يقم إلا بحد السيف (٢) .. !

وكذلك يفعل إمام المستشرقين جولد تسيهر اليهودى فى كتابه « العقيدة والشريعة فى الإسلام » حين يغمز فى القرآن الكريم ويطعن فيه ويكرر اتهامه بالتناقض ، ويبدو واضحا أنه يتخلى عن برجه العاجى لينحط الى يهوديته الحاقدة على الإسلام ونبى الإسلام وقرآن الإسلام (٣) .

وكذلك يفعل المستشرق صموئيل مرجليوث (يهودى) الذى نشر فى سنة ١٩٢٥، رأيه عن الشعر الجاهلى والتشكيك فى مصادره ونسبتها للجاهلية، وخرج برأى يشكك فى إعجاز القرآن الكريم ثم قلد مرجليوت كتّاب عرب على رأسهم الدكتور طه حسين الذى أخذ آراء المستشرق اليهودى وضمنها كتابه « فى الشعر الجاهلى »(٤).

ولا يقل عنهم خطورة المستشرق اليهودى فنسنك رئيس تحرير دائرة المعارف الإسلامية ، التى وضعت بأقلام المستشرقين اليهود والمبشرين من أصل يهودى، فجاءت ملأى بالمطاعن عن الإسلام والمسلمين وتاريخهم ودينهم وقرآنهم ، ونبيهم (٥)

---

(١) انظر محمد الدسوقى الإسلام والمستشرقون ص ٤٨ ، ٤٩ . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٢ .

(٢) انظر جذور البلاء ص ١٩٩ .

(٣) محمد الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ١١٠ مكة المكرمة نقلا عن المرجع السابق ص ١٩٩ .

(٤) الإسلام والمستشرقون ص ٥١ .

(٥) دكتور حسين الهوارى : المستشرقون والإسلام ص ٧٤ ، المنار ١٩٣٦ .

ومن عجب أن توضع معارف وتنسب إلى الإسلام ، ولايشترك فى تحريرها إلااليهود والنصارى ،.. لقد كان الغرض من قيامهم بهذا العمل الرد على القرآن وكتب الدين الإسلامى ، وهم فى رأى العقاد رحمة الله عليه عون للاستعمار فى تحقيق اطماعه فى البلاد المستعمرة عن أى طريق ومنها التجسس على البلاد العربية التي يغزوها الغرب (١) .

وفى رأى الشيخ الخولى رحمه الله تعالى أنهم - أى الاستشراق والتبشير، والاستعمار - يشكلون حلقات تعاون ثلاث متداخلة ، وأن دراساتهم ليست لوجه العلم ، وخاصة حين نرى اهتمام وزارات المستعمرات المختلفة بأعمال الاستشراق ونشرها وتشجيعها ، والبذل فى سبيلها مع زميلاتها عمليات التبشير (٢).

مكمن الخطر لدى الأوربيين:

أدرك المستشرقون والمبشرون أن الخطر الكامن فى الإسلام يهدد أوربا على الدوام ، وأن القوة الكامنة في الإسلام هى التى وقفت سدا منيعا فى وجه انتشار المسيحية ، وهى التى اخضعت البلاد التى كانت خاضعة للنصرانية (٣) ، وليس هذا فحسب ، وانما رأى المستشرقون والمبشرون ان الإسلام دين زاحف شديد المراس فى رفض الاستعباد ، وبالتالى فإنه لا يتقبل الاستعمار ولا يرتضى بالذل (٤) ، ويعترف كتاب اليهود والنصارى أن الحروب الصليبية نفسها لم تكن لا نقاذ المدينة

---

(١) الشبان المسلمون : جمادى الاخرة ١٣٨٠هـ - ديسمبر ١٩٦٠م

(٢) المرجع نفسه ، وانظر جذور البلاء ص ٢٠٠ .

(٣) الدكتوران : مصطفى خالدى ، وعمر فروخ : التبشير والاستعمار ص ٣٦ بيروت ط الثانية ١٩٥٧ .

(٤) المرجع السابق ص ٤٥ .

المقدسة من أيدى المسلمين بقدر ماكانت تهدف الى تدمير الإسلام ذلك القوة الخطيرة الزاحفة(١).

ولم يخف المبشرون فى كتاباتهم ، وندواتهم ، ومؤتمراتهم : الفزع من قوة الإسلام ، والالحاح الشديد على تنصير المسلمين ، أو زعزعة إيمانهم بدينهم على الأقل ، وفى كتاب « العالم الإسلامى » الذى نشره زويمر اليهودى ، ورئيس للبشرين فى أسيا وأفريقيا أبدى أسفه الى أنهم لم يكتشفوا قوة الإسلام وخطره إلا مؤخرا ، ولكنه طمأن بنى قومه الى أن أبواب التبشير قد غدت مفتوحة فى ممالك الإسلام الواقعة تحت سلطة النصرانية فى الهند والصين الجنوبية والشرقية ومصر وتونس والجزائر ، وأن فى العالم ١٤٠ مليون مسلم يرتقبون الخلاص (٢) .

أما وليم جيفورد بالكراف المبشر اليهودى فقد قال :

« متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه » (٣) .

والحضارة فى نظر هؤلاء المبشرين هى اعتناق المسيحية ، ومن بعدها يرحب العرب بالمستعمرين لأنهم على دينهم (٤) .

وأخشى مايخشاه المستشرقون والمبشرون ، هو اتحاد العرب والمسلمين فى امبراطورية عربية قد تصبح لعنة على العالم وخطرا على المسيحية .....، والافضل

---

(١) المرجع السابق ص ١١٥ .

(٢) أ . ل . شاتليه : الغارة على العالم الإسلامى ص ٤٥ تعريب مساعد اليافى ، ومحب الدين الخطيب المطبعة السلفية القاهرة ١٣٥٠هـ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٥ .

(٤) جذور البلاء ص ٢٠١ .

فى نظر المبشر لورانس بـراون ان يظل العرب والمسـلمون متفرقين بلا قوة ولا تأثير [1] .

ولايخفى الكاتب اليهودى أشعيا بومان قلقه من ازدياد قوة المسلمين بازدياد عددهم التى لم تقل أبدا منذ ظهر الإسلام ، واعترف أن وجه الخطر على الغرب من الإسلام هو كونه ليس دينا فحسب ، بل إن من أركانه : الجهاد ، ثم ذكر فى مقال له فى مجلة العالم الإسلامى التى يصدرها المبشرون أنه مامن شعب دخل الإسلام ثم عاد نصرانية ، وأن مامن قوة حاولت الاحتكاك بالقوات الإسلامية التى تعتمد على البدو وتسند ظهرها إلى الصحراء ، إلا وخسرت أضعاف اضعاف ماخسره المسلمون [2] .

فأغرى هذا اليهودى الانجليز والفرنسيين على السيطرة على الشواطئ الإسلامية ، ودفع المسلمين الى داخل البلاد بعيدا عن الشواطئ لكى يسهل اضعافهم والقضاء عليهم ، ومن غريب حال بعض المسلمين والعرب السذج ، أو المضللين الذين يعتقدون ان الغرب يرغب فى بقاء الإسلام ليتعاون مع المسيحية فى معركة البقاء ضد الشيوعية والعلمانية والالحاد ، ألا فليسمع من له قلب وعقل ما قاله المبشر بروان عن هذه النقطة بالذات [3] .

« لقد كنا نخاف أو نخوف بشعوب كثيرة ، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبررا لمثل هذا الخوف ، لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودى ، والخطر الأصفر والخطر الشيوعى ، إلا أن هذا التخويف كله لم يكن له أساس كما تخيلناه اننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد ، ثم رأينا

---

(١) المستشرقون والمبشرون مرجع سابق ص ٣٧ .

(٢) التبشير والاستعمار ص ١٣١ .

(٣) المرجع السابق ص ١٨٤ .

البلاشفة [1] خلفاء لنا ، أما الشعوب الصفراء فإن هنالك دولا ديمقراطية كبرى تتكفل بمقاومتها .. ولكن الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام وفى قدرته على التوسع والاخضاع ، وفى حيويته ، إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار » .

وكتاب الغرب من اليهود والنصارى لايفرقون بين البلاد العربية والإسلامية . الكل عندهم مسلمون ، والبلاد بلاد اسلامية والخوف من العرب لأنهم مسلمون ، والاهتمام بالامة العربية كما يقول مور بيرجرفى كتابه (The Arab World Today) ليس ناتجا من وجود البترول بغزارة عند العرب ، بل بسبب الإسلام ، ويؤكد فى كتابه هذا وجوب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب ، وقوة العرب التى صاحبت دائما قوة الإسلام وعزته وانتشاره ، ويبدى الكاتب فزعه لانتشار الإسلام فى أفريقية بيسر لأنه يستهوى الافريقيين الذين يرو أن المسيحية هى دين المستعمر [2] ، وانتشار الإسلام بيسر وسهولة دون بذل الملايين كما يفعل المبشرون ، كان يقض مضاجع عتاة الاستعمار منذ القرن التاسع عشر الى يومنا هذا ، ولقد كانوا ومازالوا يرون فى الإسلام خطرا وعقبة في سبيل خططهم الاستعمارية ، وكان جلادستون رئيس وزراء بريطانيا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، بعيد النظر صائبا عندما قال :

« مادام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوربه السيطرة على الشرق ولا أن تكون هى نفسها فى أمان » [3] .

ويأخذ الاستغراب منا كل مأخذ والعجب يشدنا من كلام جلادستون الذى

---

(١) مفرد بلشفى .

(٢) روز اليوسف ٢٩/١/١٩٦٣ نقلا عن جذور البلاء ص ٢٠٣ .

(٣) محمد أسد (ليوبولد فايس) الإسلام على مفترق الطرق ، نقله الى العربية د/ عمر فروخ . ص٣٩ .

يصدر عنه ، وقوى الغرب فى أوجها نتيجة تطور عصر النهضة الذى اطلقوا عليه (Rennaisance) ، وقوى الشرق المسلم آخذة فى التدهور والسير الي الغروب .. ومع ذلك يبدى جلادستون قلقه بل فزعه من القرآن وخطره على أوربا .. ولماذا كل هذا الخوف والقلق .. ؟ والجواب عند المسيو كيمون فى كتاب له عن الإسلام فوصف الإسلام بأنه « جذام فشا بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هو مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولى يبعث الانسان على الخمول والكسل ، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء ويدمن معاقرة الخمور ... !! وما قبر محمد فى مكة (كذا) إلا عمود كهربائى يبث الجنون فى رؤوس المسلمين ، ويلجئهم الى الاتيان بمظاهر الهستيريا والذهول العقلى وتكرار لفظة الله الى مالا نهاية (الدروشة) ، والتعود على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة ككراهة لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى والجنون الروحانى ، والمانيخوليا .. الخ » [1] . فإذا كان الإسلام كما يقول هذا المخبول فلماذا تحاربونه ، وتخشونه ؟ لماذا لاتتروكونه يفتك بمعتنقيه كما تدعون ، لكن الحقيقة أن الإسلام يجمع المسلمين ويوحد كلمتهم ضد كل غاصب ومستعمر ، وكل ماكر أثيم .

فعلام يدل هذا الهذيان المحموم من المبشر الفرنسى الذى يوضح تناقضه وفزعه من هذا الدين الذى يبعث فى نفوس أتباعه « الدروشة » والجنون الروحانى، وهما الشئ الذى يزعجه ، فيندفع للتنفيس عن حقده واضطرابه الى توجيه الشتائم والصاق التهم الكاذبة [2]

تمالؤ الخطط الاستعمارية:

انسجمت الخطط الاستعمارية فى الحرب ضد الإسلام وديار الإسلام مع :

(١) مسيو جبرابيل هانوتو : الإسلام ص ١٥ ط ١٩٠٠ نقلا عن جنور البلاء ص ٢٠٤ .

(٢) جذور البلاء : ص ٢٠٤ .

* قوى التبشير الكاثوليكى بقيادة الكرسى البابوى فى روما .

* وقوى التبشير البروتستانتى بقيادة اليهودية العالمية وتوجيهها .

* والكرسى الرسولى مجرى سياسة لا يتغير ، وهو يسعى لتحقيق مابدأته الحروب الصليبية ، ولو أدى الأمر الى استخدام كل الوسائل ومنها استخدام رهبانياته المنتشرة فى جميع انحاء العالم ، ويعترف المسيو أوجين يونغ أن اكليروس البابا يسير على خطط اليهود فى التجسس وبث الدسائس ، والفتن والتسلط على الاشخاص ذوى المكانة العالية بالتهديد بافشاء اسرارهم الشخصية [1] .

وقوى التبشير لا تكل ولاتمل ، والكرسى الرسولى لا يتحول عن خطته لطمس آثار الإسلام ، ويسعى للوصول الى غايته ولو نجم عن ذلك دمار هائل « فالنصرانية والموسوية هبتا لمواقعة المحمدية ، وهما تأملان أن تتمكنا من صرع عدوتهما »[2] .

وتوحيد قوى الصليبية واليهودية الذى يشير اليه النص السابق ، بدا واضحا جليا منذ أوائل القرن العشرين ، حين قادت جرائد التبشير فى مصر ، حملة مركزة على الإسلام بقيادة جريدة (راية صهيون) التابعة لطائفة الانجليكان (البروتستانت)[3] .

ويكفى ادراك تهود البروتستانت وتسخير أنفسهم ونشاطهم لخدمة اليهود ، هذا الاسم الذى اتخذوه لجريدتهم (راية صهيون) ولعمرى لقد ظلت هذه الراية خفاقة ترف فوق رؤوس القوات الاستعمارية الصليبية التى حاربت الإسلام والمسلمين ، الى أن تمكنت من تركيزها على ربى فلسطين سنة ١٩٤٨[4] .

(١) استعباد الإسلام ص ٤٤ نقلا عن جذور البلاء ص ٢٠٤ .

(٢) نقلا عن نفس المرجع .

(٣) محمد رشيد رضا ، شبهات النصارى وحجج الإسلام ص ٣٧ ، ص ١٣٢٢هـ .

(٤) جذور البلاء ص ٢٠٥ .

الاستشراق ونشأته :

اختلف الباحثون فى تحديد بداية الاستشراق على الوجه التالى :

أ- فى القرن السابع الهجرى ، وأخريات القرن الثانى عشر الميلادى كانت حركة الاستشراق تابعة للكنيسة الكاثوليكية ، وخاضعة لكبار أحبارها ، لاتتحرك إلا بناء على توجيه منها يقرر ذلك المؤرخ المسيحى : «الفيكونت فليب دى طرازى» حيث يقول :

« راح البابوات فى القرنين الثانى عشر والرابع عشر من الميلاد يقرون قصادهم ورسلهم ورهبانهم بتعلم العربية ترويجا لخطتهم الكاثوليكية ، وقرر مجتمع فينا المنعقد سنة ١٣١١هـ برياسة البابا « إقليميس الخامس» أن تؤسس دروس عربية وعبرية وسريانية فى روما على نفقة الحبر الأعظم ، وفى باريس على نفقة الملك، وفى أكسفورد وبولان على نفقة الرهبان ، وذلك لكى يكون منهم المبشرون والوعاظ الذين يطوفون بالبلاد الشرقية ، وكان سفراء الفاتيكان مكلفين من قبل البابا بمراقبة دروس العربية ، ويعدون من المآثر الباقية للبابا « لادن العاشر» أنه احتفل سنة ١٥١٤م بافتتاح أول مطبعة عربية فى مدينة فانو على ساحل الادرياتيك».

وقد جد رجال الكنيسة فى الحصول على كتب التراث الإسلامى ، فكانت بعثاتهم تطوف بالشرق الإسلامى من مصر والشام والعراق إلى ماوراء النهر والهند يشترون أندر المخطوطات .

وتبارى أتباعهم من رجال «الاكليروس» الشرقى لإتحاف مكتبة الفاتيكان بنفائس الذخائر العربية ، وبلغ مازود به الكاردينال « فردويك رئيس أساقفة ميلانو مكتبة الأمير (وزبانا) من ذخائر العرب الوفا عدة ، ثم جاء الأب « واتى » فأضاف الى ثروتهات من هذه الذخائر ستة آلاف مخطوط» [1] .

وأما المستشرق المشهور ليون كايتانى [2] ففى كتابه « حوليات الإسلام» .

ضمنه سر المصيبة الإسلامية : « كاتا ستروفيكا إسلاميكا» التى انتزعت من الدين المسيحى ملايين من الاتباع فى شتى أنحاء الأرض مايزالون يدينون برسالة محمد ﷺ ويؤمنون به نبيا ورسولا» [3] .

ولم يكن كيتانى يشعر بهذا الشعور وحده نحو الإسلام ، بل شاركه الكثير من المستشرقين .

---

(١) دى طرازى : خزائن الكتب : ٥٧٧-٥٨٠ نقلا عن الغزو االفكرى والتيارات المعادية للإسلام من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقة الإسلامى الذى عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٣٩٦هـ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) للدكتور على عبد الحليم محمود الاستاذ المشارك بكلية اللغة العربية بالرياض ص ٨٨ .

(٢) الأمير ليونى (١٨٦٩-١٩٢٦) ولد فى روما وتخرج فى جامعتها ، وتعلم لغات منها : الفارسية والعربية ، وتقلد سفارة ايطاليا فى واشنطن ، وكان صاحب ثروة تقدر بخمسة ملايين ليرة ذهبية، عدا ثروة الأميرة زوجته ، ينفق منها على العلم كل سنة عشرة آلاف ، وقد رحل إلى الهند ، وإيران ومصر وسوريا ولبنان وجمع مكتبة شرقية زاخرة بالمخطوطات النفيسة ومن أثاره هذا الكتاب« حوليات الإسلام» وإثار أخرى انظرها فى كتاب (المستشرقون) نجيب العقيقى جـ١ ص ٤٢٩ ط دار المعارف ط الرابعة ١٩٨٠م .

(٣) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين الماضى والحاضر ص ٥١ . ط دار المعارف القاهرة .

والناظر إلى تاريخ حركة الاستشراق يرى أنها واكبت وسايرت حركة الاستعمار ، بل مهدت لها فى كثير من البلاد .

ب- إن أول جماعة أسست لخدمة الاستشراق ، والانتفاع بجهد رجاله سياسيا ، قامت فى فرنسا سنة ١٢٠٢ هـ - ١٧٨٧ م تحت اشراف وزارة المستعمرات ، وأن هذه المسايرة ، وهذا التمهيد للاستعمار هو الذى جعل حركة الاستشراق كلها إلا فى القليل النادر موضوع الشك والريبة ، وهو الذى انحرف بها عن الحق ، وآداب البحث العلمى النزيه وأصبح وسيلة من وسائل الغزو الفكرى الخبيث الذى يفقد المسلمين ثقتهم فى كتابهم وسنة رسولهم ﷺ وتاريخهم وتراثهم ، ونظام حياتهم [1] .

جـ- ويرى البعض أن الاستشراق بدأ فى أعقاب الحروب الصليبية التى استمرت زهاء قرنين من الزمان (١٠٩٧-١٢٩٥) [2] .

د- ويرى آخرون أن الغرب النصرانى يؤرخ لبدء وجود «الاستشراق الرسمى» بصدور مجمع « فينا » الكنسى عام ١٣١٢م بإنشاء عدد من كراسى اللغة العربية فى عدد من الجامعات الأوربية ، ولكن الإشارة هنا إلى « الاستشراق الرسمى » تدل على أنه كان هناك استشراق غير رسمى قبل هذا التاريخ » [3] .

هـ- ويرى فريق ثالث من الباحثين أن ظهور الاستشراق يعود الى قيام الدولة الإسلامية فى الاندلس ، والذى انصرف اهتمامها البالغ الى العلم وإقامة دور العلم

(١) انظر الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ص ٨٩ .

(٢) انظر د . عبد الجليل شلبى : صور استشراقية ص ٢٥ - ٢٨ نشر مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .

(٣) راجع ادوارد سعيد : الاستشراق ص ٨٠ .

فى جميع التخصصات ، مما جعل بعض الرهبان الغربيين يفدون الى الاندلس فى إبان عظمتها ومجدها ، وتثقفوا فى مدارسها ، وترجموا القرآن والكتب العربية الى لغاتهم ، وتتلمذوا على علماء المسلمين فى مختلف العلوم وبخاصة فى الفلسفة والطب والرياضيات [١] ، ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسى «جريردى أوراليك» ٩٤٠- ١٠٠٣م الذى قصد الاندلس للتعلم ، ثم تقلد منصب البابوية فى روما باسم سلفستر الثانى ٩٩٩-١٠٠٣ [٢] .

وبطرس المحترم (١٠٩٢-١١٥٦م ،وجيرادى كريمون (١١١٤-١١٨٧م) وكان من نشاط هؤلاء الرهبان بعد عودتهم إلى بلادهم نشر ثقافة العرب ، وأشهر علمائهم ، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة « باردى » العربية ، وأخذت الأديرة والمدارس العربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة الى اللاتينية ، وهى لغة العلم، فى جميع بلاد أوربا يومئذ، واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الاصلية للدراسة قرابة ستة قرون.

وإذا كان الاستشراق - بناء على ماسبق- يمتد إلى مايقرب من ألف عام مضت فإن مفهوم « مستشرق » لم يظهر فى أوربا إلا فى نهاية القرن الثامن عشر ، فقد ظهر أولا فى انجلترا عام ١٧٧٩م ، وفى فرنسا عام ١٧٩٩م ، وأدرج مفهوم «الاستشراق» فى قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م [٣] .

---

(١) راجع للمؤلف : معابر الثقافة الإسلامية إلى أوربا .

(٢) راجع للاستاذ نجيب العقيق : المستشرقون ص ١١٠/١، د. مصطفى السباعى: المستشرقون مالهم وماعليهم ص ١٣ ، ١٤ ، المكتب الإسلامى ببيروت .

(٣) انظر مكسيم رودنسون فى تراث الإسلام تصنيف شاخت وبوزورث ترجمة د. محمد زهير السمهودى ٧٨/١ سلسلة عالم المعرفة - الكويت ١٩٧٨م .

لقد كان الدافع لبدايات الاستشراق المبكرة الصراع الذى دار بين العالمين الإسلامى والنصرانى ، بعد الفتوحات الإسلامية والتى اجتاحت كثيرا من الممالك النصرانية ، وخاصة بعد فتح المسلمين للأندلس وصقلية ، كما حولت الحروب الصليبية انظار العالم الأوربى الاشتغال بتعاليم الإسلام ودعاته ، ومن ثم فإن الإسلام يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصرانى فى أوربا على كافة المستويات(1) .

وللإنصاف نقول : هناك فرق بين نوعين من الاستشراق كما يقول الدكتور عبد الفتاح عليان :

أ- «سلمى» يتمثل فى إقدام الغربيين على أن ينهلوا من منابع الحضارة الشرقية وأهمها الحضارة الإسلامية إذ من الثابت أن المسلمين أصبحوا - فيما بين القرن الثامن والثالث عشر الميلادى حملة مشاعل الثقافة فى ربوع العالم أجمع ، فى الوقت الذى كانت فيه أوربا تسبح فى دياجير الظلام ، وقد أشعت الحضارة الإسلامية بنورها على أوربا من منافذ عدة أهمها بلاد الاندلس الإسلامية التى كتبت صفحة من أروع صفحات الحضارة فى أوربا فى العصور الوسطى .(2)

وهذا النوع من الاستشراق « السلمى » بدأ فى القرن العاشر الميلادى ، وربما قبله ، وحمل لواءه فى العصور الحديثة قلة من المستشرقين رغبوا فى البحث عن الحقيقة ، واستجابوا لنداء ضميرهم اليقظ فكانوا معتدلين غير مغرضين .

ب- أما النوع الثانى من الاستشراق فهو « عدوانى » وإن تظاهر القائمون عليه بالعلم وتمسحوا به ، وقاموا به خدمة للحضارة الإنسانية ، وهذا النوع بدأ فى

---

(1) انظر د. محمود حمدى زقزوق : الاستشراق .. ص ٢١ .

(2) راجع للمؤلف: معابر الثقافة الإسلامية إلى أوربا.

أعقاب الحروب الصليبية ، وذلك بسبب الاحقاد العميقة التى ترسبت فى أذهان المسيحيين ضد الإسلام والمسلمين [1] .

يقول د. محمد كرد على رحمه الله تعالى :« وأهم أسباب الجفاء بين الغربيين والشرقيين (والمسلمين) فى القرون الأولى من الهجرة : كون الإسلام جاء لهداية البشرية كافة ، فأتى على الوثنية فى البلاد التى انتشر سلطانها فيها ، ودخل فيه الصابئة ، واليعاقبة والنساطرة والمجوس ، واليهود ، وغيرهم جمهور كبير .

وخافت أوربا النصرانية من تسربه إلى ربوعها ، فاتفقت كلمة الملوك ، ورجال الدين على حربه حتى وقفت دعوته عند جزيرتى الأندلس وصقلية ، وما اليها من أرض الفرنجة ، ثم نشبت الحروب الصليبية ، ودامت قرنين كاملين ، وقدمت الجيوش الصليبية الى الشام ومصر ، حتى كتبت الغلبة الأخيرة للإسلام فى أرض الشام»[2] .

اهتمام الاستشراق بالدراسات الشرقية :

أدى فشل الصليبيين فى حروبهم المتوالية على الشرق الإسلامى إلى المزيد من الاهتمام بالدراسات الشرقية وكان القرآن الكريم أول ماصوبوا اليه سهامهم التى طاشت فى الهواء، وظل القرآن كما أنزله رب العالمين ، ثم صوبوا سهامهم نحو رسول الله ﷺ وسنته، ثم عرجوا الى خلفائه الراشدين ، ثم التاريخ الإسلامى كله .

وهكذا دفع التعصب الدينى الأوربيين الى الاستشراق من أجل الكيد للإسلام والمسلمين وقد بدأ هذا النوع من الاستشراق على نحو ما يذكر المستشرق الألمانى

(١) انظر د. محمد عبد الفتاح عليان : أضواء على الاستشراق ص ٨ دار البحوث العلمية الكويت.

(٢) د. محمد كرد على : الإسلام والحضارة العربية جـ١ ص ٣ ط الكتب المصرية ١٣٥٤ - ١٩٣٦ .

«رودى بارت» (١) فى سنة ١١٤٣م حين تمت أول ترجمة للقرآن الكريم الى اللاتينية ، ثم أعقبها ظهور بعض الكتابات الاستشراقية التى تتناول سيرة النبى ﷺ وبعض الشخصيات الإسلامية .

ويعلق بارت على هذا النوع من الكتابات الاستشراقية ، بأن هدفها كان أقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم الى الدين المسيحى (٢) .

ومن ثم كانت دراسة المستشرقين للإسلام فى اغلبها : تاريخا وتشريعا ، غير مخلصة ، ولانزيهة ولاعلمية ولاموضوعية وانما كانت رغبة فى التشفى والانتقام من الإسلام وكتابه ورسوله (٣) ﷺ .

إذن الاستشراق حركة واكبت الاستعمار فى كل مراحله ، وبدت علمية فى ظاهرها لأنها ادعت دراسة التراث الشرقى ، وفى حقيقتها حركة معادية للإسلام والمسلمين تهدف تزييف حقائق الإسلام ، رغبة فى تشكيك المسلمين فى دينهم وفى تراثهم الحضارى وصرفهم عن كل مايمت للإسلام بصلة ، ومن ثم تواجه الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث أشد العقبات التى تعترض طريقها .

والمستشرقون جماعة من علماء الغرب من النصارى واليهود ، أو من علماء الشرق من الشيوعيين الملحدين الذين ينتسبون الى الإسلام والإسلام منهم براء ، درسوا اللغات الشرقية الإسلامية بما تحتويه من تاريخ وآداب وفنون ، وحاولوا أن

---

(١) الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية تعريب د.مصطفى ماهر ، ونشر دار الكتاب العربى .

(٢) د. عبد الفتاح عليان : أضواء على الاستشراق ص ٩ .

(٣) انظر أحمد محمد جمال : مفتريات على الإسلام ص١٤ ، والتبشير والاستشراق . د. أحمد عبد العال ص ٥ ، ٦ .

يلقوا فى محيطها بكثير من الأباطيل والمفتريات للتهوين من شأنها ، وصرف أهلها عنها ، وجعلهم يتعلقون بمظاهر الحضار الغربية الخداعة (١) .

وقد توفر كثير من المستشرقين على دراسة اللغة العربية لغة القرآن وحاولوا اتخاذ هذه الدراسة وسيلة لإلقاء كثير من المفتريات والأباطيل فى محيط الإسلام ، للتهوين من شأنه ، والتقليل من أثره فى الحياة .. ، كما تحاول هذه المفتريات والأباطيل التقليل من شأن الثقافة الإسلامية ، ودورها فى نشر العلوم والمعارف ، وفى نقل أوربا من العصور الوسطى -عصور الجهل والظلام- الى مشارف العصر الحديث ، وماظهر فيه من علوم ومعارف يتباهى بها العالم الغربى اليوم ، ويحاول أن يخلب ألباب الشعوب الإسلامية التى تخلفت عن ركب الحضارة الحديثة واصابها الضعف والوهن على فئة عميت بصيرتها عن نصرة الإسلام والمسلمين حينما تخلت عن التمسك بمبادئ دين الإسلام القويم ، والاستمساك بحبل الله المتين (٢) .

يعمل المستشرقون بدأب وبدون كلل أو ملل فى محاربة الإسلام والتشويش على تعاليمه وعقائده مستخدمين وسائل الإعلام الكثيرة والمتطورة فى إفساد المسلمين بإبعادهم عن دينهم ، وحرصوا على تضليل أبناء المسلمين الذين تتلمذوا على أيديهم.

ومن ثم يخطئ من يقول ان الاستشراق حركة علمية بحتة تهدف الى دراسة علوم الشرق ومعتقداته ، دون المساس أو الغمز والطعن فيها ، إن الإستشراق نوع من الغزو الفكرى لبلاد المسلمين لاحتلال عقولهم ، وتسميم أفكارهم ، والتشكيك فى مصادر الإسلام لتضليل أبناء المسلمين (٣) .

---

(١) انظر الدعوة إلى الله على بصيرة ص٢٣٩ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٤٠ .

(٣) انظر المرجع نفسه ص ٢٤١ .

والإستشراق من مصدر الفعل «استشرق» أى اتجه إلى الشرق ولبس زى أهله، والمستشرق هو الذى يدرس التراث الشرقى فهو يجئ إلى الإسلام لابسا العلم فى الظاهر ، ومدعيا البحث عن الحقيقة ، ولكنه فى الباطن قد عقد النية على جمع المطاعن الملفقة عن الإسلام ، فلا يلبث أن يرمى الإسلام بكل مايحمل صدره من غل، ومماينفث قلمه من سم فهو يتنكر لمنهج البحث العلمى الصحيح الذى من شأنه أن يعرض الحقائق ، وأن يجعل الوصول الى الحقيقة العلمية غايته من بحثه ، ولو كان يبحث عن الحقيقة خالصة لهداه الله سبحانه إلى الحق وإلى الطريق المستقيم [1] .

لقد اتخذ المستشرقون من دراسة لغات الشرق وسيلة للاتجاه اليه ، فدرس كل مستشرق منهم لغة أو أكثر من لغات الشرق ، ومن ثم درست اللغة العربية ، والفارسية والتركية والعبرية والسريانية وغيرها ، وكانت اللغة العربية هى المطلب المقصود عند كثير من المستشرقين ، فاقبلوا على دراستها والتخصص فيها ، فشمل النحو والصرف والأدب والبلاغة ، حتى تمكنوا من اللغة العربية ، ثم نظروا فى علوم الدين الإسلامى من عقيدة وشريعة واتخذوا من هذه الدراسة وسيلة لتلفيق الأباطيل للتشكيك فى حقائق الإسلام لصرف المسلمين عن دينهم ، وإضعافهم وصرفهم عن الجهاد لإسترجاع عزتهم ، وحضارتهم الفاضلة [2] .

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٢٤٢ .

(٢) راجع د. عبد النعيم محمد حسنين : « الاستشراق وجهوده وأهدافه فى محاربة الإسلام والتشويش على دعوته» المنشور بالمجلد الخامس ص ١ – ٢٨ من بحوث المؤتمر العالمى الأول لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة الذى انعقد بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م .

وأوضح دليل على صلة الاستشراق بالاستعمار أن سوق الاستشراق رائجة فى الغرب النصرانى الصليبى وفى الشرق الشيوعى الملحد وبخاصة فى الدول التى لها مصالح ومطامع فى الدول الشرقية بعامة ، وفى الدول الإسلامية بخاصة ، وأن هذه السوق أكثر رواجا فى الدول الاستعمارية التى تحاول غزو الدول الإسلامية بأية صورة من صور الغزو الفكرى المعروفة فى العصر الحديث ، سواء أكان غزوا عسكريا ، أم غزوا اقتصاديا ، أم غزوا سياسيا ، أم غزوا ثقافيا وفكريا ، بل ان كل سفارة من سفارات هذه الدول الاستعمارية فى البلاد الإسلامية يوجد فيها مستشرق بين رجالها والعاملين فيها ، أيا كانت رتبته ، والوظيفة التى يقوم بها ، والاسم الذى يتسمى به [1] .

إن المستشرقين يعلمون من دراستهم للإسلام أن العقيدة الإسلامية ترتكز على أسس ثابتة من الفطرة الإنسانية العامة والمنطق العقلى المستقيم ، والنصوص الدينية الصريحة ، بحيث لايمكن لعقول المفكرين والفلاسفة أن ينقضوا أصلا واحدا من أصولها إذا التزموا منهج البحث العلمى الصحيح ، الذى يقضى بأن تكون الحقيقة العلمية غاية الدارسين ، ومن ثم يحاول الاستشراق منذ نشأته التشويش على الإسلام وتعاليمه بتلفيق الأباطيل ، واتخاذ البحث العلمى ستارا تلفق من ورائه التهم والأباطيل [2] .

وقد صار الاستشراق بهذه المثابة مظلة يستظل بها كل أعداء الإسلام من المستعمرين والمبشرين الصليبين والشيوعيين الملحدين واليهود الحاقدين ، فأصبح يستظل بهذه المظلة ، أصحاب العقائد الفاسدة جميعا ، وسائر انصار المذاهب

(١) المرجع السابق .
(٢) انظر المرجع السابق ص ٤ .

الإلحادية الانحلالية فى العصر الحديث، فقد جمع هؤلاء جميع بغضهم للإسلام، لأن اساسه التوحيد ، وهو زبدة الرسالات الإلهية وغايتها ترتكز كلها عليه، وتستند فى وجودها إليه، وتبتدئ منه، وتنتهى إليه، فكل رسول من رسل الله الكرام صلى الله وسلم عليهم أجميعن: افتتح دعوته لقومه بقوله الله الواحد الأحد سبحانه : « أعبدوا الله مالكم من اله غيره » . الأعراف : ٥٩ .

ومن ثم جاء القرآن الكريم للناس جميعا ليعيدهم إلى فطرتهم التى فطرهم الله عليها يوم خلق ادم عليه السلام « فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون » الروم : ٣٠ .

لقد اهتم القرآن الكريم بالموضوعات التى تعرض لها ومن هذه الموضوعات موضوع « الألوهية » خاصة فى السور الملكية ويرجع هذا الاهتمام أن القران الكريم كان يخاطب قوما مشركين ، فكان من المناسب التركيز عليه لتصحيح تلك العقائد الباطلة ، كما أن السور المدنية قد حفلت هى الأخرى بالحديث عن الألوهية مما يبين أهمية هذه القضية وخطورتها حتى ولو كان المخاطب بها مسلما لأنها المفتاح الذى يفتح القلوب والعقول البشرية للخير (١) .

لقد كان الناس فى أول الأمر متفقين على التوحيد ، قبل أن يزين لهم شيطان الانس عبادة الطواغيت ، واتخاذ الاصنام . والعقيدة الإسلامية عقيدة واضحة ، بعيدة كل البعد عن إغراق الوهم وجموح الخيال ، وتحكم الأهواء ، وهذا مايسعى اليه العقل البشرى فى تفكيره الدائب للوصول إلى الحقيقة التى ينشدها .

---

(١) انظر مذكرة الثقافة الإسلامية د. أحمد عبد العال ص ٢ المقدمة، وموضوع «الألوهية» لم أجده فى المعجم الوسيط وإنما الموجود «الإلاهيات» أى مايتعلق بذات الإله وصفاته، مادة ألَه. أما تعبير «الألوهية» فهو تعبير فلسفى.

وقد بذل الاستشراق جهودا عديدة متواصلة فى محاربة الإسلام ، واصطناع وسائل متنوعة فى حرية ، واستفاد من تقصير المسلمين فى الدفاع عن دينهم ، وانخداع بعضهم بكلام المستشرقين الذين تتلمذوا على أيديهم [(١)] .

وإذا تتبعنا مايكتبه المستشرقون عن الإسلام ورسول الإسلام ﷺ ، نجد مايفضحهم حيث الحقد الدفين الكامن فى قلوبهم ، والكره الشديد المستقر فى نفوسهم على الإسلام والمسلمين ومن أمثلة ذلك ماكتبه المستشرق الحاقد جولد تسيهر فقد كتب يقول : « فتبشير النبى العربى ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها واستفادها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها ، التى تأثر بها تأثرا عميقا ، والتى رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بنى قومه » [(٢)] .

وهذا قول كاذب وصاحبه آثم لا محالة ، لقد فضح الله سبحانه هذه الأقوال على لسان المشركين :

« وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم اخرون» ويرد الله عز وجل عليهم بقوله : « فقد جاءوا ظلما وزورا » ثم يقول سبحانه على ألسنتهم : «وقالوا أساطير الأولين أكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » ثم يرد الله عز وجل عليهم بقوله : « قل أنزله الذى يعلم السر فى السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما » [(٣)] .

ثم تحداهم الله عز وجل بأن يأتوا بمثل القرآن أو بعشر سور منه أو حتى بسورة منه فعجزوا ، ولم يرفع أحد منهم رأسه راجع الاية : ٨٨ من سورة الإسراء ،

(١) انظر المرجع السابق ص ٤ ، ٥ .

(٢) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة ص ١٥ ترجمة محمد يوسف موسى وزميليه .

(٣) الفرقان : ٤ – ٦ .

والآية ١٣ من سورة هود والآيات : ٢٣ ، ٢٤ من سورة البقرة والآية ٣٨ من سورة يونس .

إن جولد تسهير وأمثاله من المستشرقين أعداء الإسلام يرددون ماكان يردده مشركو قريش من قبل ، بيد أن مشركى قريش عدلوا عن عنادهم ودخلوا فى دين الحق الذى زاغ أمامه كل باطل ، وجاهدوا فى سبيل الله ، وكان منهم سيوف الله التى سلت على رقاب أعداء الله ، أما المستشرقون فمصرون على محاربة الإسلام والتشويش على دعوته بالتشكيك فى القرآن والإيهام بأنه من عمل محمد ﷺ ، وأن الرسول كان يتجاوز بعض الوحي القرآنى ، وينسخ بأمر الله ماسبق أن أوحاه الله اليه [١] .

يقول جولد تسهير أخزاه الله «إن الرسول نفسه قد اضطر لتطوره الداخلى، وبحكم الظروف التى أحاطت به الى تجاوز بعض الوحى القرآنى الى وحى جديد ، والى ان ينسخ بأمر الله ماسبق أن أوحاه الله اليه » [٢] .

لقد ذهب الحقد بعقل هذا المستشرق ، إذ كيف يستسيغ عقل سليم أن يصف محمدا ﷺ بأنه رسول ، ثم يقول : إن هذا الرسول بدل رسالة ربه لظروف اضطرته إلى ذلك ؟! هل يعقل هذا ؟! فأى رسول يحمل رسالة ربه ، ثم يكذب على الله ربه ، ثم يظل رسولا بعد ذلك ؟! أليس مايقوله هذا المستشرق اللعين هو الحقد الذى يذهب العقول ويقلب حقائق الأمور ؟!

ألم يقرأ هذا الكنوب قول الله تعالى ردا على مفتريات المشركين ، بأن محمدا يفترى على الله الكذب « ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين ». الحاقة : ٤٤ - ٤٧ .

(١) انظر الاستشراق جهوده وأهدافه فى محاربة الإسلام .. ص ٦ ، ٧ .

(٢) جولد تسهير : العقيدة والشريعة فى الإسلام ص ٤١ .

إن عداوة المستشرقين للإسلام والمسلمين ، قد بدت من أفواههم ومن كتاباتهم المسمومة ، وماتخفى صدورهم أكبر ، فينبغى الحذر منهم ، وكشف زيفهم وبخاصة من الذين يصطنعون الحكمة والتعقل ، ويتظاهرون بالاعجاب برسالة الإسلام ، ليدخلوا على العقول دخول اللص فى غيبة الحارس .. يجب ان تكون عقول المسلمين حاضرة يقظة الى قول الله تعالى : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » البقرة : ١٢٠ .

فما أكثر الذين خدعوا من المثقفين المسلمين بهؤلاء المستشرقين ، وأخذوا مقولاتهم على أنها أحكام صحيحة لاتقبل الجدال أو النقاش ، فضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، واشتركوا مع المستشرفين فى الإساءة إلى الإسلام اما جهلا به ، أو مسايرة لاساتذتهم من المستشرقين [1] .

نظرة تحليلية عن نشأة الاستشراق وتطوره:

إن الاستشراق وثيق الصلة بالتبشير الصليبى ، فالمستشرقون جنود مخلصون للصليبية الحاقدة ، يخدمون أهدافها ، ويحققون اغراضها ، فمنشأ الاستشراق فى أحضان الغرب النصرانى الصليبى الذى يضمر عداوة شديدة للإسلام والمسلمين منذ الحروب الصليبية الى لم تنته- حتى يومنا هذا- وإنما اتخذت اشكالا مختلفة منها التبشير الصليبى الذى يتخذه الاستشراق وسيلة من وسائله المتعددة»[2] .

واليك النظرة التحليلة لنشأة الاستشراق :

أ- يرى بعض الباحثين أن المحاولات الاستشراقية التى بدأت فى وقت مبكر لاتعدو أن تكون فردية ، أو جماعية ، محدودة برزت بشكل أكثر شمولا فى بعض

(١) أنظر الاستشراق : جهوده وأهدافه .. ص ٧ .

(٢) انظر الدعوة الى الله على بصيرة ص ٢٤٩ .

البلاد الأوربية خلال القرن الثالث عشر الميلادى ، ويكاد الدارسون لتاريخ الاستشراق يجمعون على أن انتشاره فى أوربا بصفة جدية بعد فترة مايسمى فى التاريخ الأوربى بعهد الإصلاح الدينى (١) .

وكان ينبغى أن تخف حدة التعصب الدينى الأوربى بعد قيام عهد الإصلاح الدينى ، والتى بلغت أوجها بايطاليا فى القرن الخامس عشر الميلادى وبغرب أوربا فى القرن التالى لكن ذلك لم يحدث لخوف قادة الفكر الأوربى ، ورجال الدين التى سيطرت عليهم عقدة الرعب ممايكنه المسيحى فى قرارة نفسه من إعجاب بالدور الذى قام به الإسلام فى تاريخ المسلمين ، فاتفق هؤلاء جميعا على بذل أقصى الجهد ، ليس فقط من أجل إزالة هذا الاعجاب ، وإنما أيضاً لتحويله الى مقت واستنكاف ، فانبرى كل منهم – ماوسعه– للطعن فى كتاب الإسلام ، ونبى الإسلام والتاريخ الإسلامى كله.

يؤيد هذه الحقيقة المستشرق الانجليزى « مونتجمروى وات» فى محاضرة القاها فى جامعة الكويت فى موسمها الثقافى سنة ١٩٧١حيث قال : « إن الأوربيين في عصر النهضة كان لايزال لديهم إحساس بالنقص بالنسبة للمسلمين ولذلك عمد مفكروهم الى تشوية حقائق الإسلام ، فعرضوا الإسلام وتاريخ المسيلمين فى صورة منفرة .

ثم يضيف قائلا : ولكننا معشر الغربيين فى القرن العشرين لم تعد تسيطر علينا عقدة النقص كما كان الحال فى عصر النهضة ، وذلك بعد أن أنتقل زمام السيادة – كما قال– إلي أوربا ، وأصبحت لها السيرة والغلبة ، ولذا أصبحنا لا نجد حرجا فى ذكر الحقائق دون تحريف ، وبالتالى ظهر الانصاف والموضوعية فيما

---

(١) انظر د. عمر عودة الخطيب : لمحات فى الثقافة الإسلامية ص ١٨٨ .

نكتب عن الإسلام والمسلمين ، وقد ضرب « وات» المثل بنفسه فقال : إن له كتابين أحدهما :

بعنوان « محمد فى مكة » ، والآخر بعنوان « محمد فى المدينة » وذكر أنه ضمنهما الحقائق دون أى تحريف ، وأنصف فيهما محمدا ﷺ كل الانصاف ، وطلب من الحاضرين الرجوع اليهما ، إذا شاءوا - للتأكد من صدق كلامه [١] .

بيد أن كلام « وات » عن الانصاف لدى مستشرقى القرن العشرين ليس صحيحا على اطلاقه ، فإذا لجأ عدد منهم الى انصاف الاسلام فى بعض الجوانب، فانما ليدخل بالطعن فى جانب آخر .

والمستشرق « وات » نفسه قد مدح النبى ﷺ فى كتابيه السابقين كثيرا ، ورد كثيرا من الشبهات التى ذكرها غيره من المستشرقين ، إلا أنه اتهم النبى ﷺ بأنه كانت له علاقات غير شرعية ببعض النساء .

ففى كتاب « محمد فى المدينة » وفى ص ٤٣٤ مايلى : « ونعلم من بعض الوثائق أن محمدا ﷺ بالإضافة الى زيجاته الشرعية ، واتصاله بالجوارى كانت له علاقة مع نساء أخريات ، وذلك حسب النظام الأممى القديم » .

وبالطبع لم يذكر « وات» تلك الوثائق التى اشار اليها ، مما يدل على أن هذا الكلام من نسج خياله ، فأين الانصاف الذى تحدث به « وات »؟

جـ- يعد القرن التاسع عشر والعشرون عصر الازدهار الحقيقى للحركة الاستشراقية ، ففى نهاية القرن الثامن عشر ، وبالتحديد فى شهر مارس « آذار» من عام ١٧٩٥م قامت الحكومة الثورية فى باريس بانشاء مدرسة اللغات الشرقية

(١) انظر أضواء على الاستشراق ص ١١ .

الحية ، وقد كان التركيز فيها على وجه الخصوص على عناصر الفائدة العلمية بالاضافة الى مايمكن ان تسهم به اللغات الشرقية فى تقدم الأدب والعلم (١) .

د- مر الاستشراق بمرحلة جديدة إذ انشأ كرسيين جديدين للغة العربية فى جامعتى : اكسفورد ، وكمبردج ، ثم اختتم القرن التاسع عشر بحملة نابليون على مصر ، وبلاد الشام ، والتى صحبها عدد كبير من العلماء كان اغلبهم من المستشرقيين .

هـ- يعد القرن التاسع عشر عصر ازدهار الاستشراق ، حيث بلغ التطور الكبير فى الدراسات العربية ، بعدما نشره علماء حملة نابليون ، وكان لمدرسة «دى ساس» دور كبير فى تخريج عدد كبير من المستشرقين الفرنسيين ، كما تم انشاء كراسى للغة العربية فى كثير من جامعات أوربا ، وتأسيس الجمعيات الاسيوية وإصدار مجالاتها ، واتاحة الفرصة لمعظم المستشرقين لزيارة بلاد الشرق فتوافدوا عليها من مختلف الجامعات والبلدان الأوربية ، وتبعهم عدد كبير من الرحالة (٢) .

و- نبغ عدد كبير من علماء الغرب فى الاستشراق بعد استعمار بلاد العالم الإسلامى ، فشرعوا فى إصدار المجلات التى تعنى بأمور الشرق فى جميع الممالك الغربية ، كما شرعوا فى الإغارة على المخطوطات العربية فى البلاد التى احتلوها ، إما بالشراء من أصحابها الذين يجهلون قيمتها ، بدريهمات زهيدة ، أو بالسرقة من المكتبات العامة التى كانت وقتها فى منتهى الفوضى ، ثم ينقلونها الى بلادهم ومكتباتهم ، مما أدى الى انتقال عدد هائل من المخطوطات العربية النادرة الى مكتبات أوربا ، وقد بلغت هذه المخطوطات - فى أوائل القرن التاسع عشر - مائتين وخمسين ألف مجلد - ومازال هذا العدد يتزايد يوما بعد يوم (٣) .

(١) انظر د محمود حمدى زقزوق : الإستشراق ص ٣٨ .

(٢) انظر د. على حريشة : أساليب الغزو الفكرى ص ٢١ .

(٣) انظر نجيب العقيقى : المستشرقون : ٢/٤٣٠ دار المعارف : مصر ١٩٦٥م .

ز- مما ساعد على ازدهار حركة الاستشراق فى البلاد العربية والإسلامية ضعف الدولة العثمانية ، مما أدى إلى أطماع الدول الأوربية فى الاستيلاء على أملاكها ، وقد عمد المستشرقون فى تلك المرحلة إلى تغيير أساليبهم ، ويظهروا بمظهر تحرير الاستشراق من الاغراض التبشيرية ، والاتجاه بها وجهة البحث العلمى[1] .

ومما يشعر بالأسى ويبعث الألم أن بعض الطلاب المسلمين يؤمون الكليات الغربية ، أو المنسوبة الى الغرب فى بلاد الشرق للدراسة فيها ، مما جعل الكثير منهم يتأثر بما يلقيه المستشرقون فى أذهانهم . كما استعان الغربيون ببعض النصارى العرب فى نشر أفكارهم ، وبث سمومهم ضد الإسلام والمسلمين .

هذا فضلا عن أن بعض المستشرقين تسللوا الى الدوائر العلمية ، والجامعات فى الدول الإسلامية ، كما تسللوا الى المجامع العلمية فى القاهرة ، ودمشق ، وبغداد ومن المستشرقين الذين شغلوا عضوية هذه المجامع العلمية : هاملتون جيب ، ومرجليوث ، ونيكلسون من الانجليز ، وماسنيون ، وجى سو الفرنسيان ، وجريفنى وجويدى الايطاليان وهوثمان الهولندى ، وهارثمان الألمانى [2] .

وقد قامت المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية فى الغرب بما كان يقوم به الملوك فى الماضى من الاغداق على المستشرقين وتقديم المنح والمعونات اليهم ، ثم جاء دور الصهيونية فدخلت ميدان الاستشراق لتحول دون اجتماع المسلمين فى وحدة تقاوم اليهودية العالمية ، وتواجه دولة اليهود الباغية (اسرائيل) والمستشرقون اليهود يعملون فى هذا المجال .

---

(١) انظر عمر عودة الخطيب : لمحات فى الثقافة الإسلامية ص ١٨٨ .

(٢) انظر ابراهيم خليل : الاستشراق والتبشر ص ٦١ ، ٦٢ .

ومن المستشرقين اليهود : جولد تسيهر ، وبندلى جوزى ، ويورى إيفانون وغيرهم ، وعلى اثر تحرير البلاد الإسلامية من الاستعمار ، قام أبناؤها بدراسات متعمقة ، تغنى عن الكتابات الاستشراقية المغرضة ، وقد كشف البحث الموضوعى – ولايزال يكشف – عما فى كتابات المستشرقين من التواء ومغالطات ، ومن ثم أخذ الكثير من المسلمين فى الشرق يتعاملون مع هذه الكتابات بحذر وحيطة .

وقد عمدت الدول الغربية إلى إنشاء كليات ومعاهد للدراسات الشرقية فى كبرى المدن مثل : لندن ، وبارس ، وليدن وبرلين ، وبطرسبرج ، وهاردفارد وغيرها ، وألحقت بها أقسام خاصة لدراسة اللغات العربية وبعض اللغات الشرقية كالفارسية والتركية والأوردية ، وفى بلد مثل انجلترا ارتفعت الأصوات فى مطلع القرن العشرين تنادى بضرورة تأسيس معهد شرقى تكون مهمته إعداد رجال ونساء يستطيعون أن يخدموا وطنهم فى الشرق فى المجالات الدبلوماسية والتجارية والعسكرية والثقافية ، وهكذا تم تأسيس معهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة لندن سنة ١٩١٧م .

أما جامعة كمبردج فإن أول كرسى للدراسات الإسلامية فى عام ١٩٣٢م بدعم مالى من رئيس بلدية لندن الذى كان تاجرا معروفا بإخلاصه لدولته (١) .

---

(١) انظر ابراهيم خليل : الاستشراق والتبشير ص ٧٩ . والتبشير والعلمانية د. أحمد عبد العال ص ١١ ، ١٢ .

أسباب الإستشراق :

كان لابد لظهور هذا الموضوع من أسباب حتى يطفو إلى السطح ، ويطل برأسه إلى الوجود ، وإن كان وجوده غير مرغوب فيه ، ومن هذه الأسباب مايلى :ـ

الأول : كان دينيا فى الظاهر، أما فى الحقيقة ، فكان القضاء على الإسلام وثقافته وحضارته .

فلقد تركت الحروب الصليبية فى نفوس الأوربيين آثاراً عميقة من الصعب نسيانها .

الثانى : حركة الإصلاح الدينى المسيحى (بروتستانت وكاثوليك) بحاجة ملحة وضرورية لإعادة النظر فى مشروع كتبهم الدينية ، وفهمها على أساس التطورات الجديدة ، التى تمخضت عنها حركة الإصلاح ، فاتجهوا إلى الدراسات العبرانية ، التى أوصلتهم إلى دراسة اللغة العربية لأن الأخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى ، وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت أديانا ولغات وثقافات غير الإسلام وغير العربية [1].

الثالث : « رغبة المسيحيين فى التبشير بدينهم بين المسلمين فدعاهم ذلك إلى الإقبال على الإستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامى ، وقد التقت مصلحة المبشرين مع أهداف الإستعمار فمكن لهم واعتمد عليهم فى بسط نفوذه فى الشرق ، وقد أقنع المبشرون زعماء الإستعمار بأن المسحية تكون قاعدة الإستعمار الغربى فى الشرق ، وبذلك سهل الاستعمار للمبشرين مهمتهم وبسط عليهم

---

(١) انظر نجيب العقيقى : المستشرقون . جـ١ المقدمة .

حمايته ، وزودهم بالمال والسلطان، وهذا هو السبب فى أن الإستشراق قام فى أول أمره على اكتاف المبشرين والرهبان ثم اتصل بالاستعمار» [1] .

الرابع : الدافع العلمي: من المستشرقين نفر قليل أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الإطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغاتها وهؤلاء أقل خطأ فى فهم الإسلام من غيرهم. [2]

الخامس : أسباب تجارية ، وأسباب سياسية ، ودبلوماسية ، وأسباب شخصية ميولية عند بعض الناس الذين تهيأ لهم الفراغ والمال ، واتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم الخاصة فى السفر ، أو فى الإطلاع على ثقافات العالم القديم ، ويبدو أن فريقا من الناس دخلوا ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية ، أو دخلوه هاربين عندما قعدت بهم إمكانياتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء فى العلوم الأخرى ، أو دخلوه تخلصا من مسئولياتهم الدينية المباشرة فى مجتمعاتهم المسيحية ، أقبل هؤلاء على الإستشراق تبرئة لذمتهم الدينية أمام إخوانهم فى الدين ، وتغطية لعجزهم الفكرى ، وأخيرا بحثا عن لقمة العيش إذ أن التنافس فى هذا المجال أقل منه فى غيره من أبواب الرزق [3] .

السادس : خاص بالمستشرقين اليهود ، فالظاهر أن هولاء أقبلوا على الاستشراق لأسباب ، دينية وهى: محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك فى قيمه بإثبات فضل اليهودية على الإسلام بادعاء أن اليهودية فى نظرهم هى مصدر الإسلام الأول ، ولأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية فكرة أولا ، ثم دولة ثانيا ،

(١) انظر د. محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث وصلته الغربى ص ٥٣٣ .

(٢) انظر مصطفى السباعى: الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم ص١٩ .

(٣) انظر المستشرقون : نجيب العقيقى المقدمة .

هذه وجهة نظر ربما لاتجد مرجعا مكتوبا يؤيدها غير أن الظروف العامة والظواهر المترادفة فى كتابات هؤلاء المستشرفين تعزز وجهة النظر هذه ، وتخلع عليها بعض خصائص الاستنتاج العلمى .

وقد تركزت أهداف الاستشراق مع تنوعها أخيرا فى خلق التخاذل الروحى وإيجاد الشعور بالنقص فى نفوس المسلمين والشرقيين عامة ، وحملهم من هذا الطريق يدل على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية [1] .

السابع : « ومن المبشرين نفر يشتغلون بالاداب العربية ، والعلوم الإسلامية ، أو يستخدمون غيرهم فى سبيل ذلك ، ثم يرمون كلهم مما يكتبون إلى أن يوازنوا بين الآداب العربية ، والآداب الأجنبية أو بين العلوم الإسلامية والعلوم الغربية، ليخرجوا دائما بتفضيل الآداب الغربية على الآداب العربية والإسلامية، وبالتالى إلى إبراز نواحى النشاط الثقافى فى الغرب وتفضيلها عى أمثالها فى تاريخ العرب والإسلام ، وماغايتهم من ذلك إلا تخاذل روحى وشعور بالنقص فى نفوس الشرقيين وحملهم من هذا الطريق على الرضا بالخضوع للمدنية المادية الغربية»[2] .

وضح مما سبق أن أسباب الاستشراق التى تحدث عنها كتاب مسيحيون ومسلمون ، أسباب متنوعة ومتباينة .

أما مظاهر الاستشراق ومجالاته: فهى متنوعة أيضا وكثيرة وبيانها كالآتى :

---

(١) انظر د. محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص٥٣٤ .

(٢) د. مصطفى خالدى ، د. عمر فروخ : التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ص ٢٤ ، ٢٥ ، ط الخامسة ، ١٩٧٣.

« حاول المستشرقون أن يحققوا أهدافهم بكل الوسائل : القوا المحاضرات والدروس و«بشروا» بالمسيحية بين المسلمين وجمعوا الأموال وأنشأوا الجمعيات وعقدوا المؤتمرات ، وأصدروا الصحف وسلكوا كل مسلك ظنوه محققا لأهدافهم » .

وإليك نماذج من مجالات الاستشراق :

١- أنشأ الفرنسيون جمعية للمستشرقين سنة ١٨٨٧ ، كما أصدروا أخرى الحقوها بها في سنة ١٨٢٠م ، كما أصدروا المجلة الآسيوية .

٢- في عام ١٨٢٣م تألفت في لندن جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية ، كما أصدرت « مجلة الجمعية الآسيوية الملكية » .

٣- أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم « الجمعية الشرقية الأمريكية سنة ١٨٤٢م ، وفي نفس العام أصدر المستشرقون الألمان مجلة خاصة بهم ، كما فعل المستشرقون في النمسا وإيطاليا وروسيا فعلهم .

٤- ومن المجلات التي أصدرها المستشرقون الأمريكيون في هذا القرن «مجلة جمعية الدراسات الشرقية» وكانت تصدر في مدينة « جامبير» بولاية « أهايو» ولها فروع في كل من لندن وباريس وليبيزج ، وتور ونتو في كندا ، وطابعها العام طابع الاستشراق السياسي ، وإن كانت تعرض من وقت لاخر لبعض المشكلات الدينية وخاصة في باب الكتب ، ولايعرف إن كانت تصدر هذه المجلة الآن أم لا .

٥- ويصدر المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر : « مجلة شئون الشرق الأوسط» وكذلك «مجلة الشرق الأوسط» . وطابعها العام الاستشراق السياسي.

٦- إن أخطر المجلات التي يصدرها المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر هي مجلة « العالم الإسلامي» ، أنشأها صموئيل زويمر في سنة ١٩١١م، وتصدر الان من هارتفورد بأمريكا ، ورئيس تحريرها « كنيث كراج» وطابع هذه المجلة تبشيري سافر .

وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة « العالم الإسلامي » في رواجها واتجاهها العدائي التبشيري ، وتحمل نفس الإسم .

٧- وأخطر ماقام به المستشرقون حتى الآن هو اصدار « دائرة المعارف الإسلامية ».

بعدة لغات ، وإصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التي صدرت بها الدائرة ، وقد بدأوا في الوقت الحاضر في إصدار طبعة جديدة تظهر في أجزاء ، ومصدر الخطورة هنا ، أن هذا العمل عبأ المستشرقون كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراستهم على مافيها من خلط ، وتحريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمون .

٨- كما استطاع المستشرقون التسلل إلى المجمع اللغوي في مصر ، والمجمع العلمي في دمشق ، والمجمع العلمي في بغداد ، ويعتمد المستشرقون - فيما يعتمدون - على عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر لتنظيم نشاطه وأول مؤتمر عقدوه كان في سنة ١٧٨٣ ، ومازالت مؤتمراتهم تتكرر حتى اليوم .

٩- أما في العصر الحديث فتقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية في الغرب بما كان يقوم به الملوك والأمراء في الماضي من الاغداق على المستشرقين، وحبس الأوقاف والمنح على من يعملون في حقل الاستشراق .

واتجه المستشرقون والمبشرون بمعاونة الاستعمار الى مجال التربية ، محاولين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين حتى يشبوا «مستغربين» في حياتهم وتفكيرهم وحتى تخف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية « انظر ص ١١٤ من مجلة الإسلام» الصادرة ى ١٦ مارس ١٩٥٨م (١) .

(١) انظر د محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديثة وصلته بالاستعمار الغربي ص ٥٣٥ - ٥٣٧ ط وراجع د. علي عبد الحليم محمود ، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ص ٩٩ ومابعدها .

ولقد ضمن الدكتور محمد البهي[1] كتابه قائمة بأسماء المستشرقين والمعاصرين، ووظائفهم من ص٤٧٧ – ٤٨٨.

وأسماء المستشرقين الخطرين من ص٤٨٩ – ٤٩٤.

كما ذكر بعض الكتب الخطيرة التي تشوه صورة الإسلام وذكر منها:

١ – دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى عدة لغات.

٢ – موجز دائرة المعارف الإسلامية.

٣ – دائرة معارف العلوم الاجتماعية (الموضوعات المتصلة بالإسلام والعرب).

٤ – دراسة في التاريخ (القسم المتصل بالإسلام ورسوله)[2].

أما الكتب فقد ذكر منها:

١ – «حياة محمد» تأليف: سير وليام موير.

٢ – «الإسلام» تأليف: الفردجيوم.

٣ – «دين الشيعة» تأليف: د.م: دونالدسون.

٤ – «تاريخ شارل الكبير» تأليف: القس تيرين.

٥ – «الإسلام» ظهر بالفرنسية تأليف: هنري لامانس.

٦ – «الإسلام» (تحدٍّ لعقيدة) ظهر بالإنجليزية تأليف: المبشرزويمر.

٧ – «دعوة المئذنة» ظهر بالإنجليزية تأليف: كينيث كراج.

٨ – «الإسلام اليوم» ظهر بالإنجليزية تأليف: أ.ج. آربري.

٩ – «تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي» ظهر بالألمانية، وترجم إلى العربية من تأليف: جولد زيهر.

(١) التفكير الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي.

(٢) المرجع نفسه ص٤٩٥.

١٠- «تاريخ العرب» ظهر بالإنجليزية والعربية تأليف: فيليب حتى.

١١ - «اليهودية فى الإسلام» ظهر بالانجليزية تأليف: إبراهام كاش.

١٢ - «عقيدة الإسلام» ظهر بالانجليزية تأليف: ا.ح. فينسينك.

١٣- «الحلاج الصوفى الشهيد فى الإسلام» ظهر بالفرنسية تأليف: لوى ماسينيون.

١٤- «الحرب والسلام فى الإسلام» ظهر بالانجليزية تأليف: مجيدى قدورى.

١٥- «تطور علم الكلام والفقة والنظرية الدستورية فى الإسلام» ظهر بالانجليزية تأليف: د.ب. ماكدونالد

١٦ - «الاتجاهات الحديثة فى الإسلام» ظهر بالإنجليزية، وترجم إلى العربية تأليف: هـ.ا.ر. جب

١٧ - «طريق الإسلام» ظهر بالإنجليزية وترجم إلى العربية تأليف: جماعة من المستشرقين اشترك فيه ونشره: هـ.ا.ر. جب.

١٨ - «التصوف فى الإسلام» ظهر بالإنجليزية، وترجم إلى العربية تأليف: ر.ا. نيكلسون.

١٩ - «مصادر تاريخ القرآن» بالإنجليزية من تأليف: آرثر جيفرى.

٢٠ - «أصول الإسلام فى بيئته المسيحية» بالإنجليزية تأليف: ر. بل.

٢١ - «مقدمة القرآن» بالانجليزية تأليف: ر. بل.

٢٢- «التطورات المبكرة فى الإسلام» بالإنجليزية تأليف: د.س مرجوليوث.

٢٣- «محمد ومطلع الإسلام» بالإنجليزية تأليف: د.س. مرجوليوث.

٢٤- «الإسلام» بالإنجليزية ولنفس المؤلف.

٢٥ - «الجامعة الإسلامية» بالإنجليزية ولنفس المؤلف.

٢٦ - «قنطرة الإسلام» ظهر بالإنجليزية تأليف: أريك بيتمان.

٢٧ - «إسلام العصور الوسطى» بالإنجليزية تأليف: ج. فون جرونباوم.

٢٨ - «الإسلام» مجموعة مقالات متفرقة ظهرت بالإنجليزية للمؤلف السابق.

٢٩ - «الأعياد المحمدية» بالإنجليزية ولنفس المؤلف.

٣٠- «الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية» بالإنجليزية ولنفس المؤلف.

٣١- «دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية» بالإنجليزية ولنفس المؤلف.

٣٢ - «محاولات في شرح الإسلام المعاصرة» مجموعة مقالات ظهرت بالإنجليزية لنفس المؤلف.

الدوريـــــات:

١ - «مجلة العالم الإسلامي» مجلة تبشيرية تصدر بالإنجليزية في هارتشورد بأمريكا وتوزع في جميع أنحاء العالم.

٢ - «مجلة العالم الإسلامي» مجلة تبشيرية تصدر بالفرنسية في فرنسا، وتوزع في جميع أنحاء العالم.

٣ - «مجلة جمعية الدراسات الشرقية» أنشأها المستشرقون الأمريكيون في جامبير بولاية أوهايو، وكان لها بعض فروع في أوربا وكندا.

٤ - «مجلة شئون الشرق الأوسط» تصدر بالإنجليزية في أمريكا، ويحررها عدد من المستشرقين المعادين للعرب والمسلمين، واهتمامها موجه في الدرجة الأولى إلى الجوانب السياسية.

٥ - «مجلة الشرق الأوسط» مجلة أمريكية سياسية تتعرض للإسلام من وقت لآخر في بعض المقالات.

راجع:

التفكير الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي ص٤٩٥ - ٤٩٨.

التلازم بين الاستشراق والتنصير والاستعمار :

يهتم الغربيون بدراسة أحوال المشرق ، وفكره وثقافته، أو بتعبير أدق : إن الاستشراق فى منابعه الأولى هو اهتمام الغرب المسيحى بأمور الشرق المسلم للتعرف على فكره وثقافته ، ومكامن القوة والضعف فيه مع التركيز على نقاط الضعف واستغلالها ، ومحاولة هدم مكامن القوة فالتلازم بين الاستشراق والتنصير والاستعمار تلازم واضح جلى ، ولايمكن لمنصف عاقل إلا أن يؤكد العلاقة العضوية بين الاستشراق فى بداياته وبين حركة الاستعمار للبلاد الإسلامية ، وبين نشاط اليهود والنصارى فى مقاومة الإسلام والمسلمين ، ومن ثم فقد كان المستشرقون الأوائل ، يمهدون الطريق أمام غزو المشرق عسكريا وثقافيا وفكريا ودينيا ، ومن هذه الزاوية نستطيع ان نقول إن الإستشراق كان نعمة على الغرب لما أسداه من خدمات، بينما كان نقمة على الشرق وعلى الإسلام والمسلمين ، لأنه كان الطليعة ، الفكرية للغزو الاستعمارى (١) .

أنواع المستشرقين :

يختلف المستشرقون أنفسهم بين متعصب شديد التعصب ضد الإسلام والمسلمين ، ومابين من يحاول إخفاء مايبطنه من دس وتشوه للتاريخ والفكر الإسلامى، ومابين من يحاول الانصاف والتحرى ولكنه لم يستطع التخلى عن المؤثرات الاستشراقية السابقة ، أولم يتخل عن نظرة التعالى وادعاء التميز (٢) .

---

(١) انظر د. محمد عبد الرحمن ربيع : من قضايا البحث العلمى فى الجامعات السعودية ط إدارة الثقافة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عمادة البحث العلمى ص ٩٠ ، ١٤١٥هـ.

(٢) انظر المرجع السابق .

لقد ظن المستشرقون أن خططهم وألاعيبهم لن تكشف فى العالم الإسلامى ، لكن ظهرت الحقيقة على يد طائفة من علماء المسملين استطاعوا كشف حقائق المستشرقين ، وفضح مخططاتهم ، ومناقشة الآراء بالآراء ، وتوجيه النقد اللاذع إذا تعدى حدوده .

وإذا كان للإستشراق بعض الايجابيات فله أيضا سلبيات مثل :

أ- تحقيق بعض كتب التراث العربى ، لكنها مبنية على أساس الصيد فى الماء العكر ، كما حدث فى تحقيق بعض الكتب ذات التأثير السلبى على المسلمين ككتب الباطنية والمذاهب الإلحادية ، والجانب الآخر هو ما أحيط به أسلوب المستشرقين فى التحقيق من هالة تعظيمية أخفت وجود عيوب كبيرة فى فهم النصوص المحققة وفق المنطق العربى نتيجة لاختلاف الفكر واللغة .

ب- ارتيادهم مجالات جديدة فى البحث العلمى المتعلق بالدراسات الإسلامية والعربية مما يؤثر على مستوى التأليف وأنماطه لدى المسلمين أنفسهم عن طريق محاولة الاحتذاء والتقليد ، وحفز الهمم للقيام بدراسات جادة ، وإدخال أساليب جديدة .

جـ- اتصافهم بالصبر الدؤوب مع المنهج القائم على البحث والاستقصاء كطابع العصر الحديث ، مما حدا بالعرب اتخاذهم القدوة والمثال فى الجد وتحمل أعباء البحث ، لكن الحقيقة تنطق بأن هناك من مؤرخى المسلمين القدامى ممن تركوا مؤلفات ذات منهج قائم على البحث والاستقصاء قبل الاستشراق بزمن بعيد ، لكن الجدير بالذكر هو الخطر الذى ينجم عن بعض المنتسبين الى الإسلام فى تبعيتهم لهؤلاء المستشرقين ، مما يجعلهم يرددون أقوال وآراء اساتذتهم من المستشرقين دون وعى أو نقد وتمحيص، مما يجعلهم يقعون أسرى أخطائهم ، ومن ثم لايمكن لهم أن يكونوا ندا لهؤلاء المستشرقين لهزيمتهم الداخلية (١) .

(١) انظر المرجع السابق ص٩٢ .

التبشير والاستشراق عقبتان فى طريق دعوة الإسلام :

نحن فى عصر غلبت عليه الصبغة المادية ، وطغى فيه حب الشهوات ، وكثر فيه أعداء الإسلام والمسلمين ، وتعددت أساليبهم وعلى الدعاة ، والمسؤلين الذين يقفون على ثغر الإسلام أن يقاوموا أعداء الإسلام والمسلمين ، ويردوا كيدهم فى نحورهم وأن يظلوا ثابتين على دعواتهم يشرحون أصولها بدقة ، ويبينون حدودها بأمانة ولا يتلون الحق فى رسالتهم لرغبة أو رهبة ، متأسين برسول الله ﷺ الذى جاهد فى الله حق جهاده ، ولم يكترث بسخرية المشركين واستهزائهم يقول الله عز وجل :

« وإذا رأوك أن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا. إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا » . الفرقان : ٤١ ، ٤٢ .

فعلى الدعاة الذين شرفهم الله سبحانه بحمل أمانة الدعوة إلى الله عز وجل أن لايكترثو بما يواجههم فى طريق الدعوة من أخطار أو عقبات ، لأنهم يعيشون فى الحق الذى شرفهم الله به ، فإن الدعاة الصادقين لا يغريهم طمع ، ولايجبرهم هوى ، ولاتغريهم رغبة ولاتدنيهم رهبة ولايخشون أحدا إلا الله تبارك وتعالي .

والأمم لاترزق التمكين فى الأرض ، ولاتنال حظا من عناية الله إلا إذا مرت بأدوار العمل المضنى ، والجهاد الشاق ، وصبرت على تكاليف الرسالات التى تحملها والتقدم الذى تنشده ، لأن الصبر الطويل واليقين الراسخ هما عدة الإمامة فى الأرض والصدارة بين الناس [1] .

(١) انظر د. عبد النعيم محمد حسنين : الدعوة إلى الله على بصيرة ص ٢٣٩.

«يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون»[1]

ومن أهم العقبات والأخطار التى تواجه الإسلام والمسلمين الغزو الفكرى المتمثل فى : الاستشراق والتبشير وما يتبعهما من حيل ومكر :

والحديث أولا : عن الإستشراق : وبالإضافة إلى ماسبق شرحه أنه علم الشرق ، أو علم العالم الشرقى [2] ، وكلمة «مستشرق» بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربى يشتغل بدراسة الشرق كله : أقصاه ووسطه وأدناه ، فى لغاته وآدابه وحضارته وأديانه ، والذى يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذى يعنى « الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامى فى لغاته وآدابة وتاريخه ، وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام » .

وهذا المعنى هو الذى ينصرف اليه الذهن العربى الإسلامى عندما يطلق استشراق أو مستشرق [3] .

وسائل الاستشراق فى مواجهة الإسلام:

هناك وسائل متعددة يستخدمها الاستشراق فى مواجهة الإسلام ومحاربته منها:

١ - التبشير الصليبى، ثبت بما لايدع مجالا للشك أن الإستشراق وثيق الصلة بالتبشير الصليبى وكلاهما يعمل ضد الإسلام والقضاء عليه، أونزعه من نفوس المسلمين وعقولهم، فمنذ ظهور الإسلام بقليل، ولألف سنة تالية

---

(١) آل عمران: ٢٠٠.

(٢) راجع أ. رودى بارت: الدراسات الإسلامية والعربية فى الجامعات الألمانية ص١١ ترجمة د. مصطفى ماهر القاهرة ١٩٦٧.

(٣) انظر د. محمود محمد زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية ص١٨.

ظل المسلمون يحتلون فى العالم القديم نفس المركز الذى تتمتع به الدول العظمى فى عالم اليوم، لقد كانت أوربا حينذاك لاتزال غارقة فى «القرون المظلمة» حين كان المسلمون قد أوجدوا حضارة عظيمة رائعة، وكانوا قد قرأوا علوم الفرس والروم والمصريين واليونانيين، وأضافوا إليها، وأصبحوا هم وحدهم أئمة العلم والفن فى تلك العصور، وكانت العربية لغة العلم الوحيدة..

وفى القرنين الثانى عشر والثالث عشر، بينما كان المسلمون فى أوج شوكتهم السياسية ووصلوا حتى فرنسا بدأت أوربا حروبها الطاحنة ضد المسلمين والتى سميت بالحروب الصليبية، والتى انتهت بفشل الصليبيين حيث واجهوا من هو أقوى منهم فى العدة والعتاد بينما كان الأوربيون يحملون الأسلحة اليدوية القديمة.

هكذا المسلمون بالنسبة إلى أوربا خلال هذه الحروب التى دارت بين القرنين (١١، ١٣) وبعد الفشل الذريع قررت أوربا تغيير استراتيجيتها لالحاق الهزيمة بالمسلمين، وأخذت تستعد لحملة جديدة على العالم الاسلامى. وكانت خلاصة التفكير الأوربى الجديد أن يتعلم الغرب علوم المسلمين ثم يهزمهم بأسلحتهم وفنونهم ذاتها، وسمى الأوربيون حربهم الجديدة «**الصليبية الروحية**» وكانت غاية الصليبية الروحية أن يتعلم الأوربيون علوم المسلمين فيقدموها بصورة مشوهة حتى ينفر المسلمون من دينهم، ويعتنقوا المسيحية، فتهزم الأمة الإسلامية[1]

(١) انظر وحيد الدين خان: المسلمون بين الماضى والحاضر والمستقبل ص١٨ - ٢٠ ط الأولى ١٩٧٨ ترجمة - ظفر الإسلام خان. مراجعة د. عبد الحليم عويس - توزيع المختار الإسلامى - القاهرة.

حركة الفرنسيسكان التبشيرية ضد الإسلام:

لقد بدأت حركة التبشير المسيحية لأول مرة خلال الحروب الصليبية. وقد أقيم أول مركز للتبشير على أحد الصليبين سنة ١١٥٤م على جبل الكرمل، وتبعه فرانسيس أوف أسيس (١١٨٢ - ١٢٢٦) فأقام حركة أونظام الفرنسيكانم الذى يعتبر اليوم أقوى حركة تبشيرية فى العالم، وقد نجحت حركات التبشير فى تحريف الحقائق عن الدين الإسلامى وتاريخ المسلمين لدرجة أن الكتب الموجودة فى معظم أنحاء العالم قد امتلأت بخرافات وأباطيل عن الإسلام والمسلمين[١]

أثر النهضة الإسلامية فى العالم:

يصف أحد المستشرقين هذه النهضة فيقول:

لقد ولد الإسلام فى حى مجهول بمكة فى الصحراء العربية. ولم يكد يخرج منها حتى غزا الشرقين الأدنى والأوسط بسرعة مدهشة، ثم وصل إلى الأندلس عبر شمال أفريقية وإلى حدود الصين عبر إيران، وكانت أخر نقطة وصل إليها الإسلام فى أوربا هى بودابست، حيث لاتزال مقربة جل بابا بطرازها التركى على ضفاف الدانوب، تذكرنا بأن المسلمين وصلوا حتى هذه البقعة النائية.

وكان من معجزات هذا الزحف أن أنشأ العرب المتوحشون إمبراطورية عالمية، ولم يكتفوا بنشر لغتهم فى كل أرجاء العالم، بل اكتسبوا العلوم الإنسانية واستفادوا بها ورفعوا من مستواها.

وفى القرن السابع الميلادى أنشئت الأسس السياسية والاقتصادية

---

(١) انظر المرجع السابق.

للأمبراطورية العربية العالمية وقامت الخلافة العباسية فى القرن (٨م) بخلق أعظم الحضارات فى التاريخ.

كان مؤسسوا هذه الحضارات يريدون نشر الإسلام، ولكنهم اهتموا أيضا باحتضان جميع الأشياء الجيدة وأفادوا الإسلام بها. وكانت أهم الأشياء فى الحضارة اليونانية والرومانية هى علومها الطبيعية وقد أيقظت هذه العلوم شوق العرب لإجراء بحوث وتجارب جديدة، إنهم كانوا تلاميذ اليونانيين فى بداية الأمر، ولكنهم مالبثوا أن أصبحو أساتذتهم، ولاتزال مئات من المصطلحات العربية الأصل تذكرنا بمجد العرب فى هذه المجالات(١).

لقد أقام المسلمون مراصد فى مختلف الأمكنة لدراسة علم الفلك، ويقول دريبر عن مرصد اشبلية:

إن المسيحيين حولوه إلى ميدان للساعة، لأنهم لم يكونوا يعرفون للمرصد فائدة أخرى. لقد توصل الخوارزمى وأصحابه فى النصف الأول من القرن التاسع الميلادى إلى أن محيط الأرض يبلغ عشرين ألف ميل، وأن نصف قطرها يبلغ ٦٥٠٠ ميل. إن صحة هذه التقديرات مدهشة حقا.

وكانت هذه الأنشطة العلمية تجرى فى العالم الاسلامى بينما كانت أوربا كلها تؤمن بأن الأرض مسطحة(٢).

أما ما يتعلق بالحضارة والثقافة، فكان المسلمون يسبقون فيها العالم كله، لقد أنشأ العرب أسواقا حديثة فى الأندلس وأناروا الشوارع، وأثرياؤهم كانوا يبردون

(١) انظر المسلمون بين الماضى والحاضر والمستقبل ص٨، ٩.

(٢) نقلا عن «المسلمون بين الماضى والحاضر والمستقبل» ص٩.

بيتهم بأنابيب المياه والنافورات بينا كان الناس فى طرق أوربا يتخبطون فى الوحل نهارا والظلام ليلا. لقد كانت البلاد الإسلامية مليئة بالمستشفيات والمكتبات العامة والمدارس التى تدرس كل شئ من علوم الدين والرياضيات والطب والفلسفة، وكان الصناع والحرفيون المهرة فى بغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة يصنعون أجود المنتوجات والأثاث من الخشب والحديد والفضة والقطن. وكان التجار يبيعونها بأغلى الأسعار حتى فى أقاصى اسكندنافيا. وكان العلم الفنى الأوربى لايقاس بشئ فى مواجهة فنون المسلمين المتقدمة[1]

وكان المسلمون قد تقدموا فى كل فروع المعرفة حتى لم يعد لغيرهم سوى تقليدهم يقول بريفولت: «لقد تعلم روجر بيكون علوم العرب ولذلك لايحق له أو لأحد سواه أن يدعى أن بيكون هو مؤسس المنهج التجريبى، فلم يكن بيكون سوى مقلد وداع إلى إكتساب العلوم والأساليب الإسلامية فى أوربا المسيحية ولم يكن يكل وهو يعلن أنه لاسبيل لمعاصرية للتوصل إلى العلوم الحقيقية سوى الوقوف على علوم العرب»[2]

---

(١) المرجع السابق ص١٠ وراجع للباحث: معابر الثقافة الإسلامية إلى أوربا.

(٢) نقلا عن «المسلمون بين الماضى والحاضر والمستقبل» ص١٠، ١١.

الاستشراق المعاصر فى الميزان :

بدأ الاستشراق فى الانكماش! هكذا يرى الدكتور على حسنى الخربوطلى ويقول : إن الاستشراق انحصر فى الجامعات والمعاهد فى مختلف الدول الأوربية والأمريكية ، كما اتخذ الاستشراق الآن صفة أكاديمية ، واصطبغ بصفة علمية ، وسار فى طريق علمى ، بعد انفصاله عن الطريق السياسى والاستعمارى ، وهذه الدراسات التى يقوم بها المستشرقون الآن فى جامعتهم الأوربية والأميركية يقدمونها غالبا لمواطنيهم ، ولم يعد العرب (المسلمون) والشرقيون يهتمون بها كثيرا، فقد اغناهم العلماء والمفكرون العرب ببحوثهم القيمة ، التى تبز غالبا بحوث المستشرقين، وأصبحت الجامعات العربية تمنح « الدكتوراه » .

ولم تعد الدول العربية فى حاجة الى ارسال أبنائها لنيل هذه الدرجات العلمية من الخارج ، كما أن الكتب الأجنبية التى تتناول دراسات عربية إسلامية والتى وصلتنا أخيرا ، لاتتصف بالعمق والسامة ، بل هى غالبا كتب سطحية خفيفة كتبها المستشرقون لأبناء وطنهم ، لأنها لاتفيد العرب ، ولاتسمن ولاتغنى من جوع ، ولذا فإننا نقول إن مستقبل الاستشراق محدود ، وإن مجالاته تنكمش (1) .

ونحن نتمنى مع الدكتور الخربوطلى أن ينكمش الاستشراق ويتقلص من بلاد الإسلام ، ويقتصر على الجامعات العلمية فى بلاده لكن الواقع أن الاستشراق لايزال يصوب سهامه ، ويصب جام غضبه وحقده على الإسلام والمسلمين بدليل مايلى :

أ- استمرار بقاء كثير من المؤسسات التبشرية الاستعمارية بين المسلمين ، ومما لاريب أن كثيرا من المستشرقين يتعاونون على تحقيق أهداف هذه المؤسسات ، لارتباط الاستشراق من نشأته بالتبشير والاستعمار ، فالجامعة الامريكية مثلا لاتزال

---

(1) راجع د. على الخربوطلى : المستشرقون ص ٦١ ، ٦٢ .

موجودة في القاهرة وبيروت واستانبول ، والدور الذى انشئت من أجله معروف وهو تخريج كوادر من المسلمين مبتوت الصلة بدينه وعقيدته ، مع ميوله وتفكيره للغرب .

ب- عدم وجود الدليل الذى يؤكد على أن الاستشراق انفصل عن الطريق السياسى الاستعمارى فى التاريخ المعاصر ، فالمستشرقون فى كل البلاد الاستعمارية تقريبا يتبعون وزارة الخارجية ، مما يدل على أن مهمته سياسية وليست علمية[1] .

فأنتونى إيدن رئيس وزاء انجلترا الاسبق [2] لم يكن يتخذ قرارا سياسيا يتصل بالشرق الأوسط إلا بعد الرجوع الى المستشرقين من أساتذة جامعة اكسفورد، وكلية العلوم الشرقية من أمثال« مرجليوث» [3] .

كما أن المستشرقين اليهود لايزالون يعملون لتحقيق أهداف الصهيونية العالمية ، فيورى ايفانوف الماركسى اليهودى أشار فى كتابه بقول «بيجن» أمام ممثلى الجيش الإسرائيلى فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٨ مانصه : أنتم أيها الاسرائيليون يجب أن لاتكونوا رؤوفين عندما تقتلون عدوكم ، وعليكم ألا تشفقوا عليه مادمنا لم نقض بعد على الحضارة العربية «الإسلامية» التى سنبنى على انقاضها حضارتنا[4] .

---

(١) راجع م. محمد عزت الطهطاوى : التبشير والاستشراق ص ٤١ من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية القاهرة ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م .

(٢) شغل إيدن منصب وزير الخارجية قبل أن يصبح رئيسا لوزراء انجلترا ، وكان قائد العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦م ، راجع أضواء على الاستشراق ص ١٧ .

(٣) محمد عزت الطهطاوى : التبشير والاستشراق ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٤) أحمد موسى سالم : « الصهيونية وراء المنهج العصرى الذى يقلب حقائق التاريخ الإسلامى » بحث فى مجلة الأزهر ذو الحجة ١٣٩٢هـ ١٩٧٣م .

جـ- استمرار الدول الإسلامية فى ابتعاث بنيها إلى دول الغرب للحصول على درجات علمية فى مجال التربية ، وعلم النفس فضلا عن التخصصات فى العلوم الإسلامية الهامة ، وهذا أمر يتطلب منا اليقظة والحذر لتجنب الآثار السلبية التى تترتب على دراسة هذه التخصصات على أيدى المستشرقين .

هـ- امتلاء الكثير من كتب المستشرقين بالمغالطات والدس والتحريف عن الإسلام ونبى الإسلام عليه الصلاة والسلام مما يحتاج الى الجهود المتواصلة لتنقيتها والرد عليها ، مما ينشر فى البلاد الإسلامية ، والبلاد الغربية نفسها (١) .

و- لايزال بعض تلامذة المستشرقين والضالعين معهم من نصارى العرب وغيرهم يثيرون النزاعات الشعوبية بين المسلمين بقصد تفتيت وحدتهم : كإحياء الفرعونية فى مصر ، والبربرية فى شمال افريقيا ، والكردية فى العراق وإيران .. الخ .

ز- اعتراف كثير من المستشرقين المعاصرين بأن التعصب الدينى لايزال باقيا فى كتابات غيرهم ، يقول برناردلويس :

لاتزال آثار التعصب الدينى الغربى ظاهرة فى مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ومستترة وراء الحواشى المرصوصة فى كتابات البعض الآخر منهم ، وكما يقول « نورمان دانيل » : على رغم المحاولات التى يبذلها بعض الباحثين فى العصر الحديث للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسحيين عن الإسلام فإنهم لم يتمكنوا من التجرد منها تجردا تاما كما يتوهمون (٢) .

---

(١) انظر د. أحمد عبد العال مذكرة الثقافة الإسلامية ص ١٥ .

(٢) انظر محمد عزت الطهطاوى : التبشيرية والاستشراق ص ٤٥ ، ٤٦ .

أهداف الاستشراق ودوافعه :

يهدف الاستشراق بوسائله المتعددة الى محاربة الإسلام وتشويه صورته ، وأهم وسائل الاستشراق فى تحقيق أهدافه :

١- التبشير الصليبى ، وهدفه السيطرة على البلاد الإسلامية ، وقهر المسلمين واستعبادهم ، واليك هذه الواقعة التريخية : «ففى عام ١٩٢٤م ظفر (رامondal) بمقابلة من البابا (سلستن الخامس) وقدم له كتابين فيهما خطة للتبشير بين المسلمين فى الأكثر ، وكانت خطة (رامondal) ذات شقين أولهما :

أن يتخذ العلم والمدارس وسيلة للتبشير ، وثانيتهما : أن ينصر المسلمون بالقوة إذا لم تنفع فيهم الجهود السلمية» [١] !!!

وقد ذكر « إدوين بلس » الذى ألف كتاب « ملخص تاريخ التبشير» أن (رامون دال) الإسبانى هو أول من تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية فى مهمتها ، فتعلم اللغة العربية بكل مشقة وجال فى بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين فى بلاد كثيرة[٢] .

كما ظهر فى سنة ١٩٣٢ كتاب بعنوان : « التفكير الجديد فى أمراء الارساليات » أصدرته لجنة من المبشرين وفيه: أن المبشرين يفرضون على أنفسهم أن يكونوا مستعدين لأن يقبلوا بأمور تخالف العقيدة المسيحية .

---

(١) الدكتوران : عمر فروخ ، ومصطفى الخالدى : التبشير والاستعمار ص ٧٧ .

(٢) راجع الغارة على العالم الإسلامى تلخيص وتعريب محب الدين الخطيب ومساعد اليافى ص ٢٩ - ٢٦٢ ، وفى كتاب الآداب العربية فى القرن التاسع عشر : تأليف الأب لويس شيخو اليسوعى جـ١ ص ١٢ أن ريموند لل (١٢٣٥-١٣١٥) كان من أكبر أنصار اللغات السامية فى كلية أوربة وهو اسبانى ، ويتتبع الرهبانية الفرنسية راجع عمر عودة الخطيب : لمحات فى الثقافة الإسلامية ص ١٦٩ هامش ٢ .

« ويرى هذا الكتاب أن جميع المبشرين من بلاد رأسمالية ، ولكن هذا يجب ألا يمنعهم من تفهم المذاهب الاقتصادية الأخرى كالاشتراكية والشيوعية ، وعليهم أن يطعنوا الرأسمالية إذا كان ذلك يفتح لهم قلوب الخاضعين قهرا لها ، حتى إنه ليس ثمة مانع يمنع مصادقة الشيوعيين أيضاً، وإن كانت الشيوعية عدوة للنصرانية »(٣).

ويقول (تشارلس واطسون) فى نصحه للمبشرين بالتلون فى سبيب تحقيق هدفهم التبشيرى : « يجب أن يظلوا برآء كالحمام ، ولكن هذا لايمنعهم أيضاً من أن يكونوا حكماء كالحيات » (٤) .

وإذا كانت رسالة الرجل الأبيض ، وهو عنوان الاستعمار الحديث بجميع صوره وأشكاله النتيجة التى آلت اليها حركة أوربا فى العصر الحديث ، فإن هذه النتيجة – سبقتها مقدمة قبلها ألا وهى الحروب الصليبية ولكى تفهم حركة الحروب الصليبية لابد من فهم حركة الاستعمار الحديث سياسيا وعسكريا وثقافيا واقتصاديا .

ولانفهم سر انتقال الدعوة الصليبية إلى مايسمى برسالة الرجل الأبيض إلا إذا فهمنا أن الرسالة الجديدة جاءت لتحل محل الحركة الصليبية الأولى .. فرسالة الرجل الأبيض : مبشرا وطبيبا ومعلما هى نسخة مكررة من رسالة المحارب الصليبى القديم الذى جاء الى بلاد المسلمين بكل مافى صدره من حقد وضغينة « وهو يصغى الى الريح التى تصفر من بعيد من شواطئ رومة ومن شواطئ فرنسا وهو يردد : «إن الله يريدها » أى أن الله هو الذى أراد الحروب الصليبية(١) .

(١) انظر التبشير والاستعمار ص ٣٨ ، وانظر لا شيوعية ولا إستعمار : عباس محمود العقاد رحمه الله تعالى ص ٩٤ – ٩٦ ، ولمحات فى الثقافة الإسلامية ص ١٧٠ ، ١٧١ .

إن المفاهيم الخاصة التى يحرصون على غرسها فى عقول المسلمين ، هى المفاهيم النصرانية المحضة وغايتها جعل المسلم نصرانيا فى عقيدته ، فما هى عقيدة النصارى التى من أجلها يهاجم المستشرقون والمبشرون دين الإسلام ؟ هل هو الدفاع عن النصوص المحرفة ، أو الاناجيل المتضاربة ، أو الباطل الذى يجوس الديار فى أقطار الأرض يعيث فيها فسادا ؟ ما الذى يوغر صدور هؤلاء على الإسلام القائل : « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»[1] .

وقوله سبحانه فى التنزيل العزيز : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شئ قدير »[2] .

إليك أخى القارئ نموذج من العقائد المسيحية التى من أجلها يهاجم المستشرقون والمبشرون دين الإسلام .

أ- إن الأولين من المسيحيين لم يتفقوا على صيغة واحدة تحدد طبيعة المسيح - عليه السلام - وعلاقته بالله عز وجل ، أو بروح القدس ، كما لم يتفق المتأخرون المعاصرون على هذه الصيغة .

لقد كان منهم من يقول : إن المسيح وأمه إلهان من دون الله !

ومنهم من يقول إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة من نار من شعلة من نار فلم تنقص الأولى باتصال الثانية :

---

(١) آل عمران : ٦٤ .

(٢) المائدة : ١٩ .

ومنهم من يقول إن مريم لم تحبل به تسعة أشهر ، وإنما مر فى بطنها كما يمر الماء فى الميزاب ، لأن كلمة الله دخلت من أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد !

ومنهم من يقول : بإن المسيح إنسان مخلوق من اللاهوت كواحد منا فى جوهرة ، وأن ابتداء الابن من مريم ، وأنه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الأسمى ، صحبته النعمة ، وحلت فيه المحبة ، والمشيئة ولذلك سمى ابن الله !

ومنهم من يقول : إن الله جوهر قديم واحد ، وأقنوم واحد ، ويسمونه بثلاثة أسماء ، ولا يؤمنون بالكلمة ولابروح القدس .

ومنهم من يقول : إن الآلهة ثلاثة : صالح وطالح وعدل بينهما !

ومنهم من يقول : بألوهية المسيح وحده .

ومنهم من يقول : بأن الروح القدس ليس باله ، فى مقابلة من كانوا يقولون بألوهيته وهم خمسة عشرا أسقفا اجتمعوا فى القسطنطينية وزادوا فى صيغة الأمانة قولهم : (ونؤمن بروح القدس المحى المنبثق من الأب الذى هو مع الأب ، والابن مسجود له ، وممجد ، والأب والابن وروح القدس هى : ثلاثة أقانيم ، بثلاثة وجوه ، وثلاثة خواص ، توحيد فى تثليث ، وتثليث فى توحيد ، كيان واحد بثلاثة أقانيم إله واحد ، جوهر واحد ، طبيعة واحدة » .

هل فهمت شيئا أيها القارئ الكريم ؟ ولا أنا [1] .

ومنهم من يقول ! بأن للمسيح طبيعتين فى طبيعة واحدة ، اجتمع فيها الناسوت واللاهوت ، وأنه أقنوم واحد ووجه واحد .

---

(١) انظر ابراهيم سليمان الجبهان : معاول الهدم والتدمير فى النصرنية وفى التبشير ص ١٥ ، ١٦ ط الرابعة ط عالم الكتب ١٩٨١م .

ومنهم من يقول : بأن مريم العذراء هى أم الله وان للمسيح طبيعتين واحدة لاهوتية والثانية ناسوتية ومنهم من يقول : بأن الله ذات مثلثة الأقانيم ، وأن أقنوم الأبن تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء ، وأن الثالوث وحدة ذاتية، جوهرية ، منزهة عن الاختلاط ، والامتزاج والاستحالة بريئة من الانفصال ، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة فى طبيعتين ومشيئة واحدة .

ومع أن الاصول العلمية المقررة تقول : إن اتحاد شيئين ينتج عنه شئ آخر مغاير مثل اتحاد الأوكسجين والهيدروچين ينتج عنه شئ ثالث هو الماء ، والماء مغاير للأوكسچين والهيدروچين ، فمن غير المعقول أن تتحد الذات الإلهية بجسد المسيح ثم تكون النتيجة هى جسد المسيح .

ومنهم من يقول : بأن للمسيح طبعيتين ، ومشئتين وليس مشيئة واحدة .

ومنهم من يقول : إن الأب وحده هو الله ، وأن الأبن مخلوق مصنوع ، وقد كان الأب إذ لم يكن الإبن .

ومنهم من يزعم أن المسيح ليس حقيقة بل هو نموذج خيالى ، إى غير ذلك من الصفات والنعوت .

ولقد كانوا فى غنى عن كل هذه التخرصات ، لو أنهم رضوا لعيسى مارضيه عيسى عليه السلام لنفسه ، ووقفوا عند حدود ما يقبله العقل ، ويقره المنطق ويستسيغه الفكر السليم [1] .

لكن الحقائق المذهلة الغائبة عن كثير من العقول تكشف عن أعظم جريمة اقترفتها الدسائس اليهودية فى حق الانسانية على يد (بولس اليهودى) وشركائه من

(١) انظر معاول الهدم والتدمير ص ١٦ ، ١٧ . وانظر محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث ص ٤١ - ٤٧ . لتحصل فى نهاية المطاف على لاشئ .

مؤسسي الماسونية ، وممن تظاهروا باعتناق المسيحية لنسفها من الداخل ، ولتحويلها من دين سماوى كما جاء به عيسى عليه السلام إلى مجموعة من الاساطير والخرافات الوثنية ، لقد كان بولس من ألد أعداء النصرانية ، وكان يمارس ضد النصارى أبشع أنواع الاضطهاد ، ولكنه انقلب فجأة فى عام ٣٨م إلى رسول يوحى إليه حسب زعمهم ، فانحرفت النصرانية على يده إلى وثنية عاتية ، وقد كان بولس أول من نادى بألوهية المسيح ، وأول من اخترع خرافة الفداء والكفارة وأول من نادى بعالمية النصرانية ، وأول من ادعى أن الصلب وقع على جسد عيسى عليه السلام بقصد البلبلة ، وإيجاد التناقض ، وكان يتزلف إلى الحكام بإسباغ صفة الشرعية على مظالمهم ، ومباذلهم حينما قال : « لتخضع كل نفس للسلاطين، لأنه ليس سلطان الامن الله ، ومن يقاوم السلاطين يقاوم ترتيب الله » ، ولقد استطاع ان يمسخ النصرانية ، وان يسقط عن اتباعها جميع التكاليف ، وأن يجعلهم فى كل من جميع الالتزامات الدينية حينما كتب فى رسالته الى أهل رومية « الانسان يتبرر بالإيمان بدون اعمال الناموس » ص ٣ ف ٢٨ وكقوله : « أما الآن فقد تحررنا من الناموس . إذ مات الذى كنا ممسكين فيه حتى نعبده بجدة الروح لا بعتق الحرف) ص ٧ ف ٦ . والناموس : صاحب سر الرجل المطلع على باطن أمره، أوصاحب سر الخير، وجبريل ﷺ (١).

يقول مؤلف كتاب تهافت العلمانية ص ٩٠ ، ٩١ : « لن ننسى هنا الدور التحريفى الكبير الذى قام به بولس اليهودى الذى أصاب وحدة المسيحية وواقعيتها وحيوتها فى الصميم ، وقضى بما أضافه اليها من اسطاير على فاعليتها وقدرتها على التغيير الايجابى للذات الانسانية » .

---

(١) انظر القاموس المحيط: فصل النون باب السين، والمعجم الوسيط مادة: نَمَسَ.

ويقول كولن ولسن : « كان بولس متهورا مشوها مضطرب الصحة ، وان الدين الذى اخترعه وسماه المسيحية لم تكن له علاقة تعاليم المسيح» .

ويقول نيتشه : « لقد كانت المسيحية فى جوهرها دعوة للنظام والقوة حتى جاء بولس فحولها الى دين لايصلح لغير الكلاب العرجاء» ، وقد عبر نتشة عن احترامه للمسيح واحتقاره لبولس الذى سماه (باسكال اليهودى) وقال عنه : إنه ميال للخرافات والمكر وأنه مصاب بشذوذ فى التفكير فإن فكرة الخطيئة التى القاها على عاتق المسيح وحده تناقض تعاليم المسيح التى تقول : « خلص نفسك» إذ أحل محلها مسيحية أخرى تقول : « دعنى أخلصك » [1] .

ولو أن بولس اليهودى نشر فكرة تأليه المسيح بين من عاصروا المسيح وخالطوه ورأوه رأى العين لرجموه بالحجارة و، ولكنه نشرها فى رسائله التى بعث بها الى اقطار بعيدة ، وبين شعوب وثنية لاتعرف عن المسيح إلا ماتتناقله الاخبار المتناقضة[2] .

ولقد حاول عدو الله (ابن سبأ) اليهودى أن يطبق أفكار بولس وأساليبه فى المجتمعات الحديثة العهد بالإسلام والتى كانت قد ألفت تأليه الملوك فأشاع فيها فكر الغلو فى على بن أبى طالب ، ووجدت بذرة التشيع فى تلك المجتمعات التى لم تعرف من الإسلام إلا القشور أرضا خصبة ، وساعدها على النمو والاستمرار ، ماكانت تحظى به من الشعوبيين ، والموتورين والحاقدين « ممن كانوا يريدون الثأر لمجوسيتهم» . من رعاية وعناية ، ومساعدة ، واستطاع بعض الهدامين أن ينسجوا من الأوهام ثوبا يسترون به يهوديتهم عندما سموه(التشيع لأهل البيت) ولكن مع كل

---

(١) نقلا عن معاول الهدم والتدمير فى النصراينة وفى التبشير ص ١٣ هامش ١، وراجع: عبدالرحمن حسن حبنكة: كواشف زيوف فى المذاهب الفكرية المعاصرة ص٢٣ ومابعدها .

(٢) انظر معاول الهدم والتدمير فى النصرانية وفى التبشير ص ١٧ .

ما أصاب الإسلام من هذه النحلة الخبيثة ، فإن الإسلام مازال كالطود فى ثباته وشموخه ، وحفظ الله الإسلام بحفظ كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (١) .

فمن يطالع فى الاناجيل ، أو الرسائل ، أو مايكتبه النصارى فى شرحها وتفسيرها نجد أن كل أصحاح ينقض ماقبله ، وكل فقرة تهدم مابعدها ، فلا هى كتب علم ، ولا هى كتب دين ، وإنما هى مجموعة أقوال وروايات واساطير يختلط فيها الحق بالباطل ويتجاور فيها الغث والسمين (٢) .

ولأجل هذه الاساطير تجند عصابات التبشير كل طاقتها لتخريب ضمائر المسلمين وزعزعة عقائدهم ولتصرفهم عن عبادة الله الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد إلى عبادة آلهة (ثلاثة لا بل أربعة خامسهم الصليب) وهم حتى الآن لم يعرفوا (مَن مِن) هؤلاء الخالق ، ومن منهم المخلوق ، ومَن منهم السابق ، ومن منهم المسبوق يقول ويلز فى كتابه معالم تاريخ الانسانية :

«أكبر الظن أن المسيحية التى عليها المسيحيون لايعرف المسيح منها شيئا» (٣).

ومن الأقوال الطريفة مايلى :

« يحكى أنه دخل على المنذر الثالث أحد ملوك الحيرة جماعة من الاساقفة ، فى محاولة لتنصيره وذلك فى عام ٥١٣م ، وفى أثناء مناقشته لهم حول صلب المسيح ودعوى أولهيته ، دخل عليه قائد شرطته ، وأسر اليه بشئ .

(١) انظر المرجع نفسه ص ١٧ هامش .
(٢) انظر المرجع نفسه ص ١٨ .
(٣) نقلا عن المرجع نفسه ص ١٨ .

فتظاهر الملك بالتأثر ، وأخذ يضرب كفا بكف ويقول : ياله من خبر سئ ، ثم التفت الى رئيس الأساقفة ، وقال له :

لقد أخبرنى قائد شرطتى أن رئيس الملائكة قد مات .

فا انتفض الأسقف مذعورا ، وقال له : هذا محال يا مولاى . لقد غشك من أخبرك بهذا الخبر ، فإن الملائكة مخلدون ، ويستحيل عليهم الفناء ، فضحك الملك وقال له : إذا كانت الملائكة لاتموت ، فكيف تريد منى أن أصدق بموت من خلقهم » !

ثم أمر بطردهم وإخراجهم من البلاد ، بعد ان اكتشف أنهم ليسوا أكثر من عصابة من المحتالين لا تعرف من وسائل العيش إلا المتاجرة بالدين .

يقول أحد من كفروا بالنصرانية ساخرا من عقيدة التثليث والصلب والفداء : «إن أساس الإيمان فى النصرانية هو أن تعتقد بأن الله ، قد قتل الله ، إرضاء لله ، فإذا لم تفهم هذا فيجب أن تشك فى سلامة عقلك » [1] .

ولله در قول القائل :

عجبا للمسيح بين النصارى *** وإلـــى أى والد نسبوه

أسلموه إلى اليهود وقالوا: *** إنهم بعد قتله صلبوه

فإذا كان مايقولون حقا *** وصحيحا فأين كان أبوه ؟

حين خلى ابنه رهين الأعادى *** أتراهم أرضوه أم أغضبوه .

فلئن كان راضيا بأذاهم *** فاحمدوهم لأنهم عذبوه

ولئن كان ساخطا فاتركوه *** واعبدوهم لأنهم غلبوه

(١) نفس المرجع السابق ص ٦٣ ، ٦٤ .

الأناجيل فى الميزان :

من المعلوم بداهة أن الله سبحانه أوحى إلى عيسى عليه السلام بإنجيل واحد هو الانجيل المسمى باسمه عليه السلام «انجيل عيسى»، فكيف تعدد هذا الأنجيل، حتى أدى الى اختلافها وتضاربها ، لقد وصل عدد الاناجيل إلى مائة اختار علماء النصارى منها أربعة (متى لوقا يوحنا مرقص) .

ونظرة فاحصة فى نسب المسيح عليه السلام نجد الاختلاف الواضح بين إنجيل متى ص ١ ، وانجيل لوقال ص ٣ .

وحينما يصر علماء النصارى على أن هذه الانجيل موحى بها من الله تعالى بأقلام ملهمين مستدلين بما جاء فيها جميعا : « أن الارض ستظلم وأن القمر لايعطى ضوءه ، وأن نجوم السماء تسقط ، وأن قوات السماء تتزعزع ، وتظهر علامات ابن الانسان فى السماء ، وتنوح قبائل الأرض ، ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السمآء بقوة ، ويمجد كبير ».

وكل الاناجيل تؤكد حدوث هذه الكوارث قبل أن ينقضى الجيل الذى تكلم فيه المسيح عليه السلام بهذا الوعيد ، وقد انقضى مايزيد على الف وتسعمائة عام على هذه النبوآت ، ولم يحدث منها شئ ، أفلا يقوم هذ دليلا على زيف هذه الاناجيل وبطلانها ؟ وعلى أنه من مَن لايقدر المسؤولية [1] ؟

يقول الاستاذ محمد أبو زهر رحمه الله تعالى فى كتابه محاضرات فى النصرانية :

---

(١) انظر معاول الهدم والتدمير فى النصرانية وفى التبشير ص ٤٣ هامش ٤٣ .

إن دعوى الاناجيل موحى بها من الله ، أو أن أصحابها ملهمين دعوى باطلة من اساسها ليس لعدم إقامة الدليل ، بل لأن البينات كلها قائمة ضد هذه الدعوى ، لأن كل ما كان وحيا أو إلها مالا يختلف ولا يتناقض ولا يهدم بعضه بعضا [١] .

كما أن المؤرخة الشهيرة (أني بيزانت) ذكرت في كتابها المسيحية قولها : «إن الاناجيل الأربعة مطابقة نصا وروحاً لما في كتب الهندوس ، والبوذيين ، والسيخ ، وقد أوردت مقارنات كثيرة بين كل سفر وسفر ، وبين كل رسالة ورسالة كما ذكرت أيضاً أن فكرة التجسد الإلهي كان منسويا قبل عيس ((لأبولو ، وميتراس ، وديسنوس)[٢].

وجاء في دائرة المعارف الفرنسية (أن انجيل مرقس ، ويوحنا من وضع بولس اليهودي) أما دائرة المعارف البريطانية فأكدت أن إنجيل يوحنا مزور [٣] .

كما أورد الشيخ رحمه الله الهندي (١٠٠) مائة اختلاف بين الاناجيل ، وجابه بها مناظريه فلم يجدوا جوابا منها (٢٥) شاهدا أثبت فيها التبديل اللفظي ، (٣٥) شاهدا أثبت فيها النقص ، (٤٥) أثبت فيها الزيادة وهذه الاختلافات المائة كلها مدونة في كتابه « إظهار الحق» [٤] . وإنجيل يوحنا يتناول قصة تألية المسيح في أربع إصحاحات كاملة ، بينما تخلو باقي الأناجيل من ذلك .

---

(١) محاضرات في النصرانية.

(٢) نقلا عن معاول الهدم والتدمير ... ص ٤٤ هامش ٤٤ .

(٣) نقلا عن معاول الهدم والتدمير .. ص ٤٤ هامش ٤٥ .

(٤) وقد أحصى الاستاذ عبد الوهاب النجار رحمه الله أوجه الاختلاف حول قصة الصلب فبلغت (٣٤) أربعة وثلاثين اختلافا راجع قصص الانبياء ص ٤٣٢، ومابعدها .

ويقول الاستاذ يس منصور [1] : « إنه لا يمكننا أن نفهم الله إلا عن طريق تصوره بالصورة البشرية » !! هكذا ينظر دعاة التثليث إلى الله عز وجل ، الذى ليس كمثله شئ ، والمنزه عن مشابهة الكائنات فيمثلونه بأحد مخلوقاته الضعيفة الحقيرة الإنسان ، إن الله سبحانه فى نظر فلاسفة المسيحية له كيان قائم بذاته كالإنسان تماما [2] .

تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

هل ممكن فهم ثالوث المسيحية ؟ اقرأ هذه القصة التى رواها الشيخ رحمة الله الهندى قال : أن أحد القساوسة . تولى تنشئة ثلاثة من الصبية الرهبان فى أحد الأديرة ، وعلمهم كافة العقائد المسيحية ، وخاصة عقيدة التثليث ثم حضر يوما أحد أصدقاء القسيس ، وسأله عن حال الصبية الثلاثة ، ومدى المامهم بالعقائد المسيحية فطلب واحدا منهم ليرى صديقه وسأله عن عقيدة الثالوث فقال الصبى: لقد علمتنى أن الآلهة ثلاثة أحدهم الذى فى السماء والثانى تولد من مريم العذراء ، والثالث الذى نزل فى صورة حمامة على الإله الثانى فغضب القسيس وطرده ، ثم طلب الثانى وسأله فقال إنك علمتنى أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم ، فالباقى إلهان فغضب القسيس وطرده .

ثم طلب الثالث وكان ذكيا عن الباقيين فسأله ، فقال : لقد علمتنى أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ، وقد صلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد ، ولا إله الآن ، وإلا يلزم نفى الاتحاد .

---

(١) فى كتابه : رسالة التثليث والتوحيد نقلا عن الله واحد أم ثالوث.

(٢) انظر الله واحد أم ثالوث ص ١٤ .

هذا هو أقصى ما استطاع الصبية الثلاثة فهمه عن عقيدة الثالوث ، وهو أيضاً أقصى ما يستطيع أى ذى عقل أن يفهمه ، هذا إن استطاعه الفهم ، ولقد أدرك هذه الحقيقة أساقفة الثالوث أنفسهم وكبار أحبار وفلاسفة المسيحية فهم رغم أضطرارهم بحكم الظروف الى الدفاع عن عقيدة الثالوث ومحاولة تبريرها للعامة والبسطاء ، فإنهم يشعرون فى أعماقهم بمجافاتها للعقل والمنطق ، وبعدها عن الحق والصواب[1] .

يقول المرحوم الشيخ « رحمة الله » الهندى فى كتابه إظهار الحق متحدثا عن استحالة الجمع بين الوحدانية التثليث لمخالفة ذلك لكل عقل ومنطق يقول الشيخ رحمة الله: « الواحد الحقيقى ليس له ثلث صحيح أما الثلاثة فلها ثلث صحيح وهو واحد وإن الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة والواحد الحقيقى جزء الثلاثة، فلو اجتمعا فى محل واحد يلزم كون الواحد ثلث نفسه والثلاثة ثلث الواحد ، وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة »[2] .

ويقول المرحوم الدكتور عبد الله دراز[3] : «إنه لايقول بالتعدد إلا العقل القانع المتعجل الذى يقف عند أدنى مبادئ الغيب وغاياته فيرى أن وراء كل فصيلة من الظواهر الكونية مبدأ يدفعها وينظمها ، فيقوده ذلك الى الاعتقاد بوجود إله للريح ، وإله للشعر ، وإله للحرب وهكذا ، أما العقول الواعية الطليقة المتسامية فإنها ترى أن خلف هذا كله قوة واحدة أسمى وأعظم تصرف جميع الشئون ، فهى لا ترضى

---

(١) اظهار الحق، وقد سبقت الإشارة إلى هذه القصة وأعدتها لأهميتها. هامش ص١٤ .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) فى كتابه الدين ص ٨٩ .

بأحاد القوانين ولكنها تسمو الى قانون القوانين ، وتستشرف الى اليد التى جمعت تلك القوانين ونسقتها .. » .

وفى مقالة للدكتور وولتر أوسكار لندبرج (١) ، يقول فيها : « إن جميع المنظمات الدينية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم فى إله على صورة إنسان بدلا من الاعتقاد بأن الانسان قد خلق خليفة لله على الأرض ، وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية فإن تلك لصورة التى تعلموها منذ الصغر لايمكن أن تنسجم مع أسلوبهم فى التفكير ، أو مع أى منطق مقبول ، وأخيرا عندما تفشل جميع المحاولات فى التوفيق بين تلك الافكار الدينية القديمة ، وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمى نجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبذ فكرة الله كلية ».

إن العالم الامريكى « وولتر» يقرر هنا أن تمثيل رجال الدين الله بالانسان ، مكونا من ثلاثة عناصر ، أو اجزاء ذات ونطق وحياة ، هذه الصورة الغريبة التى تخالف كل فكرة وطبع ، والتى يسعى رجال الدين جاهدين فى دعوة الناس الى تقبلها ، تجعل المسيحى المثقف فى صراع دائم بين هذه الافكار ، وبين مقتضيات عقله ومنطقه وفى دوامة هذا الصراع أما أن يصل الى الحقيقة ويجهر بها معلنا التوحيد ، وأما أن يفضل السلامة فيكتفى بالإلحاد .

إن آباء الكهنة يحاولون جاهدين الغاء العقول ، وتقبل النقول دون فكر.. وهذا يخالف الدين الذى يرتدون زيه بل ويخالف كافة الأديان السماوية التى مانزلت إلا لذوى العقول ، فالعقل هو المخاطب دائما برسالات السماء ، وكل من يطالع تلك

(١) كتاب « الله يتجلى فى عصر العلم » ص ٣٢ تأليف نخبة من العلماء الامريكية ترجمة د. الدمرداش عبد الحميد سرحان .

الرسالات يجد الحض فيها دائما على التفكير واعمال العقل ، فالتوارة تدعو الناس الى استعمال عقولهم ، والله فى التوارة يخاطب الانسان فى حنو وترفق.أقبل علينا ودعنا نفكر معا ، وكان السيد المسيح عيسى عليه السلام حريصا فى كافة عظاته للناس أن يقرنها بالامثلة العقلية التى تدفعهم الى التفكير والتدبر [١] .

والقرآن الكريم خاتم الرسالات السماوية يخاطب العقل فى كثير من آياته ، جاعلا التفكير والتدبر أعلى درجات العبادة ، ويضع العقلاء والعلماء فى أقرب المراتب وأدناها إلى الله يقول عز وجل: « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب» [٢] .

ولأولى الألباب نزلت الأديان ، وتفضل الله سبحانه بمخاطبة الانسان ، أما غير أولى الألباب ، فهم الاحجار والدواب ، وهؤلاء لادين لهم ولاعقيدة : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعو بها أولئك كالإنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » [٣] . ومن الأدلة على أن الإسلام يدعو الى العلم : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » [٤] .

وقوله عز وجل : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم » [٥] .

---

(١) محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) الزمر : ٩ .

(٣) الأعراف : ١٧٩ .

(٤) المجادلة : ١١ .

(٥) آل عمران : ١٨ ، وراجع للمؤلف قبسات من الثقافة الإسلامية .

قال الإمام القرطبى رحمة الله عليه :

فى هذه الآية الكريمة دليل على فضل العلم وشرف العلماء ، فإنه لوكان أحد اشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه ، واسم ملائكته كما قرن العلماء وقال فى شرف العلم لنبيه ﷺ: « وقل رب زدنى علما » فلو كان شئ أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم (١) .

وقوله عز وجل : « إنما يخشى الله من عباده العلماء »(٢) .

قال الامام ابن كثير رحمه الله : أى إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالاسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر (٣) .

وقال الإمام القرطبى رحمة الله عليه : يعنى بالعلماء الذين يخافون قدرته ممن علم أنه عز وجل قدير أيقن بمعاقبته على المعصية ، كما روى على بن أبى طلحة عن ابن عباس : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

قال : الذين علموا أن الله على كل شئ قدير (٤) .

وقال ابن القيم بعد هذه الآية : هذا حصر لخشيته فى أولى العلم (٥) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ص ١٢٨٣ .
(٢) فاطر: ٢٨.
(٣) تفسير الامام ابن كثير : ٣ / ٥٥٤ .
(٤) تفسير الإمام القرطبى ص ٥٤٢٥ .
(٥) مفتاح دار السعادة : ١ / ٥١ .

وفى قوله عز وجل:

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرام ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم » [1] .

قال الإمام القرطبى رحمه الله : هذه السورة أول مانزل من القرآن الكريم فى قول معظم المفسرين . نزل بها جبريل على النبى ﷺ ، وهو قائم على حراء فعلمه خمس أيات من هذه السورة ، ثم قال رحمه الله : قوله سبحانه : « الذى علم بالقلم » يعنى الخط والكتابة أى علم الانسان الخط بالقلم ، وروى سعيد عن قتادة قال :

القلم نعمة من الله عظيمة لولا ذلك لم يَقُم دين ولم يصلح عيش . فدل على كمال كرمه سبحانه بأنه علم عباده مالم يعلموا ونقلهم من ظلم الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من لمنافع العظيمة التى لايحيط بها الاهو ، ثم قال رحمه الله تعالى: أن قوله تعالى : « علم الانسان مالم يعلم » قيل : الإنسان هنا آدم عليه السلام علمه أسماء كل شئ حسب ماجاء به القرآن الكريم فى قوله عز شأنه: « وعلم آدم الاسماء كلها » فلم يبق شئ إلا وعلم سبحانه آدم اسمه بكل لغة وذكره آدم للملائكة كما علمه ، وبذلك ظهر فضله وتبين قدره وثبتت نبوته ، وقامت حجة تلك على الملائكة وامتثلت الملائكة الأمر لما رأت من شرف الحال ورأت من جلال القدرة وسمعت من عظيم الأمر ثم توراثت ذلك ذريته خلفا بعد سلف وتناقلوه قوما عن قوم وقيل : « الإنسان» هنا الرسول ﷺ ودليله قوله عز شأنه : « وعلمك مالم تكن تعلم » [2] .

---

(١) العلق : ١ – ٥ .

(٢) النساء : ١١٣ .

وعلى هذا فالمراد بـ « علّمك » المستقبل فإن هذا من أوائل ما نزل ، وقيل : هو عام لقوله عز شأنه : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا » (١) .

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى : أول شئ نزل من القرآن هذه الآيات المباركات ، وهن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم وفيها التنبية على ابتداء خلق الانسان من علقه وأن من كرمه تعالى أن علم الانسان مالم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم ، وهو القدر الذى امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة ، والعلم تارة يكون فى الاذهان ، وتاره يكون فى اللسان وتاره يكون فى الكتابة بالبنان ذهنى ولفظى ورسمى ، والرسم يستلزم من غير عكس (٢) ، ومن ثم قال سبحانه : «اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » .

وقال فى الكشاف : « الاكرم » الذى له الكمال فى زيادة كرمه على كل كرم ينعم على عباده النعم التى لاتحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمة ، وركبهم المناهى ، واطراحهم الأوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا أمد وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الأكرم : « الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم » . فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده مالم يعلموا ، ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التى لايحيط بها إلا هو ، ومادونت العلوم ، ولاقيدت الحكم ، ولاضبطت أخبار الأولين ومقالتهم ولاكتب الله المنزلة إلابالكتابة ، ولولا هى مااستقامت أمور الدين والدنيا ، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به (٣) .

---

(١) النحل : ٧٨. وراجع للباحث : قبسات من الثقافة الإسلامية ص ١١٩ ومابعدها .

(٢) تفسير الإمام ابن كثير : ٤/٥٢٨ .

(٣) تفسير الكشاف : ٤/٢٧٠ ، ٢٧١ ، وراجع فضل العلم وآداب طلبته وطرق تحصيلة وجمعه لأبى عبد الله محمد سعيد رسلان ص ٣٨ ومابعدها .

ومع كل ماتقدم من أدلة تحترم العقل ، وترفع من شأنه ، فمع ذلك كله فإنه يبدو أن أصحاب الثالوث لا يؤمنون بالعقل ولابرسالات السماء ، ولا بأقوال الأنبياء ، وإلا لما أصروا على اعتقادهم رغم مناقضته لكل ماسبق بيانه .

وثنية الثالوث :

المتتبع لتاريخ الأديان الوثنية يجد أنها تقدس الثالوث ، حيث يعتبر أصلا من أصولها ومعتقداتها ، بل من أهم معتقداتها ، قال بهذا الثالوث : قدماء المصريين ، وقال به : الهنود ، وقال به غيرهم من الأمم الوثنية :

فثالوث قدماء المصريين الفرعونى يتكون من ثلاثة أقانيم الهية على الترتيب التالى :

١- الإله أوسيرى (ويسمى الآب أو الوالد) .

٢- الإله هور (ويسمى الإبن أو النطق أو الكلمة) .

٣- الإله إيس (وتسمى الأم أو الوالدة) .

وقد أكد العلامة جار سلاف كرينى أستاذ الحفريات بجامعة اكسفورد ببريطانيا فى كتابه: ديانة قدماء المصريين :

وجود التماثل والتطابق بين الثالوث المسيحى والثالوث الفرعونى ، الأمر الذى دعاه إلى التقرير بأن الثالوث المسيحى مأخوذ عن الثالوث الفرعونى [1] .

---

(١) نقلا عن الله واحد أم ثالوث : ص ٨٦ ، وراجع للشيخ عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء ص٤٣٢، ٤٣٣.

الثالوث الهندى : يقرر الاستاذ مالفير وجود تشابه كبير بين الثالوث الهندى ، والثالث المسيحى ، فقد ذكر فى الكتب الهندية القديمة التى ترجمت الى الانجليزية شارحة عقيدة الهنود القدماء مانصه :

« نؤمن بسافترى أى الشمس إله واحد ضابط الكل ، خالق السماوات والارض، وبابنه الوحيد انى أى النار ، نور من نور مولود غير مخلوق ، تسجد من فايو أى الروح فى بطن مايا العذراء .

ونؤمن بفايو الروح المحى المنبثق من الأب والأبن الذى هو مع الآب والابن يسجد له ويمجد »[1] .

ويلاحظ هنا أيضاً التشابه الوثيق بين قانون الإيمان المسيحى والثالوث الهندى .

كما تؤمن طوائف أخرى من الهنود بثالوث الهى آخر : هو الرسالة براهما فى صورة الخالق ، والإله فشنور فى صورة الحافظ ، والإله سيفا فى صور الهادم[2] .

فهل من أجل هذه الخرافات والأباطيل يقوم المستشرقون والمبشرون بمهاجمة الإسلام والتطاول عليه ؟ والكيد له ولاتباعه ألا فليسمعوا حكم الله عز وجل فيهم : «إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم » [3] .

---

(١) المرجع نفسه ص ٨٧ .

(٢) المرجع نفسه ص ٨٧ ، وانظر الدين المقارن المسيحية جـ١ ص ٦٣ ومابعدها للاستاذ أحمد عبد المنعم عبد السميع الحلوانى ط الأولى ١٩٦٧ ط المعرفة دار عزت خطاب للطبع والنشر القاهرة .

(٣) سورة محمد : ٣٤ .

مولد بولس ، ونظريته التبشيرية : ولد بولس فى مدينة طرسوس مركز الديانه الوثنية ، وتقبل الكثير من عادات ومصطلحات تلك الديانة ليتمكن من إقناع أتباعها بالمسيحية ، يقول بولس فى سفركورنثوس الأول : « استعبدت نفسى للجميع لكى أربح الأكثرين : صرت لليهودى كيهودى لكى أربح اليهودى ، وللناموسيين كالناموسيين ، ولغيرهم كأننى بغير ناموس .. صرت لكل كل شئ لعلى استخلص من كل حال قوما .. » .

هكذا يتحدث بولس رسول المسيحية المطورة عن نظريته بكل صراحة ووضوح أنه يتغير ويتلون ويتحول مع كل اتجاه إنه يدعى لليهودى أنه يهودى ، وللوثنيين أنه وثنى ، وللملحدين أنه ملحد ، إنه يمثل لكل جماعة ولكل فرد مايتفق مع هواهم ومشيئتهم كل ذلك ليربح الكل للمسيحية ، فبدلا من أن يغيرهم بالمسيحية يتغير هو من أجلهم ، بل ويغير التعاليم السماوية فى سبيل ارضائهم ، وتورد الاناجيل وقائع ومواقف ادعى فيها بولس أنه يهودى تارة ، وتارة أخرى فريسى ، وتارة ثالثة أنه رومانى وهكذا (١) .

تتحدث الاناجيل عن بولس وأصحابه أنهم ألغوا الختان المقرر فى جميع الشرائع منذ عهد الخليل ابراهيم عليه السلام . من أجل خطب ود الوثنيين ففى التوارة حكم الختان « قال الله لابراهيم ..... هذا هو عهدى الذى تحفظون بينى وبينكم ... وأما الذكر الاغلف الذى لايختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها .... إنه نكث عهدى » (٢) .

---

(١) انظر رسالة أعمال الرسل اصحيح : ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين .

أرأيت : هذا العهد الإلهى رعاه كافة الأنبياء بعد ابراهيم عليه السلام ، رعاه إسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وغيرهم عليهم الصلاة والسلام ، كما رعاه المسيح الذى اختتن هو نفسه احتراما لهذا العهد السماوى (١) .

لكن بولس وأصحابه المبشرين حين سمعوا بتضرر الوثنيين من الختان ، ألغوا هذا الحكم الإلهى بكل بساطة .، بل أنكروا كون الختان شريعة إلهية ، فبعثوا يقولون للوثنيين : « قد سمعنا أن أناسا خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلبين أنفسكم وقائلين أن تختتنوا ، وتحفظوا الناموس الذين نحن لم نأمرهم » (٢) .

بهذه البساطة والاستخفات ألغى بولس وأصحابه الختان المقرر فى كافة الشرائع ، وخرجوا على الأحكام الإلهية وعلى تعاليم الأنبياء ، بل وعلى تعاليم المسيح عليه السلام الذى يبشرون باسمه ، كل ذلك إرضاء للوثنيين (٣) .

لم يقتصر عمل بولس على الغاء الختان ، بل نجد بطرس خليفة السيد المسيح قد غير الكثير من تعاليم المسيحية من أجل التقرب الى الوثنيين ، فبالنسبة لأكل لحم الخنزير الذى كان ومازال محرما أكله عند اليهود ، وجاء السيد المسيح فلما بلغ هذا الحكم ولم يسمح بأكل لحم الخنزير ، ولأجل أن الخنازير من الحيوانات التى كان يقتنيها الرومان واليونان ويأكلون لحومها فمن أجل إرضائهم أباح بطرس أكل لحم الخنزير و كما أباح أكل كافة الهوام والحشرات من أجل استمالة هذه الشعوب الوثنية للدين الجديد (٤) .

---

(١) الاصحاح الثانى من انجيل لوقا : ٢ / ٢١ .

(٢) أعمال الرسل : ١٥ / ٢٤ .

(٣) انظر الله واحد أم ثالوث ص ٩٢ .

(٤) انظر رسالة أعمال الرسل ص ١٠ ، ٩ - ١٦ .

وهكذا وبمرور الوقت وتعاقب الاجيال أخذت الأحكام الإلهية تتغير لتحل محلها أحكام أرضية ، فى الوقت الذى أخذت فيه الحقائق تتوارى لتفسح المجال للأوهام والخرفات والدين السماوى الذى جاء به المسيح عليه السلام يتلاشى يوما بعد يوم .

يقول القس بولس الياس اليسوعى : « لقد لقحت الكنيسة الفكر الوثنى بالفكر المسيحى فحمل مرسلوها إلى اليونان حكمة التوراة وآداب الانجيل ، وأخذوا منهم وضوح التعبير ودقة التفكير ، فنتج عن هذا التلاقح تراث جديد نقلوه إلى روما . ولقد احترمت الكنيسة تقاليد الشعوب ، وحافظت على تنوع الطقوس فى مختلف الطوائف فما فرضت صيغة موحدة لصلاة » .

ويستطرد القس بولس قائلا : « إنه فى مفتتح القرن السابع الميلادى كتب البابا غريغوريوس الأول الكبير الى القديس أو غسطينوس أسقف كنتربرى ببريطانيا يقول :

دع البريطانيين وعاداتهم وأبق لهم أعيادهم الوثنية واكتف بتنصير تلك الأعياد والعوائد واضعا إله المسحيين موضع آلهه الوثنيين »[(١)] .

هذا ماكتبه بالحرف الواحد أحد الاساقفة الكبار المنتسبين الى الدين المسيحى فمزجه بالوثنية دون أدنى شعور بالاحراج ، هذا الخليط بين الوثنية والمسيحية ، الذى تتغلب فيه طقوس وعادات وأعياد الوثنية باعتراف القس الفاضل، فصار لكل شعب ولكل فرقة وطائفة من هؤلاء الوثنين عاداتهم وطقوسهم وصلاتهم الخاصة ، بل مثلوا إله المسيحيين بآلهتهم المزيفة ، وألبسوا إله السماء وأثواب آلهة الأرض فجعلوا الله الواحد ثلاثة الهة ، دون غرابة أو شذوذ فى ذلك عند أصحاب القداسة والطهار والاحبار والكهان ويتحسس المرء ملامح رسالة السماء بين هذا الخليط من طقوس الشر فلا يعثر لها على أثر[(٢)] .

---

(١) كتاب يسوع المسيح ص ١٩٩ .

(٢) انظر الله واحد أم ثالوث ص ٩٤ .

وحينما وفدت المسيحية الى مصر من فلسطين كان بمصر معبد «قيصرون» الوثنى الذى شيدته الملكة كليوباترا ، وكان يوجد بهذا المعبد صنم كبير من النحاس يسمى «عطارد» ، وكان يحتفل سنويا بعيد هذا الصنم وتقدم له الذبائح ، وظلت هذه التقاليد معمولا بها بعد دخول المسيحية ولمدة تزيد على ثلاثمائة عام ، فلما نصب الاسقف اسكندر بطيركا فكر فى إزالة هذا الصنم ، ولكن شعب الاسكندرية ثار فى وجهه قائلا : لقد اعتدنا احياء هذا الصنم ، ولقد تربع على هذا الكرسى اثنى عشر بطريركا قبلك ، ولم يجرؤ أحد منهم أن يصرفنا عن هذه العادة [1] . فهل من أجل هذه الوثنية يحارب المستشرقون والمبشرون الإسلام والمسلمين ؟

لقد طعمت المسيحية بالوثنية ، وقضى الأمر ، الوثنية التى كان يدين بها معظم البشر من الرومان واليونانيين والمصريين ، والفرس ، والهنود وغيرهم ، والتى كان يدين بها معظم عرب الجاهلية رغم وجود اليهودية والمسيحية ، لقد وقف المبشرون إزاء الوثنية وقفة متخاذلة ، فتغلبت على المسيحية وطوعتها لرغبتها ومشيئتها ، ذلك أن الوثنية قريبة لغرائز البشر ، متلائمة مع أحاسيسهم وشهواتهم الحسية والبهيمية، فقد ارتد اليها قوم موسى عليه السلام عند غيابه ، وقالوا لهارون أخيه بعد أن شاهدوا الشعوب الوثنية تعبد الأصنام : « اجعل لنا إلها كما لهم آلهة » ثم صنعوا لهم عجلا مسبوكا له خوار عبدوه بدلامن إله السماء !! فهل من أجل هذه الانحرافات يحارب المستشرقون والمبشرون الإسلام والمسلمين ؟

لقد وقف موسى عليه السلام وقفة صادقة ضد هذا الشرود نحو الوثنية والكفر ، ولولا توفيق الله سبحانه له لما عاد القوم الى عبادة الله الواحد الأحد [2] .

(١) انظر الله واحد أم ثالوث ص ٩٤ .

(٢) انظر المرجع نفسه ص ٩٥ .

نعم وبضدها تتميز الأشياء : لقد وقف الإسلام من الوثنية فى شبه الجزيرة العربية وقفة صارمة حيث كان أغلب سكانها يدينون بالوثنية ، وحاولت الوثنية ان تتسرب الى الإسلام عن طريق مهادنته ، فعرض عبدة الأوثان على الرسول ﷺ أن يعبدوا الهه فترة ، وأن يعبد آلهتم أخرى ، فى الوقت الذى كان فيه الدين وليدا ، وفى أمس الحاجة الى قوة تحميه ، فماذا حدث؟ لقد رفض الرسول ﷺ هذا العرض بشدة ، وبدون أى مساومة ، حتى نزل الوحى مخاطبا الوثنيين : « قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين »(1) .

روى أن رهطا من قريش قالوا : يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد الهتنا سنة ونعبد إلهك سنة ، فقال : معاذ الله ان اشرك بالله غيره ، قالوا : فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت هذه السورة الكريمة «قل يا أيها الكافرون» فغدا ﷺ الى المسجد الحرام ، وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم فأبوا، وفى ختام هذه السورة « لكم دينكم ولى دين » أى لكم شرككم ولى توحيدى (2) .

ولما ظهر نور الإسلام فى شبه الجزيرة العربية ، رغبت قبيلة ثقيف فى الدخول فيه ، فأرسلت وفدا منها على رأسه عبد يالبل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ تعرض اسلامها شريطة الموافقة على ترك طاغيتهم اللات وأن يعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أصنامهم بأيديهم ، فأبى رسول الله ﷺ ، فلم تجد ثقيفا لها محيصا

(1) سورة الكافرون .
(2) انظر تفسير النسفى : ٤/٣٨٠ .

عن الاستسلام لرسول الله ﷺ ، فبادروا وانصاعوا لأوامر رسول الله ﷺ وتم هدم اللات التى كانت تعبدها على الفور(١) .

إن الإسلام واضح تمام الوضوح ، فعندما دخل فارس بقى التوحيد توحيدا ، وبقيت المجوسية مجوسية ، وكذلك الحال لما دخل الإسلام مصر بقى المذهب اليعقوبى ، وبقى أقباط مصر على ملتهم ، فمن شاء دخل الإسلام فأحل حلاله وحرم حرامه ، وقبل كافة مايأمر به ، وما ينهى عنه ، لقوله سبحانه : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »(٢) .

إن الإنسان إما أن يكون مؤمنا ، أو غير مؤمن ، وليس بين ذلك الا الارتياب والشك ، والشك مرحلة مؤقتة نهايتها محتومة بالإيمان أو الكفر ، ولايجتمع الإيمان والكفر اذا فى قلب واحد .

إن الخلاف الاساسى بين الإسلام والمسيحية وكافة الرسالات السماوية هو فى هذه الصورة المشوه عن الله سبحانه التى الصقتها الوثنية بالمسيحية بقصد هزيمتها والقضاء عليها ، كم يتمنى كل منصف أن تطهر المسيحية مما علق بها من أدران الشرك وخرافات البشر ، وأن تعود المسيحية الى حظيرة التوحيد الخالص(٣) ، ويتحقق هذا النداء الربانى المهيب :

« يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »(٤) .

---

(١) رجع للإمام ابن القيم : زاد المعاد : ٣/٥٩٥ وما بعدها ، وصفى الرحمن المباركفورى : الرحيق المختوم ص ٤٤٨ .

(٢) الكهف: ٢٩.

(٣) انظر كتاب الله واحد أم ثالوث ص ٩٧ .

(٤) ال عمران : ٦٤ .

المستشرقون وعقيدة التوحيد

حاول ويحاول المستشرقون هدم عقيدة التوحيد ، واضعاف الأسس الإسلامية من خلال شرح تعاليم الإسلام ومبادئه شرحا يضعف فى المسلم تمسكه بالإسلام ، ويقوى فيه عامل الشك كدين ، أو كمنهج سلوكى فى الحياة ومن ذلك :

ماكتبه رينان الفرنسى ، وهو يصور عقيدة التوحيد فى الإسلام بأنها عقيدة تؤدى الى حيرة المسلم ، كما تحط به كإنسان الى اسفل الدرك ، مع العلم بأن عقيدة التوحيد مزية الإسلام ، وآية على أنه الرسالة الكاملة الواضحة لخالق الكون في كونه، كما أنها الطريق السليم والوحيد الى رفع شأن الانسان وتكريمه ، لأن صاحب هذه العقيدة لا يخضع فى حياته لغير الله تعالى ، ولا يتوجه فى طلب العون الي غير الله جل جلاله (١) .

كما كتب رينان يقول « وقد ظهرت على أطلال العالم القديم بعد خمسمائة عام من انقضائه ديانتان : إحداهما ربانية والثانية بشرية ، تمثلان ذينك المذهبين المتناقضين ولكن بتلطيف فى التناقض .. أما الأولي (الديانة الربانية) فهى الديانة المسيحية الوارثة بلا واسطة آثار الاريين - البوذية أيضاً ديانة الآريين - والمقطوعة الصلات بالمرة مع مذهب السامية وإن كانت مشتقة منه وغصنا من دوحته ، ومن خصائص هذه الديانة (المسيحية) ترقية شأن الانسان بتقريبه من الحضرة الألهية ، على حين أن الديانة الثانية (البشرية) وهى الإسلام ، المشوبة بتأثير مذهب السامية تنحط بالانسان الى أسفل الدرك وترفع الإله عنه فى علاء لا نهاية له (٢) .

(١) أنظر الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار الغربى ص ٤٩ .
(٢) المرجع نفسه ص ٥٠ .

كتب هذا رينان فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وكان يظن أن العقلية العلمية ، أو الطريق العلمى ، الذى تدعى العقلية الغربية المعاصرة أنه من مفاخر القرن العشرين ، لأنها تزعم أنها لا تخضع فى بحث المسائل وإصدار الأحكام لاثر حزبى أو مذهبى ، أو عاطفى ، أو نحو ذلك مما يتأثر بها الانسان العادى ، أو البدائى فى أحكامه ، كان يظن أن هذا القرن العشرين لا يصدر فيه تصوير مثل تصوير رينان للتثليث المسيحى مرة ، وللتوحيد الإسلامى مرة أخرى [1] .

ولكن مجلة (The Muslim World) [2] تردد هذا المعنى فى شرح آية «إلى الله المصير » فتقول ماترجمته :

« إن إله الإسلام متكبر جبار مترفع عن البشرية يطلب أن يسير العابد نحوه بينما إله المسيحية عطوف متواضع يتودد للناس ، فظهر فى صورة بشر ، وذلك هو الإله الإبن ! فعقيدة التثليث فى المسيحية قربت الانسان من الإله : وأعطته نموذجا رفيعا واقعيا فى حياته يسعى ليتقرب منه ، أما عقيدة التوحيد فباعدت بين الانسان والإله ، وجعلت الانسان متشائما من شدة الخوف منه ، ومن جبروته وكبريائه » !

هذا لون من لغط الكلام وسفسطة الدماغ ، لا يرقى إلى درجة العلم أوالحقيقة، لقد أثبت – فيما سبق – أن التثليث لا يمكن أن يفهمه بشر حتى رجال الاكليروس أنفسهم لأنه قام على مقدمات باطلة ، ومابنى على باطل فهو باطل راجع ص٩٢ وما بعدها من هذا البحث ، أما عقيدة التوحيدة التى اعترفوا بها فهى من البساطة واليسر بحيث يفهمها الصبى الصغير دون عناء .

---

(١) المرجع نفسه ص ٥١ .

(٢) عدد اكتوبر سنة ١٩٥٥ ، التى يصدرها دكتور Crayg مدير مؤسسة Hartford للدراسات الدينية الشرقية بالولايات المتحدة الامريكية . نقلا عن الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٥٢ .

المستشرقون والسنة النبوية

حين هاجمت الجيوش الصليبية بلاد الإسلام ، كانت مدفوعة الى ذلك بدافعين:

أ- دافع الدين والعصبية العمياء التي أثارها رجال الكنيسة فى شعوب أوربا، مفترين على المسلمين أبشع الافتراءات : محرضين النصارى أشد تحريض على تخليص مهد المسيح من أيدى الكفار (أى المسلمين) فكان جمهرة المقاتلين من جيوش الصليبيين من هؤلاء الذين أخرجتهم العصبية الدينية من ديارهم عن حسن نية ، إلى حيث يلاقون الموت والقتل والتشريد ، حملة بعد حملة .

ب- دافع سياسى استعمارى ، فقد سمع ملوك أوربا بما تتمتع به بلاد الإسلام ، وخاصة بلاد الشام وما حولها من طمأنينة ، ومدنية وحضارة لا عهد لهم بمثلها ، كما سمعوا الشئ الكثير عن ثرواتها (التى تفيض سمنا وعسلا) ومصانعها وأراضيها الخصبة الجميلة ، فجاؤوا يقودون جيوشهم باسم المسيح ، وما فى نفوسهم فى الحق الا الرغبة فى الاستعمار والفتح والاستئثار بخيرات المسلمين وثرواتهم ، وشاء الله ، ولا راد لمشيته ان ترد تلك الحملات كلها مدحورة مهزومة ، بعد حروب استغرقت مائتى سنة ، وأن يقضى على الأمارات التى استولوا عليها ، ارتدت وهى تحمل الحسرة في قلوبها ، والهزيمة فى جباهها ، ولكنها حملت فى عقولها شيئا من نور الاسلام ، وفى أيديها ثمار الحضارة التى كانت بلادهم محرومة منها ورضيت أوربا من الغنيمة بالاياب ، لكن ملوكها وامراء ها رجعوا مصممين على الاستيلاء على هذه البلاد مهما كان الثمن ، ورأوا - بعد اخفاقهم عسكريا - ان

يتجهوا الى دراسة شئونها وعقائدها تمهيدا لغزوها ثقافيا وفكريا ومن ثم كانت النواة الأولى لجمعيات المستشرقين [1] .

فكرست هذه الجمعيات جهودها فى دراسة الإسلام وتاريخه وآدابه وفنونه ، فكان الاستشراق والتبشير السلاحين الخطيرين اللذين ظهرا بشكل سافر ، وعلى نطاق واسع منذ أواخر القرن الثامن عشر الى يومنا هذا [2] .

ومعركة الاستشراق التى قادها المستشرقون ، لا تختلف كثيرا عن معركة التبشير التى قادها المبشرون ، فأهداف الفريقين من حيث النتيجة واحدة تتلخص فى :

أ- محاربة الإسلام من داخله .

ب- زرع الشك فى نفوس المسلمين .

جـ- الطعن على نبى الإسلام ، والحّط من قيمة الفكر الإسلامى .

د- اقتناص المثالب من بعض الكتب الصفراء وارجاع مافيها من خرافات الى الإسلام .

هـ- تشويه التاريخ الإسلامى ، وإثارة الفتن بين الطوائف الإسلامية.

و- محاربة اللغة العربية ممثلة فى القرآن الكريم بقصد هدمه ، وتلقين الشباب، المسلم الاعجاب، بالغرب ومدنية الغرب .

ز- الانتهاء من وضع خطة لتنصير العالم الإسلامى بأسره [3] .

---

(١) انظر للدكتور مصطفى السباعى : السنة ومكانتها فى التشريع ص ١٨٧ .

(٢) انظر للدكتور ناصر الدين الأسد القومية العربية والاستعمار ص ٩٢ ، دار المعارف ١٩٥٧ م . نقلا عن عبد الله التل : جنور البلاء ص ١٩٧.

(٣) جنور البلاء ص ١٩٧ وانظر التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامى الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيرى الذى عقد فى مدينة (جلين آيرى بولاية كولورادو فى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٨م ونشرته دار MARC للنشر بعنوان : The Gospel and Islam A 1978 Compendium

التبشير والاستشراق :

يظهر الفرق بينهما فيمايلي:

أ- الاستشراق يأخذ صورة البحث العلمى الأكاديمى الخادع .

ب- أما التبشير فيعمل فى مجال العقلية العامة للشعوب .

جـ- يستخدم الاستشراق الكتاب والمقال فى المجالات العلمية ، وكراس التدريس الجامعى ، والمؤتمرات العلمية العامة .

د- بينما يعمل التبشير فى التعليم الأولى من دور الحضانة ورياض الأطفال الى المراحل الابتدائية والثانوية ، مضافا الى ذلك تغلغلهم فى أوساط الشعوب الفقيرة ، والتظاهر بعمل الخير واسعاف المرضى والفقراء (١) .

وجمعيات المستشرقين تتألف من رجال الدين اليهودى والمسيحى ، مما يدل على أنهم مازالوا أشد كرها للإسلام ، وتعصبا عليه .. ، ومن يشتغل منهم فى ميدان الإسلام فهدفه الأساسى تحريف الإسلام وتشويه جماله .

ومنهم الذين يعنون ببلبلة بلاد الإسلام فى ثقافتها ، وتشويه حضارتها فى أذهان المسلمين عن طريق البحوث تارة ، وعن طريق المجلات التى يصدرونها تارة أخرى ، وتتسم بحوث، هؤلاء بالظواهر الآتية :

أولاً : سوء الظن والفهم لكل مايتصل بالإسلام فى أهدافه ومقاصده .

ثانياً : سوء الظن برجال المسلمين وعلمائهم وعظمائهم .

ثالثاً : تصوير المجتمع الإسلامى فى مختلف العصور ، وخاصة فى العصر الأول بمجتمع متفكك تقتل الانانية رجاله وعظماءه .

---

(١) ابراهيم خليل أحمد ، المستشرقون والمبشرون ص ٣٩ - ٤٠ مكتبة الوعى العربى ١٩٦٤ م .

رابعا : تصوير الحضارة الإسلامية تصويرا دون الواقع بكثير تهوينا لشأنها واحتقارا لآثارها .

خامسا : الجهل بطبيعة المجتمع الإسلامى على حقيقته والحكم عليه من خلال مايعرفه هؤلاء المستشرقون من أخلاق شعوبهم وعادات بلادهم .

سادسا : إخضاع النصوص للفكرة ، التى يفرضونها حسب أهوائهم ، والتحكم فيما يرفضونه ويقبلونه من النصوص .

سابعاً : تحريفهم للنصوص فى كثير من الاحيان ، تحريفا مقصودا ، وإساءتهم فهم العبارات حين لا يجدون مجالا للتحريف .

ثامنا : تحكمهم فى المصادر التى ينقلون منها ، فهم ينقلون مثلا من كتب الأدب مايحكمون به فى تاريخ الحديث ، ومن كتاب التاريخ مايحكمون به فى تاريخ الفقه ، ويصححون ماينقله « الدميرى » فى كتاب « الحيوان » ويكذبون مايرويه « مالك » فى « الموطأ» كل ذلك انسياقا مع الهوى ، وانحرافا عن الحق (١) .

بهذه الروح التى أوضحنا خصائصها بحثوا فى كل مايتصل بالإسلام والمسلمين من تاريخ وفقه وتفسير ، وحديث وأدب ، وحضارة وثقافة ، واتاح لهم كل ذلك تشجيع حكوماتهم ، ووفرة المصادر بين أيديهم ، وتفرغهم للدراسة ، واختصاص كل واحد منهم بفن أو ناحية من نواحى ذلك الفن ، يفرغ له جهده فى حياته كلها ساعدهم ذلك كله على أن يصبغوا بحوثهم بصبغة علمية، وأن يحيطوها بثروة من الكتب والنصوص مالم يحط به كثير من علمائنا اليوم الذين يعيشون فى مجتمع

(١) انظر السنة ومكانتها فى التشريع ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

مضطرب فى سياسته وثروته وأوضاعه فلا يجدون متسعا للتفرغ لما يتفرغ له أولئك المستشرقون ، وكان من أثر ذلك أن أصبحت كتبهم وبحوثهم - للأسف - مرجعاً للمثقفين المسلمين ، ثقافة غربية ، والملمين بلغات أجنبية ، وقد خدع أكثر هؤلاء المثقفين ببحوثهم ، واعتقدوا بمقدرتهم العلمية وإخلاصهم للحق ... ، وجروا وراء آرائهم ينقولنها كما هى ، ومنهم من يفاخر بأخذها عنهم ، ومنهم من يلبسها ثوبا إسلاميا جديد [١] .

من المشككين فى السنة النبوية ومكانتها :

هناك حجم غفير من المستشرقين فى هذا الصدد على رأسهم : جولد تسيهر، وهذا المستشرق تولى كبر الشبه التى أثارها حول السنة ، وقد تأثر به - للأسف - كثير من الكتاب المسلمين ، ويرجع خطر هذا المستشرق لسعة باعه ، وخبثه ، وفساده فى هذا الميدان ، وهو مستشرق يهودى مجرى ، وكان واسع الاطلاع على كثير من المراجع العربية ، حتى عد شيخ المستشرقين فى الجيل الماضى ، ولاتزال كتبه ، وبحوثه مرجعا خصبا وهاما للمستشرقين فى هذا العصر ، وقد نقل لنا الاستاذ أحمد أمين بصورة غير رسمية كثيرا من آرائه عن تاريخ الحديث فى فجر الإسلام وضحاه ، كما نقل لنا بصورة رسمية سافرة بعض آرائه التى صرح بعزوها اليه [٢].

كما نقل الدكتور على حسن عبد القادر فى كتابه « نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامى » ملخص شبه هذا المستشرق فى تاريخ الحديث ، كما نجد بحث هذا الموضوع ، وخلاصة رأيه واضحا فى كتابه : « العقيدة والشريعة فى الإسلام »

---

(١) انظر السنة ومكانتها فى التشريع ص ١٨٩ وممن تأثر بهؤلاء المستشرقين الأستاذ أحمد أمين فى كتابة فجر الإسلام من ص ٢٥٥ - ٢٧٤ ، وأبو رية فى كتابه « أضواء على السنة المحمدية» ، انظر السنة ومكانتها فى التشريع ص ١٨٩ ومابعدها .

(٢) المرجع نفسه .

الذى قام بترجمته والتعليق عليه كل من الاساتذة : « محمد يوسف موس » ، و« عبد العزيز عبد الحق » ، و« على حسن عبد القادر » [1] .

يقول جولد تسيهر : « إن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الدينى والسياسى والاجتماعى للإسلام فى القرنين الأول والثانى » [1] .

هذه دعوة يلفها الكذب والافتراء ، فإن الرسول ﷺ لم يتنقل الى الرفيق الأعلى إلا وقد وضع الأسس الكاملة لبنيان الإسلام الكامل الشامخ ، بما أنزل الله سبحانه عليه فى كتابه ، وبما سنه ﷺ من سنن وشرائع وقوانين شاملة وافية حتى قال ﷺ قبيل وفاته :

« تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى » [2] .

وقال : « لقد تركتكم على الحنيفية السمحة ليلها كنهارها » [3] .

ومن المعلوم أن من أواخر مانزل على النبى ﷺ من كتاب الله تعالى :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » [3].
وذلك يعنى كمال الإسلام وتمامه .

فما توفى رسول الله ﷺ إلا وقد كان الإسلام ناضجا تاما لا طفلا يافعا كما يدعى هذا المستشرق ونزيد الأمر وضوحا بما يلى :

---

(١) انظر المرجع نفسه ص ١٩٠ .

(٢) أخرجه الإمام مالك انظر الموطأ: ٨٩٩/٢، والفتح الكبير: ٢٧/٢.

(٣) المائدة : ٣ .

أ- نعم لقد كان من آثار الفتوحات الإسلامية أن واجه المتشرعين المسلمين جزئيات وحوادث لم ينص على بعضها فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، فأعملوا آراءهم فيها قياسا واستنباطا حتى وضعوا لها الأحكام ، وهم فى ذلك لم يخرجوا عن دائرة الإسلام وتعاليمه ، وحسبك أن تعلم مدى نضوج الإسلام فى عصره الأول أن عمر رضى الله عنه سيطر على مملكتى كسرى وقيصر وهما ماهما فى الحضارة والمدنية ، فاستطاع ان يسوس أمورهما ، ويحكم شعوبهما بأكمل واعدل مما كان كسرى وقيصر يسوسان بها مملكتيهما ، أترى لو كان الإسلام طفلا ، كيف كان يستطيع عمر رضى الله عنه أن ينهض بهذا العبء ويسوس ذلك الملك الواسع ، ويجعل له من النظم ماجعله ينعم بالأمن والسعادة ، مالم ينعم بهما فى عهد ملكيهما السابقين[1]؟

ب- يجد الباحث المنصف أن المسلمين فى مختلف بقاع الأرض التى وصلوا اليها كانوا يتعبدون عبادة واحدة ، ويتعاملون بأحكام واحدة، ويقيمون أسس أسرهم وبيوتهم على أساس واحد .

جـ- كان المسلمون متحدين فى العبادات والمعاملات والعقيدة والعادات غالبا، ولايمكن أن يكون ذلك كذلك لولم يكن لهم قبل مغادرتهم جزيرة العرب نظام تام ناضج، وضع لهم أسس حياتهم فى مختلف نواحيها، ولو كان الحديث أو القسم الأكبر منه نتيجة للتطور الدينى فى القرنين الأولين للزم حتما ألاتتحد عبادة المسلم فى شمال أفريقيا مع عبادة المسلم فى جنوب الصين ، إذ أن البيئة فى كل منهما مختلفة عن الأخرى تمام الاختلاف ، فكيف اتحدا فى العبادة والتشريع والآداب ، وبينهما من البعد بينهما [2] ؟

---

(١) انظر السنة ومكانتها فى التشريع ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٢) المرجع نفسه .

سبب قيام المذاهب الفقهية:

أما سبب قيام المذاهب الفقهية بعد القرن الأول ، فذلك بلاشك أثر للكتاب والسنة ، ولمدارس الصحابة فى فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

أما الكتاب فقد كان محفوظا متواترا بينهم ، وأما السنة فلاتر قولا لإمام من أئمة المذاهب فى القرنين الثانى والثالث ، إلا وقد سبقه اليه صحابى أو تابعى ، وذلك قبل ان يتطور الدين – كما زعم هذا المستشرق – تطورا بالغ الأثر ، وفى هذا مايقضى على الشبهة من أساسها (١) .

خطط المستشرقين والمبشرين:

١- رسم المستشرقون والمبشرون خططهم ، وبنو آمالهم على زعزعة عقيدة المسلم ، وتشكيكه بدينه ، وخلق فجوة بين المسلمين وأصولهم العريقة المجيدة ، فيسهل بذلك القضاء على كيانهم الإسلامى الشامخ ، بعد ان ادركوا استحالة ارتداد المسلم عن دينه ومن ثم وصولا بخططهم الجهنمية الي محاولة جعل المسلمين كقطيع من الأغنام يمكن استغلالها ، أو سوقها للذبح عند الحاجة ، وقد جهر كبير المبشرين صموئيل زويمر اليهودى فى ٢ أغسطس سنة ١٩١١ ، برأيه الصريح فى أعمال المبشرين البروتستانت ، حين اعترف ان للتبشير فى البلاد الإسلامية مزيتان: مزية هدم ، ومزية بناء ، ويعنى بالهدم انتزاع المسلم من دينه ولو إلى الالحاد، ويعنى بالبناء تنصير المسلم ان أمكن (٢) ..

٢- وما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية ، فلابد إذن من تسهيل التحاقهم بالمدارس العلمانية التى تساعد في القضاء على الروح الإسلامية عند

---

(١) المرجع نفسه ص ١٩٧ .

(٢) محب الدين الخطيب : الغارة على العالم الإسلامى ص ١١ .

الطلاب [١] ، ومعلوم لدينا أن المدارس العلمانية ، والتعليم الإلحادى كانت من عمل اليهودية العالمية والماسونية اليهودية ، بعد الثورة الفرنسية التي رفعت شعارات اليهود الزائفة : حرية ، مساواة ، إخاء ، ولما كانت أصابع اليهود هى المحرك الأول للاستشراق والتبشير ، فقد فرضت آراءها وخططها لهدم الإسلام .

٣- وكان على رأس تلك الخطط نشر التعليم العلمانى وابعاد الشباب المسلم عن التعليم الدينى ، والفصل بين الإسلام والتعاليم الإسلامية وبين وسائل الحياة المادية التطبيقية ، ومن أجل ذلك يبدى غابراييل هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقا اغتباطه للانقلاب الصامت الذى حدث فى تونس بعد احتلالها سنة ١٨٨١ ، وأدى الى فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية بدون جلبة ولا ضوضاء ، وبدون ان يترك ألما أو توجعا ، ولايخفى هانوتو فرحه لأن بلدا من بلاد الإسلام قد ارتخى رباطه الدينى وانفصم الحبل بينه وبين البلاد الإسلامية الشديدة الاتصال ببعضها ، وانفصلت شيئا فشيئا ، روابطه مع مكة ومع ماضيه الأسيوى [٢] .

وتلك كانت سياسة الحكومات الصليبية الغربية وعملائها فى الشرق العربى الإسلامى : العمل الصامت الدؤوب على انتزاع شجرة الوحدة الإسلامية من جذورها ، وغرس بدلا عنها شجرة صناعية تمتد جذورها الى منابع المدنية الصليبية اليهودية ، فترتوى منها سما زعافا ، وتتفق سياسة الحكومات الاستعمارية مع قوى التبشير التى حين خاب مسعاها فى تنصير المسلمين قنعت بالعمل « الانسانى » القاصر على زعزعة عقيدة المسلمين ، دفعهم الى اقتباس الافكار والعقائد الطارئة التى أوجدها اليهود ونماها المستشرقون والمبشرون [٣] .

(١) المرجع السابق ص ٨٢ .

(٢) جبرابيل هانوتو : الإسلام ص ٢١ نقلا عن جذور البلاء ص ٢٠٦ .

(٣) التبشير والاستعمار ص ٤٦ .

٤- ومن خطط الاستشراق والتبشير أيضاً تدبير المؤامرات والدسائس لاحداث الفتن والانقلابات فى الوطن الإسلامى ، وحينما وقعت أحداث تركيا سنة ١٩٠٨ ، وانقلبت جماعة الاتحاد والترقى من عملاء اليهود والماسونية اليهودية على السلطان المفترى عليه عبد الحميد الثانى - رحمه الله تعالى - لم يخف رئيس جمعيات التبشير صموئيل زويمر اليهودى فرحه بذلك الانقلاب واشاد بالاحرار ،.... الذين سجنوا السلطان عبد الحميد في سلانيك وغرسوا بنور المدنية الغربية فى ديار الإسلام[1] .

وسائل المستشرقين والمبشرين للوصول الى خططهم:

للمستشرقين والمبشرين وسائل لا تمت الى الانسانية بصلة يلجأون اليها فى حروبهم ضد الإسلام والمسلمين و حتى نجحوا فى بث سمومهم فى الغرب الاعمى فى رسم صورة مشوهة ضد الإسلام والقرآن ، والتاريخ الإسلامى ، وحاولوا طمس عظمة الإسلام والقوى الكامنة فيه ، لدرجة ان باع علماؤهم ورجال الدين منهم ، ضمائرهم بسبب الخوف من الإسلام الزاحف ، واعترف كثير من المبشرين أنهم مكرهون على نشر الصورة المشوهة الزائفة عن الإسلام .

ومن الوسائل المستخدمة فى المعركة [2] .

محاولة تشويه الإسلام ، ونبى الإسلام ﷺ :

تزعم المستشرق المجرى جولد تسيهر ، والمبشر صموئيل زويمر اليهوديان كبر المعركة المستمرة ضد الإسلام والقرآن ، والرسول العظيم محمد ﷺ فهاجم جولد تسيهر القرآن واتهمه بالتناقض ، وعدم وضوح فكرة الألوهية ، والتوحيد فيه ، أما

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص ٩٢ .

(٢) انظر جذور البلاء ص ٢٠٧ .

التثليث فى رأيه فمذهب واضح فى فهم الألوهية [1] ... وادعى زويمر أن تعريف المسلمين لإلههم يختلف عن تعريف المسيحيين، وإله المسلمين ليس له قداسة ومحبة..!

والذى يتبادر الى الذهن ان هؤلاء وأضرابهم يصرون على مهاجمة الإسلام والقرآن والرسول ﷺ ليشغلوا المسلمين عن مهاجمة ونشر انحرافاتهم وتغيير كتبهم وتبديلها ، ولكن الرد هنا يتخذ طريقان طريق الدفاع وطريق الهجوم .

كما حاول مرجليوث المستشرق اليهودى أن يشكك فى نسب الرسول العظيم ﷺ، وأن والده مجهول ، لأن لفظ عبد الله - على حسب فهمه - معناها الشخص المجهول ، وخدعه ذكاؤه وأوقعه فى أبسط المعلومات حيث أن النسب عند قريش والعرب عامة ، كان أهم شئ فى تاريخهم ، ولكنها اليهودية الحاقدة التى دفعت هذا المستشرق لكى يلصق بالنبى الكريم ، ما الصقه اليهود بأنبيائهم من عيوب أقلها أنهم كانوا « ممزيريم » أى أولاد زنى [2] .

ولم يترك المستشرقون ميدانا إلا اقتحموه ، لبث سمومهم وافتراءاتهم ومطاعنهم على الإسلام ونبى الإسلام .

أخذوا على الإسلام تعدد الزوجات ، والطلاق ، فأثبتت الأيام حكمة التشريع الإسلامى الخالد ، وملاءمته لضرورات حياة الانسان على نقيض الحال فى بلاد الناقدين الحاقدين من المستشرقين والمبشرين ، حيث يتحطم نظام الاسرة ويسرى الفساد الي الحياة الاجتماعية بشكل بات يهدد أركان أمم الغرب بالدمار المحقق ، ولايخفى على ذى بصر وبصيرة اليوم مبلغ الانحلال الذى وصلت اليه أمم الغرب ، لدرجة ان الكثيرين من مفكرى المسيحية أخذوا يحبذون تعدد الزوجات ليمنعوا تعدد «الصديقات» السريات . أما الطلاق فقد أخذت به بعض دول الغرب المسيحية » [3] .

---

(١) محمد الدسوقى : الإسلام والمبشرون ص ٤٤ مرجع سابق .

(٢) د. حسن الهوارى ص ٦٧ نقلا عن جذور البلاء ص ٢٠٧ .

(٣) انظر جذور البلاء ص ٢٠٨ .

وقالوا عن ديمقراطية الإسلام أنها مسبوقة بديمقراطية اليونان !

وغاب عن هؤلاء ان الإسلام يقوم على المساواة والمسؤولية الفردية ، وقيام الحكم على الشورى ، وعلى دستور معلوم الحدود والتبعات وهى الأمور التى يطلق عليها فى العصر الحديث باسم الديمقراطية ، لقد نادى الإسلام بهذه الأمور لأول مرة فى تاريخ الانسان [١] . ومن يتمعن فى الآيات التالية يتأكد مما قلناه :

« يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم » [٢] .

« كل أمرئ بما كسب رهين » [٣] . « وأمرهم شورى بينهم » [٤] .

وقالوا عن الإسلام : إنه دين الكسل والخمول والاتكال والجهل ، وأنه سبب تأخر المسلمين !!

ماهذه الرحمة التى ظهرت فجأة ، هل هم أعرف بالاسلام من المسلمين ؟ وإذا كان الإسلام كما يقولون لماذا يهاجمونه ، ويعقدون له المؤتمرات ويرصدون له الأموال؟ لكن الحقيقة ان هذه كلها محض افتراءات ، وجهل مطبق بالإسلام دين العمل والعلم. ولا يمكن ان يكون الإسلام كما يقولون وهو يدعو الى العلم فى أكثر من آية منها :

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» [٥] .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » [٦] .

« لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك » [٧] .

---

(١) عباس محمود العقاد رحمه الله : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه : دار القلم ١٩٦٢ .
(٢) الحجرات : ١٣ .
(٣) الطور : ٢١ .
(٤) الشورى : ٣٨ .
(٥) الزمر : ٩ .
(٦) المجادلة : ١١ .
(٧) النساء : ١٦٢ .

« ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين » (١) .

« بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم » (٢) .

« إنما يخشى الله من عباده العلماء » (٣) .

كما حض الإسلام على العمل بصراحة وقوة ، ولم يعرف الإسلام الكهانة ، والانقطاع للعبادة والابتعاد عن الدنيا والدليل : قول الله عز وجل :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (٤) .

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » (٥) .

ويأمر القرآن المسلمين بالعمل أثناء أداء مناسك الحج ، وبعد صلاة الجمعة إمعانا منه فى تشجيع العمل والبعد عن كل مايؤدى الى البطالة والكسل (٦) .

« ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ، فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام » (٧) .

« يا أيها الذين آمنوا ،إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » (٨) .

وقال ﷺ : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده » (٩) .

« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » (١٠) .

وهذه لعمر الحق تعاليم خالدة تثبت أن الإسلام دين ودنيا ، وليس دين كهانة وتواكل وتكاسل ، أو رهبانية .

---

(١) البقرة : ١٤٥ .
(٢) العنكبوت : ٤٩.
(٣) فاطر : ٢٨ ، وراجع للباحث كتاب : قبسات من الثقافة الاسلامية.
(٤) التوبة : ١٠٥ .
(٥) الملك : ١٥ .
(٦) انظر جذور البلاء: ٢٠٩.
(٧) البقرة : ١٩٨ .
(٨) الجمعة : ٩ ، ١٠ .
(٩) الفتح الكبير : ٨١/٣ ط الحلبى مصر .
(١٠) هذا الأثر على الارجح لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه . راجع جذور البلاء ص ٢١٠ .

تنوع المستشرقين

من الانصاف أن نفرق ونميز بين أنواع ثلاثة من المستشرقين :

أولاً : جاحدون متعصبون .

ثانياً : أصحاب النية الحسنة ، لكن فاتهم معرفة ادعاء الحقيقة التى تفوهوا بها ، فوقفوا عندما أوصلهم علمهم اليها .

ثالثاً : منصفون موضوعيون ، استطاعوا ان يستشفوا حقيقة الإسلام وأن يتبينوا أبعاده ، فعبروا عن آرائهم ببعض الكتابات والآراء المنصفة ، ومنهم من قاده الإيمان والعقل والاقتناع الى الإسلام فأسلم [1] .

فالصنف الأول:

قادهم الهوى الى التجريح المطلق والتهويل والعويل دون حدود ، وهؤلاء يمثلون الخطر المحدق للإسلام والمسلمين ، لأن كتاباتهم حجة بين الغربيين، ولأرائهم شبه حجية بين المسلمين من هؤلاء :

١- **أ. ج . أربى** : انجليزى معروف بالتعصف ضد الإسلام والمسلمين ، ومن محررى « دائرى المعارف الإسلامية » كان أستاذا بجامعة كمبردج ، ومما يؤسف له أنه كان استاذا لكثير من المصريين الذين تخرجوا فى الدراسات الإسلامية واللغوية فى انجلترا ، ومن كتبه :

* الإسلام اليوم صدرفى فى عام ١٩٤٣ .

(١) انظر للدكتور : محمد البهى الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٤٨٩ .

* مقدمة لتاريخ التصوف صدر في عام ١٩٤٧ .

* التصوف صدر في عام ١٩٥٠ .

* ترجمة القرآن صدر في عام ١٩٥٠ .

٢- الفرد جيوم : انجليزى .. ، اشتهر بالتعصب ضد الإسلام ، حاضر فى جامعات انجلترا وأمريكا ، وتغلب على كتابته وآرائه الروح التبشيرية ، ومن كتبه : « الإسلام » ومن المؤسف أنه تخرج عليه كثير ممن أرسلتهم الحكومة المصرية فى بعثات رسمية للخارج لدراسة اللغات الشرقية [1] .

٣- بارون كارادى فو : فرنسى متعصب جدا ضد الإسلام والمسلمين ساهم بنصيب بارز فى تحرير « دائرة المعارف الإسلامية » [2] .

٤- هـ . أ . ر . جب : أكبر مستشرقى انجلترا المعاصرين ، كان عضوا بالمجمع اللغوى فى مصر ، وأستاذا للدراسات الإسلامية والعربية فى جامعة هارفرد الامريكية ، من كبار محررى وناشرى « دائرة المعارف الإسلامية » له كتابات خطيرة والسر فى خطورتها ، ماتتصف به من العمق ومن كتبه :

* طريق الإسلام » الفه بالاشتراك مع آخرين ، وترجم الى العربية بنفس العنوان .

* « الاتجاهات الحديثة فى الإسلام » صدر عام ١٩٤٧ ، وترجم الى العربية بعد إعادة طبعه بنفس العنوان .

---

(١) المرجع السابق ، وانظر لشوقى أبى خليل : الإسلام فى قفص الاتهام ص ١٣ .
(٢) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٤٨٩ .

* « المذهب المحمدى » صدر عام ١٩٤٧ ، واعيد طبعه .

* « الإسلام والمجتمع الغربى » يصدر فى أجزاء اشترك معه آخرون فى التأليف ، وله مقالات آخرى متفرقه [1] .

٥- **جولد زيهر** : مجرى عرف بعدائه للإسلام ، وبخطورة كتاباته عنه ، ومن محررى « دائرة المعارف الإسلامية » . كتب عن القرآن والحديث ، ومن كتبه :

« تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى » ترجم الى العربية بنفس العنوان [2] .

٦- **جون ماينارد** : أمريكى متعصب ، كان يساهم فى تحرير « مجلة جمعية الدراسات الشرقية » الأمريكية ، وخاصة باب الكتب الجديدة التى لها صلة بالاسلام ، وبالشرق على العموم ، انظر المجلة المذكورة العدد الثانى المجلد الثامن ص ٢٢ - ابريل سنة ١٩٢٤ [3] .

٧- **س . م . زويمر** : مستشرق مبشر اشتهر بعدائه الشديد للإسلام ، مؤسس مجلة « العالم الإسلامى » الأمريكية التبشيرية ومؤلف كتاب « الإسلام تحد لعقيدة » صدر فى سنة ١٩٠٨م ، وناشر كتاب « الإسلام » وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيرى الثانى فى سنة ١٩١١ بلكنو فى الهند ، وتقديرا لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفا باسمه على دراسة اللاهوت واعداد المبشرين [4] .

٨- **عزيز عطية سوريال** : مصرى مسيحى ، كان استاذا فى جامعة الاسكندرية ، وكان يدرس بإحدى جامعات أمريكا ، شديد الحقد على الإسلام

(١) المرجع السابق : ص ٤٩٠.

(٢) المرجع نفسه .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) المرجع نفسه .

والمسلمين ، وكثير التحريف للتعاليم الإسلامية ، يستعين على الحقد والتحريف بكونه بعيدا عن مصر والمسلمين ، له بعض الكتب عن الحروب الصليبية (١) .

٩- غ . فون . جرونباوم : من أصل المانى يهودى مستورد الى امريكا للتدريس بجامعاتها ، وكان أستاذا بجامعة شيكاغو ، من الد أعداء الإسلام ، وفى جميع خطاباته تخبط واعتداء على القيم الإسلامية والمسلمين ، كثير الكتابة وله معجبون من المستشرقين ومن كتبه :

* «إسلام العصور الوسطى « صدر في عام ١٩٤٦ .
* «الاعياد المحمدية » صدر فى عام ١٩٥١ .
* « محاولات فى شرح الإسلام المعاصر » صدر فى عام ١٩٤٧ .
* « دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية » صدر فى عام ١٩٥٤ .
* « الإسلام » مجموعة من المقالات المتفرقة صدر فى عام ١٩٥٧ .
* الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية » صدر فى عام ١٩٥٥ (٢) .

١٠- فيليب حتى : لبنانى مسيحى تأمرك ، كان أستاذا بقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون بأمريكا ثم رئيسا لهذا القسم ، من ألد أعداء الإسلام ، ويتظاهر بالدفاع عن القضايا العربية فى أمريكا، وهو مستشار غير رسمى لوزارة الخارجية الأمريكية فى شئون الشرق الأوسط ، يحاول دائما أن ينقض دور الإسلام فى بناء الثقافة الانسانية ، ويكره أن ينسب للمسلمين أى فضل فقد كتب على سبيل المثال : فى « دائرة المعارف الأمريكية » طبع سنة ١٩٤٨ .

---

(١) المرجع السابق ص ٤٩١ .

(٢) المرجع السابق .

تحت عنوان (الأدب العربى) ص ١٢٩ يقول : « ولم تبدأ أمارات الحياة الأدبية الجديدة فى القسم الأخير من القرن التاسع عشر ، وكان الكثرة من قادة هذه الحركة الجديدة نصارى من لبنان، تعلموا واستوحوا من جهود المبشرين الأمريكيين».

ومحاولات « حتى » انتقاص فضل الإسلام والمسلمين ليست فقط قاصرة على العصر الحديث ، ولكنها تنطبق على جميع مراحل التاريخ الإسلامى كما هو موضح فى كتبه نذكر منها :

* « تاريخ العرب » ظهر بالانجليزية ، واعيد طبعه عدة مرات ، وهو ملئ بالطعن فى الإسلام والسخرية من نبيه ، وكله حقد وسم وكراهية ، انظر مثلا مجلة «الإسلام » بالانجليزية التي تصدر فى كراتشى باكستان صفحة ١٣٨ من عدد ابريل سنة ١٩٥٨ ، ص١٤٦ من عدد أول مايو سنة ١٩٥٨ .

* « تاريخ سوريا » .

* « أصل الدروز وديانتهم » صدر فى سنة ١٩٢٨ (١) .

١١- أ . ج فينسينك : عدو لدود للإسلام ونبيه ، كما اطلق عليه الدكتور محمد البهى ، كان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى ، ثم أخرج منه على أثر أزمة أثارها الدكتور الطبيب حسن الهوارى مؤلف كتاب (المستشرقون والإسلام) صدر فى سنة ١٩٣٦ . وحدث ذلك بعد ان نشر فينسينك رأية فى القرآن والرسول مدعيا ان الرسول ألف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التى سبقته أنظر «المستشرقون والإسلام » ص ٧١٠ ومابعدها هذا والمعروف لفينسينك كتاب تحت عنوان : « عقيدة الإسلام » صدر فى سنة ١٩٣٢ (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ٤٩١ ، ٤٩٢ .

(٢) المرجع نفسه .

١٢- كينيت كراج : أمريكى شديد التعصب ضد الإسلام ، قام بالتدريس فى الجامعة الأمريكية ، بالقاهرة لفترة من الوقت ، رأس تحرير مجلة «العالم الإسلامى » الأمريكية التبشيرية ، ورئيس قسم اللاهوت المسيحى فى هارتفورد « ومتعهد » مبشرين ، ومن كتبه « دعوة المئذنة » صدر فى عام ١٩٥٦(١) .

١٣- لوى ماسنيون : أكبر مستشرقى فرنسا المعاصرين و ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية فى شئون شمال افريقيا ، والراعى الروحى للجمعيات التبشيرية الفرنسية فى مصر ، زار العالم الإسلامى أكثر من مرة ، وخدم بالجيش الفرنسى خمس سنوات فى الحرب العالمية الأولى ، كان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى والمجمع العلمى العربى فى دمشق ، متخصص فى الفلسفة والتصوف الإسلامى ، ومن كتبه : « الحلاج الصوفى الشهيد فى الإسلام » صدر فى سنة ١٩٢٢ ، وله كتب وبحوث أخرى عن الفلسفة والتصوف ، وهو من كبار محررى « دائرة المعارف الإسلامية »(٢) .

١٤- د . ب . ماكدونالد : أمريكى من اشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين ، يصدر فى كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة ، من كبار محررى « دائرة المعارفة الإسلامية ومن كتبه :

* « تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية فى الإسلام » صدر سنة ١٩٠٣ .

* « الموقف الدينى والحياة فى الإسلام » صدر سنة ١٩٠٨ (٣) .

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) المرجع السابق ص ٤٩٣ .

(٣) المرجع نفسه .

١٥- مايلز جرين : سكرتير تحرير مجلة « الشرق الأوسط » [١] .

١٦- مجيد خورى مسيحى : عراقى ، رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة جون هوبكنز فى واشنطن ، ومدير معهد الشرق الأوسط للبحوث والتربية بواشنطن ، متعصب حقود على الإسلام وأبنائه ، ومن كتبه المشحونة بالطعن والاخطاء : « الحرب والسلام فى الإسلام » صدر فى سنة ١٩٥٥ ، وله مقالات أخرى [٢] .

١٧- د .س . مرجليوث : انجليزى متعصب ضد الإسلام ، ومن محررى « دائرة المعارف الإسلامية » . كان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى ، والمجمع العلمى فى دمشق ، ومن كتبه :

* « التطورات المبكرة فى الإسلام » صدر فى سنة ١٩١٣ .
* « محمد ومطلع الإسلام » صدر فى سنة ١٩٠٥ .
* « الجامعة الإسلامية » صدر فى سنة ١٩١٢ [٣] .

١٨- ر.ا. نيكولسون : كان من أكبر مستشرقى انجلترا المعاصرين ، ومن محررى « دائرة المعارف » تخصص فى التصوف الإسلامى والفلسفة ، وكان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى ، وهو من المنكرين على الإسلام أنه دين روحى ، ويصفه بالمادية وعدم السمو الانسانى . ومن كتبه : « متصوفو الإسلام » صدر فى سنة ١٩١٠ ، و« التاريخ الأدبى للعرب » صدر فى سنة ١٩٣٠ [٤] .

---

(١) المرجع نفسه .
(٢) المرجع نفسه .
(٣) المرجع نفسه .
(٤) المرجع نفسه ص ٤٩٤ .

١٩- هارفلى هول : رئيس تحرير « مجلة الشرق الأوسط » الأمريكية ، وخطورته أنه يوجه سياسة مجلة من أهم المجلات المعنية بشئون الشرق الأوسط السياسية والثقافية فى العصر الحديث (١) .

٢٠- هنرى لامنس اليسوعى : فرنسى من محررى « دائرة المعارف » شديد التعصب ضد الإسلام والحقد عليه ، مفرط فى عدائه، وافتراءاته لدرجة أقلقت بعض المستشرقين أنفسهم !! (انظر مجلة جمعية الدراسات الشرقية) الأمريكية ص ١٥ ، ١٦ من المجلد السادس يناير سنة ١٩٢٥ . ومن كتبه :

* « الإسلام » * « الطائف » (٢) .

٢١- يوسف شاخت : ألمانى متعصب ضد الإسلام والمسلمين له كتب كثيرة عن الفقه الإسلامى وأصوله ، من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » ، ودائرة معارف العلوم الاجتماعية » ، وأشهر كتبه : « أصول الفقه الإسلامى » (٣) .

يضاف إلى ماسبق من أصحاب الصنف الأول : يوليوس فلهاوزن ، ووليم مور، ونورمان ديال ، ومورير ، ودرمنجهم ، وهملتون جيب ، وعشرات أخرى ، وكمثال بسيط على أفكار هذه الزمرة نأخذ المسيو كيمون فى « كتابه باثالوجيا الإسلام » حيث يقول : « إن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس واخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هى مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولى يبعث الانسان على الخمول والكسل ، ولا يوقظه منهما إلا سفك الدماء ، وأن يدمن على معاقرة الخمور ويجمع فى القبائح، وماقبر محمد فى مكة إلا عمود كهربائى يبعث الجنون فى رؤوس المسلمين ويلجئهم الى الاتيان بمظاهر الهستريا (الصرع) العامة والذهول العقلى، وتكرار لفظة الله إلى

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .

مالانهاية ، والتعود على عادات تنقلب الى طباع متأصلة ككراهة لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى ، والجنون الروحانى .. وترتيب مايستنبط من أفكار القسوة والفجور فى اللذات ... »[1] .

وهذا المستشرق واضرابه يعتقدون ان المسلمين وحوش ضارية وحيوانات مفترسة « وأن الواجب أبادة خمسهم والحكم على الباقى بالاشغال الشاقة وتدمير الكعبة ووضع ضريح محمد فى متحف اللوفر » ، كما يقول المسيو كيمون ، فمثل هذا وأضرابه لايريدون أن يفهموا ، ولو برهنا على فساد آرائهم ، وعلى ادعاءاتهم بالحجج والارقام[2] .

وممن حملوا معاول الهدم المستشرق المؤرخ « برايس » الذى قال : « إن احتكاك الإسلام بالحضارة سيقضى عليه ويؤذن بنهايته » متغافلا عن حقيقة لاتقبل الشك ، أن الحضارة الأوربية الحالية مدينة للإسلام بوجودها أما الإسلام فلسعة صدره احتضن العلوم كلها ، وحث على التزود منها [3] .

الصنف الثانى من المستشرقين من قادهم علمهم المحدود الى معرفة أشياء وغابت عنهم أشياء ، عرفوا جوانب وجهلوا أخرى ، فأحدهم يصيب تارة ، ويخطى أخرى أمثال غيتانى ، وغوستاف لوبون ، وكارل [بروكلمان] ، وهو لغوى فى الدرجة الأولى ، لكنه بحث فى التشريع الإسلامى فتاه وأخطأ ، فأمثال هؤلاء لهم شهادات منصفة ، وأخطاء عن جهل وعن حسن نية أحيانا [4] .

---

(١) نقلا عن الإسلام فى قفص الاتهام ص ١٤ .

(٢) انظر المرجع نفسه .

(٣) انظر الإسلام فى قفص التهام ص ١٤ .

(٤) المرجع نفسه .

وغيتاني المستشرق الإيطالى ، مثل آخر على هذا النوع ، فهو يزعم أن الهجرة الى الحبشة اقتصادية ، وبسبب خلاف حدث بين عثمان بن مظعون ، وأبى بكر الصديق متناسيا أو متجاهلا تعذيب قريش واضطهادها للمسلمين ، ومع ذلك فإنه يرفض محقا « حكاية الغرانيق » التى ثبت كذبها واختلاقها ، ومن ثم نراه يخطئ ثم يصيب .

ومن هؤلاء من قدم للتراث العربى الإسلامى خدمة لاتنكر فى مجال البحث والجمع والتصنيف والنشر [1] .

الصنف الثالث من قادته موضوعيته الى الاقرار بجمال الإسلام وعظمة نبيه ﷺ ، لكنه بقى على دينه أمثال الدكتورة لورافيشيا فاعليرى ، والدكتورة زيغريد هونكد ، وجوته ، وتوما كارليل ، وبودلى ، وتولوستوى ، ولامرتين ، والفيلسوف الشهير برنارد شو الذى قال : « إن محمد ا يجب أن يدعى منقذ الانسانية ، إننى أعتقد أنه لو تولى رجل مثله زعامة العالم الحديث لنجح فى حل مشاكله بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة » [2] .

فهذا هو الانصاف ، وهذه شهادة حق لحق ، لا تملق فيها ، ولا محاباة .

ومن هؤلاء المستشرقين من ساقه عقله ودفعه علمه الى الإسلام فأسلم أمثال ليوبلود فايس الذى من كتبه الشهيرة التى تداولها الناس : الطريق الى مكة ، والإسلام علي مفترق الطرق ...، ومثل إتيان دينيه الفرنسى المسلم ، واللورد هيدلى، ورينيه جينو ، والدكتور جرينيه [3] واليك قصة إسلام هؤلاء العلماء الغربيين بإيجاز :

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) نقلا عن نفس المرجع ص ١٥ .

(١) انظر الإسلام فى قفص الاتهام ص ١٤ ، ١٥ ، والدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله تعالى : أوربا والإسلام ص ٥٤ ومابعدها ، المكتبة العصرية ، لبنان .

أما أتيان دينيه فولد فى باريس سنة ١٨٦١م من كبار أهل الفن ، ورجال التصوير ، صاحب اللوحات الكبيرة النفيسة القيمة ، تزدان بها جدران المعارض الفنية ، وتحتفظ بها المتاحف الفرنسية الكبيرة وغيرها من متاحف العالم ، وردت ترجمتة فى معجم « لاروس» الكبير ، أعلن إسلامة رسميا بالجامع الكبير بمدينة الجزائر فى اجتماع حافل عام ١٩٢٧ . كان كثير التفكير ، جم التأمل ، التجأ الى العقل فى أمور دين أبويه وبيئته ، فرفضها وأسلم .

أشهر كتبه أشعة خاصة بنور الإسلام ، والحج الى بيت الله الحرام (١) .

وسار على نفس المنهج اللورد هدلى بحيث أن إسلامه كان له ضجة كبيرة لمركزه، ولما يعلمه فيه عارفوه من نضج فى التفكير و ، وترو فى الأمور ، قال عن إسلامه ، قرع الدين الإسلامى لبى حقا وتملك رشدى صدقا ، وأقنعنى نقاؤه ، وأصبح حقيقة راسخة فى عقلى وفؤادى ، إذ التقيت بسعادة وطمأنينة ما رأيتهما قط من قبل (٢) .

رينيه جينو : عالم فيلسوف حكيم أراد أن يعتصم بنص لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - كما يقول - فلم يجد ، بعد دراسة عميقة ، سوى القرآن ، فهو الكتاب الوحيد الذى لم ينله التحريف ولا التبديل مؤلفاته مشهورة فى أوربة وأمريكة ، وأهمها : أزمة العالم الحديث ، الشرق والغرب ، رمزية الصليب فند فيه ان الإسلام انتشر بالسيف (٣) .

الدكتور جرينيه : قال عن سبب اسلامه إنى تتبعت كل الايات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية والتى درستها من صغرى أعلهما

(١) انظر أوربا والإسلام ص ٥٠ ومابعدها .

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر المرجع السابق .

جيدا فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة ، فأسلمت لأنى تيقنت أن محمدا ﷺ أتى بالحق الصراح من قبل الف سنة ... ولو أن كل صاحب فن من الفنون ، أو علم من العلوم قارن كل الايات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيدا كما قارنت أنا ... لأسلم بلاشك إن كان عاقلا خاليا من الاغراض [1] .

ركز أكثر المستشرقين على الفتوحات الإسلامية ، فوصفوها بالوحشية ، والعنف ، وبالقسوة والاكراه ، ونسى المستشرقون صورتين متلازمتين فى تاريخ البشرية :

* صورة بيت المقدس حين استولى عليه الصليبيون فى أواخر القرن الحادى عشر .

* وصورته حين استعاده أهله فى أواخر القرن الثانى عشر .

فى الصورة الأولى نجد الصليبين يخرجون ، ويدمرون ويقتلون سكان المدينة ، ويذبحونهم تذبيحا ، حتى ليعترف بعضهم قائلا إنهم وصلوا الى مسجد المدينة فى بحر من الدماء بلغ ركبتيه .. !!

وفى الصورة الثانية نجد صلاح الدين يحمى الارواح ، ويحترم رجال الدين المسيحى ، ويكرم الحرائر من النساء ، ويصون مبانى العبادة بل يأمر برمها وإصلاحها[2] .

فى الصورة الأولى : وحشية هؤلاء وغدرهم وقسوتهم وهمجيتهم .

وفى الصورة الثانية : سماحة الإسلام ونبله وكرم خلقه .

---

(١) المرجع السابق ص ٧٤ ومابعدها .

(٢) انظر الإسلام فى قفص الاتهام ص ١٦ .

بهذا شهد المؤرخون المنصفون : غربيهم ، وشرقيهم ، منذ عهد صلاح الدين حتى اليوم ، ولكن ذلك لايروق للمستشرقين ، حتى لو شهد أبناء جلدتهم بنا خيرا (١).

يقول المؤرخ الانجليزى « رانسمان » (٢) وهو من مؤرخى الحروب الصليبية عند كلامه عن رجوع بيت المقدس ، وموقف صلاح الدين وجيشه من سكان المدينة :

« كان المنتصرون معقولين وإنسانيين ، فعلى حين نجد الفرنجة عند استيلائهم على المدينة منذ ثمانية وثمانين عاما يخوضون فى دماء ضحاياهم ، لانجد فى هذه المرة بناء نُهب ، ولا انسانا أصابه أذى ، ونرى الحراس ، تنفيذا لأوامر صلاح الدين - منبثين لحراسة الطرق والأبواب ، وحماية المسيحيين من أى اعتداء قد يصيبهم » .

وفى تاريخ الغرب مساوئ ومساوئ ، وعار يتلوه عار، ولكن أين « المستغربون » الذين يكرسون جهودهم العلمية من المتخصصين للرد على « المستشرقين » (٣) ؟

المستشرقون ينظرون الى نبوة محمد ﷺ نظرة عادية مجردة من الصوت الإلهى ، وما ذلك إلا من قبيل التعصب الدينى المبنى على عداء سياسى ، إنهم ينكرون أن يكون محمد ﷺ ذا نبوة صحيحة بينما هم يقرون بهذه النبوة نفسها لجيمع أنبياء بنى اسرائيل (٤) .

لماذا ينكر المستشرقون فضل الإسلام ، وأثر الثقافة الإسلامية على أوربا ؟ والجواب من بحاثة منصف ذاع صيته إنه الدكتور غوستاف لوبون فى رده على

(١) انظر المرجع السابق .
(٢) فى كتابة : تاريخ الحروب الصليبية جـ٢ ص .
(٣) انظر الإسلام فى قفص الإتهام ص ١٦ .
(٤) انظر الإسلام فى قفص الاتهام ص ١٧ .

هؤلاء فيقول « لا أرى غير جواب واحد عن هذا السؤال الذى أسأل نفسى به أيضاً، وهو أن استقلالنا الفكرى لم يكن فى غير الظواهر بالحقيقة ، وأننا لسنا من احرار الفكر فى بعض الموضوعات كما نريد »[1] .

وقال فى موضوع آخر : « والحق أن القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليونانى القديم إلا من لغة أتباع محمد ، وبفضل هذه الترجمة أطلعنا على محتويات كتب اليونان التى ضاع أصلها .. ، فعلى العالم ان يعترف للعرب بجميل صنعهم فى انقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافا ابديا ، قال مسيو ليبرى : لو لم يهظر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربا فى الآداب عدة قرون »[2] .

نحن المسلمين لا نريد التهجم على أحد ، أو توجيه السهام الى أحد ، حتى المستشرقين والمبشرين أصحاب الهوى ، إن الذى نريده تفنيد الشبة والمطاعن دون عويل ، واظهار الحقيقة دون تهويل ، لننصف العلم ، والبحث العلمى أولا ، وندافع عن تراثنا ، وحتى لاينحرف شبابنا الناشئ أو يضل مع هذا التيار من الاتهامات الباطلة التى يطلقها مثل هؤلاء المستشرقين ، والتي تؤدى الى القاء ستار كالح السواد على أعين شبابنا الذين لا يعرفون حقيقة دينهم ، فينخدعون بآرائهم، أويتبنونها دون دراسة أو تمحيص .... ومن ثم ، فإن كل مسلم فى أى تخصص مطالب أن يزيح الغشاوة عن أعين شباب المسلمين وشاباته ، فهذه أمانة الله عز وجل سائله عليها يوم القيامة ، وما لا يؤخذ كله لا يترك كله .

---

(١) حضارة العرب : ص ٥٧٧ .

(٢) حضارة العرب ص ٥٦٨ .

ومما ينبغى التنبيه اليه ، والتركيز عليه ان الإسلام برئ من تهم المستشرقين ، لا شائبة فيه ، كامل لانقص فيه ، بل هو فوق التهم ، ولكن المطلوب من القارئ أن يتلمس تلك البراءة بموضوعية [1] .

وفى نهاية المطاف : نوجه النصيحة الى كل الذين أخذوا بآراء المستشرقين أو المبشرين ، وتأثروا بهم ، أو انحازوا الى صفوفهم أن يقرأوا هذا الكتاب ليتضح لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، وليكونوا عونا لدينهم وأمتهم ، فالله سائلهم عما قدموا وأخروا .

(١) انظر الإسلام فى قفص الاتهام ص ١٨ .

الاعتراف سيد الأدلة
والمستقبل للإسلام

فى الوقت الذى يشغل المستشرقون والمبشرون أنفسهم بالطعن فى دين الإسلام وغزو المسلمين فكريا يصرخ علماء الاجتماع فى الغرب من أثر الحضارة المادية المدمرة على الانسان وإليك ماجاء فى هذا الصدد:

اضطر مؤخراً بعض علماء الاجتماع [1] وغيرهم فى الغرب إلى الاعتراف بأن الحضارة المعاصرة على الرغم من منجزاتها العلمية الخلابة تقود الانسانية نحو هاوية مدمرة ، وذلك لأنها أولت الجانب المادى كل عنايتها واهتمامها ، وتناست أوأهملت الجانب الروحى ، والانسان لن يستطيع أن يعيش حياة تنسجم مع طاقاته وملكاته أو فطرته التى فطره الله عليها إلا إذا كان للجانب الروحى السيادة فى حياته، بمعنى أن يكون لسعيه وعمله فى الأرض غاية فوق غايات الحياة الدنيوية ، وأن يكون فى كل تصرفاته محكوما بقوانين إلهية .

«وهؤلاء العلماء الذين حذروا من خطر المادية المعاصرة ذهبوا فى طلبهم لهذه المادية الى وجوب الاهتمام بعلوم الانسان أكثر من الاهتمام بغيرها من العلوم ، وأكدوا أن حضارتهم لا يمكن لها الاستمرار فى البقاء من الناحية المادية إلا إذا استردت روحانيتها .

---

(١) انظر : الانسان ذلك المجهول، للدكتور الكسس كاريل ، ترجمة اسعد فريد ، فقد جاء فى ص ٣٨ : « ان الحضارة العصرية تجد نفسها فى موقف صعب ، لأنها لا تلائمنا ، فقد أنشئت دون أيه معرفة بطبيعتها الحقيقية ، » وفى ص ٤٤ يقول كاريل : « يجب أن يكون الانسان مقياسا لكل شئ ولكن الواقع هو عكس ذلك ، فهو غريب فى العالم الذى ابتدعه » .

«ولكن ما ينادى به علماء الغرب من علاج لمشكلة الحضارة المعاصرة لن يحقق مايحلمون به أو يتطلعون اليه ، فالغرب لا يملك أن يقدم فكراً ، روحياً ينقذ الانسان من أوزار تلك الحضارة ، لأن ماليديه من بقايا التصورات المسيحية والمفاهيم اللاهوتية – على ما لحقها من تشويه وتبديل- قد عملت الحضارة المادية على انكماشها وعزلها عن الحياة منذ عدة قرون ، ومن ثم لم يعد لها فى دنيا الناس اليوم تأثير ذو بال (١) .

«وما دام الغرب لا يملك الفكر الذى ينقذ الانسان من طغيان النظرة المادية فإن ماينادى به علماؤه ومفكروه لن يجدى شيئا وسيظل تيار المادية متدفقا يدمر البقية من أشواق الانسان الروحية، اللهم إلا إذا تصدى له فكر منهجى تتوافر فيه كل الخصائص والقسمات التى تحفظ على الانسان آدميته وكرامته وتتيح له أن يؤدى رسالته فى الحياة كما ينبغى أن تكون .

«والإسلام من بين كل المناهج والنظريات التى عرفتها البشرية قديما وحديثا هو وحده الذى يملك انقاذ الانسان من أوزار الحضارة المادية ، فهو منهج شامل متكامل للتصور والاعتقاد والعمل ، منهج لا يعرف الانفصام بين أشواق الروح وحاجات الجسد ، منهج يجعل من العلوم المادية وثمراتها الحضارية مطلبا اساسيا لعمارة الأرض ، ولكن فى ظل علاقة الخالق بالمخلوق ، ومن ثم كان الإسلام منهجا للعلم والحضارة فى حدود إطاره الذى يحكم كل شؤون الحياة .

---

(١) د. محمد الدسوقى بحث بعنوان : المستقبل الإسلامى فى مواجهة القوى المضادة نشر فى «الإسلام اليوم» مجلة دورية تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو العدد الثانى عشر – السنة الحادية عشرة ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .

«ولأن الإســلام هو هذا النهج الشـامل الذى يقـوم على التـوزان والوسطيـة والواقعية وكان فى صـلاحيته للتطبيق يتجاوز الزمان والمكان ، ذهب بعض الباحثين الى القول بأن المستقبل للاسلام، وأن هذا الدين سينقذ البشرية مما تعانى الآن منه فى حاضـرها ، فكل النظريات الوضـعية التى تتصـارع الآن من اجل أن تسود وتقود سينتهى أمرها الى البوار ، ولأنها جميعا على مابينها من تفاوت تلتقى عند الحكم على الانسان بأنه حيـوان اقتـصادى ، كل همـه أن يشـبع حـاجـاته المادية ، ومطالبه الجسمية[1] .

«وقـد برهـن هؤلاء الذين يؤكـدون أن المسـتـقـبل للإسـلام على مـايذهبـون اليـه باعتناق عدد كثير من أهل أوربا لهذا الدين ، ومن هؤلاء مفكرون وفـلاسفة كانوا قبل إيمانهم بالإسلام يؤمنون بمذاهب مادية والحادية[2] .

«واذا كـان الإسـلام هو المنهج الإلهى الصـالح للحـيـاة ، وإذا كـانت كل النظم البشرية قاصرة عن أن تحقق للإنسان أمنا معنويا وماديا فإن الذى يستنبه النظر ان الإسـلام مع أنه المنهج الأمثل يلقى مـقـاومـة ضـارية لمده وانتشـاره من قـوى كـثـيرة ، وهذه القوى لا تناوئ الإسـلام حرصـا على مسـتقبل البشـرية ، ولكنهـا تناوئه حرصـا على منافع ذاتيه : واسـتـجابة لمشاعر ومفـاهيم فـاسـدة ، واجـترارا لمواريث الصـراع بين هذا الدين والذى وقفوا فى سبيله منذ أكثر من عشرة قرون .

«ولأن القـوى المضـاد للمـسـتـقـبل الإسـلامـى مـتـعـددة ، وتـعـمـل كلهـا فى دأب ومثابرة للحيلولة دون أن يكون لهذا المستقبل تأثيره الفاعل فى حياة البشرية مع شدة

---

(١) المستـقبل لهذا الدين للاسـتـاذ سـيـد قطب ص ٧٠ ط الاتحـاد الإسـلامى العـالمى للمنظمـات الطلابية .

(٢) مستقبل الإسـلام خـارج أرضه للشيخ محمد الغزالى ص ٩ ط مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة ، عمان .

حاجتها الى هذا التأثير ، ومع بحث المفكرين والعلماء عن البديل الحضارى الذى يدفع عن الانسانية أخطار المادية المعاصرة - رأيت الحديث عن ضرب واحد من ضروب تلك القوى ، لأنه أشدها خطرا ويكاد مفهومه الواسع ينسحب على سائر هذه القوى» .

«وهذا الضرب الذى يعد أشد القوى المناوئة لحاضر الإسلام ومستقبله هو التبشير .

«والتبشير فى مدلوله اللغوى يعنى الاخبار بالخير ، وقد يكون إخبارا بالشر إذا كان مقيدا به ، لقوله تعالى ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذابا اليما ﴾ (١) فالتبشير عند الإطلاق لا يكون إلا فى الخير .

«وإطلاق الكلمة على ما أصبح متعارفا عليه ، وهو الدعوة الى الدين إطلاق محدث بل إن هذا الإطلاق يكاد ينصرف الى ماتبذله القوى المضادة للإسلام من جهود مختلفة لمقاومة مد هذا الدين وزعزعة ثقة اتباعه به ، ومحاولة اخراجهم منه ، ومن ثم ظهرت مؤلفات عديدة يحمل عنوانها هذه الكلمة للدلالة على مايبيت للإسلام والمؤمنين به من كيد ومكر ، ولما تبذله جماعات التبشير النصرانية من نشاط فائق فى إفريقيا وآسيا لنشر المسحيية بين المسلمين وغيرهم على السواء» (٢) .

---

(١) سورة النساء : ١٣٨ .

(٢) المستقبل الإسلامى فى مواجهة القوى المضادة د. محمد الدسوقى ص ٤٤ ، ٤٥ .

ثانيـاً : التبشيـر :

سبق القول بأن الغزو الفكرى يعتمد على ركنين أساسيين هما :

الاستشراق والتبشير أما الاستشراق فقد تناولته بالشرح والبيان ، أما التبشير فسيناله أيضا البيان والتوضح إن شاء الله تعالى :

مفهوم التبشير لغة : التبشير كالإبشار ، والاسم منه البشارة [1] ، والبشارة المطلقة لاتكون إلا بالخير ، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة به كقول الله عز وجل : « فبشرهم بعذاب أليم » [2] ، وتباشر القوم أى بشر بعضهم بعضا والبشير : المبشر» [3] .

ويذهب بعض علماء اللغة مذهبا آخر ، مأخوذ من الأصل اللغوى للكلمة ، فقالوا : إن كلمة تبشير عبارة عن الخير الذى يؤثر فى البشرة تغيرا ، وهذا يكون للحزن أيضاً ، فوجب أن يكون لفظ التبشير حقيقة فى القسمين [4] .

وبعض علماء اللغة يرون أن الكلمة إذا أطلقت كانت للخير ، وربما حمل عليه غيره من الشر ، ويكون ذلك جنسا من التبكيت [5] .

والمتتبع لهذه الكلمة فى القرآن الكريم يجد أنها تأتى فى الغالب : بشارة للخير ، ووردت مقيدة بالشر كقوله سبحانه : « بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما [6].

---

(١) الطاهر الزاوى : ترتيب القاموس المحيط : جـ١ ماد بشر .

(٢) آل عمران : ٢١ .

(٣) الجوهرى الصحيح جـ٢ مادة بشر .

(٤) الزبيدى : تاج العروس : ٣/٤٥ ط الخيرية مصر ١٣٠٦هـ .

(٥) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ط الحلبى – مصر ١٣٨٩هـ.

(٦) النساء : ١٣٨ .

وكقوله سبحانه : « وبشر الذين كفروا بعذاب أليم » (1) .

فالكلمة أصل وحقيقة فى الخير ، ومن ثم لم تأت فى الشر إلا مقيدة ، كما فى قوله سبحانه : «بشر المنافقين ».

وعلماء التفسير يقولون : إن هذا الأسلوب وغيره من باب التهكم والتهديد(2) .

أما علماء البلاغة فيقولون هذه صيغة أمر خرجت عن معناها الأصلى إلى معان أخر تستفاد من سياق الكلام (3) .

أما مفهوم التبشير فى المصطلح الحديث فيطلق على المنظمات الدينية النصرانية التى تستهدف تعليم الدين المسيحى ونشره فى العالم ، وخاصة داخل البلاد الإسلامية .

وإطلاق اسم التبشير على هذه الدعوة – كما يقول د. أحمد عبد العال (4) – لاصحة له لسببين :

الأول : إن التبشر بالتعاليم النصرانية المحرفة لا تمت الى ديانة المسيح عليه السلام بصلة ، وأصدق مايطلق عليها انها تعاليم وثنية ملحدة استعمارية ، ومن ثم لا يجوز وصف هذه الدعوة « بالتبشير» .

---

(1) التوبة : ٣ .

(2) راجع تفسير محاسن التأويل للشيخ القاسمى : ٥/١٦١٠ ، ٨٠ / ٣٠٧١ .

(3) راجع كتاب البلاغة الواضحة : على الجارم وآخر ص ١٧٩ .

(4) مذكرة الثقافة الإسلامية ص ١ ، ٢ .

الأخر : إن هذه الدعوة استهدفت العالم الإسلامى فى الأعم الغالب ، واستقطب اهتمامها وجود الإسلام بصورته الحية ، وأنه العامل الأساسى الفعال فى قوة الأمة وتماسكها وحيويتها ضد الاستسلام للصليبية الحاقدة والصهيونية الماكرة ، وبما أن الإسلام هو دين الله الحق الذى ارتضاه لعباده « إن الدين عند الله الإسلام » فكل دعوة أو نشاط يستهدف هذا الدين الحق أو ينال منه فهى دعوة كاذبة مغرضة ، ومثل هذه الدعوة التى يتصدى لها دعاة المسيحية ينبغى أن يطلق عليها اسم «التنصير» أما اسم التبشير والبشارة فلا يمت أحدهما الى المسيحية بأدنى صلة .

ومع هذا كله فقد اهتمت الكنيسة بتوجيه جهودها الى التبشير بالمسيحية فى العالم الإسلامى بالذات فى القرون الأخيرة ، لتقتلع الإسلام من نفوس الناس ، وتحل محله المسيحية ، وهذا مايسمى بـ« حملات التنصير» ، يوضح ذلك بصفاقة المبشر « رايد » فى قوله :

« إننى أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح ، ومع ذلك يظن المسلم أن لى فى ذلك غاية خاصة : أنا لا أحب المسلم لذته ، ولا لأنه أخ لى فى الانسانية ، ولولا أننى أريد ربحه إلى صفوف النصاري لماكنت تعرضت له لا ساعده » [١] .

وجاء فى كتاب اسمه مؤتمر العاملين المسحيين بين المسلمين [٢] مايلى : نحن نعنى بالعمل الاجتماعي المسيحى تطبيق مبادئ يسوع المسيح فى جميع الصلات الانسانية، إن المسلمين يدعون أن فى الإسلام مايلبى كل حاجة اجتماعية فى البشر، فعلينا ان نقاوم الإسلام دينيا بالاسلحة الروحية ، فالنشاط الاجتماعى يجب ان يرافق التعليم المباشر للانجيل ويساعده ويتمه .. فلنبدأ بالصلات اليومية ، تلك التى

(١) التبشير والاستعمار ص ١٩٣ .
(٢) نقلا عن المرجع السابق ص ١٩١ .

تتصل بالطفل وبالمرأة ، ثم تتوسع فى تلك الصلات حتى نبلغ الى المبادئ الواسعة التى أقرتها عصبة الأمم... فأمام الكنيسة اليوم مناسبات ممتازة تتيح « للمبشر المسيحى» أن يتصل برجال ونساء فى البيئة .. « الإسلامية» الراقية لم يكن بإمكانه من قبل ان يتصل بهم .

ويقول كارل بكر المبشر الألمانى : « إن الإسلام لما انبسط فى العصور الوسطى أقام سدا فى وجه انتشار النصرانية ، ثم امتد الى البلاد التى كانت خاضعة لصولجان المسحية »(1) .

ويكاد يجمع المبشرون فيما بينهم على الكلمة التالية التى جاءت على لسان المبشر جاردنر : « إن القوة التى تكمن فى الإسلام هى التى تخيف أوروبا » .

وجاء فى كتاب المؤتمر السابق ذكره مايلى أيضًا : « وعلى المبشرين أن يتعرفوا الى أحوال المسلمين الاجتماعية والاقتصادية حولهم ثم يسعون الى الإصلاح (فى الظاهر) ، سعيا إلى التأثير على الرأى العام (بأن غايتهم شريفة مجردة من الغرض التبشيرى) ، ومما يجب أن يهتم المبشرون به (فى الظاهر) : إصلاح الأحداث : الحيلولة دون الزواج الباكر ، الحيلولة دون تشغيل الأطفال ، محاولة اصلاح الأحوال العامة للعمال فيما يتعلق بساعات العمل ، وبالاجور ، وبالأمور الصحية فى المعمل ، والرفق بالحيوان .. ص ٣٤ - ٣٦ »(2) .

والمسلمون خاصة لم يتقبلوا اعمال التبشير الاجتماعية (فى ظاهرها) بسرور، لاسباب مختلفة منها : أن الإسلام نظام اجتماعى كامل ، وكل مايأتى به هؤلاء المبشرون ، باعترافهم هم ، موجود فى الإسلام وفى اشكال أتم واحسن (3).

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٢ .

(٢) نقلا عن المرجع السابق ص ١٩٢ .

(٣) نقلا عن المرجع نفسه ص ١٩٢ .

وهذا حق فالدين الإسلامى ليس عقيدة فقط ، بل هو عقيدة ونظام اجتماعى أيضاً . أما النصرانية فليست كذلك وأن مايأتى به المبشرون على أنه اصلاحات اجتماعية إنما هى نتاج مشوه لمبادئ اجتماعية نشأت فى القرون المتأخرة ، وما كان أغنى المسلمين عن أن يتناولوا هذه المبادئ الاجتماعية ملونة بلون التبشير ! إن ثمة حاجة الى تجديد اجتماعى بين المسلمين لاريب فى ذلك ومن أجل ذلك يحسن اللجوء الى المذاهب الاجتماعية إذا كانت موافقة، من غير أن تمر بين أيدى المبشرين (١) .

أما المبشر : أ.ل شاتليه فى مقدمة كتابه : « الغارة على العالم الإسلامى» فيقول :

« ينبغى لفرنسا أن يكون عملها فى الشرق مبنيا قبل كل شئ على قواعد التربية العقلية ، ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتثبيت من فائدته ، ويجدر بنا لتحقيق ذلك بالعقل أن لا نقتصر على المشروعات الخاصة التى يقوم الرهبان المبشرون وغيرهم بها ، لأن لهذه المشروعات أغراضا اختصاصية ، ثم ليس للقائمين بها حول ولا قوة فى هيئتنا الاجتماعية التى من دأبها الاتكال على الحكومة وعدم الاقبال على مساعدة المشروعات الخاصة التى يقوم بها الافراد فتبقى مجهوداتهم ضئيلة بالنسبة الى الغرض العام الذى نحن نتوخاه ، وهو غرض لايمكن الوصول اليه إلا بالتعليم الذى يكون تحت الجامعات الفرنساوية ، نظرا لما اختص به هذه التعليم من الوسائل العقلية والعلمية المبنية على قوة الإرادة .

وأنا أرجو أن يخرج هذا التعليم الى حيز الفعل ليبث فى دين الإسلام التعاليم المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنساوية »(٢) .

---

(١) المرجع نفسه ص ١٩٣ .

(٢) الغارة على العالم الإسلامى ص ١٣-١٩ تعريب محب الخطيب ومساعد اليافى .

نبذة عن تاريخ التبشير(*)

للتبشير تاريخ طويل بدأ مع ظهور الاستشراق ، وكانت بدايات الاستشراق بعد فتح الاندلس وجزر البحر المتوسط وذلك ان الجيل الأول من المستشرقين كان القساوسة والرهبان ، وكانت مهمتهم تنحصر فى العمل على تشويه صورة الإسلام وتلمس مواطن للهجوم عليه منها ... حتى لا يقبل أهل أوربا وبخاصة الشباب على الإيمان به ، ثم كانت الحروب الصليبية رد فعل لفشل هذا الجيل من المستشرقين فى منع شباب أوربا من الهجرة الى الحواضر الإسلامية لدراسة علوم المسلمين وثقافتهم بالاضافة الى اطماع ملوك أوربا فى كنوز الشرق وخيراته .

وعلى الرغم من أن الصليبيين أقاموا فى بلاد الإسلام نحو مائتى عام ، وعرفوا المسلمين عن كثب، ونقلوا كثيرا من تراثهم العلمى ، وانتفعوا به فى تطورهم الحضارى على الرغم من هذا كله تضاعف السعى لنشر الأباطيل حول الإسلام وتخويف غير المسلمين منه ، كما بدأ العمل لإعداد مبشرين ينشرون المسيحية بين المسلمين .

ويعد بطرس الكلونى (ت :١١٥٦م) أول راهب متحمس لحرب المسلمين عن طريق السلاح والفكر ، وكان فى رسائله للملوك الصليبيين يدعو الى تنصير المسلمين فذلك أنفع للمسيحية من قتلهم، ومن ثم كان يعتقد أن المهمة الأولى للحروب الصليبية هى تنصير المسلمين ، ولكنها تحولت الى عمل سياسى عسكرى .. ففقدت بذلك مهمتها الأساسية والتى لم تتم ، وأرجع بطرس فشل هذه الحروب فى مهمتها اى

(*) نقلا عن بحث للدكتور محمد الدسوقى بعنوان المستقبل الإسلامى فى مواجهة القوى المضادة ص ٤٥ وما بعدها ، المنشور فى مجلة «الإسلام اليوم» مرجع سابق عدد ١٢ - ١٤١٥ هـ ١٩٩٤م .

عدم معرفة المسيحيين بحقيقة الدين الإسلامى ، ولذا أوجب على نفسه وحض سواه على دراسة الإسلام ومحاجة المسلمين وإقناعهم بالتخلى عن الإسلام الى المسيحية [1] .

وكانت المرحلة التاريخية التى انحسر فيها المد الحضارى الإسلامى ، وأخذت فيها أوربا طريقها نحو النهضة من العوامل التى أتاحت للتبشير والاستشراق معا فرصة أكبر للعمل ضد الإسلام .

ولكن على الرغم مما بذل من جهد ومال لم يبلغ التبشير مآربه بين المسلمين وإن كان قد نجح فيما يسعى اليه بين الأوربيين .

وجاءت مرحلة الاستعمار العسكرى وماصحبها من غزو ثقافى واجتماعى وتمزيق فكرى ، فى هذه المرحلة تغلغل التبشير فى مجالات اسلامية لم يكن يجرؤ على القرب منها من قبل ، وأخذ منذ نحو قرن يخطط [2] وفق دراسات علمية لزحزحة الإسلام شيئا فشيئا عن مركز التأثير والتوجيه فى شتى مجالات الحياة بين المؤمنين به ، ثم محاولة خداع الضعاف من المسلمين من أجل ترك دينهم واعتناق المسحية .

وإذا كان الاستعمار المسلح قد انتهى فإن النشاط التبشيرى لم يتوقف ، فقد تضاعف واتخذ وسائل جديدة وارتدى ثيابا مختلفة ، وانفق أموالا طائلة ، ومثل بكل هذا هجمة طاغية تهدد مستقبل الإسلام ، وتهدد من ثم مستقبل البشرية ، فلاسبيل

(١) انظر المحرفون للكلم للدكتور حسن المعايرجى ، مجلة (المسلم المعاصر) العدد٨٤ ص ٦٢ ، والاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى للاستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق ص ٢٤ ط كتاب الأمة.

(٢) انظر الغارة على العالم الإسلامى . ترجمة : محب الدين الخطيب اليافى .

لحماية هذا المستقبل من حرب كونية تدمر كل شئ، ومن حياة يسودها القلق ويحكمها الاضطراب ، إلا بقيم انسانية تحترم الانسان لذاته ، ولن تتوافر هذه القيم إلا فى الإسلام الذى بعث الله به محمدا ﷺ رحمة للعالمين.

التبشير وحقيقته فى العصر الحاضر :

يجمع كل الذين يتابعون نشاط التبشير فى العصر الحاضر على أنه يمثل عدوانا باغيا على الإسلام والمسلمين كما يجمع هؤلاء أيضًا على أن الكنيسة من وراء هذا النشاط وأن الأموال تنفق بسخاء غريب عليه ، ويكفى مثلا الإشارة الى أن الكنائس فى أندونيسيا تلقت من مجمع الكنائس البروتستانتية فى عام١٩٨٢م فقط ثلاثمائة وخمسين مليون دولا[1] وأنه فى افريقيا وحدها أكثر من مائة ألف متصر [2] وأن عدد المعاهد الكنسية فى القارة ١٩٦٦١ معهدا فى مختلف المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، وأنه يخضع للسلطات التنصرية فى افريقيا أكثر من خمسمائة جامعة وكلية ومعهد عال ، وكذلك ٤٨٩ مدرسة لاهوتية لتخريج القسس والمنصريين وأنه يدرس فى المدارس النصرانية للأسف الشديد أكثر من ستة ملاين طالب مسلم ، وأن الانجيل ترجم الى ٤٢٢ لغة افريقية فى السنوات القليلة الماضية (٣) .

هذه المؤسسات التربوية وغيرها من المؤسسات الصحية والاجتماعية وما أكثرها فى آسيا وافريقيا من أين لها المال الذى تسير به حياتها ، وتدير شؤونها، ان الكنيسة بلا مراء هى التى تغدق الأموال على المبشرين ومؤسساتهم المتنوعة ، وهى ليست الا المشرف على جمع الأموال وإنفاقها ، أما الذين يدفعون فهم كل

(١) انظر : جريد السياسة الكويتية، عدد يوم الجمعة ١٩٨٣/٥/٢٧م ص ٦ .

(٢) انظر : الإسلام أمام التحدى العالمى للدكتور إحسان حقى ص ١٣ .

(٣) انظر : مجلة «الخيرية» العدد الثامن نوفمبر ١٩٨٩ ص ٦١ .

الدول النصرانية ، كذلك يجمع كل المتتبعين لحركات التبشير على أنه فى العصر الحاضر يزحف بعنف واصرار نحو تدمير العالم الإسلامى كله ، وأنه يهتم بصورة خاصة وبوسائل مضلله بقلب هذا العالم ، أو أرض قبلته ومنار حضارته ، فقد تضمن تقريرا أصدرته جمعية إسلامية فى بريطانيا عن التبشر فى الدول العربية حقائق مذهلة ينبغى أن يعيها كل مسلم ، ليكون على بينة من ذلك النشاط التدميرى للتبشير والذى يتغيا بالدرجة الأولى القضاء على الإسلام والسيطرة على معاقله الرئيسية وهذه الحقائق هى :

١- إن جمعيات التبشير تركز على قلب العالم الإسلامى ، وأن لم تقترب منه بعد، وقد قررت جعل إحدى الحواضر العربية الغنية مركزاً ، أو قاعدة للانطلاق والهجوم على هذا القلب (١) .

٢- إن تلك الجمعيات ، فضلا عن اتخاذها تلك المدينة قاعدة للعدوان على قلب العالم الإسلامى تتقوقع بأنشتطها مع الشركات الاجنبية العاملة فى المنطقة، وكذلك بنوعيات الكتب التى ترسل الى المراكز الثقافية للسفارات الموجودة بتلك المنطقة ، وكذلك العاملين فى مجال الطبخ والخدمات بالمنازل المسلمة .

٣- لايتجاوز عدد المسحيين بدول الخليج خمسمائة مواطن ، وإن كان عددهم بالنسبة للعاملين والمهاجرين نحو ستين ألفا ولكن عدد المنظمات التبشيرية الموجودة بهذ الدول تبلغ إحدى عشرة بعثة انجليزية و٤٢ بعثة أمريكية .

٤- وأهم هذه المنظمات :

أ) جمعية البعثة الكنسية ، وتعمل فى مجال الصحة والتعليم، وكانت ميزانيتها لعام ١٨٧٩م ٢ مليون جنيه استرليى .

---

(١) انظر : غارة تبشيرية للدكتور عبد الودود شلبى مجلة الأمة العدد ٩ ص ٧٨ .

ب) زمالة الإخلاص للمسلمين ، وعمل مباشرة فى وسط المسلمين ومهمتها تنظم المؤتمرات واعداد الكتب للمسلمين .

ج) جمعية تنصير الشرق الأوسط ، ومهمتها انتاج الكتب ونشرها بين المسلمين باللغة العربية ، وأحدث مشروع لها ، الإنجيل للأطفال ، طبع فى قبرص ويوزع فى تلك المنطقة .

د) الكنيسة الإصلاحية ، وهى بروتستانتية ، تعمل فى المنطقة المذكورة وميزانتيها أربعة ملاين ونصف مليون دولار .

هـ) عملية التحريك وتهتم بتنظيم وتدريب المبشرين المتطوعين لفترات قصيرة ، ومن أهم اعمالها الاتصال بسفينتين عائمتين تحويان مخازن هائلة من الكتب .

و) بعثة الانجيل المتحدة ، وهى منظمة دولية تهتم بالأمور التربوية والطبية والاذاعية ، وميزانيتها تسعة ملايين دولار ، ويتمركز نشاطها فى إحدى المستشفيات التابعة لها .

وقد أوضح ذلك التقرير الطرق التى يتبعها المبشرون فى دول الخليج على سبيل المثال ، ومنها :

أولاً : العمل الطبى ، حيث تستغل المستشفيات فى الاتصال بالمرضى ومحاولة تنصيرهم .

ثانيا: الاتصال على المستوى الشخصى ويتم ذلك بواسطة حرفيين وهم يأتون فى مجالات العمل والتقنية على شكل حرفيين أو أطباء أو مدرسين أو مهندسين ويحاورون بعناية .

ثالثا : إنتاج الأدب ، وتوزيعه فى سبيل تنصير المسلمين كالمكتبات وبخاصة تلك المكتبة العائمة التى تحمل اسم « سفينة لوجوس» .

رابعاً : راديو التنصير ، وهو وسيلة مهمة جدا ويذيع باللغة العربية من اسبانيا وفرنسا وليبيريا وسيشل ، وهو موجه الى المنطقة (١) .

ويعد ذلك التقرير بما جاء فيه من حقائق وثيقة تبشرية خطيرة تضاف الى الوثائق الكثير التى يشتمل عليها ملف التبشير ، والتى ينفطر لها قلب كل مسلم ، لأن هؤلاء الذين يدعون أن دينهم يحضهم على التسامح ويحذرهم من التعصب يمارسون نحو غيرهم أشرس ألوان التعصب والكراهية ويسعون فى حرص شديد واصرار غريب لبلبلة عقائد الآخرين ، وجعلهم حيارى لا يعتصمون بقيم تحفظ على وجودهم الاستقرار والأطمئنان والتقدم والتطوير .

ولكن ذلك التقرير على خطورته اغفل وسيلة من وسائل التبشير لها دور كبير فى القيام بمهمته ، وتلك الوسيلة هى التربية التى يقول عنها أحد المبشرين : « إن التربية الغربية هى من قبيل قوة تنحل بها عرى الروابط الإسلامية » (٢) .

ولذلك لم يكن غريبا أن يتحول بعض رجال الكنيسة من رجال دين الى رجال سياسة ، ويخلعوا عنهم مسوح الرهبان والقساوسة ، ونزلوا الى الشعوب المستعمرة ، ويتسللوا الى أعلى المناصب ، لينفذوا سياستهم الصليبية المتطرفة محاولين ضرب المجتمع الإسلامى فى أعز أمانيه ، ومن هؤلاء (دنلوب) الانجليزى الذى وفد إلى مصر فى ظل الاستعمار البريطانى ، وأطلقت يده فى السياسة التعليمية كى يخطط

---

(١) انظر : جريدة السياسة الكويتية المرجع السابق ، عدد الجمعة الموافق ١٩٨٣/٥/٢٧م

(٢) الإسلام والقوى المضادة لنجيب الكيلانى ص ٢١ ، ط٢ مؤسسة الرسالة .

لها حسب هواه ، وحسب مايمليه عليه إخوانه من المبشرين الاستعماريين ، ولقد ظلت مصر ردحاً طويلا ، تعانى مما أدخله (دنلوب) على نظم التربية والتعليم ، فقد حاول ذلك المبشر المتعصب أن يسمم العقول ، ويقضى على الثقافة العربية الاصيلة ، ويعزل اللغة العربية عن مجال الثقافة والفكر بجعل الانجليزية لغة التعليم والدواوين كما فعل الفرنسيون فى الجزائر [١] .

وبالاضافة الى جهد التبشير فى صبغ التعليم فى البلاد الإسلامية بصبغة تغريبية أنشأ المدارس والجامعات التى تكتسى فى ظاهرها رداء العلم والتعاون الثقافى ، وهى فى الواقع حبالة من حبائل التنصير ، فهى لاتقدم من جهة علما نافعا يحقق التقدم والبناء الحضارى التقنى ، ومن جهة أخرى تنأى بمن يدرس فيها عن ثقافته الاصيلة ، وتراثه الفكرى وتمده بأفكار وقيم تشده الى هوية أخرى ، ومن ثم تسلبه هويته الذاتية فيصبح انتماؤه لأمته وعقيدته انتماء شكليا ، ويصبح ولاؤه النفسى والفكرى للأمة التى تربى فى مدارسها وتثقف بثقافتها [٢] .

---

(١) انظر المرجع السابق ص٢١ .

(٢) ومازالت هذه السياسة متغلغلة فى بعض البلدان العربية فى مناهجها التعليمية للأسف الشديد .

وتظهر حقيقة التبشير عندما:

جاء المستر بنروز إلى رئاسة الجامعة الأمريكية وكان الأمل أن يأتى بعقلية العالم، بعقلية أرحب أفقاً . على أن المستر بنروز قد أدرك فى أثناء رئاسته للجامعة الأمريكية (١٩٤٨ - ١٩٥٤) كثيراً من أوجه الرقى عند العرب.

ويعترف المبشرون بأن التبشير الرسمى واكتساب المسلمين إلى صفوف النصرانية قد خاب.

من أجل ذلك قنع هؤلاء المبشرون أن يكون عملهم «الإنسانى» قاصراً على زعزعة عقيدة المسلمين على الأقل. من أمثال هذه الجملة ينفذ القارئ إلى حقيقة بواعث التبشير: أنه ليس الاصلاح والحياة الروحية. بل هو الأفساد والتوسل إلى السيطرة.

هذه المرارة من الخيبة فى التبشير، وهذه النقمة على العالم الاسلامى، وهذا الافتراء على المسلمين تلمحه فى كلام المبشرين أنفسهم. يتكلم المبشر (رايد) عن طرابلس الغرب كلاماً يمكن أن نعده معبراً عن طوية كل مبشر فى بلاد الإسلام، قال: «ان عمل (المبشر) المسيحى بين هذا الشعب صعب جداً. فبعد عمل امتد خمسة عشر عاماً صح عندى أن الطريقة الوحيدة لاكتساب هذا الشعب إنما هى فى النفوذ الشخصى إليه - نفوذ الرجال والنساء الذين امتلاؤا بروح القدس (فجعلت لهم) قوة فى حياتهم الشخصية وخلقهم الشخصى. وحتى يستطيع المبشر أن يستغل هذه القوة يتحتم عليه أولاً أن يقارب المسلمين مقاربة شديدة. وهنا تبرز الصعوبة... أن المشكلة فى العمل بين المسلمين، وفى شمالى أفريقيا خاصة، إنما هى فى ايجاد الطريقة التى تساعد فعلاً على الاقتراب منهم[١].

---

(١) التبشير والاستعمار.

«ثم أن ذلك الحاجز العظيم الذى يدعى عادة بالتعصب، وهو ذلك الجدار الشاهق من الشك والاعتزاز بالذات ومن الكره، قد بناه الإسلام حول اتباعه ليحميهم فى داخله وليترك المبشر خارجه. أنه جدار طالما أثبت، مع الأسف، أن تسلقه أواختراقه مستحيل. أن رجالاً من (المبشرين) قد عملوا سنين متوالية، وفى مدينة واحدة، ثم لم يستطيعوا أن يكتسبوا صديقاً أوصديقين.

«من الصعب أن تحب مسلماً لأن المسلم ليس محبباً إلى النفس، ولأنه هو عادة يشمئز من الذين يحاولون الاقتراب منه إذا نالوا ثقته».

إن هنالك أفراداً ليسوا رهباناً، ولكنهم تعلموا فى المعاهد الرهبانية وفى معاهد اليسوعيين خاصة. إن هؤلاء أيضاً يقومون بأعمال تبشيرية مختلفة. هذا النوع من الرجال يعرفون باسم اليسوعيين ذوى الثياب القصيرة حتى الراهبات اللواتى يظن أنهن نذرن أنفسهن لخدمة المرضى وتعليم الجاهلين ومؤاساة المساكين لسن سوى مبشرات. يقول اليسوعيون فى كتابهم الذى أصدروه فى بيروت عام ١٩٣١:

«إن الأخوات لسن راهبات معلمات فقط، ولكنهن أيضاً راهبات مبشرات. انهن فى كل مكان يوجدن فيه يعملن إلى جانب عملهن التعليمى أعمالاً تبشيرية»[١].

وهن لايكتمن ذلك بل يعلن أنهن لضم الخراف الضالة أوالمهملة إلى حظيرة المسيح الملك.

ولقد استخدم المبشرون جميع الطرق فى سبيل التبشير واستغلوا جميع المناسبات، فصناعة التطبيب والتعليم والوعظ ونقل الكتب من لغة إلى لغة، كلها يجب أن توجه توجيهاً يفيد التبشير[٢].

---

(١) نقلا عن التبشير والإستعمار.

(٢) المرجع السابق.

«كان التطبيب والتعليم من وسائل التبشير، ويجب أن يبقيا كذلك. أما أعمال الاحسان فيجب أن تستعمل بحكمة كيلا تذهب فى غير سبيلها. يجب أن تعطى الأموال أولاً للبعداء عن الكنيسة ثم تقل تدريجاً كلما اقترب أولئك من الدخول فى الكنيسة (اعتناق مذهبها)، فإذا دخلوها منع عنهم الاحسان مرة واحدة»[1]

إن إعداد المبشرين يختلف بين زمن وآخر. وكذلك طرق التبشير اختلفت من جيل إلى جيل، ومن قطر إلى قطر. فبينما كان التبشير فى القرن التاسع عشر خاصاً بأشخاص اتخذوا التبشير عملاً لهم ثم حاولوا نشر النصرانية بجدال المسلمين ومحاولة تبيان فضل النصرانية على الإسلام وباصرار على الجانب الغيبى من حياة المسيح، وجدنا زعماء التبشير فى العالم البروتستانتى خاصة يرون أن هذا المظهر الدينى الصارخ يعرقل أعمال المبشر. من أجل ذلك يرى المبشر الأمريكى المشهور (جون والاى موط) فى كتابه «خمسة عقود ونظرة إلى المستقبل»، الذى أصدره فى عام ١٩٣٥، صواب الحركة التى بدأت فى مطلع القرن العشرين، وفى الولايات المتحدة خاصة، تلك الحركة التى استغلت الطلاب والأساتذة وعوام الناس فى التبشير. ان المبشر (جون موط) يعتقد أن المظهر البرئ فى الطالب والأستاذ والعامّى من الناس لايصرف المسلم مثلاً عن سماع أقوال هؤلاء، بينما الثوب الذى يظهر فيه المبشر يعمل على تنفير القلوب [2].

يقول السيرريدر بولارد، الذى كان وزيراً مفوضاً ثم سفيراً لبريطانيا فى إيران من عام ١٩٣٩ إلى عام ١٩٤٦ أن مسلمين كثاراً يقدرون أعمال الجمعيات التبشيرية فى التعليم والتطبيب، ولكنهم يصممون آذانهم عن دعواتها الدينية[3] .

(١) نقلا عن المرجع السابق.

(٢) انظر التبشير والإستعمار.

(٣) انظر المرجع السابق .

ومن أجل الوصول إلى نفوس المسلمين ألف كتابا اسماه «طرق العمل التبشيرى بين المسلمين» يقول: «لنجعل هؤلاء القوم المسلمين يقتنعون فى الدرجة الأولى بأننا نحبهم فنكون قد تعلمنا أن نصل إلى قلوبهم... يجب على المبشر أن يحترم فى الظاهر جميع العادات الشرقية والإسلامية حتى يستطيع أن يتوصل إلى بث آرائه من يصغى إليه. وعليه مثلاً أن يتحاشى أن يقول عن المسيح إنه ابن الله حتى لاينفر منه أولئك الذين لايؤمنون هذا الإيمان فيستطيع أن يقاربهم حينئذ بما يريد أن يدعوهم إليه».

وأما المحترم تشارلس واطسون فيقول: «يجب أن يظلوا (أى المبشرون) برءاء كالحمام، ولكن هذا لايمنعهم أيضاً من أن يكونوا حكماء كالحيات»[١] .

وعلى القارئ أن يفرق بين هذه الآراء البعيدة كل البعد عن الخير والأمانة، وبين هؤلاء المبشرين الذين خرجوا يعيثون فى الأرض فسادا كما نحب من القارئ أن يتبين أن حب الخير والتعليم والتطبيب وما إليها هى وسائل للتبشير. ثم أن التبشير الدينى نفسه ستار للتبشير التجارى والسياسى وأساساً متيناً للإستعمار. ولنذكر دائماً أن أكثر الفتن الداخلية فى الشرق، من دينية وسياسية وإجتماعية، إنما قام بها المبشرون[٢]. نعم إن الطب أمانة، وهذه وصية الأطباء:

وصية أبى قراط فى الطب:

حينما يتخرج الطبيب فى كليته يقسم، بعد أن يتسلم الشهادة، يميناً تسمى قسم أبقراط، وتعرف فى الكتب العربية باسم وصية أبقراط. وصورة هذا العهد هكذا[٣]: «إنى أقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالق الشفاء وكل علاج،

(١) التبشير والإستعمار.

(٢) انظر المرجع نفسه.

(٣) طبقات الأطباء ١:٢٥.

وأقسم بأسقلبيوس[1]، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً وأشهدهم جميعاً على أننى أفى بهذه اليمين وهذا الشرط... وأقصد فى جميع التدابير، بقدر طاقتى، منفعة المرضى.

وأما الأشياء التى تضر بهم وتدنى منهم بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأى ولاأعطى - إذا طلب منى - دواء قتالاً ولاأشير أيضاً بمثل هذه المشورة. وكذلك أيضاً لاأرى أن أدنى من النساء فرزجة[2] تسقط الجنين. واحفظ نفسى فى تدبيرى وصناعتى على الزكاة والطهارة... وكل المنازل التى ادخلها انما أدخل إليها لمنفعة المرضى، وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد إدارى مقصود إليه فى سائر الأشياء... وأما الأشياء التى أعاينها فى أوقات علاج المرضى أوأسمعها، فى غير أوقات علاجهم، فى تصرف الناس من الأشياء التى لاينطق بها خارجاً فأمسك عنها وأرى أن مثالها لاينطق به...».

مما لا ريب أن هذا القسم تتكشف عن نفس نبيلة إنسانية، ذلك لأن المريض المتألم يضحى بأشياء كثيرة من ملكه حتى يتخلص من آلامه. وإذا رأى أحد قريباً له أوأبنا على الأصح مريضاً زاد رضاه بالتضحية وقلت قيمة كل شئ فى عينيه فى سبيل شفاء ابنه أوأمه أوأبيه أوزوجه.. الخ.

ولقد أدرك المبشرون هذا الميل فى البشر فخرجوا عن كل نبل فى الطبيعة الإنسانية وسخروا الطب فى سبيل غايات، حسبك دليلاً على نوعها قولهم هم: حيث

---

(١) اسقلبيوس أول من تكلم فى الطب من اليونانيين كما ذكر مؤرخو الطب (طبقات الأطباء ١٤:١)، والقسم بشخص لايجوز بل هو خطأ فاحش. لقوله ﷺ: «من كان حالفا فليحلف بالله أوليصمت». متفق عليه.

(٢) كذا بالأصل.

تجد بشراً تجد آلاماً، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب فهنالك فرصة مناسبة للتبشير.

وهكذا اتخذ المبشرون الطب ستاراً يقتربون تحته من المرض.

وقد كان أول من غير سنة أبقراط الجميلة الأمريكيون بدأوا ينشئون عيادة طبية فى سيواس (بتركيا) عام ١٨٥٩م. وهكذا نظر الأمريكيون منذ ذلك الحين إلى الطب على أنه معين على التنصير. ومنذ ذلك الحين اعتبر الأميركيون الطب «مشروعاً مسيحياً». وعلى هذا قال الطبيب بول هاريسون فى كتابه «الطبيب فى بلاد العرب» (٢٧٧):

«إن المبشر لايرضى عن انشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة (عُمان) بأسرها. لقد وجدنا نحن فى بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى!»[١] هذا هو التحدى السافر فى أعز ما يملك المسلمون وهو دينهم.

فمما لاريب أن الطبيب يستطيع أن يصل إلى جميع طبقات الناس حتى أولئك الذين لايخالطون غيرهم.

ومن ثم قال المبشرون: إن بإمكان الطبيب المبشر أن يصل بتبشيره إلى جميع طبقات المسلمين بواسطة المرض الذين يعالجهم منه، ثم إنهم فرضوا أن يكون الطبيب المبشر «نسخة حية من الأنجيل». ان بامكانة أن يغير الذين حوله ويجعل منهم نصارى حقيقيين، أو أن يترك فى نفوسهم أثراً عميقاً على الأقل، وكل هذه الأساليب لاتتفق مع الأمانة والقسم الذى أقسمه الطبيب عند تخرجه.

(١) التبشير والإستعمار.

وفى عام ١٩٢٤ أقام المبشرون مؤتمراً عاماً وعقدوا جلساته فى القدس واستانبول وحلوان (مصر) وبرمانا (لبنان) وبغداد. وقد اهتم المؤتمرون، وخصوصاً فى جلسة القدس، بالتطبيب على أنه وسيلة إلى التبشير وفصلوا طرق ذلك. أما مؤتمر برمانا (لبنان) فلم يتعرض مفصلاً للتطبيب ولكنه أكد أهميته(١).

النصيحة المغرضة:

قالت إيراهاريس تنصح الطبيب الذاهب بمهمة تبشيرية:

«يجب أن تنتهز الفرص لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرز لهم بالانجيل. إياك أن تضيع التطبيب فى المستوصفات والمستشفيات فإنه أثمن تلك الفرص على الإطلاق.

ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك: إن واجبك التطبيب فقط لاالتبشير. فلا تسمع منه»

ولقد تنبه دانيال بلس، الرئيس الأول للجامعة الأمريكية فى بيروت، إلى كل هذا وإلى غيره أيضاً فأشار إلى الأطباء الدجالين الذين يتعرضون لمداواة الناس، أنه جاءهم المريض انصرف من عندهم بنسخة حسنة الطبع من الانجيل وبوصفة خاطئة. ويعلق دانيال بلس نفسه على هذا الحديث بقوله: وبعد أيام يكتشف المريض أن إنجيل الطبيب كداوائه(٢). أى لافائدة منهما.

---

(١) انظر المرجع السابق.

(٢) المرجع نفسه.

دور النساء فى التبشير:

استخدم التبشير كل العناصر البشرية فى أغراضه ولم ينس مقام المرأة فى الأسرة فوجه اهتمامه إلى التأثير عليها وأخذ المبشرون على عاتقهم فى مستشفيات النساء وفى المستوصفات. وكذلك أرسلوا الطبيبات المبشرات إلى البيوت والقرى للاتصال مباشرة بالنساء واستخدام نفوذ المرأة فى الوصول إلى أهدافهم التى يزعمون أنها نبيلة، ولكنها لاتنكشف دائماً إلا عن سعى لبسط نفوذ سياسى استعمارى.

ولقد استغل المبشرون كل شئ فى سبيل التنصير (أومحاولة التنصير) حتى الممرضات. يرى المبشرون أن الممرضة لاتعمل على تخفيف الآلم عن المرضى فقط بل تحمل إليهم أيضاً رسالة المسيح، ولذلك حرص المبشرون على أنشاء مدارس للتمريض فى إيران خاصة[1].

هؤلاء الذين جاءوا ليعلموا الناس العلم، كما يدعون وفى الحقيقة أن بينهم وبين العلم بون شاسع.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ∴ ولو عظموه فى النفوس لعظّما.
ولكن أهانوه فهان، ودنسوا ∴ مُحيّاه بالاطماع حتى تجهّما.

كانت العصور الوسطى فى التاريخ الإنسانى تدعى العصور المظلمة لأنها عصوراً خبا فيها نور العلم، فلما طلع العلم بنوره على أوربا من الشرق بدأت غياهب تلك الظلمات تنجاب عن أوربا شيئاً فشيئاً حتى ازدهرت المدنية فيها وعمتها الحضارة. فأوربا المتحضرة بنت العلم وحده وليست بنت الدين. لقد كانت الروح الدينية فى العصور الوسطى على أشدها فى أوربا وكانت أوربا لاحضارة لها. فلما

(١) حديث شريف، انظر التبشير والإستعمار.

فضلت أوربا العلم أصبحت قبلة الحضارة فى العصور الحديثة، ... إن الإنسان يولد وفيه استعداد طبيعى يتوجه به نحو الخير أوالشر، ونحو صناعة دون أخرى. ولاريب فى أننا إذا استثنينا بعض عوامل الوراثة الطبيعية وجدنا أن الموجه الحقيقى لكل فرد إنما هو البيئة الأولى التى احتضنته صغيراً. على أن عوامل البيئة تظل تعمل فى الأفراد والجماعات، ولكن تأثيرها يقل كلما تقدم الإنسان فى السن(١).

غاية مدارس التبشير:

هو استخدام العلم والتعليم فى سبيل غايات صغيرة، وشغلوا أنفسهم بتبديل عقائد الأفراد الدينية باذلين جهوداً فى سبيل منافسة غير نبيلة: عداوة تتجاذب الأشخاص بين اليسوعيين والبروتستانت، ومكائد بين فرق البروتستانت أنفسهم، ثم رياء لأحد له فى تزيين الآراء وتسويد صفحات التاريخ.

لقد دار التبشير حول نقطتين **الأولى**: حول استغلال المبشرين للعلم بطرق لاتنكشف إلا عن ضيق فى الأفق، إلا أن هذا قليل الأهمية لأن الإنسان لايلبث أن يرى هذا الأفق الضيق فيجازى به أصحابه.

وأما **النقطة الأخرى**: فهى حرص المبشرين على إفساد النبل الإنسانى وجعل العلم الذى هو نعمة فى سبيل تحرر الإنسانية ورقيها، وسيلة إلى استعباد الأفراد والأمم، ثم سوقهم بسيف الإستعمار إلى الاستكانة أمام سلطان السياسة المادى.

لقد خسر المبشرون اسم الله فى سبيل ترويج بضائع أممهم ونشر الفساد الاجتماعى فى العالم، ولاريب فى أن بعضهم قام بما قام به غير عارف بما سيترتب على عمله من العواقب. التى لم تكن على كل حال عاقبة حميدة(٢).

(١) انظر المرجع السابق.

(٢) انظر التبشير والإستعمار.

الغاية من مدارس الإرساليات

يرى هنرى جسب نفسه: «أن التعليم فى «مدارس» الارساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط. هذه الغاية هى قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية.

ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية فى نفسه وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخير الجراحين والأطباء فى سبيل الزهو العلمى... فأننا لانتردد حينئذ فى أن نقول أن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيرى المسيحى إلى مدى علمانى محض، إلى مدى علمى دنيوى، مثل هذا العمل يمكن أن تقوم به جامعات هايد لبرغ وكمبردج وهارفرد وشيفيلد، لا الجمعيات التبشيرية التى تسعى إلى أهداف روحية فحسب.

وكان جسب قد قال قبل ذلك: ان المدارس شرط أساسى لنجاح التبشير، وهى بعد هذا واسطة لاغاية فى نفسها. لقد كانت المدارس تسمى بالاضافة إلى التبشير «دق الاسفين» فاحتالت فى إدخال الانجيل إلى مناطق كثيرة، لم يكن بالإمكان أن يصل إليها الانجيل أوالمبشرون من طريق آخر».

ويرى بعضهم أن المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحى أكثر من كل قوة أخرى.

ثم أن هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً ما قادة فى أوطانهم.

ورأى المبشرين فى ذلك لم يتغير قط، حتى المستر بنروز الذى جاء فى عام ١٩٤٨ ليستلم زمام الرئاسة فى جامعة بيروت الأمريكية كان يقول: لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكيون فى سعيهم

لتنصير سورية ولبنان... ومن أجل ذلك تقرر أن يختار رئيس الكلية البروتستانتية الانجيلية (الجامعة الأمريكية اليوم) من مبشرى الارسالية السورية[1].

إن الغاية من المدارس التبشير إذن نقل الطلاب الذين يلتحقون بها من مذاهب مختلفة إلى مذهبها هى.

أما المدارس «المسيحية» فتحاول تهيئة الطالب، من أى مذهب كان، لجو مسيحى وتحمله فيه على ممارسة التقوى المسيحية وسلوك المسيحى، وخصوصاً مادام طفلاً، ومن ثم ينشأ الطالب تنشئة فلسفية مسيحية.

ذكر المبشر المشهور (جون موط)، فيما يتعلق بالتعليم بين التلاميذ الصغار خاصة، قال:

«يجب أن نؤكد فى جميع ميادين (التبشير) جانب العمل بين الصغار والصغار.

وبينما يبدو مثل هذا العمل وكأنه غيرية، ترانا مقتنعين لأسباب مختلفة بأن نجعله عمدة عملنا فى البلاد الإسلامية. أن الأثر المفسد فى الإسلام يبدأ باكراً جداً. من أجل ذلك يجب أن يحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية.

أن اختبار الإرساليات فى الجزائر، فيما يتعلق بهذا الأمر، وكما ظهر من بحوث مؤتمر شمالى أفريقيا، اختبار جديد ومقنع... وهكذا نجد أن وجود التعليم فى يد المسيحيين لايزال وسيلة من أحسن الوسائل للوصول إلى المسلمين[2]

(١) انظر التبشير والإستعمار.

(٢) نقلا عن التبشير والإستعمار ص٦٨.

التحدى السافر، سبب قلق السلام بين الشرق والغرب:

جاء فى كتاب البحث عن الدين الحقيقى وهو عبارة عن محاضرات فى التعليم الدينى، تأليف المسنيور كولى. وقد صدر عن اتحاد مؤسسات التعليم المسيحى فى باريس (طبعة ١٩٢٨). هذا الكتاب قد نال رضا البابا ليون الثالث عشر فى عام ١٨٨٧م ثم عاش فى المدارس المسيحية فى الشرق والغرب إلى اليوم يطوى الصدور على الأحقاد نحو العرب والمسلمين، ويستفز شعور المسلمين استفزازاً شديداً.

جاء على الصفحة ٢٢٠ من هذا الكتاب مايلى:

«الاسلام فى القرن السابع (للميلاد) برز فى الشرق عدو جديد، ذلك هو الإسلام الذى أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب. لقد وضع محمد السيف فى أيدى الذين اتبعوه، وتساهل فى أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لاتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يهلكون فى القتال بالإستمتاع الدائم بالملذات.

وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وأفريقيا وأسبانيا فريسة له، حتى أن ايطاليا هددها بالخطر. وتناول الاجتياح نصف فرنسة. لقد أصيبت المدنية، ولكن هياج هؤلاء الأشياع «المسلمين» تناول فى الأكثر كلاب النصارى... ولكن انظر، هاهى النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سداً فى وجه سير الاسلام المنتصر عند بواتيه (٧٥٢م). ثم تعمل الحروب الصليبيه فى مدى قرنين تقريباً (١٠٩٩ - ١٢٥٤م) فى سبيل الدين فتدجج أوربا بالسلاح وتنجى النصرانية. وهكذا تقهقرت قوة الهلال

أمام راية الصليب وانتصر الانجيل على القرآن وعلى مافيه من قوانين الأخلاق السهلة...»[1]

هذا نوع من الكتب التى تؤلف فى الغرب عن الشرق تنضح بالتعصب الذميم وتشوه الحقائق وتوقد الأحقاد ومن التحدى أن هذه الكتب يؤتى بها وتدرس فى الشرق العربى والشرق المسلم، فهل يوجد تحد سافر أكثر من هذا؟

هذا النوع من التأليف هو الذى أقلق السلام بين الشرق والغرب منذ أقدم الأزمنة، وهو الذى يهدد السلام كل يوم وخصوصاً فى الشرق. وليس بعجيب أن تكون حكومة الانتداب الماضية قد حمت هذا النوع من التأليف وفرضته على البلاد بالقوة. أن قارئ أمثال هذه الكتب هو أحد ثلاثة نفر:

إما أن يكون من الذين يسرون بمثل هذه الشتائم ليشفى صدراً حقوداً، وهو خطر على الوطن لأنه يجر عليه أسوأ العواقب.

وأما أنه رجل من سواد العامة يثار بمثل هذه الأمور فيقابلها حينئذ بمثلها، فيرد عليه آخرون قوله ثم تنتهى الحال بفتنة عمياء تأتى على كل شئ، وذلك أيضاً خطر على الوطن.

وأما أنه رجل عاقل يرى فى ثنايا مايقرأ نفساً صغيرة وغاية حقيرة فيحتقر صاحبها ثم يوسع حكمه إلى احتقار الذين يرضون عن صاحبها، فإذا هو ممتلئ شكوكاً وحذراً واشمئزازاً من الذين يعيشون معه، وفى ذلك أيضاً خطر على الوحدة الوطنية.

---

(١) لاتزال أمثال هذا الكتاب تدرس فى مدارس الارساليات الأجنبية فى لبنان. وفى كل حين تضطر وزارة المعارف اللبنانية إلى منع كتاب أو أكثر. نقلا عن التبشير والإستعمار ص٧٢.

أضف إلى ذلك كله أن هذا تشويه للحقائق وكذب على التاريخ، وأن الأمم التى تريد أن تحيا حياة نبيلة عظيمة صحيحة يجب أن تكون ارفع من أن تنحدر إلى ذلك[1]

وهذا كتاب آخر بعنوان: تاريخ محاضرات ج إيزاك حررها أ. ألبا للشرق الأدنى لطلبة الصف الخامس (العصور الوسطى)

وهذا الكتاب يدرس أيضا فى الصف الرابع من المدرسة البطريركية فى بيروت ويدرس بلاريب فى مدارس أخرى فى لبنان.

قامت بطبعه مطابع الآداب الفرنسية فى بيروت.

جاء فى هذا الكتاب:

ص٣١– واتفق لمحمد فى أثناء رحلاته أن يعرف شيئاً قليلاً من عقائد اليهود والنصارى. ولما أشرف على الأربعين أخذت تتراءى له رؤى اقنعته بأن الله اختاره رسولا.

ص٣٢– والقرآن مجموع ملاحظات كان تلاميذه يدونونها بينما كان هو يتكلم، وقد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم كله على الاسلام بالسيف إذا اقتضت الضرورة.

ص٣٦– وبينما كان محمد يعظ كان المؤمنون به يدونون كلماته على عجل.

ص١٢٦– ودخلت فلسطين فى سلطان الكفرة منذ القرن السابع للميلاد[2]

وهنالك كتاب ثالث اسمه تاريخ فرنسا .

تأليف هـ غيومان وف. لوستير (لصفوف الشهادة الابتدائية)

(١) التبشير والإستعمار .. ص٧٤

(٢) انظر التبشير والإستعمار ص٧٥.

هذا الكتاب يدرس فى مدرسة القديس يوسف للبنات فى بيروت وفى مدارس هذه الارسالية فى غير بيروت بلاريب[1] وقد جاء فيه مما نحن بصدده:

ص٨٠-٨١: أن محمداً، مؤسس دين المسلمين، قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم وأن يبدلوا جميع الأديان بدنيه هو، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين وبين النصارى.

إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس: «أسلموا أوتموتوا»، بينما أتباع المسيح ربحو النفوس ببرهم وإحسانهم!

ماذا كانت حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا؟ إذن لكنا نحن اليوم مسلمين كالجزائريين والمراكشيين.

بمثل هذا الحقد يكتب المبشرون الكتب. ويضعونها فى المدارس لأبنائنا ثم يزعمون أنهم جاءوا للتعليم والتهذيب. لقد صدق العرب: إن فاقد الشئ لايعطيه. أفبمثل هذا يسعى سعاة الأمم بأن يقروا السلام فى العالم والاطمئنان بين الشعوب والأمم؟

إن الاطمئنان والسلام لن يسودا مادام هؤلاء المبشرون يزرعون أرض العالم أحقاداً وبغضاء[1]

ألا فليستيقظ المسلمون، ولينتبهوا إلى ما يحاك لهم ومايدور من حولهم.

نفاق المبشرين

لقد أساء المبشرون إلى أشرف مبادئ الانسانية، إلى العلم، لما اتخذوا منه وسيلة إلى التبشير. إن الأب الذى يأتمن على ابنه مدرسة مامن المدارس يقدم أثمن

(١) التبشير والإستعمار ص٧٥.

مالديه وهو يعتقد أنه وضع ابنه – وهو لايزال ساذجاً بريئاً – بين يدى أنبل الناس، بين يدى المعلمين.

ولكن المعلم المبشر مخلوق قد نفرت من قلبه أجمل معانى الإنسانية، فقد نفرت من قلبه الأمانة والإستقامة والصدق. نحن نفهم أن يتعرض المبشر لرجل ناضج ويحاول أن يستميله بضروب الاستمالات كما يتعرض الشيوعى أوالجمهورى أوالملكى أوالاشتراكى إلى الناس ليقنعهم بصواب مذهبه. أما أن يتخذ رجل أشرف ثوب أسبغه الله على الإنسانية وهو العلم ليخادع به الأطفال ومن فوقهم قليلاً، فهذا عندنا وعند الناس كلهم منتهى الكفران للأمانة التى علقت فى رقاب البشر. ألم يقل أمير الشعراء شوقى رحمة الله عليه.

قــم للمعلــم وفــّه التبجيـــلا ∴	كاد المعلم أن يكون رســولا!
أعلمت أشرف أوأجل من الذى ∴	يبنى وينشئ أنفساً وعقولا؟

هذا الذى ظنه شوقى، وظنه الناس كلهم، أشرف الناس قد جاء إلى بلادنا يلبس ثوب التقى ويتظاهر بعنوان الانسانية بينما تنطوى نفسه على أعظم قسط من الرياء يستغله فى أشرف مكان على هذه الأرض، فى المدرسة. وإذا نحن علمنا أن الإسلام قد قال على لسان رسول الله ﷺ : «علم ساعة خير من عبادة سبعين سنة»، أدركنا مقدار مافى نفوس المبشرين، الذين يتخذون العلم وسيلة إلى غاية ضيقة ومستورة، من النفاق والرياء والجناية على الإنسان والروح الإنسانية [1]

وللتعليم عند المبشرين غاية واحدة، هى تنصير التلاميذ الذين يحضرون إلى المدارس: فى الكلية الانكليزية، فى القدس طلاب مسلمون ونصارى ويهود. وكانت سياسة المدرسة أن تبشر فيهم كلهم إلا أن المقصود بالتبشير هو المجموع الإسلامى.

(١) التبشير والإستعمار ص٧٧.

ذلك لأن تاريخ الأعمال التبشيرية فى بلاد الإسلام إلى حد كبير تاريخاً للتعليم التبشيرى[1].

ولقد استغل المبشرون التعليم لأن للتعليم أثراً فعالاً، بل هو أقوى وسائل التبشير. وعلى هذا الأساس بدأ المبشرون بأنشاء مدارسهم. حتى أنهم أنشئوا أول مدرسة للبنات فى الأمبراطورية العثمانية عام ١٨٣٠ فى بيروت.

والمبشرون يرون أيضاً أن الوسيلة التى تأتى بأحسن الثمار فى تنصير المسلمين أنما هى تعليم أولادهم الصغار[2].

والتعليم العالى عند المبشرين لايقل أهمية عن سائر درجات التعليم، ذلك لأنه يساعدهم على الوصول إلى الطبقات المثقفة، بل لعله أهم منها كلها. ولقد أدرك المبشرون منذ زمن أن التبشير قد خاب لأن الأفراد الذين دخلوا النصرانية كانوا قليلين.

فلما اعتقدوا أن لاقدرة لهم على جعل المسلم نصرانياً أحبوا أن يجعلوا الآراء المسيحية تتسرب إلى المسلمين وإلى المثقفين منهم خاصة، وهذا ماحدا بالمبشرين إلى انشاء المعاهد العليا فى البلاد الإسلامية[3].

غاية المبشرين من التعليم العالى:

التأثير فى قادة الرأى فى البلاد، وفى الجيل الناشئ فى الشرق الأدنى خاصة، ذلك التأثير الذى لايمكن أن يتحقق إذا لم يكن ثمة تعليم عال، فأنشأ

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه ص٧٧، ٧٨.

(٣) انظر التبشير والإستعمار ص٧٩.

المبشرون البروتستانت كلية فى بيروت عام ١٨٦٢ وجعلوا على رأسها المحترم دانيال بلس هذه الكلية أصبحت فيما بعد: الكلية السورية الإنجيلية، ثم هى اليوم الجامعة الأمريكية فى بيروت.

ومن رأى المبشرين أن تؤسس الكليات فى المراكز الإسلامية، ومن ثم لم يكتفوا ببيروت بل أرادوا أن يكون ثمة كلية فى القاهرة نفسها إلى جانب الجامع الأزهر، فكانت الجامعة الأمريكية فى القاهرة.

وهكذا أصبح للمبشرين الأمريكيين الكلية الأمريكية فى القاهرة، بعد كلية روبرت فى استانبول أيضاً. ولم يكن رأى المبشرين الفرنسيين مخالفاً لذلك فأنشأوا كلية لهم فى مدينة لاهور – وهى مدينة من المدن الإسلامية الكبرى فى الهند (وعاصمة مقاطعة النجاب فى باكستان اليوم)(١)

أثر التبشير فى تعليم البنات

جاء المبشرون إلى العالم العربى والإسلامى وكان العلم بين الرجال قليل الانتشار، أما بين النساء فكان أقل انتشاراً. وادرك المبشرون أن المرأة ذات أثر فى التربية أكثر من الرجل فأولوها اهتماماً عظيماً، حتى قال جسب: «إن مدرسة البنات فى بيروت هى بؤبؤ عينى. لقد شعرت دائماً أن مستقبل سورية إنما هو بتعليم بناتها ونسائها. لقد بدأت مدرستنا (للبنات)، ولكن ليس لها بعد بناء خاص بها. وها هى قد أثارت اهتماماً شديداً فى أوساط الجمعيات التبشيرية».

وكان أول مدرسة للبنات فى الامبراطورية العثمانية فتحها المبشرون فى بيروت عام ١٨٣٠م. كما فتحوا مدارس كثيرة للبنات فى مصر والسودان وسوريا كلها وفى الهند والأفغان(٢).

---

(١) انظر المرجع نفسه ص٨٠.

(٢) انظر التبشير والإستعمار ص٨٦، ٨٧.

مما ينبغى معرفته أن غاية المبشرين ليست دينية فى الدرجة الأولى بل هى (إفسادية): يحاولون بها أن يفككوا وحدة الأمة الإسلامية ليحكموا شعوبها، لأن إفساد هذه الشعوب يصل بالمبشرين إلى غايتهم القصوى وهى تمكين الدول الغربية من حكم البلاد الإسلامية. إن هؤلاء المبشرين الذين يرسلون إلى الشرق لاكتساب نفوس جديدة إلى صفوف النصرانية.

- فى الظاهر - يصرخون فى كل مكان: «اعيدوا أولاً إلى الكنيسة طلابنا نحن، وفى أمريكا نفسها»[1]

إذن إفساد الطلاب المسلمين هو شغل المبشرين الشاغل، يقول المبشر تكلى:

«يجب أن نشجع انشاء المدارس، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربى. أن كثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الانكليزية. أن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقى مقدس أمراً صعباً جداً».

ويبدو بوضوح أن المبشرين لم يستطيعوا افساد المسلمين بالقدر الذى تمنوه فقنعوا بأن «يلونوا» الطلاب المسلمين بالنصرانية تلويناً يبعدهم بعض البعد عن عقيدتهم الأولى، ثم يدنيهم بعض الدنو من النصرانية. هذا هو دورهم فى الحياة عقبات، وتحديات، أمام المسلمين.

إن ذهاب الطلاب الشرقيين إلى أوربا وأمريكا قد يكسبهم شيئاً من أساليب الحياة الغربية فى التفكير والعلم والسلوك وما إلى ذلك. ولهذا حسناته وسيئاته، لكن المبشرين همهم اصطياد هؤلاء الطلاب الشرقيين. أنهم يريدون أن يجعلوا منهم «نصارى» بالفعل أومماثلين للنصرانية[2].

---

(١) انظر المرجع نفسه ص٨٨.

(٢) انظر التبشير والإستعمار ص٨٨.

أما لويس ماسينيون، فيدبج المقالات الطوال ويقول لقومه: إن الطلاب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسا يجب أن يلونوا بالمدنية المسيحية، والفكرة التي نخرج بها:

إن المبشرين ومن يدور في فلكهم يبذلون كل جهد لاستخدام العلم والتعليم في سبيل التبشير ولتبشيرهم ظاهر وباطن:

أما ظاهره: فدعوة إلى سلوك هم لايسلكونه. إن الذين يريدون أن يبشروا بالنصرانية بين غير النصارى، هم أنفسهم قليلو الاحتفال بالدين كله. وأن من عاش مدة يسيرة في أوربا والولايات المتحدة يدرك ذلك تمام الادراك.

وأما باطن التبشير: فهو تفكيك أواصر القربى الروحية في الأمة الإسلامية خاصة حتى يستطيع الغرب أن يحكم الشعوب الإسلامية ويستغل بلادها اقتصادياً وحربياً[1].

ولكي ندلل على أن هذه المؤسسات لاتزال إلى اليوم تبشيرية فإننا سنقص طرفاً من تاريخ عدد منها، وسنتوسع في تاريخ الجامعة الأمريكية ونتخذه نموذجا للمؤسسات الأجنبية كلها.

رأى المبشرون أن التبشير يجب ألا يقف عند انتهاء مرحلة التعليم الابتدائي أوالثانوي، بل يجب أن يستمر إلى مرحلة التعليم العالي لأنه هو الذي يهيئُ قادة الشعوب. فإذا استمال المبشرون، بعض هؤلاء الذين ينتظر أن يكونوا قادة في بلادهم، فقد كفلوا التأثير على الشعب كله. من أجل ذلك تبلورت سياسة الارساليات الأمريكية حول إقامة كليات مجهزة تجهيزاً جيداً في استنبول وبيروت وأزمير

(١) انظر التبشير والإستعمار ص٨٩.

والقاهرة وغيرها من مراكز البلاد الشرقية. ومع الأيام أصبح الأمريكيون يعتقدون أن المؤسسات التبشيرية، سواء أكانت معاهد علمية أم مؤسسات أخرى، إنما هى «مصالح أمريكية» تجب المحافظة عليها.

وهم لاينكرون أن هذه «المصالح» كلها قد نشأت من التبشير وعلى أيدى المبشرين[1].

يقول ستيفن بنروز: ومع ذلك فان (الجامعة الأمريكية) كانت ولاتزال مؤسسة تبشيرية. ثم أنه يصر على أنها تبشيرية، بل أن التبشير كان المبرر الوحيد لتأسيسها وذلك بعد أن صرح فقال: إن الغاية القصوى للكلية (السورية الانجيلية) أن تحتضن التبشير المسيحى وتبذر بنور الحقيقة الانجيلية.

وعلى هذا الأساس ذهب دانيال بلس إلى أمريكا ليثير رغبة الجمهور المسيحى لمحاولة تأسيس معهد أدبى يعمل على نشر الارساليات البروتستانتية والمدنية المسيحية فى سوريا والأقطار المجاورة.

ولما اعتزل دانيال بلس ادارة الكلية عام ١٩٠٢، وقد بلغ يومذاك ثمانين عاماً خلفه ابنه هوارد بلس[2]

واتفق فى عام ١٩٠٩ ان احتج الطلبة المسلمون على اجبارهم على الدخول إلى الكنيسة فاجتمعت عمدة الجامعة الموقرة وأصدرت منشوراً طويلاً جداً، حاء فى مادته الرابعة مايلى:

«إن هذه كلية مسيحية، أسست بأموال شعب مسيحى: هم اشتروا الأرض وهم أقاموا الأبنية، وهم أنشأوا المستشفى وجهزوه، ولايمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يسندها هؤلاء. وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليماً يكون الإنجيل من مواده،

(١) انظر المرجع نفسه ص٩٤.

(٢) التبشير والإستعمار ص٩٩.

فتعرض منافع الدين المسيحى على كل تلميذ... وهكذا نجد أنفسنا ملزمين بأن نعرض الحقيقة المسيحية على كل تلميذ... وإن كل طالب يدخل إلى مؤسستنا يجب أن يعرف مسبقاً ماذا يطلب منه»[1]

إذن هى تعاليم مفروضة، لاتذاع عفوا يقبلها أويرفضها من يشاء.

وكان هذا التهديد المجرد من الذوق والروح العلمية كافياً لأن يعلن الطلاب الإضراب. إلا أن العمدة تصلبت فى ظاهر أمرها، فترك ثمانية طلاب العلم فى المؤسسة المتعصبة.

ولم تتأخر الكلية عن أن تعلن بلسان مجلس الأمناء «أن الكلية لم تؤسس للتعليم العلمانى ولالبث الأخلاق الحميدة (كذا) ولكن من أولى غاياتها أن تعلم الحقائق الكبرى التى فى التوراة، وأن تكون مركزاً للنور المسيحى وللتأثير المسيحى، وأن تخرج بذلك على الناس وتوصيهم به»[2]

خيبة أمل الجمعيات التبشيرية: أدى إلى تعاون التبشير والسياسة

لقد خابت الجمعيات التبشيرية فى جهودها الفردية بين المسلمين: لقد تبين لهذه الجمعيات، لأسباب كثيرة، أن انتقال المسلم من الإسلام إلى النصرانية قد يتم فى العام بعد العام. وهذا يعنى أن الجهود التى يبذلونها لا تتناسب مع النتائج التى يجنونها، فيجب البحث إذن عن طريق أشد تأثيراً وأكثر عائدة.

---

(١) المرجع السابق ص١٠٨.
(٢) المرجع السابق ص١٠٥ - ١٠٦.

والدليل والبرهان على أن رجال الدين الأجانب هم المسؤولون عن نكبات الشرق السياسية والخلقية، وعن الفتن التى كانت تثور- ومازالت - بين أهل الأديان والمذاهب، وأن أهل الوطن الواحد على اختلاف أديانهم ومذاهبهم كانوا دائماً ضحايا بريئة.

ولما رأى المبشرون أن الجهود الفردية فى نشر المذاهب المسيحية الغربية فى الشرق وبين المسلمين خاصة، قليلة الجدوى تلفتوا، منذ زمن قديم جداً، إلى سبل أحسن تمهيداً وأشد تأثيراً فلجئوا إلى حكوماتهم وبعد أن رضى المبشرون أن يجعلوا أنفسهم والدين آلة طيعة فى يد دولهم، انتهزت تلك الدول هذه الفرصة وجعلت تساعد المبشرين. إلا أنها فى الحقيقة كانت تسعى إلى أهدافها السياسية والاقتصادية الخاصة باستغلال المبشرين والدين معا[1].

(١) انظر التبشير والإستعمار ص١١٣.

عيون المبشرين على الإسلام:

فى يوم ٤ أبريل من سنة ١٩٠٦ أفتتح المؤتمر فى القاهرة فى منز ل عرابى باشا فى باب اللوق وبلغ عدد مندوبى إرساليات التبشير ٦٢ بين رجال ونساء.

وكان عدد مندوبى إرساليات التبشير الأمريكية التى فى الهند وسوريا والبلاد العثمانية وفارس ومصر واحداً وعشرين، ومندبو إرساليات التبشير الانكليزية خمسة واشتركت فى المؤتمر الإرساليات الأسكتلندية والانكليزية المنفردة والألمانية والهولندية والسويدية وإرسالية التبشير الدنمركية الموجودة فى بلاد العرب.

أنتخب القسيس «زويمر»[1] رئيساً للمؤتمر، وعين معه نائب رئيس وكتبه، وحددت أيام الجلسات.

كان القسيس «زويمر» رئيس إرسالية التبشير العربية فى البحرين أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر عام يجمع إرساليات التبشير البروتستانية للتفكير فى مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين. وفى سنة ١٩٠٦ أذاع اقتراحه وأبان الكيفية التى يكون بها، فوضعت هذه الفكرة على بساط البحث فى «ميسور» من ولاية «أكرا» فى الهند. لأن هذه الولاية ذات أهمية كبرى من حيث المسائل الإسلامية لوجود مدرسة «عليكرة» هناك. ثم عرض الاقتراح على مؤتمر التبشير الذى ينعقد فى مدينة «مدراس» الهندية كل عشر سنوات فاجاز عقده وأن اتخاذ الهند قاعدة لتأسيس النظامات الخاصة بتبشير المسلمين بالنصرانية أمر طبيعى وبديهى، لأن مسلمى الهند أخذوا على عاتقهم منذ القرن التاسع عشر تأييد السياسة الانكليزية للتغلب على الهندوس.

ولما تقرر عقد المؤتمر شرع القسيس «زويمر» وزميل له يعدان المعدات لتأليف لجنة مؤقتة تضع برنامج مذكرات المؤتمر وتدعو المبشرين المنتشرين فى كل البلاد للاشتراك به.

(١) نقلا عن كتاب الغارة على العالم الاسلامى ص١٩. تاليف ا.ل شاتليه لخصها ونقلها إلى العربية. محب الدين الخطيب، ومساعد إليا فى مكتبة أسامة بن زيد. بيروت. بدون تاريخ.

نشرة خاصـــة:

نشر القسيس «فلمينغ» الأمريكى كتابا جمع فيه بعض تقارير عن التبشير وكتب عليه هذه الكلمة «نشرة خاصة» بمعنى أنه طبع ليتنقل فى أيدى فئة خاصة من رجال التبشير لاليطلع عليه كل الناس وقد ضمنه المباحث التى دارت فى مؤتمر القاهرة واختتمه بنداء استنهض بأحدهما همم رجال النصرانية ليجمعوا قواهم ويتضافروا بأعمال مشتركة وعمومية فيستولوا على أهم الأماكن الإسلامية. والنداء الثانى خاص بأعمال نسائية[1].

وقد مضى على ذلك ثلاث سنوات تسنى فيها للمبشرين أن يتوصلوا إلى النتائج الآتية:

الأولى: أنهم عرفوا أحوال البلاد وأفكار المسلمين وشعورهم وعواطفهم وميولهم.

الثانية: أنهم حصلوا على ثقة عدد من المسلمين بهم.

الثالثة: أن المبشرين تحققوا أنهم بتظاهرهم فى وداد المسلمين وميلهم إلى ما تطمع إليه نفوسهم من الاستقلال السياسى والإجتماعى والنشأة القومية يمكنهم أن يدخلوا إلى قلوبهم.

وبناء على هذا ساعد المبشرون الشبان المسلمين فى تأسيس جمعية الغرض منها إيجاد صلة وتقرب بين الطبقة المتعلمة والطبقات المتعددة التى تتألف الأمة منها، وإنما روح الاتفاق هذه هى الطريقة التى استحسنها المبشرون بعد أن علموا أن الأمور التى يتذرعون بها وتكون صبغتها دينية لاريب أن عاقبتها الفشل. ولكن

---

(١) الغارة على العالم الاسلامى ص٢٠.

المبشرين الذين هـم على شئ من الجرأة يقولون إنهم سمعوا بعض المسلمين يشكون من الزواج فى الإسلام وتعدد الزوجات وتربية المرأة وعدم وجود التسامح الدينى[1]

وكل ما خاض فيه المؤتمر من هذه المباحث يختص بالمجهودات التى يبذلها المبشرون لتبشير الشبيبة الإسلامية التى تعلمت على الطريقة الأوربية وفى مدارس الحكومة وما يلقونه من الصعوبات والفشل فى تنصيرها.[2]

أما الذين تعلموا على الطريقة الشرقية فى الأزهر وما يماثله فلم يتكلم أعضاء المؤتمر عنهم إلا بعض اقتراحات ونظريات: من ذلك أن أحد أعضاء المؤتمر أفاض فى وصف ماللجامع الأزهر القديم من النفوذ وإقبال الألوف عليه من الشبان المسلمين فى كل أقطار العالم. وتساءل عن سر نفوذ هذا الجامع منذ ألف سنة إلى الآن ثم قال: إن السنيين من المسلمين رسخ فى أذهانهم أن تعليم العربية فى الجامع الأزهر متقن ومتين أكثر منه فى غيره والمتخرجون فى الأزهر معروفون بسعة الاطلاع على علوم الدين، وباب التعليم مفتوح فى الأزهر لكل مشايخ الدنيا خصوصاً وأن أوقاف الأزهر الكثيرة تساعد على التعليم فيه مجاناً لأن فى استطاعته أن ينفق على ٢٥٠ أستاذاً. ثم تساءل عما إذا كان الأزهر يهدد كنيسة المسيح بالخطر، وعرض اقتراحاً يريد به إنشاء مدرسة جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية فى الدنيا على اختلاف مذاهبها لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة وتتكفل هذه المدرسة الجامعة بإتقان تعليم اللغة العربية.

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص٢١ - ٢٢.

(٢) نقلا عن كتاب الغارة على العالم الإسلامى ص٢٢.

ثم قال: إن فى الإمكان مباشرة هذا العمل فى دائرة صغيرة وهى أن تخص أولا بتعليم المسلمين المتنصرين وتربيتهم تربية إسلامية ليتمكن هؤلاء من القيام بخدمة جليلة فى تنصير المسلمين الآخرين.

وختم كلامه قائلاً: ربما كانت العزة الإلهية قد دعتنا إلى اختيار مصر مركز عمل لنا لنسرع بإنشاء هذا المعهد المسيحى لتنصير الممالك الإسلامية[(١)].

خطبت المس «أنا وستون» فتكلمت عن إرسالية التبشير الطبية فى مدينة طنطا قائلة إن ٣٠ فى المائة من الذين يعالجون فى مستشفى هذه الإرسالية هم من الفلاحين المسلمين وأكثرهم من النساء. أما طريقة التبشير فى هذا المستشفى فهى أن يذكر الانجيل للمرضى بأسلوب بسيط لايدعو إلى التطرف فى المناقشة إذ المستشفى يجمع بين جدرانه نساء ورجالا[(٢)].

وخطبت المس «هلداى» فى حث المبشرين على الرفق بالمرأة المسلمة.

وتناولت السيدات المبشرات الخطابة فى أخبار نجاحهم فى المناطق التى انتدبن للتبشير فيها. فقالت إحداهن إن المسلمات الفارسيات يظهرن ميلا شديداً للعلم بالرغم من جهلهن باتساع نطاقه وهن يعتقدن أن الذى يعرف جغرافية البلاد نابغة.

ولقصة الابن المسرف التى فى الانجيل وللمزمار الحادى والخمسين تأثير شديد على النفس المسلمة.

وقالت مبشرة أخرى إن مدرسة البنات البروتستانية التى فى الخرطوم فيها من ٨٠ إلى ٩٠ تلميذة مسلمة ولأهلهن الحرية فى السماح لهن بقراءة العهد الجديد

(١) نقلا عن كتاب الغارة على العالم الإسلامى ص٢٢.
(٢) نقلا عن كتاب الغارة على العالم الإسلامى ص٢٤.

(الانجيل وذيوله) أوفى منعهن من ذلك إلا أن المدرسة فى هذه السنة لم يرد عليها طلب إستثناء واحدة من التلميذات من قراءة الانجيل. وانتقل المؤتمر بعد ذلك إلى موضوع تربية النساء اللاتى يتطوعن للتبشير[1].

وإليك هذا الفصل من كتاب «العالم الإسلامى اليوم» يتضمن ملخص أعمال المبشرين البروتستانت فى مصر والوسائل التى يتذرعون بها، والنتيجة التى توصلوا إليها.

وأهم معاهد التبشير فى مصر هو الذى أسسته جمعية اتحاد مبشرى أمريكا الشمالية سنة ١٨٥٤ وكان المبشرون قد وضعوا نصب أعينهم تبشير المسلم واليهودى والنصرانى أسماً، وقد استطاعوا أن يتحككوا بالمسلمين بواسطة مؤلفاتهم ومدارسهم. فنشروا منذ ٣٥ سنه كتاب «شهادة القرآن» ووزعوا بعض نسخ من كتاب «الكندى» وكتاب «ميزان الحق» المطبوعين فى انجلترا، ووضعوا فى الأيام الأخيرة كتاب «الهداية» وهو فى أربعة أجزاء ألف فى الرد على الذين طعنوا فى النصرانية. والمحاضرات العامة التى يقيمها المبشرون مرتين فى كل أسبوع للموازنة والمناظرة بين الإسلام والنصرانية يحضرها عدد عظيم من المسلمين ويسمح لهم أن يتكلموا. وفى مدارس المبشرين فى القطر المصرى ٣٠٠٠ طالب مسلم وخمس هؤلاء من البنات المسلمات.

وكانت نتيجة هذه المجهودات منذ بداية التبشير إلى أيامنا هذه أن تنصر مائة وخمسون مسلماً، وأهم ما وقع من ذلك سنة ١٩٠٣ وسنة ١٩٠٤ فقد تنصر فى الأولى ١٤ شخصاً وفى الثانية ١٢.

وفى سنة ١٨٨٢ تأسس فى مصر معهد علمى للتبشير تابع لجمعية تبشير

(١) نقلا عن كتاب الغارة على العالم الإسلامى ص٢٤.

الكنيسة وله أربعة فروع: الأول: قسم طبى، والثانى: مدرسة للصبيان، والثالث: للبنات، والرابع: لنشر الانجيل، وينشر مبشرو هذا المعهد مجلة أسبوعية وكراسات ولهم مكتبة خاصة لهم.

والنتيجة الأولى لمساعى هؤلاء هى تنصير قليل من الشبان والفتيات، والثانية تعويد كل طبقات المسلمين أن يقتبسوا بالتدريج الأفكار المسيحية.

وبعد المعهدين السابق ذكرهما تأتى جمعية تبشير شمال أفريقيا، وهذه الجمعية أسست معهداً فى مصر سنة ١٨٩٢ وأهم وظائفها تنصير المسلمين، ولهذه الجمعية ثلاثة وكلاء فى الإسكندرية واثنان فى شبين الكوم، وأعمال هذا المعهد قاصرة على فتح المدارس لتعليم الانجيل بوجه خاص، وأن يزور المبشرات منازل المسلمين ويجتمعن بسيداتهم وأن يوزعن المؤلفات والكتب التبشيرية على المسلمين وأن يلقين محاضرات دينية لدرس الانجيل فى أيام الأسبوع وأن تقام الصلاة، وهذا المعهد قد نجح فى تنصير خمسة أشخاص.

وفى سنة ١٨٩٨ تأسست الجمعية العامة لتبشير مصر وغايتها تنصير المسلمين أيضاً، ولها معاهد فى الدلتا والسويس وتدير مدارس للصبيان والبنات وتبث فيهم مبادئ النصرانية، ولها خزائن كتب تحوى كتباً عربية ذات علاقة بالإسلام، ولها مجلة شهرية منتشرة جداً وخاصة بين المسلمين، وفى كل يوم سبت يطوف المبشرون للتفتيش.

وأقل إرساليات التبشير أهمية فى القطر المصرى الإرسالية الهولندية التى توطنت فى قليوب وفى مدارسها المتعددة تلاميد من كل المذاهب وهى تبشر الإنجيل فى القرى بواسطة بائعى الكتب، ومن أعمالها أنها أنشأت ملجاء للأيتام. وعنايتها متوزعة بين الأولاد المسلمين والنصارى على السواء.

أما العقبة الوحيدة التى تقف فى سبيل إرساليات التبشير فهى أنه ليس لديها قوة تزيل الضرر الذى يخيفها من مقاطعة المسلمين للمتنصرين وعدم إصغائهم لهم(١)

مؤتمر أدنبرج

عقد هذا المؤتمر فى شهر سبتمبر سنة ١٩١٠ وكان للمسائل الإسلامية حظ كبير من مداولات أعضائه، بل إن لجنتين من أهم لجانه تفرغت إلى البحث فى أمر الإسلام والمسلمين.

وقد نشرت أعمال هذا المؤتمر ومناقشاته فى تسعة مجلدات لم نتمكن من الحصول عليها، إلا أننا عثرنا على مجلات ثلاث تكلمت عن هذا المؤتمر: واحدة ألمانية وهى «مجلة الشرق المسيحى» التى تصدرها جمعية «التبشير الشرقية الألمانية» والثانية انكليزية وهى «مجلة العالم الإسلامى» المعروفة، والثالثة سويسرية وهى «مجلة إرساليات التبشير البروتستانية» التى تصدرها جمعية التبشير فى مدينة بال فى سويسرا.

وأعمال مؤتمر أدنبرج لم يكن حبراً على ورق بدليل أن المؤتمر الاستعمارى الألمانى الذى عقد عقب مؤتمر أدنبرج التبشيرى اهتم بأمر إرساليات التبشير الجرمانية حتى خيل إلى الناس أن هذا المؤتمر الاستعمارى السياسى تحول إلى مؤتمر تبشيرى دينى(٢).

وقد نشرت هذه المجلة مقالة بقلم المستر تشارلس وطسون تحت عنوان «العالم

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص٣٠ – ٣١.
(٢) الغارة على العالم الإسلامى ص٤٠.

الإسلامى» قال فيها: إن من الخطأ الحكم على مؤتمر أدنبرج بأنه لم يهتم بالمسائل الإسلامية. لأن الغاية من عقد هذا المؤتمر هى البحث فى مسائل العالم الخارج عن النصرانية واهتمامه بإيجاد وحدة وتضامن بين المبشرين فى أعمالهم وأن نظرة واحدة توجه إلى قرارات المؤتمر تظهر لصاحبها الحظ الكبير الذى كان للمسائل الإسلامية من أعمال المؤتمر. فقد كان المؤتمر مؤلفا من ثمان لجان اختصت الأولى والرابعة منها بالتوسع فى بحث المسئلة الإسلامية أما مهمة اللجنة الأولى فهى أن تبحث فى المسائل الإسلامية من الوجة الخارجية وفى إيجاد ميدان عام مشترك لأعمال المبشرين واختيار خطة «الهجوم» و«الغارة» وتقرير هذه اللجنة. يتضمن إحصاء متعلقاً بالمسلمين وعددهم ومبلغ ارتقائهم فى كل قطر[1].

تألفت على أثر انحلال مؤتمر أدنبرج لجنة لمواصلة الأعمال التى بدأ بها، وعمل لها فروع كثيرة بعضها للإحصائيات وبعضها للنشر والمطبوعات، والبعض للتربية والتعليم وآخر لحسم المشاكل بين المبشرين وواحد لدرس علاقات المبشرين بالحكومات وخصص أحد الفروع لدرس العقبات التى تحول دون نشر التبشير بين المسلمين.

وفى مايو سنة ١٩١١ اجتمعت لجنة مواصلة أعمال المؤتمر وبحثت فى طرائق التربية والتعليم التى ينبغى لمبشرى المسلمين اتباعها وقررت أن تنتهز الفرص وتنتفع بالظروف السانحة وأن تنشر مجلة مختلطة تصدر سنة ١٩١٢ مرة فى كل ثلاثة أشهر.

وتقول مجلة العالم الإسلامى الانكليزية: إن أول ما ينفذ من قرارات مؤتمر أدنبرج إنشاء مدرسة تبشير مشتركة بين كل الفرق البروتستانية وتكون خاصة

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص٤٣.

بتعليم مبشرى الأقطار الإسلامية. وهذه المدرسة يحتفل بأفتتاحها فى خريف سنة ١٩١١ وتقبل النساء والرجال وتعلم فيها اللغة العربية والعلوم الإسلامية وتاريخ الأوضاع الإسلامية والأمور الإجتماعية التى اقتبسها المبشرون من بلاد الإسلام وسيكون لهذه المدرسة مكتبة تحوى أمهات الكتب العربية المتعلقة بالإسلام(١).

عقد مبشرو البلاد الإسلامية من البروتستانت مؤتمرهم الثانى العام فى مدينة لكنو الهند يوم ٢١ يناير سنة ١٩١١ – أى بعد خمس سنوات من أنعقاد مؤتمر القاهرة – ومعلوم أن المبشرين كانوا قد تفاوضوا فى مؤتمر أدنبرج بمسئلة مقاومة الإسلام، ودرسوا وسائل مناضلته من كل الأوجه. ولما عقدوا مؤتمر لكنو أرتاحوا إلى ما رأو من نجاحهم واشتركوا مع رئيسهم القسيس «زويمر» فى معرفة موقف الاسلام وقوته وأسبابها(٢).

انعقدت جلسات المؤتمر فى باحة مدرسة «ايزابلاثوربون» البروتستانية الخاصة بالبنات وامتدت إلى يوم ٢٩ يناير سنة ١٩١١ وهو ثانى مؤتمر خاص بالإسلام – والأول هو مؤتمر القاهرة – والذى يدخل إلى باحة ذلك المؤتمر يرى جدرانه مستورة بالخرائط والإحصائيات التى يتبين منها مبلغ أتساع نطاق الإسلام وارتقائه وتقدمه فى الأيام الأخيرة، وعلى المنضدة التى أمام الرئيس كرة أرضية مجسمة وعليها هلال وصليب. أما المقصود من هذا الرمز فظاهر ومفهوم. وفى جانب الباحة غرفتان عرضت فيهما الغرائب المتعلقة بالإسلام مع مطبوعات جمعية التوراة التبشيرية، والمظنون أن هذا المعرض سيبقى تحت مراقبة مواصلة أعمال مؤتمر القاهرة.

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص٤٨.

(٢) المصدر السابق ص٥١.

وإشترك فى المؤتمر ١٦٨ منوباً و١١٣ مدعواً من ٥٤ جمعية تبشيرية، ونزل كل هؤلاء ضيوفاً على مبشرى لكنو. وبين المشتركين فى المؤتمر القسيس زويمر – الذى تقول عنه المجلة الفرنسية. إنه الرجل الذى لايهزم لأنه درس الإسلام سنين طويلة بعد أن عاش سنين أطول بين الشعوب الإسلامية التى يحبها حباً جماً!؟ – ولم يكن القسيس زويمر رئيساً للمؤتمر فقط بل كان أيضاً مديره الروحى.

ومن هؤلاء المشتركين الدكتور «ويتبرخت» الجرمانى الانكليزى المشهور، والدكتور «وهرى» صاحب التعليق المعروف على القرآن. ومن المتنصرين الذين حضروا المؤتمر «مترى أفندى» الشاب المصرى الذى يدير جريدة عربية، والفندلفت «إحسان الله»، والمبشر «أحمد شاه» الذى يحسن معرفة الإسلام وهو واضع قاموس القرآن.

ومنع الصحفيون الأنكليز والأمريكان من حضور جلسات المؤتمر ولم ترسل لهم مذكراته إلا بعد أن عنيت لجنة القرارات بتنقيحها. وكانت مجلة العالم الإسلامى الإنكليزية التى يصدرها رئيس هذا المؤتمر قد قالت قبل أن تذكر ماجرى فى لكنو:

«تمخض الإسلام فى السنوات الخمس التى أعقبت مؤتمر القاهرة بحوادث خارقة لم يسبق لها نظير: ففيها حدث الانقلاب الفارسى والانقلاب العثمانى ومانتج عنهما، وفيها انتبهت مصر لحركتها الحاضرة، وعنى المسلمون بمد السكة الحجازية، وتأسست فى الهند مجالس إدارية وشورية، وكان فى قوانين انتخاباتها امتيازات للمسلمين، ودخلت الأمور الإسلامية فى قالب يلائم العصر ازداد به التمسك بمبادئ الاسلام. والمسلمون يحاولون إحياء دينهم فى الصين. وانتشر الإسلام فى أفريقيا والهند الغربية والجزائر الجنوبية.

كل هذه الحوادث تحتم على الكنيسة أن تعمل بحزم وجد وتنظر فى أمر التبشير والمبشرين بكل عناية. وعلى ذلك فيشمل برنامج مؤتمر لكنو الأمور الآتيه:

أولها: درس الحالة الحاضرة.

ثانيها: استنهاض الهمم لتوسيع نطاق تعليم المبشرين والتعليم النسائي.

ثالثها: إعداد القوات اللازمة ورفع شأنها. هذا مانشرته مجلة الرئيس عن مواد تضمنها برنامج المؤتمر»[1].

ظهر في عالم المطبوعات مؤلفان يتعلقان بالغارات التبشيرية في المستقبل والحظ الذي سيكون للشبيبة المتنورة فيه: أحدهما للقسيس زويمر الذي يوجه تأليفه إلى الطلبة ويذكر لهم الأقاليم الخالية من المبشرين، والآخر بقلم المستر «غردنر» السكرتير العام لجمعية الطلبة المسيحيين بخصوص الأعمال التبشيرية في أفريقيا الجنوبية. وقد كانت فكرة هذين المؤلفين منطبقة على قرار مؤتمر «أدنبورغ» التبشيري الذي جاء فيه: إن القسم الأعظم من العالم الإسلامي خال من التبشير المسيحي وأشير إلى الأقاليم الإسلامية الخالية من التبشير في أفريقيا وآسيا وإلى ضرورة اكتساحها.

وقد أشار زويمر في القسم الأول من كتابه إلى البلاد الإسلامية الخالية من المبشرين مثل الأفغانستان وعدد سكانها ٤ ملايين مسلم والعشرين مليوناً من المسلمين القاطنين في بخارى وخيوه وتركستان الروسية وكلها لايوجد فيها مبشر بروتستانتي واحد[2].

أما كتاب المستر «غردنر» فيقع في ٢٢٢ صفحة مزيناً بصور شمسية للمساجد والمعاهد الإسلامية المنتشرة في جنوب أفريقيا ومدغشقر وضعها السكرتير العام لجمعية الطلبة المسيحيين عمداً ليلفت الأنظار إلى التقدم السريع الذي يتمخض

(١) الغارة على العالم الإسلامي ص٥٢ – ٥٣.

(٢) الغارة على العالم الإسلامي ص٩٠.

(٣) المصدر السابق ص٩٢.

به الإسلام فى هذه الأقاليم نظراً لأمور سياسية واقتصادية وهذا السفر أشبه باستصراخ وإعلان حرب يحوى كيفية وأدوار النزال الذى ستدور رحاه بين الإسلام وحاملى لواء التنصير فى أفريقيا الجنوبية[1].

أما مواد مؤتمر القاهرة فهى كما يلى:

الأولى: النظر فى حركة الجامعة الإسلامية ومقاصدها وطرقها والتأليف بينها وبين تنصير المسلمين.

الثانية: النظر فى الانقلابات السياسية فى العالم الإسلامى وعلاقتها بالاسلام ومراكز المبشرين المسيحيين فيها.

الثالثة: موقف الحكومات إزاء إرساليات تبشير المسلمين.

الرابعة: الإسلام ووسائل منع اتساع نطاقه بين الشعوب الوثنية.

الخامسة: تربية المبشرين على ممارسة تبشير المسلمين، والمزايا النفسية اللازمة لذلك، والبحث فى الدروس الاعدادية ودروس التبشير، وتأليف الكتب للمبشرين وللقراء المسلمين.

السادسة: حركات الإصلاح الدينى والاجتماعى.

السابعة: الارتقاء الاجتماعى والنفسى بين النساء المسلمات.

الثامنة: الأعمال النسائية.

التاسعة: القرارات العلمية وتقارير اللجان المالية للمطبوعات والمنشورات[1].

قال القسيس زويمر: إن جزيرة العرب التى هى مهد الإسلامى لم تزل نذير خطر للمسيحية. أما المبشرون القاطنون حول عدن والشاطئ الشرقى منها فلا يشغلون إلا أربع نقط تبشيرية ووجودهم لم يمنع جزيرة سقطرة التى كانت فى سالف أيامها مسيحية أن تصبح إسلامية محضة.

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص٥٣ – ٥٤.

والمؤلف يعلل النفس بأن السكة الحديدية الحجازية التى تربط دمشق بمكة والمدينة ستمهد للمبشرين سبيل نشر الانجيل باللغة العربية التى هى أكثر اللغات الإسلامية أنتشاراً. والقسم الوحيد من البلاد العربية التى تتمخض به حركة تبشيرية واقعية هو القسم الواقع بين ولايتى بغداد والبصرة إذ توجد فيه محطتان مهمتان للتبشير وثلاث محطات مساعدة لها.(١)

وأشار الكتاب إلى قول (هرتزل) الذى أفاض فى مزايا ومحاسن السكة الحديدية التى تربط القاهرة ببلاد الكاب وقال: غير أن هذا الخط الحديدى يجعل القاهرة محجاً للمسلمين المنتشرين من جنوب أفريقيا إلى شمالها فيجدر نشر التبشير حينئذ من الكاب إلى القاهرة ويقول: إن من سداد الرأى منع جامعة الأزهر أن تنشر الطلبة المتخرجين فيها فى جنوب أفريقيا أتباعاً لقرار مؤتمر التبشير العام، لأن الإسلام ينمو بلا انقطاع فى كل أفريقيا.(٢)

ومن العجيب أن طلبة الأزهر المتخرجين فى الكليات العملية منعوا فعلا من السفر إلى تلك البلاد، مع أن هذه الكليات ما فتحت إلا لهذا الغرض، وهو التبشير بالإسلام فى هذه البلاد.

(١) المصدر السابق ص٩١.

(٢) الغارة على العالم الإسلامى ص٩٣.

دور إرساليات التبشير

أما دور هذه الإرساليات فهو : مما يدهش له الانسان العاقل ان هـذه العصابات من دول الاستعمار تجد من يساندها ويرصد لها الأموال الطائلة ، حتى وصل ماينفق عليها ، أو بواسطتها مئات الملايين من الدولارات كل عام .

ولقد قرر الكاتب التركى فى كتابة (جذور الصهيونية) عدد ماطبع ووزع من نسخ العهدين القديم والجديد بواسطة إرساليات التبشير ، خلال مائة وخمسين عاما بما يزيد على ألف مليون نسخة مترجمة إلى (١١٣٠) لغة ، عدا النشرات والمجلات ، كما قدر أن تكاليف هذه المطبوعات لاتقل عن ستين ألف مليون ليرة تركية أى مايقارب من (٧٠٠٠) مليون دولا[٢] .

قال عميل سابق لوكالة الاستخبارات الأمريكية ، أن المخابرات الأمريكية زودت (البابا بولس السادس) بأموال لدعم أعماله الخيرية ، ونسبت مجلة (بوراما) الإيطالية إلى عميل آخر قوله : إن البابا كان واحدا من عدة أساقفة ، وكردينالات تلقوا أموالا من المخابرات الأمريكية ١٠هـ من (المجتمع رقم ١٩٨) .

ولقد كشفت الدراسات التى ناقشها مؤتمر عدم الانحياز الذى انعقد فى كوالالمبور حوالى (٢٥٠٠) محطة إذاعية من (٦٤) لغة قومية تشن هجوماً صريحا وضاريا على الإسلام[٣] .

---

(١) نقلا عن معاول الهدم والتدمير فى النصرانية وفى التبشير ص ١٨ .

(٢) نقلا عن المرجع السابق ص ١٩ .

(٣) نقلا عن مجلة النهضة الكويتية برقيم ٤٩٩ فى ١٩٧٧/٥/٧.

وتشير إحصائية عام ١٩٧٦ إلى أن الكنيسة الكاثوليكية تملك فى أفريقيا الجنوبية وحدها حوالى مليون ونصف مليون كنيسة .

من أساليب التبشير بين المسلمين :

فى روسيا جمعيات عديدة دينية أنشئت لتبشير الأمم الإسلامية بالدين المسيحى ، مثل قبائل الكيرجيز والتتر والشركس وغيرها ويبلغ عدد المسلمين فى روسيا أوروبا نحو ستة عشر مليونا ونصف هذا عدا مسلمى القوقاس وأواسط آسيا الخاضعين للحكومة الروسية [١] ، وحسب آخر أحصاء عام أجرى فى روسيا عام ١٠٩٧ بلغ عدد المسلمين ١٠٦ فى الآف من مجموع السكان وإذا راجعنا تاريخ المسلمين فى روسيا نجد أنه مرت عليهم أزمان قاسوا فيها صنوف الاضطهاد الدينى وأرغموا مرارا على ترك دينهم واضطر منهم ألوف أن يتنصروا بالاسم ونقلوا أسماءهم من سجلات المسلمين الى سجلات المسيحيين ولكنهم تنصروا اسما وهم لايعرفون شيئا من الديانة المسيحية سوى تسميتهم بحنا وبطرس ومرقص ومتى ، وفى الوقت نفسه لبثوا محافظين على عقائد الدين الإسلامى والاخلاق الاسلامية ولبثت نساؤهم محافظة على الحجاب ، ولقد تمكن بعض نوابغ المسلمين الروسيين وأعيانهم من استصدار أمر قيصرى باعطاء الحرية للمسلمين المتنصرين اسما أن يرتدوا للدين الإسلامى فارتد منهم فى أيام قليلة نحو أربعين ألف ونيف ، وكانت أيام الارتدادا هذه أيام اعياد واحتفالات شائقة بين المسلمين أقاموا فيها الزينات والولائم ، ونحروا فيها الجزر وأكثروا من الصدقات على الفقراء والمحتاجين وأقاموا الصلاة فى جميع مساجد روسيا .

(١) تم بحمد الله سبحانه رفع هذا الخضوع بعد تفكك الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٩١م.

وأهم مسألة يشتغل فيها النواب المسلمون فى مجلس الدوما هى توسيع الحرية للمسلمين وتخويلهم حق الدفاع عن دينهم كلاما وكتابة والرد على جماعة المبشرين الذين يصدرون فى كل عام مئات من الكتب يكتبون فى مجلاتهم وجرائدهم المطاعن على الدين الإسلامى وكان المسلمون من قبل لايصح لهم أن يردوا على تلك المطاعن أو يدحضوها بالبراهين الساطعة والأدلة الدامغة بل كانوا مرغمين على سماع تلك المطاعن وهم صامتون وقد أحرجت صدورهم وتغلغل الحقد فى قلوبهم لكن بعد الجهد والعناء استطاع النواب المسلمون فى مجلس الدوما بمساعدة بعض النواب المسيحيين المنصفين الذين طهرت قلوبهم من أدران التعصب الذميم واشربت أفئدتهم بحب الانصاف ونشر أولوية المساواة من استصدار قرار من المجلس المذكور صادق عليه جلالة القيصر نقولا الثانى يتصمن الأمور الآتية :

أولاً : (منح المسلمين حق الدفاع عن دينهم والرد على أقوال المبشرين وغيرهم من الذين يطعنون على الدين الإسلامى .

ثانيا : (منحهم الحق فى اصدار جرائد ومجلات باللغة التترية وكانوا من قبل لايستطيعون اصدار جريدة أو مجلة الا باللغتين الروسية والتترية .

ثالثا : (منحهم الحق فى انشاء مدارس وكتاتيب بجوار المساجد تعلم العلوم باللغتين التركية والعربية وكانوا من قبل مجبورين على تدريس اللغة الروسية فى مدارسهم .

رابعاً : (تخويلهم الحق فى تعيين الأئمة ورجال [1] الدين من اشخاص يعرفون اللغتين التترية والعربية ، وكانت الحكومة من قبل لاتسمح بتعيين المسلمين

(١) ليس فى الإسلام رجال دين بهذا المفهوم ، وإنما علماء دين .

فى الوظائف الدينية إلا إذ كانوا يجيدون اللغة الروسية وامثال هؤلاء قليلون بين علماء الدين المسلمين ولذلك كانت الحكومة تعين رجالا جهلاء فى الدين وتهمل المستحقين لعدم معرفتهم اللغة الروسية .

خامسا : (تخويلهم حق ادارة مدارسهم الدينية واوقافها وكان من قبل هذه المدارس تديرها وزارة المعارف الروسية .

سادسا : (منع المسلمين من الاتجار ببيع المشروبات الروحية .

سابعا : (منع المسلمات من انشاء مواخير للفساد وادراتها .

ثامناً : (اعطاء المسلمين الحرية فى قفل مخازنهم ومحلات متاجرهم يوم الجمعة وعدم ارغامهم على قفلها يوم الاحد .

تاسعاً : (تعيين أئمة فى الجيش للقيام بخدمة الجنود المسلمين الدينية .

عاشراً : (تقديم مأكولات للجنود المسلمين ليس فيها طعام محرم فى الدين الإسلامى .

حادى عشر : (منح المسلمين الحرية فى إنشاء الجمعيات الخيرية والنوادى الأدبية العلمية لتعمل على ترقية المسلمين ماديا وأدبيا » [1] .

وبعد صدور الأمر القيصرى بالتصديق على هذا القرار انشرحت صدور المسلمين فى روسيا وتنسموا رائحة الحرية التى ساعدتهم على السير فى طريق الرقى الأدبى فأنشأوا الجرائد العديدة بلغتهم التترية فاصبح عندهم نحو مائتى

---

(١) من كتاب من حكم النبى (ﷺ) للفيلسوف الروسى الشهير تولستوى تعريب سليم قبعين ط الثالثة ١٣٤٢ هـ ١٩٢٤م ط الرحمانية مصر ص ٥٨ ومابعدها .

جريدة ومجلة سياسية وأدبية وتاريخية ودينية بعد أن كانت جرائدهم قليلة العدد جدا وألغى كثيرون القسم الروسى من جرائدهم وأنشاؤا أيضاً كثيرا من الجمعيات الخيرية والادبية والمدارس العديدة وأصبحوا يرفلون فى رياض الحرية .[1]

من أهداف النشرات التبشيرية :

ومع ما يحالف المنظمات التبشيرية فى كثير من المجالات من نجاح لكن القلق يسيطر عليها من مزاحمة الإسلام لها ، وانتشاره بين الوثنيين أكثر من انتشار المسحية بينهم ، ولهذا تعمل المنظمات التبشيرية فى إصرار غريب لمحاربة الإسلام فى داره ، وهى فى سبيل ذلك تعقد المؤتمرات وتقيم الدورات التدريبية وتصدر النشرات التى توجه النشاط التبشيرى نحو الغاية الأسياسية وهى انحلال القبضة الحديدية للإسلام .

ومن هذه النشرات التى تعبر عن آمال التبشير المعاصر ، وتصف حالة المنصرين مع المسلمين بأنها حالة حروب ، تلك النشرة التى تدور فى أمريكا وتسمى ديت لاين (date line) وهى نشرة تخطط لأتباعها طرق التنصير ، وتحضهم على الإنضمام الى دوراتها التدريبية التى تعقدها لتأهيلهم للقيام بهذه المهمة .

وهذه النشرة موجهة الى المسحيين الذين يهتمون بتنصير المسلمين والذين يهتمون ، أيضاً، بأوضاع العالم العربى .

وقد جاء فى أحد أعداد من هذه النشرة تحت عنوان لابد أن يفتح الباب إذا واصلت قرعة » مايلى :

« يامن لهم تمرس أكبر فى العمل فى ديار الإسلام: أنتم ولاشك تعلمون أنه لايسمح للمسلم شرعاً أن يرتد عن دينه ويعتنق دينا اخر ، وقد تستنتجون من ذلك

(١) نقلا عن المرجع السابق ص٦٢.

استحالة العمل بينهم ، وكذلك لامجال للبعثات التنصيرية للعمل هناك ، إذ ليس مصرحا لها بالنشاط ، فقد اسدل الستار ، وبنى الحصن بقوة قد تبدو غير قابلة للاختراق خاصة فى نظر الذين يغفلون عما يصنعه الرب فى العالم العربى هناك إحساس لدى العاملين فى البلاد الإسلامية أننا أمام فتح مبين صحيح ، إن بعض الجهات فى العالم الإسلامى أصبحت أكثر تعصبا ، ولكنها تبقى أقلية شديدة البروز فقط ، والذى يدفعنا الى مضاعفة جهودنا الآن هو مانراه من تغير فى الموقف والمزاج لدى الأغلبية » .(١)

وتنتقل النشرة بعد الإشارة إلى الأزمات التى يعانى منها المجتمع الإسلامى والتى تيسر للمبشر مهمته وتساعده على بلوغ غايته الى الحديث عن البعثات التنصيرية ، وعملها اليومى بين المسلمين ، وإلى قرارات مؤتمر الكنائس العالمى ، وأهداف التنصير الى عام ٢٠٠٠م ، فتقول :

« هناك بعثات تنصيرية فعالة تعمل حاليا فى هذه البلاد المنيعة ظاهريا ولكن هذه البعثات تتعرض يوميا الى توترات وضغوط لايمكن تجاوزها إلا بوسائل روحانية فنحن شهود عيان لما تصنع يد الرب فى أوضاع قد تبدو مستحيلة ، نحن نشهد نتائج لايمكن تفسيرها إلا بقبول صلواتنا ، إن الصلاة هى جانب أعظم من جوانب الشعائر الى يجب على الكنيسة فى الغرب الاهتمام بها ، بإمكاننا الادعاء بالنجاح فى فتح الأبواب على مصاريعها ، بإمكاننا دخول أمصار جديدة ، بإمكننا بعون الله وبفضل صلوات المبشرين وتضحياتهم تسريب فرق همها الشاغل هو كسر قبضة الإسلام الحديدية ، فقد عرف العالم العربى بأنه أشد المناطق صعوبة على وجه الأرض لدخول الانجيل ولايزال غير ملتفت إليه بشكل كاف من قبل رجال الكنيسة

(١) مجلة «البيان» وهى مجلة تصدر عن المنتدى الإسلامى فى لندن ، العدد الرابع عشر سنة ١٤٠٩هـ ص ٧٤ - ٧٥ .

نتيجة لجهلهم ، إن العالم العربى لم يحصل على هذه السمعة إلا لقلة المتطوعين للتضحية فى سبيل إعلاء كلمة الانجيل .

نحن نعيش فى مجتمع يقيس النجاح بالكم ، وكلمتنا هذه نظرة للكيف عن طريق الطاعة ، وعلينا أن ننظر الى العالم العربى من منظار الرب ، فلو أننا استصعبنا هذه المهمة . لكنا قد ظلمنا نقصا فى قوة الرب ، فكأننا نزعم أن هذا المجال يعجز الرب عن العمل فيه ، وقد وصلنا مؤخرا فى اجتماعات مؤتمر الكنائس العالمى فى فرنسا إلى اتخاذ قرارات حددنا فيها أهدافنا الى عام ٢٠٠٠م ، وبعد صلواتنا المكثفة الحارة شعرنا أن الرب يحثنا على الانفتاح وعدم التوانى فى فتح أبواب جديدة على العالم العربى، وسيركز العدد القادم من ديت لاين (date line) على الطريقة الجريئة التى تدخلك فى باب المستحيل صارخا، أفتحوا الأبواب » [١] .

أفلا يدل هذا القول على مبلغ التعصب والكراهية الدفينة للإسلام ، وعلى البعثات التبشيرية ، ومجلس الكنائس العالمية ينظرون الى الإسلام على أنه ألد أعداء المسيحية [٢] ويدركون عن دراسة أن قوة هذا الدين تتأبى على التنصير ، ولكنهم مع هذا لا يقنطون ويعملون دون كلل ، ويخططون وينفقون الأموال فى سخاء من أجل تدمير هذه القوة ، ومن ثم كان حض المبشرين لكى ينجحوا فى مهمتهم ، ويفتحوا الأبواب التى أحكم غلقها أن يصبروا أن يستعينوا بالصلاة والثقة فى نصر الرب ، فهم فى حالة جهاد وحرب .. وتهتم تلك النشرة اهتماما زائدا بشمال افريقيا ، ولعل مرد ذلك إلى أنه الجزء الأقرب الى أوربا ، فهو جسر العبور إلى باقى العالم العربى، وإفريقيا ، وهو المكان المحتمل منه الخطر على الحضارة الأوربية أكثر من غيره ، ولذلك توجه الى هذه المنطقة إذاعات تنصيرية وترسل الدروس التبشيرية الى آلاف

(١) انظر: مجلة «البيان»، مرجع سابق، ص٧٤ – ٧٥.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ٧٦ .

المغاربة عبر البريد من أوربا، ومن مركز التنصير الخاص بالعالم العربى .A. W) (.M كما أن هناك فرقا مدرية للعمل التبشيرى فى صفوف المليونى المسلم من المغرب العربى فى فرنسا .(١)

وتحت عنوان « فرصة سانحة» جاء فى النشرة الآنفة الذكر : « إن العالم الإسلامى هو أحد الأماكن التى تحظى بالقليل بالرعاية والكثير من الإهمال من قبل المنصرين حاليا ، فخمس سكان العالم اليوم مسلمون ، وهو أحد الخطوط الدفاعية الأخيرة التى لابد للإنجيل من اختراقها » (٢) .

إنها حرب ضاربة لا تعرف قيما دينية ولا أخلاقية، حرب يشنها التبشير والاستعمار دون هوادة ، حرب لاتدع وسيلة تحقق لها النصر إلا أخذت بها ، حرب توجه أسلحتها إلى ديار الإسلام والى المسلمين الذين يعملون فى الدول الغربية أو يسافرون اليها للسياحة أو للتعليم والعلاج ، وهى أسلحة قد تبدو فى الظاهر عملا إنسانيا ، أو تعاونا ثقافيا ، أو تقاربا دوليا أوسياحة ترفيهية، ولكنها فى الواقع حبائل الشر ، وذرائع المنكر ، تحدث استاذ جامعى سافر هو وزوجته إلى لندن فى صيف عام ١٩٨٨م فقال : « كنت أسير مع زوجتى وهى ترتدى الحجاب فى أكبر شوارع لندن ، وفجاءة اعترض طريقنا شبان يحمل كل منهما حقيبة متوسطة الحجم ، وقد عرفا من ملابس زوجتى أننا مسلمان، فبدأ الحديث معنا بسؤالى عن عنوان فى لندن ، ولأنى كنت درست فى هذه المدينة من قبل و أعرف أحياءها وشوارعها أخذت أصف لهما العنوان الذى يرغبان فى معرفته ، وفى أثناء ذلك فتح أحدهما حقيبته وأخرج منها مجموعة من القصص العربية ، وطلب منى أن أقبلها كهدية منه ، ولكنى رفضت أولاً ، ثم دفعنى الفضول إلى أخذ هذه المجموعة ، فإذا هى قصص

(١) د. محمد الدسوقى: بحث المستقبل الاسلامى فى مواجهة القوى المضادة ص٥٦، ٥٧.
(٢) مجلة البيان مرجع سابق .

لبعض الكتاب المصريين مثل نجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس ، وكانت دهشتى حين وجدت فى داخل كل قصة نسخة صغيرة الحجم بالعربية من الإنجيل ، فأعدت القصص اليهما وتركتهما وانصرفت ...» .

وإذا كانت وسائل التبشير فى الماضى والحاضر على تنوعها تعتمد على اللقاء المباشر فى داخل العالم الإسلامى أو فى خارجه ، فإن المستقبل القريب يحمل فى طياته وسيلة لا تعتمد على ذلك الأسلوب المباشر ، إذ أنها تقوم على البث المسموع والمرئى عن طريق القميرات الصناعية التى تتسابق دول العلم فى إطلاقها، ولهذا تعد وسيلة خطيرة جداً ، لأنها ستقتحم علينا المنازل والمخادع، ولا يمكن منع الناس صغارا وكبارا من مشاهدتها أو سماعها .

لقد حذر بعض الباحثين من البرامج التى ستهبط علينا من الفضاء من قبل تلك القميرات ، منبها إلى أنها تمثل تحديا بالغ الخطر للثقافة العربية ، وأن علينا أن نعد من الآن لمواجهة هذا التحدى قبل فوات الأوان [1] .

ولاشك فى أن انهزام الثقافة العربية أمام الثقافات الأجنبية التى ستبثها برامج الفضاء يعنى انهيار المقدمة العنيدة أمام الزحف التبشيرى ، فالمسلم الذى تحكمه قيم فكرية وسلوكية خاصة تعبر عن ثقافته وهويته سيجد نفسه مشدودا وهو قاعد أو مضطجع فى بيته إلى منهج تبشيرى يجمع بين الصورة والعبارة ، هذا المنهج سيزحزحه شيئا فشيئا عما يؤمن به من قيم ، حتى يصبح بعد فترة من الزمن طالت أو قصرت شخصية أخرى فى مفاهيمها وقيمها ، فهى لاترى ضرورة فى الاعتصام بما يدعو اليه دينها ، ولاترى كذلك بأسا فى الأخذ بطرائق فكرية وسلوكية

(١) انظر : مجلة العربى، العدد ٣٠٧ ص ٨٢ .

لاتمت الى أصول ثقافتها بوشيجة ما ، وبهذا يحقق التبشير غايته ، في محو فاعلية الإسلام والانتماء الجوهرى اليه .

وجملة القول أن ثمة اختراقا تبشيريا للعالم الإسلامى وأن العمل الدؤوب من أجل تعميق فهم المسلمين وإيمانهم بالكتاب المقدس على قدم وساق [1] . وأن النشاط التبشيرى يهتم بالمسلم أكثر من اهتمامه بالوثنيين ، وأكثر كذلك من اهتمامه بالمسيحيين الذين لايفقهون المسيحية ولايلتزمون بتعليمها ، وأن هذا النشاط متعدد الجبهات والوسائل ينفق أموالا طائلة وأن المحرك الأول له هو الخوف من قوة الإسلام، وليس الانتصار للإنجيل ، وأن من الخطأ الفادح أن نفرق بين الاستشراق والتبشير ، فهما وجهان لعملة واحدة ، ومن ثم لا ينبغى الفصل بينهما ، فالمبشر مستشرق ، والمستشرق مبشر ، فهذا مستشرق معاصر يدرس الشريعة الإسلامية فى جامعة لندن يقول فى بحث له عن «الإسلام والعلاقة بينه وبين اليهودية والمسيحية» «آن للعالم أن يرى ماذا سوف يحدث حين يعرض إنجيل المسيح الحى بالصورة الملائمة لملايين المسلمين » [2] .

اليس هذا المستشرق مبشرا انجيليا ، وليس باحثا علميا ؟ بلى وإذا كان بعض المستشرقين لا يعربون عن آمالهم بصورة لا مواربة فيها كما فعل هذا المستشرق فإن كل ماصدر عنهم حتى ماكان منه خاصا بقضايا لايظن أنه تحقق هدفا تبشيريا كالدراسات الأدبية واللغوية تحمل فى أطوائها سموم التبشير على نحو ما من الأنحاء .

(١) انظر : مجلة العربى ، عدد ديسمبر ١٩٨٢ م ص ٤٦ .

(٢) مجلة الفكر العربى ، العدد ٣٢ ص ١٠٨ .

إن التبشير والاستشراق معاً أداة مؤامرة باغية لم يعرف العالم مثلها ، إنها مؤامرة بدأ التخطيط لها منذ أكثر من عشرة قرون ، وهى اليوم تتشعب وتتغلغل فى كل الأوساط العالمية ، إنها مؤامرة يتعذر حصر المشتركين فيها والمؤيدين لها ، مؤامرة بعدت أهدافها ومراميها ، وكادت تشمل الإسلام والمسلمين جماعات وأفرادا ، وشعوبا وأقواما [1] .

وبعد : فماذا أعددنا لمنع هذه المؤامرة من أن تبلغ غايتها وتحقق أحلامها ؟

إن الحديث عنها وعن مدى خطورتها لا يجدى شيئا ما لم تتخذ الدول الاسلامية والعربية الحماية والوقاية – وإن لم نستطع أن نبادر بالهجوم – بوسائل عمليه تدفع ذلك الخطر الذى يريد للإسلام أن يكون مرحلة تاريخية ، أو يقبع فى الصحراء والخيمة على حد تعبير بعض المبشرين ، لا أن يظل منهجا للحياة الانسانية فى كل صورها وامصارها .

إن الأمر جد خطير فغيرنا يعمل فى تعاون وتخطيط واستمرارية ، ونحن نكتفى بإرسال صيحات التحذير ، ولاجدوى منها إلا إذا اقترنت بعمل مخلص جد يسمو فوق أهواء الاقليمية ، أو النزعات ويتغيا نصرة الحق والتمكين لكلمة الله فى الأرض ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. [2]

وتتضح أساليب التبشير من:

---

(١) انظر الإسلام أمام التحدى العالمى للدكتور إحسان حقى ، ص ٥ . نقلا عن د. محمد الدسوقى عن بحث المستقبل الإسلامى فى مواجهة القوى المضادة ص ٥٩ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص٥٩.

جمعية الشبان المسيحيين والشابات

مما لاريب فيه أننا أصبحنا مقتنعين الآن أن للتبشير ظاهراً وباطناً، وبأن المبشرين يتوسلون بظاهر الأعمال الاجتماعية الرحيمة إلى باطن التبشير الاستعمارى. فمن أوجه النشاط الاجتماعى التى تستغل فى التبشير: جمعية الشبان المسيحين وجمعية الشابات المسيحيات[1]، المخيمات، مؤتمرات الطلاب، الألعاب الرياضية، بيوت الطلبة، ملاجئ الأطفال ثم نشر الكتب، مظاهر كلها بريئة مفيدة ولكنها تحمل فى طياتها التبشير الذى يقود إلى الإستعمار.

إن فروع جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات قد نشرت فى الشرق لتكون عوناً على تغلغل التبشير المسيحى. يقول أديسون:

«إن عوامل التعليم المسيحى فى مصر، تزيد قوة على قوتها بمؤسستى جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات، وهما مؤسستان غير طائفيتين... إن لهاتين الجمعيتين مراكز نشيطة، وخصوصاً فى القاهرة والأسكندرية. وهذه الفروع تقدم (للمسلمين) مناسبات مختلفة للألعاب الرياضية... وتهئ فى المجتمع ألواناً من النشاط تندر فى الشرق... وفى هذا اقتراب من المسلمين(بالتبشير)»

ويصرح الكاتب نفسه بمهمة جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات فى أواخر كتابه، وحينما يتكلم عن فلسطين خاصة فيقول:

لقد تبدل اسم هاتين الجمعيتين فأصبح: الجمعية المسيحية للشابات، وفى

(١) التبشير والإستعمار ص٢٠١.

هذا التبديل غرض غير خفى. أن معناها اللفظى الأول كان: جمعية للشبان المسيحيين وحدهم وللشابات المسيحيات وحدهن. أما الآن فالمعنى اللفظى قد أصبح: جمعية مسيحية (يديرها المسيحيون) للشبان (لكل الشبان) وللشابات (لكل الشابات). على أن المقصد الحقيقى كان من قبل كما هو الآن. وهو الآن كما كان من قبل[1].

منذ الاحتلال البريطانى لفلسطين أتسع التبشير البروتستانتى وأخذ المبشرون يستخدمون كل شكل من أشكال التبشير استخداماً فعالاً.

ولقد كان ولبرت سميث أشد صراحة فى مقال له عنوانه «جمعية الشبان المسيحين فى الشرق الأدنى»[2]، قال:

«إن جمعية الشبان المسيحيين قد جاءت إلى الشرق الأدنى لتعاون المؤسسات المسيحية. أما هدفها الرئيسى فهو تنشئة الشبان على أسس مسيحية. ولفروع هذه الجمعية منهاج دائم، ولها اجتماعات تعرض فيها الدعوة بلا استحياء ولاتحوير. وهنالك أيضاً سلسلة من الاجتماعات التبشيرية».

وفى كتاب «عمل الارساليات» تأليف كورنيليوس باتون يصرح فى هذا الشأن كل الصراحة[3]:

فيقول: «إن تقسيم العمل بين العاملين المسيحين (فى حقل التبشير) قد اقتضى، بناء على الترتيب الحكيم، ان يعهد إلى جمعية الشبان المسيحيين بالعمل فى المدن، وخصوصاً بين الطلاب والطبقات المثقفة فى المدن. أما المصايف فأنها أفضل الميادين الموافقة فى العالم لمثل هذا النوع من التقرب من شعب غير مسيحى... إن هذه الجمعية، تستطيع، بواسطة نشاطها الجانبى فى الحياة

(١) المرجع نفسه.

(٢) نقلا عن التبشير والإستعمار ص٢٠٢.

(٣) لباتون ص٧٩ – ٨٣ نقلا عن المرجع السابق.

الاجتماعية والرياضية، أن تجتذب رجالاً ليس بالأمكان أن يتقبلوا النصرانية بطريقة شخصية...».

لماذا يهتم المبشرون بالمرأة المسلمة؟

الهدف واضح فى اهتمام المبشرين خاصة بالمرأة. إن المرأة مدار الحياة الاجتماعية، والوصول بالتبشير إليها وصول إلى الأسرة كلها. من أجل ذلك كانت جمعية الشابات المسيحيات بفروعها، ومن أجل ذلك كانت المنازل والمعاهد التى يعدها المبشرون للفتيات خاصة[1].

ويصفق المبشروت باليدين لأن المرأة المسلمة قد تخطت عتبة دارها. لقد خرجت إلى الهواء الطلق، لقد نزعت عنها حجابها.

ولكنهم لايصفقون لأن المرأة المسلمة قد فعلت ذلك، بل لأن فعلها هذا يتيح للمبشرين أن يتغلغلوا عن طريق المرأة فى الأسرة المسلمة بتعاليمهم التبشيرية.. ولهذا السبب خاصة أخذ المبشرون منذ أمد يأتون بالنساء المبشرات ليتصلن بالنساء المسلمات وهم يصيحون: لقد سنت لنا فرصة جديدة[2].

وللمرأة عند المبشرين أهمية عظيمة، قال نفر منهم [3]:

«بما أن الأثر الذى تحدثه الأم فى أطفالها - ذكوراً وإناثاً - حتى السنة العاشرة من عمرهم، بالغ فى الأهمية، وبما أن النساء هن العنصر المحافظ فى الدفاع عن العقيدة، فأننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة فى التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية»

(١) التبشير والإستعمار ص٢٠٣.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

من أجل ذلك اهتم المبشرون بالتبشير بين النساء اهتماماً خاصاً، ووضعوا له البرامج المفصلة.

ففى المؤتمر التبشيرى الذى عقد فى القاهرة عام ١٩٠٦ يتمخض عن هذا النداء الذى وضعته الأعضاء المبشرات فى ذلك المؤتمر:

«... لاسبيل إلا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح. إن عدد النساء المسلمات عظيم جداً لايقل عن مائة مليون، فكل نشاط مجد للوصول اليهن يجب أن يكون أوسع مما بذل إلى الآن.

نحن لانقترح إيجاد منظمات جديدة، ولكن نطلب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فروعها النسائية على العمل واضعة نُصب عينيها هدفاً جديداً هو الوصول إلى نساء العالم المسلمات كلهن فى هذا الجيل...»

على أن الذى يفتريه المبشرون على المرأة المسلمة كثير لاسبيل إلى حصره ولا إلى تعداد وجوهه، فلماذا يفعلون كل ذلك؟ لغايتين:

١ - أن يثيروا عاطفة الأغنياء من النصارى فى أوربا وأمريكا للبذل فى سبيل التبشير.

٢ - أن يحطموا من عزيمة المسلمين ويحملوهم على الشعور بالنقص فى أنفسهم.

ويبالغ بعض المبشرين فيزعم أن المسلمين لايستطيعون أن يتخيلوا أن بامكان المرأة أن تتعلم الدين فمن أجل ذلك يريد هذا المبشر الذكى أن يستغل المبشرون كلهم هذه الناحية فيرسلوا إلى أفغانستان خاصة نساءً مبشرات منهم. من هذا السبيل تستطيع هؤلاء المبشرات أن يدخلن إلى الحريم[1] فيبشرن بين نسائه من غير أن

(١) لايزال كثيرون من الغربيين يعتقدون بأن البيت الأسلامى دائرة مضروبة على نساء يتمتع بهن الرجل على هواه.

يتسرب شك إلى الأفغانيين بحقيقة مهمتهن.[1]

وبعد أن تُدرب هؤلاء المبشرات الأجنبيات نساء وطنيات يتوجب عليهن أن ينسحبن من ميدان التبشير ويتركن مكانهن لمبشرات وطنيات من أبناء البلاد.

والمبشرة على كل حال أمرأة ذات شخصية مسيحية موحية، تعمل من وراء ستار.

أما طريق التبشير بين الفتيات والنساء، اللواتى تعضهن الحاجة خاصة، فقد لخصها مؤتمر قسطنطينة (فى الجزائر) بمايلى:

«إن الحاجة الملحة المستعجلة إنما هى إنشاء بيت أوبيوت للفتيات المطلقات وللأرامل الصغار. ويجب ألا تكون هذه البيوت مؤسسات كبيرة، بل أماكن يخيم عليها الجو العائلى، ثم تفرق النساء فيها حسب أحوالهن وحاجاتهن. وكذلك مكث هؤلاء النسوة فى تلك البيوت يجب أن يطول أويقصر حسب المقتضيات الشخصية لكل واحدة منهن. ثم إن كل فتاة يجب أن تعلّم من الصناعات المحلية مايمكنها العيش به بعد أن تغادر تلك البيوت».

«وأخيراً نرى أن أمثال هؤلاء النسوة يكن فى أثناء مكثهن فى هذه البيوت تحت تأثير الانجيل.

ثم أننا نختار منهن أولئك اللواتى يرجى أن يمرّن أكثر من سواهن ليكن بدورهن مبشرات بين قومهن. ولقد اعتنق الا فرنسيون أيضاً هذا الرأى فى التبشير بين النساء»

ويبدو أن تشجيع الشبان غير المسيحيين على الزواج بالفتيات الأجنبيات المسيحيات من وسائل التبشير أيضاً.[2]

(١) نقلا عن التبشير والإستعمار ص٢٠٤.

(٢) نقلا عن التبشير والإستعمار ص٢٠٥.

استخدام المكر والخديعة مع المسلمين

فى بعض الأحيان يختار المبشرون موضوعات إسلامية لها مقابل فى الديانه النصرانية ثم يموهون الحقائق ويقفزون فوق الفروق. إن القرآن الكريم يسمى المسيح (كلمة الله)، ومعنى ذلك أن الله تعالى ألقى كلمته، أى أمره، بأن يولد المسيح على ذلك الوجه المعجز فى التاريخ. ولكن المبشرين يأخذون «كلمة الله» ليفسروها التفسير النصرانى.

ووجه الخلاف أن كل شئ فى هذا العالم كما يرى المسلمون كان بأمر الله: «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن، فيكون»(١)

أما النصارى فيعتقدون أن التعبير: «كلمة الله» تعبير خاص بالنصرانية يجب أن يفهم على أن المقصود به عيسى ابن مريم وحده، وأنه دالّ على الألوهية فى المسيح.

للمبشرين أن يفهموا ذلك كما يريدون، ولكن ليس لهم أن يقولوا على الإسلام مالا يعلمون، أن كل موجود وكل حادث فى العالم «أمر» يلقى من الله: «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون».

وفى القرآن الكريم آيات كريمات تجعل عيسى كآدم مثلاً، وتجعل آدم يتلقى من ربه «كلمات» لا كلمة واحدة:

«إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له: كن فيكون. الحق من ربك فلا تكونن من الممترين».(٢)

– فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، إنه هو التواب الرحيم».(٣)

---

(١) يس: ٨٢.

(٢) آل عمران: ٥٩، ٦٠ والممترين: الشاكين. امترى: شك.

(٣) البقرة (٣٧).

ويرى المبشرون أن يتوجهوا بالكتب إلى طبقتين من المسلمين على الأخص: إلى طلبة الأزهر في مصر، على اعتبار أن الأزهر معقل الإسلام، وإن الصابئ الأزهري - إذا اتفق ذلك - يكون عوناً للمبشرين على زيادة التغلغل في العالم الإسلامي. وعلى كل فالتبشير بين الأزهريين لايزال تجربة فقط، وإن كان المبشرون ينتظرون أن يتسع وأن يقوم في الدرجة الأولى على الجدال والوعظ.[1]

وأما الطبقة الثانية التي يجب المبشرون أن يصلوا إليها بكتبهم الدينية فهي طبقة النساء. إنهم يزعمون أن المرأة المسلمة محجوبة (عن المجتمع والعلم...) فيجب أن توضع لها كتب تتفق مع حالها وعقليتها ودرجة تفكيرها.

ولقد اعتمد المبشرون مدينتين لنشر كتبهم وصحفهم: القاهرة وبيروت.

أما القاهرة فاتخذها البروتستانت مركزاً لتوزيع المنشورات المسيحية في القطر المصري وفي جميع العالم الإسلامي، كما أنهم أقاموا المطبعة الأمريكية في بيروتو تلك المطبعة التي أصبحت أهم وسائل التبشير في الشرق كله.

---

(١) لقد حدثت هذه التجربة معي:

كنت في السنة الرابعة الثانوية في معهد طنطا، أقطن في بيت رجل مسيحي، ومن الغريب أنه قصر بيته على سكنى الطلبة، وبعد انتهائي من الامتحان، أعطاني مجموعة من الكتب القديمة الصفراء لقراءتها. وبحماس الشباب قرأتها بسرعة لعودتي إلى القرية بعد أسبوع، وأثناء قراءتي لها وجدت قضايا عقدية غريبة، فكنت أقوم بالتعليق عليها، وإبطال ما تنادي به، واستعملت في ذلك قلم الرصاص، ثم سلمته الكتب، وبعد فترة قصيرة قابلني أحد الطلاب الذين يسكنون معي، وهو ثائر ويقول لي: ماذا فعلت مع صاحب البيت؟ إنه غاضب منك جداً، فقلت: إن الرجل يأتي إلى حجرتي فأقدم له التحية، ثم تذكرت ضيقه وتبرمه مني للتعليقات والهوامش التي كتبتها على الكتب التي أعطاني إياها، حيث قد خاب ظنه في كسب أحد الأزهريين إلى عقيدته.

أما اليسوعيون فقد ركزوا جميع جهودهم فى المطبعة الكاثوليكية فى بيروت منذ عام ١٨٧١ وقاموا عن طريقها بعمل تبشيرى فى الدرجة الأولى[١].

تشويه الثقافة العربية الإسلامية

مما يجب التنبيه إليه هو أن المبشرين قد درسوا العالم الإسلامى من جميع نواحيه ثم وضعوا الخطط للقضاء على كل مقاومة أومناعة فيه، فى كل ناحية من تلك النواحى.

لقد استغلوا فى سبيل مآربهم كل وسيلة، من العلم والطب والسياسة والحياة الإجتماعية ومن الثقافة والأدب واللغة. لقد حرصوا على أن يسلبوا الإسلام كل مناحى الشخصية وكل أسباب الحياة.

ولكن العالم الإسلامى لم يمت. لقد ظل العالم الإسلامى يستمد الحياة من ثقافته التى مازالت حية تنير العالم منذ ألف وأربعمائة سنة.

أن الشرقيين والعرب والمسلمين قد اقتنعوا أنهم أخذوا يتأخرون منذ مطلع العصور الحديثة فى ميادين الاختراعات المادية والعلوم النظرية والعلمية وفى عالم السياسة الدولية وفى أسباب الحرب وآلاتها، ولكن الشرقيين والعرب والمسلمين موقنون حق الإيقان أنهم فى العصور الوسطى قد أدّوا للعالم كله رسالة من أعظم الرسالات التى أدتها أمة من الأمم، بشهادة الفرنجة أنفسهم قبل عصر التبشير وبعد عصر التبشير أيضاً.[٢]

(١) نقلا عن التبشير والإستعمار ص٢١١ - ٢١٤.

(٢) نقلا عن التبشير والإستعمار ص٢١٧.

تركيز التبشير على التنصير الجماعى

كان اليسوعيون لايقيمون وزناً للتنصير الفردى، بل كانوا يسعون إلى التنصير الإجماعى، ولذلك وجهوا اهتمامهم إلى بلاد العلويين للجهل الذى كان يخيم على تلك الربوع فى ذلك الحين. ففى أول أيلول عام ١٩٢٥ (ذكرى اعلان لبنان الكبير) دعا المفوض السامى الفرنسى عدداً من الراهبات ليذهبن إلى صافيتا فى بلاد العلويين. إلى (مدرسة الراهبات فى صافيتا) إن هذه المؤسسة ستدعى يوماً إلى أن تلعب دوراً عظيماً فى التبشير الذى بدأ قبل أمد بين العلويين أوالنصيريين.

ولم يكن اليسوعيون مازحين، فقد مثلواهم، لا الراهبات، وبحراب الفرنسيين لا بالدعوة الصالحة، مابيتوه: لقد جمعوا عام ١٩٣٠ نفراً من العلويين فى جنينة رسلان وحملوهم على أن يقروا بالمذهب الكاثوليكى. ويبدو أن تبشيراً كثيراً فى العالم قام على الحديد والنار، لاحباً بالنصرانية التى تكره الحديد والنار، بل بالسياسة التى لاتعرف المثل العليا إلا وسيلة إلى منافعها المادية.

ويهمنا أن نعود الآن إلى المفوض السامى الفرنسى الذى بدأ هذه الحركة عام ١٩٢٥.

إنه الجنرال ساراى. والمشهور أن ساراى كان علمانياً لادينياً، ومع ذلك فقد كان يحمى اليسوعيين.

إن الجنرال ساراى كان فى الحقيقة ينفذ خطة سياسية ولم يكن يعطف على حركة دينية إلا بمقدار ما تساعده هذه الحركة على إحكام خطته.[١]

وانشغل ضباطه وخلفاؤه، أول الأمر، باستكشاف جزيرة هايتى (اسبانيولا) واحتلالها، وكانت ماتزال فى داخلها أراضى شاسعة مجهولة وقد تولى هذه المهمة

(١) انظر التبشير والإستعمار ص١٢٢.

كل من دييغو فيلاسكيز وبانفيلو دو نارفيز، فأبديا من ضروب الوحشية مالم يسبق له مثيل، مفتنين فى تعذيب سكان الجزيرة بقطع أناملهم وفق عيونهم، وصب الزيت المغلى، والرصاص المذاب فى جراحهم، أو باحراقهم أحياء على مرأى من الأسرى... ليعترفوا بمخابئ الذهب، أوليهتدوا إلى الدين! وقد حاول أحد الرهبان اقناع زعيم الجزيرة «هانيهاى» باعتناق الدين... وكان مربوطاً إلى المحرقة، فقال له: إنه إذا تعمد يذهب إلى الجنة... فسأله الزعيم الهندى: «وهل فى هذه الجنة اسبانيون؟» فاجابه الراهب: «طبعاً، ماداموا يعبدون الآله الحق!»

فما كان من الهندى إلا أن قال: «إذن أنا لا أريد أن أذهب إلى مكان أصادف فيه أبناء هذه الأمة المتوحشة!»[1]

من هنا نرى إلى أى حد كان التبشير والسياسة يتعاونان: كانت السياسة تعمل مقنعة من وراء المبشرين الذين كانوا بدورهم يعملون مقنعين بقناع التعليم والتطبيب وبذل الاحسان. ثم أن رجال السياسة كانوا إذا دافعوا عن المبشرين لم يدافعوا عنهم كمبشرين بل كأميركيين أو انكليز أوفرنسيين أوعلى الأقل، كأجانب ليس لهم من دولهم ممثل يحميهم ويسهر على مصالحهم.

حتى أن رجال السياسة العلمانيين كالجنرال ساراى، المفوض السامى الفرنسى فى سوريا ولبنان يوم نشبت الثورة السورية عام ١٩٢٥، واليهودى كأوسكار ستراوس، كانوا يتفانون فى خدمة رجال الدين الأجانب ثقة منهم بأن مساعى البروتستانت والكاثوليك على السواء إنما تعنى، فى النهاية، تصدير البضائع إلى شعوب الشرق أوالحصول على مراكز حربية فى البلادى الشرقية.[2]

(١) المرجع السابق ص١٢٣.

(٢) المرجع السابق ص١٢٤.

تحريض الغرب على الإسلام

كتب كاتب اسمه اشعيا بومان فى مجلة «العالم الإسلامى» مقالاً عنوانه «الجغرافية السياسية للعالم الإسلامى»، ذكر فيه أن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربى.

ولهذا الخوف أسباب منها: أن الإسلام منذ ظهر فى مكة لم يضعف عددياً، بل هو دائماً فى ازدياد واتساع، ثم أن الإسلام ليس ديناً فحسب، بل ان من أركانه الجهاد. ولم يتفق قط أن شعباً دخل فى الإسلام ثم عاد نصرانياً.

وكذلك يرى هذا الكاتب أن الصحراء كانت للمسلمين حصناً منيعاً، ذلك لأن «البدو» نسبة مئوية كبيرة فى المسلمين، وأنه ما من دولة حاولت التغلب على المسلمين واتفق أن ظفرت إلا خسرت أضعاف ما خسره المسلمون فى ذلك الكفاح...

من أجل ذلك يقترح هذا الكاتب أن تتفق بريطانيا وفرنسا، مادامتا أكثر الدول سيطرة على العالم الإسلامى، على سياسة «السيطرة على الشواطئ» حيث يمكن وصول الدوارع والآت القتال الحديثة بسهولة.

فاذا نحن قرأنا هذا الكلام ثم ذكرنا ما فعلته ايطاليا فى طرابلس الغرب من اعطاء الشواطئ إلى الايطاليين وطرد العرب إلى الداخل، ادركنا أن التبشير والإستعمار متفقان على إبعاد المسلمين عن الشواطئ. وكذلك لما أعطت هيأة الأمم فلسطين لليهود نفذت جزءاً من هذه المؤامرة الخطيرة، فاخلت الشواطئ من العرب المسلمين ثم قذفت بهم إلى داخل البلاد وإلى ماوراء نهر الأردن.

ولقد هال هيأة الأمم أن ترى عدداً كبيراً من اللاجئين الفلسطينيين قد أموا لبنان – على الشاطئ – فهى لاتزال تحاول اقناعهم بالذهاب إلى سوريا أوالعراق أوشرق الأردن لتبعدهم عن الشواطئ[1].

(١) التبشير والإستعمار ص١٣١.

تحذير للعالم الإسلامى من الانقسام

حيث إن هذا الانقسام دعوة للتبشير فإنه لما عقد المبشرون مؤتمر لكنؤ (الهند) عام ١٩١١، أخذوا يدرسون الأحوال السياسية فى العالم الإسلامى. فلما وجدوا أن هذه الأحوال على شئ من الاضطراب قال أحدهم زويمر: أن الإنقسام السياسى الحاضر فى العالم الإسلامى دليل بالغ على عمل يد الله فى التاريخ واستثارة للديانة المسيحية (لكى تقوم بعمل)، إذ أن ذلك يشير إلى كثرة الأبواب التى أصبحت مفتحة فى العالم الإسلامى على مصاريعها. إن ثلاثة أرباع العالم الإسلامى يجب أن تعتبر الآن سهلة الاقتحام على الارساليات التبشيرية. إن فى الأمبراطورية العثمانية اليوم وفى غربى شبه جزيرة العرب وفى إيران والتركستان والأفغان وطرابلس الغرب ومراكش سدوداً فى وجه التبشير، ولكن هنالك مائة وأربعين مليوناً من المسلمين فى الهند وجاوة والصين ومصر وتونس والجزائر يمكن أن يصل اليهم التبشير المسيحى بشئ من السهولة.

ولايخفى المبشرون نياتهم الحقيقية، فقد قال جسب: من العناية الإلهية العظيمة أن المطبعة الأمريكية والمدارس الأمريكية فى سوريا كانت وسيلة لإعداد رجال ونساء كثار ليكونوا مواطنين أمريكيين. أما انجلترا التى كانت دائماً تريد الاحتفاظ بقناة السويس لأنها طريق الأمبراطورية البريطانية إلى الهند واستراليا والصين، فقد توسلت إلى تثبيت نفوذها برجال الدين من قومها، من ذلك أنها عهدت إلى القسيس روبسون، وهو من الارسالية المشيخية الايرلندية، بأن يثقف ابنى سعيد بك جنبلاط (أحد رجال الاقطاع الكبار من الدروز فى لبنان) على نفقتها، وعدت ذلك ضماناً لجعل الدروز فى المستقبل أكثر هدوءاً نحوها.

وكانت إيطاليا ترمى إلى بلوغ أغراض سياسة فى الشرق فزرعت البلاد بمدارس دينية مع أنها كانت قد صادرت أموال الأديرة فى ايطاليا نفسها.

وكذلك فعلت الروسية حتى استطاعت هى أيضاً أن تنفذ إلى الإمبراطورية العثمانية المتداعية الأركان.

على أن أكثر الدول الأوربية نشاطاً تبشيرياً سياسياً فى سوريا ولبنان خاصة كانت فرنسا، التى تطرد الرهبان من أرضها ثم تحتضنهم فى الخارج ليحققوا لها شهواتها الاستعمارية.

وأعتقدت فرنسا أن اللغة هى التى توجه الثقافة، ولذلك أنفقت على مدارسها وعلى المدارس التى تعلم اللغة الفرنسية بسخاء.(١)

لماذا يخاف المبشرون من الوطنية؟

لقد خشى المبشرون من النهضة الوطنية فى مصر لأن القومية المصرية إسلامية فى حقيقتها.

ويغمط هؤلاء المبشرون مصر والمصريين حقوقهم ويخالفون الواقع بقولهم أن الوطنية المصرية قد نشأت لأن الانكليز كانو يحابون المسلمين فى معاملتهم فأشعل ذلك حب الاستقلال فى صدورهم، لكن الحقيقة أن الانكليز لم يعاملوا المسلمين فى مصر معاملة تتفق مع كرامة الشعوب، حتى قال حافظ إبراهيم عن ذلك فى مصر:

إذا شئت أن تلق السعادة بينهم فلا تك مصرياً ولاتك مسلما.

فاليونانى والأرمنى واليهودى الغرباء كانوا يتمتعون فى مصر بأعظم مما يتمتع به المصرى المسلم.

---

(١) التبشير والإستعمار ص١٦٩، ١٧٠.

ولقد أجفل المبشرون لما سمعوا النداء الوطنى «مصر للمصريين» فقالوا أن هذا يعنى «مصر للمسلمين». ولذلك رجا المبشر صموئيل زويمر فى ذلك الحين من بريطانيا أن تبدل سياستها تبديلاً أساسياً فى وقت قريب وأن تعلن حياداً تاماً يشعر مصر بقوة بريطانيا وبنعهما.

ومعنى ذلك عند زويمر بلاريب «فتح مصر للتبشير بالقوة».(١)

ولما خاب المبشرون فى وقف تيار القومية الصحيح عمدوا فى كل بلد إلى أقلية غير مسلمة فى الاكثر وحاولوا أن يضموا إليها أحياناً نفراً بارزاً من المسلمين، كما اتفق لهم فى مصر فقط، ليلفقوا لأهل كل قطر مسلم قومية وهمية جديدة. لقد أرادوا أن يبعثوا «الفرعونية» من خلال حجارة الأهرام فى مصر، و«الفينيقية» من خرائب الساحل الممتد من يافا إلى اللاذقية على الشاطئ الشرقى للبحر الأبيض المتوسط. ثم إنهم لفقوا فى العراق دعوة أشورية لم يكتب لها أن تولد حية.

إن كل ما أراده المبشر جسب هو أن تولد «فينيقية» جديدة تكون فيها النصرانية أوسع انتشاراً. ولقد أكد جسب أن المدارس التبشيرية والصحافة شبه التبشيرية والكنيسة ستتضافر كلها على تحقيق هذا الهدف.

ولكن الفينيقية لم تستطع أن ترى النور فى سوريا. وإذا كانت قد غذيت فى لبنان طول عهد الانتداب، فأنها ماتت على عتبه الإستقلال اللبنانى. هذا مع العلم بأن جماعة من اللبنانيين مايزالون يتغنون بها.

ولا أحب أن أتوسع فى تاريخ «الحركة الفرعونية» فى مصر لأنها تختلف فى أساسها عن الحركة الفينيقية فى لبنان فى عهد الانتداب. أما «الحركة الأشورية»

(١) المرجع السابق ص١٧٤.

فى العراق فقد كانت أقل المحاولات القومية المفرقة حظاً من النجاح. ولقد قضى عليها وعلى اتباعها فى معركة واحدة.[1]

وأما الحركة البربرية فى المغرب فلم يستجب لها أحد من أهل البلاد، بل بقيت غصة فى حلوق المبشرين والمستعمرين إذ قاومها أهل تونس وأهل الجزائر وأهل مراكش بلا استثناء.

ولما لم تنتصر هذه الدعوات الاقليمية الضيقة وقع الاستعمار على فكرة العروبة وألبسها ثوباً جديداً. لقد أريد من «العروبة» أن تكون رابطة قومية مناقضة «للاسلام»: سياسة العروبة لا صلة لها بالاسلام، والمسلمون من غير العرب لاصلة لهم بالعروبة. ومما يؤسف له أن نفراً من الشبان العرب قد اعتنقوا فكرة العروبة المجردة من الاسلام، ثم أخذوا وهم يدعون للعروبة يقاومون الحركات الاسلامية.[2]

ارتياب المسلمين فى أعمال التبشير

والمسلمون خاصة لم يتقبلوا أعمال التبشير الاجتماعية (فى ظاهرها) بسرور، لأسباب مختلفة، منها أن الإسلام نظام اجتماعى كامل، وكل مايأتى به هؤلاء المبشرون، باعترافهم هم، موجود فى الإسلام وفى أشكال أتم وأحسن.

وهذا حق، فالدين الإسلامى ليس عقيدة فقط بل هوعقيدة ونظام اجتماعى أيضاً. أما النصرانية فليست كذلك. وإن ما يأتى به المبشرون على أنه اصلاحات اجتماعية، إنما هى نتاج مشوه لمبادئ اجتماعية نشأت فى القرون المتأخرة.

(١) التبشير والإستعمار ص١٧٤.

(٢) المرجع السابق ص١٧٥.

وهناك أمر آخر يمنع المسلمين من تصديق أقوال المبشرين، حتى فى الاجتماع. يقول المبشر و. رايد:

«إن الوصول إلى المسلمين صعب.. ذلك لأن المسلمين يشكون فى من يتبرع لهم (من المبشرين) ويعزون عمله إلى مآرب ما ... أننى أنا (والكلام للمبشر رايد) أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح، ومع ذلك يظن المسلم أن لى فى ذلك غاية خاصة. أنا لاأحب المسلم لذاته، ولا لأنه أخ لى فى الانسانية. ولولا أننى أريد ربحه إلى صفوف النصارى لما كنت تعرضت له لأساعده»

والمسلمون يعرفون هذا، ولذلك قلما يثقون بالمبشرين وبأعمالهم الإجتماعية، لاكرهاً بالأعمال الاجتماعية، بل هذه الأعمال تأتى دائماً ناقصة مشوهة لأنها فى الحقيقة وسيلة تبشير دينى، هو بدوره وسيلة أخرى إلى استعمار سياسى واقتصادى.[1]

ولقد أخذ المسلمون فى مصر يعتنون بالأعمال الاجتماعية الخيرية المتمثلة فى رعاية الطفل اليتيم، ورعاية الفقراء والمحتاجين، وإقامة العيادات الطبية فى المساجد، وبور المناسبات، ووقوف القادرين منهم مع من أضيروا فى الزلازل والسيول لقد بدأ المسلمون يسحبون البساط من تحت أقدام المبشرين.

من آثار الاحتلال السيئة فى نشر الفساد

«لقد كان الاحتلال الفرنسى لعنة فى سوريا، فقد فتح الافرنسيون يومذاك فى لبنان خمسين حانة وعدداً كبيراً من بيوت الدعارة. وكذلك تفشى السكر إلى حد لم يكن من قبل معروفاً. ثم زال الاحتلال الفرنسى، ولكن سيئاته لم تزل».

(١) التبشير والإستعمار ص١٩٢، ١٩٣.

ولم يكن الافرنسيون فى ذلك وحدهم مثل السوء، بل جاراهم الانكليز كخيل الرهان. وصلت إلى بيروت سفينة حربية انكليزية فنزل بحارتها إلى المدينة – على عادتهم – وجاء خمسة من هؤلاء سكارى إلى حانة يديرها مسيو تروية وطلبوا خمراً فلم يعطهم. عندئذ اندفعوا إلى الحانة يحطمون ما فيها فأخذوا وسجنوا، ويعلق المبشر جسب قائلا بصراحة: إن هذا العمل قد حط من قدر الانكليز فى عيون أهل بيروت، وكان مما يقلل الثقة بالمبشرين[1]

والإنكليز قديمو العهد فى صناعة الافساد الخلقى للولوج بالإستعمار إلى مناطق العالم المختلفة. فى عام ١٨٣٩ أثارت بين انجلترا والصين حرب عرفت باسم حرب الافيون، ذلك لأن الشركات البريطانية كانت قد نشأت فى البنغال – شرق الهند – مزارع ومعامل للأفيون وأخذت ترسله إلى الصين جهراً وسراً. ولما حاولت الصين أن تمنع دخول الأفيون إلى بلادها حرصاً على صحة أهلها، هبت انجلترا لمحاربة الصين دفاعاً عن حرية التجارة.

وانتهت حرب الأفيون بانتصار انجلترا وعقد معاهدة نانكين (١٨٤٢) واستيلاء الانكليز على جزيرة هونغ كونغ. واستمر تهريب الأفيون إلى الصين احتكاراً تاماً للانكليز وللشركات الانكليزية[2]. وهكذا فرض الانكليز هذا المخدر بقوة السلاح على أهل الصين تنفيذاً لخطة أملتها مطامع الاستعمار!![3]

ولاريب فى أن تهريب «حشيشة الكيف» (الحشيش) إلى مصر لم يكن سببه براعة المهربين المحليين فقط وعجز الانكليز عن اكتشاف وسائل التهريب. ولقد ظهر الآن وراء كل شك أن عمليات التهريب الكبرى تستند إلى مساعدات دولية هامة.

(١) انظر التبشير والإستعمار ص١٩٨.

(٢) راجع الإستعمار عدو الشعوب، ص١٩ ومابعدها.

(٣) قصة العقاقير للدكتور محمود سلامة (سلسلة اقرأ رقم ١٢٤)، ص٩.

أما لماذا يستجيز الأوربيون أفساد الشعوب فى آسيا وأفريقيا فليس ذلك فقط لأنهم يحبون الكسب والسيطرة، بل لأنهم أيضاً يعتقدون أن الشعوب الملونة أقل منهم قدراً فى سلم الإنسانية. من هذا الاعتقاد نشأت فلسفة أوربا فى الاسترقاق والاستعمار.

منذ أوائل القرن السادس عشر للميلاد بدأ البرتغاليون تجارة الرقيق، ثم تبعتهم فى ذلك دول أوربا. وبلغ الاتجار بالزنوج مداه فى بريطانيا، حتى أن الملكة اليزابيث الأولى شاركت الجلاّبين فى تجارتهم هذه وأعارتهم بعض سفن أسطولها. وتطلبت انجلترا عذراً للاتجار بالرقيق الأسود فتبرع لها به رجال الدين. لقد وجدوا فى التوراة[1].

أن حام بن نوح كان قد أغضب أباه، قيل إن نوحاً سكر يوماً ثم تعرى ونام فى خبائه، فاتفق أن ابنه حاماً أبصره على هذه الحال. فلما استيقظ نوح وعلم أن حاماً قد أبصره عارياً دعا عليه ولعن نسله الذين هم كنعان وقال بلفظ التوراة: «... ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لأخوته. وقال مبارك الرب آله سام. وليكن كنعان عبداً لهم[2] ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام. وليكن كنعان عبداً لهم».

وبما أن الأوربيين يعتقدون أنهم أبناء يافث وان الزنوج هم أبناء كنعان بن حام فقد أفتوا بأن استعباد الزنوج مباح أوهو واجب بلفظ التوراة، والتوراة أساس الدين عندهم.

والغريب فى ذلك أن الأوربيين قد وصلوا إلى القرن العشرين من تاريخ المدنية ولا يزالون يعتقدون، وخصوصاً الإنكليز والأمريكيين، أن الرقيق مباح وأن الاتجار

---

(١) سفر التكوين ٩: ١٨ – ٢٧.

(٢) سفر التكوين ٩: ٢٦.

بالبشير كالاتجار بالقطن والدجاج. على أن الأوربيين يحرمون الرقيق فى المؤتمرات والصحف والمجلات، ولكنهم يسترقون الناس ويهدرون الكرامات فعلاً كل يوم. ومعاملة الانكليز والهولنديين للزنوج والهنود معروفة.(١)

أما معاملة الأمريكيين البيض للأمريكيين السود فى الولايات المتحدة نفسها. فقد بلغ من السوء والفظاعة والهمجية ماخرج عن طوق الخيال، وامتلأت به الصحف والمجلات والكتب، إلا الضمير الإمريكى فانه لايزال متشبعا بهذه الروح هادئاً، لاهو يطفح بتلك الفظائع ولاهو يتحرك عند رؤيتها تمثل كل يوم أمام عينيه.(٢)

(١) يطالع القارئ بلا ريب كثيراً من أخبار النزاع العنصرى الشعبى والرسمى فى جنوبى أفريقيا.

(٢) التبشير والإستعمار ص ٢٠٠.

من أسباب طعن الأوربيين على الإسلام

ماذكره الكاتب الشهير أحمد بك أجايف وهو من نوابغ الكتاب المسلمين فى روسيا والذى كان مقيما فى الآستانة العلية محررا بجرائدها مدافعا عن الدين الإسلامى ، ذاكر الأسباب التى حملت الأوربيين على الطعن على الإسلام جهلهم معتقداته قال الكاتب عن الترهات والاختلافات التى ينسبها الأوربيون للدين الإسلامى: أن سواد الأوربيين الاعظم الذى يسلم بداهة بالأمور دون بحث بأسبابها ونتائجها وذلك بالنظر لاستيلاء العقائد الفاسدة على عقولهم ورسوخها فى أذهانهم سواء كان فى أوروبا أو روسيا فانهم يعتقدون اعتقادا متينا بأن الذنب على الإسلام فى جميع مايجرى فى البلاد الإسلامية، ولولا وجوده لكانت الحال هناك على غير ماهى عليه الآن ، المعتقدون بهذا الاعتقاد يرون أن المسلمين ماداموا مسلمين لايستطيعون الاقبال على المدنية الادبية العمومية، ثم انهم أى الغربيين يزعمون أن الشر جميعه متمثل فى الاسلام ويتصورون أن أعظم وسيلة تنقذهم منه هى ملاشاة نفس الدين ومحقه من وجه الأرض وهذه الافكار رسخت فى العقول منذ أجيال عديدة سالفة من جراء الخصام والشقاق والنزاع العنيف بين الغرب والشرق، وذلك فى خلال قرون مديده بسب اختلاف الاسلام والمسيحية الامر الذى يظهر الرجل الساذج الذى لم يعتد التبصر والتفكر والتروى بأن هاتين الديانتين على طرفى نقيض فى الجواهر والمعتقدات ولايمكن التوفيق بينهما واخيرا ان هذا الاعتقاد ساد مدة طويلة بين أهل الغرب يدلنا على ذلك دلالة واضحة الآداب البزنطية واللاطينية المضادة للاسلام ، ومن اراد زيادة ايضاح عليه أن يقف على مؤلفات ومخلفات العصور الوسطى لاسيما الفترة التى حدثت فيها الحروب الصليبية (١) .

---

(١) من حكم النبى محمد (ﷺ) ص ٧٧ .

والانسان يتأثر تأثيرا شديدا تهتز لـه أعصابـه لـدى مطالعتـه تلك الترهـات والمثالب والمطاعن التى كان يتناشدها مغنوا وشعراء الرومان الساذجون وينادى بها النساك ورجال الدين فى المعابد والمجتمعات العامة والبرارى يصفون فيها شخص وتعليم سائق الجمال الذى اطلقو عليه اسم « النبى العربى الكاذب»[1] ومن الأمور المضحكة المبكية نظر أهل الاجيال الوسطى الى الاسلام واعتقادهم به فكان الشعب يصدق بداهة كل افتراء على الإسلام واتباعه وقد بالغوا فى استنباط المفتريات والسفاسف لدرجة لا يجوز تصديقها لما فيها من الغرابة المنكرة وقد أدى بهم الجهل الى تصوير محمد بهيئة شيطان ذى قرنين وأطلقوا عليه أسم (ضد المسيح) الراسخ فى أذهان القوم بأنه يفسد الناس ويخرجهم عن دينهم، ولذلك لابد أن يزج فى سعير النار حيث لايقر له فيها قرار ، ثم ان تيورين الكاذب المفترى ألف رواية وصور فيها محمدا بهيئة الصنم ماهوم الذى كانوا يعبدونه فى قادس ولم يجسر كارلوس الاعظم على تحطيمه وتكسيره خوفا من الأبالسة المختفية فى جوفه .

حلقات السخرية من الإسلام ونبيه ﴿ﷺ﴾:

مما مر يتضح للقارئ أن العقول النيرة كانت منغمسة بمثل هـذه الاعتقـادات الفاسدة والمفتريات الباطلة البعيدة عن الحقيقة بعد السماء عن الماء وقد أجمعوا عليـها كلهم حتى أنه لو قام بينهم فى مثل ذلك الوقت رجل كشف الله له عن نور الحقيقة وجاهر بها لكنت ترى الناس يصبون عليه صواعق سخطهم ونقمتهم فقد كانوا يحرقون دانتى فى النار لانه عد محمداً فى (روايته الآلهية) بين الرجال العقلاء المصلحين ذوى المدارك السامية ، فاضطر لكى ينجو من سخط الشعب الذى تهدده

---

(١) أنظر تاريخ الآداب الفرنسية والآداب البزنطية ضد الإسلام تأليف جمعية المبشرين فى قازان نقلا عن المرجع السابق ص ٧٩ .

بالقتل أن يضعه فى عداد الرجال الأشرار الذين عاثوا فى البلاد فسادا وبثوا بذور الشقاق والنفاق والخصام بين معاصريهم مثل (فراد التشينو) و(برتران دى بورن) وغيرهما اللذين هم فى عرف الشعب من سكان جهنم ، ثم ان المصور الايطالى الشهير اركانيوس وضع عدة رسوم للأشخاص الذين يحتقرون جميع الديانات على الاطلاق واتخذواها لمجرد الهزؤ والسخرية فصورهم واقفين فى جهنم ولهيب النار يكتنفهم من جميع الجهات وفى مقدمتهم محمد وافير رونيس (الوليد بن رشد) والمسيح الدجال أو ضد المسيح .

«وعلى وجه الإجمال فإن الأجيال الوسطى كما قال أرنست رنان قد اشتهر أهلها بالحدة وعدم التروى ولم يكن عندهم درجة متوسطة لأمر من الأمور فكان محمد فى عرفهم خداعا ماكرا متخذا مهنة سرقة الجمال وقالوا عنه بأنه كاردينال سعى للحصول على وظيفة البابوية فلم يفز بها فوضع ديانة جديدة لكى ينتقم من زملائه الكرادلة وماضارع ذلك من الأوصاف المجردة عن الانصاف ولا تنطبق على العقل السليم [١] .

«تمر الأجيال وتنقضى السنون ولاتزال سفاسف الناس وترهاتهم وأفكارهم السخيفة الواهية تضغط على العقول النيرة كما كانت فى العصور المظلمة ، فنجد أن بيبلياندر وهوتينبجر وماراجى وغيرهم أخذوا يدرسون القرآن درسا مدققا على قصد تقويض أركانه، وأما لبنتس وشكسبير فانهما تكلما كثيرا على نبى المسلمين بقصد اضحاك الجمهور وتسليتهم ، وأما فولتير فانه التمس الغفران من البابا بواسطة تقديمه له رسالة الطعن المشهورة التى عنوانها (محمد) وقد نسب بها الى النبى محمد أموراً منكرة لم تخطر بباله ومنافيه على خط مستقيم لروح تعاليمه ومبادئه» .

(١) انظر تاريخ الاديان لارنست رنان وكذلك رواية محمد لمؤلفها ميشيل، ومن حكم النبى ﷺ ص٨٢ .

«ثم ان الجيل التاسع عشر المسمى بحق جيل العلم والانتقاد الصحيح لم يخل من مثل هذه المختلقات والمفاسد التى جاهر بها بعض قادة الافكار واصحاب العقول الممتازة فقد وضع العالم الانكليزى الشهير كارلوس فورستير عام ١٨٢٩ مجلدين ضخمين وقعا موقع الاستحسان والاحترام فى نفوس رجال الدين لأنه برهن فيهما بالادلة الكثيرة على أن محمدا هو قرن الكبش الصغير الوارد ذكره فى الاصحاح الثامن من نبوة دانيال وان قرن الكبش الكبير هو البابا» (١).

ومع هذه الصور القاتمة والأفكار الخبيثة، والتعبيرات البذيئة، عن الإسلام ونبى الاسلام ﷺ فإننا نلمح فى الأفق وميض برق، يظهر فى معارضة الكثير من قسس الكنائس الذين أدركوا أن التبشير بين المسلمين عقيم.

فنادوا باحترام الإسلام كدين دين توحيد ، وبتوجيه جهود الكنائس الى النصارى أنفسهم الذين أنسلخوا تماما من النصرانية ، ومع ذلك فهناك من يحلمون بدولة المسيح ويعتبرون الإسلام حجر عثرة فى سبيل نزول المسيح لانشاء هذا الملكوت، ومازالوا يحنون لأيام العز الأوربى ، حين خضعت الخلافة العثمانية لمحاولات أرساليات التبشير بمساعدة دولهم ، فى الحصول على أمتيازات فى حرية التبشير، فهل استعد المسلمون لمجابهة هذه التحديات؟

أن الأمر لأشد ضرواة مما تظنون أيها القراء الكرام ، ولا بأس أن أذكركم بمذابح المسلمين فى الهند وبورما وتايلاند ، وفى نيجيريا وأوغندا والحبشة والفلبين وأفغانستان وفى فلسطين والبوسنة والهرسك وفى مناطق لم نسمع بها ، لأن المهيمنين على السلطة ووكالات الأنباء لم يشاؤوا إعلامنا . فهل الإسلام بخير ؟

(١) كشف النقاب عن الدين الاسلامى وهو بحث فى انتشار الدين وبقائه على طريقة تؤدى الى زيادة الاعتقاد فى الدين المسحيى نقلا عن من حكم النبى «ﷺ» ص ٨٠ - ٨٢ .

إن من المسلمين من يهتف بالاشتراكية ، وفريقا تدغدغه أحلام الشيوعية ، وفريقا تملكت مشاعره جاهلية القومية ، فرأى فيها بدلا عن دينه ، وفريقا نبذ كل هذا وراء ظهره وجاء بكتاب جديد ونظرية عالمية جديدة لتكون للبشرية بديلا عن ديانتها .

وفريقاً أخر غرق الى الأذقان فى ترويج ثقافات مستوردة لم يحلم بنجاح ترويجها أساطين التبشير ، فوفدت علينا من بين ظهرانينا اتجاهات فكرية مغلفة ، بدعوات خطط لها ولم يزل دعاة الحرية ، ودعاة التقدم ، ودعاة الحضارة والتمدين ! والتعصرن !! لتنصب فى مشاعر الشباب الخالية من أية مناعة اسلامية .

ان من بيننا الكثير من العبيد ، لهذه الثقافة أو تلك ، وهؤلاء العبيد هم أعتى نفوذا وأشرس صولة علينا من كل جمعيات التبشير ومن دوائر الاستشراق ، أنهم أمنوا بهذه الثقافات وأرادونا أن نسير معهم قلبا وقالبا . وقد كان لبنان ولم يزل يوسعنا ضربا بمحاولات التجديد والاصلاح والهدم ، ومنه تتعالى الدعوات المشبوهة التى لا تنتهى الا لتبدأ من جديد ، بأثواب جديدة واشكال جديدة ، والقصد من كل هذه الدعوات واحد لا يتغير ، وهو الذوبان التام فى الحضارة الأوربية الغربية والاستعمارية البيضاء والحمراء .

بدعوى عالمية الفكر والثقافة مرة ، أو بدعوى أن الثقافة والعلم والفكر لاوطن لها .

وتتعالى نفس الاصوات فى اسرائيل كأن النصرانية لا يمكن ان تعيش إلا على الثالوث حتى فى الدعاية الثقافية لها أيضاً ، فان الذى بدأ لم ينته بعد ، والتخطيط للجديد مستمر وهؤلاء العبيد يصرون على إهانتنا ، وهم مصممون على أن ننبذ إسلامنا فهم يغمرون الاسواق بالافلام الهابطة، والاسرة الوردية ، والصحافة

بالحط من الدين ، ووصم أهله بالرجعية والتحجر والركود ، وهم مصرون على تسفيه مثلنا وإفساد أخلاقنا (١) .

لقد ادركت دوائر التبشير والاستشراق ومعهما الاستعمار منذ زمن طويل، أن أية وحدة لهذه الأمة تهدد التبشير ، ومعه الاستعمار ومعهما الاستشراق ، وأدرك هذا الثالوث ، ومعهما الماسونية العالمية ، أن أية سيطرة لهم لاتتم مادام الإسلام دين الأمة، وهل أنا فى حاجة الى الشواهد وحديث تركيا وجمعية الاتحاد والترقى ، وماذا جرى لأعضائها ، مايزال ماثلا فى الاذهان ، أو فى صفحات المذكرات والتاريخ .

والدونمة لم تزل تسيطر على صحافة تركيا ، بل ان نجاح الاتجاه القومى الذى غزته دوائر التبشير والماسونية ، يبرز عند الكماليين من الأتراك واضحا ، فقد نقل عن أحد هؤلاء أنه قال : « نريد أن نبنى اسلاما تركيا يصبح ملكا لنا وجزءا من مجتمعنا الجديد ، على نحو الكنيسة الانكليكانية التى هى مسيحية على نمط انجليزى فالانكليكانية ليست ايطالية ولا روسية ، ولكن أحدا لا يستطيع اتهامها بأنها ليست مسيحية ، فلماذا لايكون لنا إسلامنا الخاص بنا (٢) !!.

ولنستمع الى فون كرونيه باوم وهو يحدثنا عن القومية فى البلدان الإسلامية فيقول :

« إن الدول القومية كانت موجودة ضمن سلطة الإسلام منذ عدة قرون ، إلا أن الشريعة لا تعترف إلا بالأمة الواحدة .

---

(١) أنظر أساليب التنصير فى البلاد الإسلامية ص ١ ، ٢ محاضرة القاها الدكتور قاسم السامرائى استاذ الدراسات الإسلامية فى جامعة لايدن فى هولندا ، واستاذ زائر لكلية الشريعة جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤٠٠ / ١٤٠١ هـ .

(٢) الإسلام والحضار الغربية . لمحمد محمد حسين ، بيروت ص ١٧٠ : ١٣٩٩ هـ .

وفى سبيل الحفاظ على وحدة العقيدة التى كانت تعتبر طارئة على وحدة الأمة الروحية ، والتى جعلت ظاهرة فى وحدة الشريعة ، فإن القيادة الروحية للمؤمنين كانت مشغوفة دائما بالمحافظة على سلامة وتوسيع الرقعة الإسلامية فى الوقت الذى تظهر فيه اهتماما ضئيلا فى توزيعها على أمراء العصر المتنافسين .

ويختم الخواجة فون قوله :

« يجب أن لا يغرب عن البال ان المتدينين من المسلمين كانوا خلال الأجيال الثلاثة أو الأربعة الماضية ، متفقين على اعتبار ان القومية فى الإسلام بلية لم تكن تعرف قبل التوسع الغربى وتدخلهم فى دار الاسلام ، ومع ان هذه الفكر مناقضة للحقائق التاريخية فانها مهمة»[1] .

أن هذا (الخواجة) يريد أن يقنع قارئه الغربى والمسلم ، بالرغم من الستار العلمى المسبل على القاظه ، بأن القومية فى البلدان الإسلامية هى منافس للاسلام ، وهى بالتالى تقود الى العلمانية ، وإنها خير سلاح فى الوقوف فى وجه الدعاة للاسلام وأن هؤلاء الدعاة للاسلام هم اعداء الأمة ، لأن نجاحهم معناه اضعاف المنجزات العقلية والحضارية ، وحتى الدينية لهذه لأمة .

واذا حدثت هذا الألمعى عن قومية الدين فى اسرائيل قال لك : أن هذا شئ آخر ، فهو يريد من الكردى أن يؤكد كرديته ، والايرانى إيرانيته ، والعربى عروبيته ، والبربرى بربريته ، والتركى تركيته . والهدف تفتيت الوحدة الإسلامية المخيفة .

أما اليهودى ، فهو يهودى أولا واخيرا ، سواء كان هذا اليهودى من روسيا أواستراليا أو الحبشة أو اليمن أو المانيا أو من الجحيم . وملة الكفر ملة واحدة .

---

(١) نقلا عن أساليب التنصير فى البلاد الإسلامية ص ٤ .

فإن الفرنسيين لما دخلوا سوريا روجوا دعوى أن السوريين هم من سلائل الآراميين والفينيقيين ، وأنهم ليسوا من العرب .

وقد أصاب مصنفا التبشير والاستعمار فى قولهما :

« أن هذه الحركات القومية ترمى الى اضعاف الشعور الاسلامى خاصة بين البلدان الاسلامية »(١) . لأن الذين يذهبون مذاهب القومية فى الحياة السياسية من العرب يسقطون الدين من حسابهم .

وفى كتاب « الرسالة النصرانية فى عالم غير نصرانى » للمبشر الهولندى هندريك كريمر ، لتبيان الأساليب التى يجب أن يتخذها المبشر ، بناء على طلب المؤتمر التبشيرى الذى انعقد فى مدراس سنة ١٩٣٨م ، كرد على الحملات المتزايدة من الانسانيين العلمانيين فى امريكا وأوروبا ضد التبشير ، قال :

« وفى الاقطار المستقلة سياسيا الآن ، فان استبدال (الاسلام) كدين للقومية، بالوحدة القومية ، قد أصل وحدة الجماعة بدلا من وحدة الدين عند المسلمين ، وهذا قد فتح فصلا مدهشا فى سياسة هذه الدول الدينية فى هذه الاقطار التى كانت مسلمة منذ قرون طويلة .

لقد أقتلع الاسلام منها وترك ليختنق مثل ماهو فى تركيا وايران (على عهد اتاتورك ، ورضا بهلوى) ... وفى هاتين الحالتين ، فان المبشرين النصارى قد يعانون من عقبات فى نشاطهم ، بيد أن الأمر اسهل مما كان عليه بالرغم من أن أية دعاية دينية علنية ممنوعة ، فان الحرية التى يتمتع بها المبشرون الآن فى الاتصال بالمسلمين وحمل الانجيل لهم بوساطة العلاقات الشخصية بالاتراك والايرانيين والتى كفلها قانون « حرية العقيدة » ومن المحتمل جدا ان هذه الانظمة القومية سوف توفر

(١) مصطفى الخالدى ، وعمر فروخ ، بيروت ، ١٩٧٣ ص ١٧٦ .

فرصا ثمينة لأن هذه الانظمة فى اتباعها سياسة قومية صرفة ، تهدم نظم الملة الإسلامية القديم الذى كان يفصل بين المسلمين والنصارى ، والذى عمل على خلق حاجز سميك للشك المتبادل بين الإسلام والنصرانية [1] .

لقد تعاون المبشرون ومن ورائهم المستشرقون على اذكاء المشاعر القومية عند الشعوب الإسلامية ، والهدف من ذلك : قطع الخيوط السرية فى العالم الإسلامى كما شاء المبشر (سيمون) أن يسميها ، ففى حديثه عن الاسلام فى سومطرة قال :

« وقد كنا مضطرين فى كثير من الاحوال الى ملاحظة ان العالم المحمدى [كذا] مربوط بخيوط سرية ، فاذا حدث ان أصاب الاسلام تراجع فى أية بقعة من العالم ، أو حدث ان انتصر الاسلام حقيقة أو خيالا ، فان هذه الاحداث يظهر لها أثر حتى على عمل مبشرينا فى هذا الجزء من العالم المحمدى فى سومطر ة » ونسى هذا (الخواجة) أن المؤمنين أخوة وأنهم جسد واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

واتخذت عملية القطع هذه سبلا شتى ، تختلف باختلاف البلدان الاسلامية: يتناولها المستشرق، أوالتى يعمل فيها المبشر، فلنستمع إلى ادوارد براون وهو يحدثنا حديث باك حزين عن ايران قال :

« وفى القرن السابع جرف اتباع النبى العربى ايران ، وسيطروا بهجومهم الدموى العارم على سلالة قديمة ودين مقدس ، فأحدثوا خلال بضع سنين تبديلا وتحويلا لم يكن له مساو فى التاريخ . وبعد أن كانت مزامير الافستا تتعالى ، وكانت النار المقدسة تشب منذ قرون ، فان صرخة المؤذن الذى يدعو المؤمنين للصلاة بدأت تطرق الاسماع من المآذن التى بنيت على اشلاء معابد اهورا مزدا وسقط موابذ

(١) نقلا عن أساليب التنصير فى البلاد الإسلامية ص ٦ .

زرادشت ضحية للسيف ، والتهمت النار كتبهم المقدسة ، ولم يبق من يمثل الدين الذى كان يوما ما دينا عظيما ، الا حفنة من الهاربين الى شواطئ الهند ، والا بقايا من المضطهدين الذين لجئوا الى يزد المنعزلة أو الى كرمان البعيدة ، والحق انه كان يبدو أن كل هذه الأمة قد اصابها التحول .

فكان على هذا الجنس الايرانى الآرى ان يحمل نير عبودية آكلى الضب الساميين الذين كان الجنس الايرانى ينظر اليهم باحتقار وازدراء فحسب ، بل كان عليه أن يتبنى عقيدته والى حد بعيد لغته » [1] .

أرأيت هذا الاسلوب المحرض على إثارة الفتنة بين المسلمين إنه أسلوب الحاقد الذى اسقط فى يده فوجد أن الإسلام أصبح حقيقة يخشى بأسها .

وفى مناسبة أخرى يبرز الوجه الاستشراقى التبشيرى عند هذا (الخواجة) الانجليزى فى محادثة له مع أحد البابية فى ايران : قال فيها :

«لو أن العرب لم يغزوا ايران مذبحين وناهبين ومجبرين الايرانيين ، فهل نعتقد ان دين محمد كان سيأخذ محل دين زرادشت؟ أما بالنسبة لنا : فان البرهان الاعظم على صدق تعاليم المسيح أن النصرانية انتشرت بالرغم من السيف لا بالسيف ، وان اعظم انتقاد يوجه للاسلام ان انتشاره كان نتيجة قوة السلاح أكثر من قوة الاقناع » وازيدك علما أن أولئك الذين فهموا التعاليم الرقيقة للمسيح لايمكن ان يقبلوا عقيدة محمد القاسية التى كانت تصلح لعصره ، وان هذه العقيدة بالتاكيد ليست أسمى تطورا من دين المخلص » [2] .

---

(١) نقلا عن أساليب التبشير فى البلاد الإسلامية ص ٨ .

(٢) نقلا عن المرجع السابق ص ٩ .

أما فى تونس : فينصح (الخواجة) المبشر دولته فرنسا حين استعمرت تونس ، أن تعيد المسلمين الى حالتهم قبل الإسلام ، لأن الإسلام أتاهم بقانون سنه رعاة لرعيان ، فصعب تطبيق هذه الشريعة على مجتمعات ممدنة كالمجتمع القرطاجى . واستطرد هذا الخواجة قائلا :

« إن بقايا التنظيم الذى بقيت آثاره الى اليوم فى تونس من مثل البلديات والصناعات وهندسة البناء ، ليست من اختراع العرب كما يقال .

بل هى بقايا من المدنية القديمة السابقة للاسلام ، فسدت على عهد الفاتحين وأعمالهم العقيمة »[1] .

وفى ربيع سنة ١٩٣٠م ، وبالضبط فى ٧ مايو انعقد فى قرطاجة المؤتمر التبشيرى الذى حضره أربعون الف قس نصرانى لدعم التنصير ، وتقوية الاحتلال الفرنسى وقف اسقف قرطاجة ليقول لهذا المؤتمر : « أن أرض افريقيا وخاصة شمالها ، هى الموقع المثالى للرسالة النصرانية » .

وانتشر الرهبان والراهبات البيض اتباع الكاردنال الكاثوليكى لافيكرى ، فى كل من تونس والمغرب والجزائر ، فانشأوا المدارس والتقطوا الكثير من اطفال الفقراء من المسلمين وأيتامهم وانشأوهم على النصرانية ، وحولوا الكثير من المساجد الى كنائس وتعاونوا مع الاستعمار الفرنسى لطمس التعليم الإسلامى ، والغاء الشريعة، فادخلوا المحاكم المدنية ، وحصروا التعليم بالانظمة المدنية ، وكتبوا مناهج المدارس كما يشاؤون ، والغوا كتاتيب تحفيظ القرآن ، وقد لخص هذا الكاردنال رسالة التنصير فقال : « لاحاجة بنا إلي الدعوة لنفس الدين ، بل الحاجة الى التعليم والتمريض »[2] .

(١) الاسلام والحضارة العربية لكرد على : ١ / ٥٤ .

(٢) حاضر العالم الإسلامى : ٢ / ٣٢٠ .

وكان رهبان هذا الكاردنال يؤسسون بقرب كل محطة مستوصفا طبيا وصيدلية ، الأولى تصف العلاج (مع الصلوات) . والثانية : تعطى الأدوية مجانا (مع نسخة من الانجيل) وبجانب هاتين المؤسستين الاحسانيتين ! كانوا ينشئون مدرسة ودار أيتام .

فكان اليتامى يحملون الدين النصرانى فرضا (مع كل وجبة طعام) (١) .

ونشرت صحيفة هولندية فى عددها الصادر فى ١٨ أكتوبر ١٩٨٠ م لقاء مع أحد المبشرين القدامى فى الجزائر قال فيه (٢) :

« لقد كان فى الجزائر على عهد الاحتلال الفرنسى مدارس كثيرة جدا ، يشرف عليها الآباء والاخوات البيض (يعنى رهبان لافكيرى) ، وكان هؤلاء يختمون علامة الصليب على أيدى الأطفال الجزائرين ».

وفى هولندا تركز ارساليات التبشير الآن على بناء المستشفيات فى البلدان الافريقية والدول الاسلامية الفقيرة كباكستان وبنغلادش ، ودور العجزة واليتامى ، وتبنى الفنادق للفقراء لأن هذه طريقة مباشرة لتوصيل نور الانجيل - كما يدعون- الى الناس .

وهذه الارساليات مرتبطة بالكنائس الهولندية المختلفة ، ولكل من البروتستانت والكاثوليك فترات فى التليفزيون الهولندى يعرضون من خلاله الانجازات والجهود التى يبذلها هؤلاء المتطوعون من الشبان والشابات فى التبشير لاستدرار المعونات من المؤمنين بنور الانجيل (١) .

(١) حاضر العالم الإسلامى : ٢/٣٢٠ .
(٢) نقلا عن اساليب التبشير فى البلاد الإسلامية ص ١٠ .
(٣) انظر حاضر العالم الإسلامى : ٢ / ٣٧٥ .

إن دعوى قصور الشريعة بأحكام تتعارض مع الحياة العصرية ، رددها الكثير من المبشرين والمستشرقين أمثال ماسينن وسنوك هور خرونيه الذى كان يرى أن سن القوانين من الشريعة الاسلامية هو غير موافق للمسلم فى حاضره، لأنه ينبغى أن نفهم المسلم أنه لايقدر أن يعيش معيشة عصرية راقية وهو متمسك بشريعته ، وأنه يجب أن يعلم ان شريعة الإسلام لا تتسع لقبول المدنية الحاضرة .

ولما رد عليه الامير شكيب ارسلان شفاها قال المستشرق الهولندى :

« لكن القانون الوضعى يحتم العمل بوجه واحد ، والشريعة لاتحتم الاخذ بمذهب واحد من مذاهب الفقهاء » .

فقال له شكيب أرسلان : « للسلطان أن يرجح أحد المذاهب ويوجب العمل به».

وقال له شكيب فى مرسالة له :

« لماذا المسلمون وحدهم هم الذين لايمكنهم الرقى عندكم ، إلابخلع الدين الإسلامى كما يزعم بعض أعداء هذا الدين ، ولماذا هذا الاستثناء للاسلام » . فلم يرد عليه (١) .

واليوم تضافرت جهود المبشرين والمستشرقين وعلماء الأديان المقارنة واساتذة تاريخ الكنيسة ، مع اسرائيل ووسائل الصحافة والاعلام فى هولندا فى العمل على ابراز الحوادث الدموية فى لبنان على انها صراعة بين الإسلام المعتدى على الاقلية والنصرانية المسالمة .

---

(١) الأمير شكيب أرسلان: حاضر العالم الإسلامى ٣/٣٧٢ ، ٣٧٣ .

فتظهر موقف اسرائيل المدافع عن هذه الاقلية ، حين تقف وراء سعد حداد الذى أعلن مرارا فى مقالاته : أنه يجب على الغرب النصرانى أن يفهم ان المسلمين الفلسطنيين هم دخلاء على لبنان النصرانى ، فعليه ان يمد حركته بكل عون ، لأن فى هذا العون دفاعا عن نصرانية أوربا وحضارة أوربا ، ثم يصرح مناحم بيغن فى إحدى مقابلاته : « ان المسلمين الفلسطنيين يريدون أن يعيدوا عجلة الحضارة الانسانية الى العصور الوسطى ، حيث تسود شريعة محمد فى قطع الأيدى ورجم الانسان » .

« ويتلقف أساتذة كراسى علم التبشير فى جامعة أمستردام الحرة وغيرها ودهاقنة الكنائس البروتستانتية تصريح بيغن هذا ، ليجدوا الدعوة الى تنصير المسلمين العاملين فى هولندا .

ويحتج قسيس عمل فى مصر سنين طوالا على قرار الكنائس ، بمقالات يصف فيها الكنائس بالنفاق الدينى ، لأن هذه الكنائس لم تعمل على اعانة هؤلاء الغرباء ومد يد العون لهم ، كأخوة فى الانسانية ، فهى تستغل موقفهم الضعيف كغرباء بيننا ، اضافة الى ذلك ، فان المسلم المتمسك بدينه يشعر شعورا عميقا بتفوق عقيدته على النصرانية ، وكل محاولة لتنصيرة تعنى أهانة لمشاعره وكبريائه ، وهذا بالتالى يتعارض مع أبسط القواعد النصرانية التى تدعو اليها هذه الكنائس .

وفى مقال أخر قال : هذا المبشر السابق :

« ان التبشير بين المسلمين لم يأت بأية نتيجة خلال السنين الطويلة ، وأن محاولة انعاشه سوف تخلق نوعا من الاحتكاك العدائى ، ولذلك فمن الاحسن لنا ان نحترم عقيدة هؤلاء وان نحاول أن نوفر لهم مجالا لكى يقيموا شعائر دينهم » .

ولما ظهر المقال تواردت على الجريدة رسائل لا حصر لها من القسس والوعاظ ورجال الدين المنتمين لشتى الكنائس ، وكلها تحتج على ماجاء فى مقالة الرجل :

فرد عليهم ببضعة سطور هذه ترجمة بعضها :

« إنه لغريب ان تنظم الكنائس برنامجا خاصا بالمسلمين الغرباء لتنصيرهم بينما لا تتصدى للملايين من الهولنديين الذين تركوا النصرانية .

فهل لأن الإلحاد والكفر هو أقل سوءا من الإيمان ؟» (١) .

دعت أرساليات التبشير الى الموتمر الدولى التبشيرى الذى انعقد فى تامبرام بمدراس الهند سنة ١٩٣٨م ، لمحاولة توحيد الجهود ، ودراسة أوفق السبل فى تنصير المسلمين ، وكان السؤال التالى أمام المؤتمر :

أية استراتيجية صحيحة للوصول الى تنصير المسليمن ؟

وقدم هندويك كريمر كتابه المعروف فى الدوائر التبشيرية « الرسالة النصرانية فى عالم غيرو نصرانى » الى المؤتمر التبشيرى العالمى فى مدراس .

وقد استعرض كريمر فى كتابه هذا تاريخ التبشير كاملا ، وحدد النقوص والادواء التى تعانى منها الكنيسة الغربية ، وارساليات التبشير .

وعطف على الانتقادات التى تواجهها ارساليات التبشير ونعى على الكنيسة الشرقية والقبطية خمولها وتسرب الموت الى تعاليمها .

(١) نقلا عن أساليب التبشير فى البلاد الإسلامية ص ١٣ ، ١٤ .

واقترح نفث الروح فى هذه الكنائس لتكون رائدة فى التبشير بين المسلمين ، ولعل المهم فى هذا الكتاب هو آراؤه الجديدة التى تبنتها دوائر التبشير والكنائس خارج البلدان النصرانية منها :

١- تفهم الأديان الانسانية ومافيها من جوانب مشرقة ومظلمة بما فيها النصرانية، واعتبار هذه الأديان أطرا للحضارات مبنية على بناء اجتماعى .

٢- التخلى عن اعتبار الحضارة الغربية مرادفة للنصرانية الغربية .

٣- ان اعتبار ان الرجل الأبيض نفسه أرقى من غيره ، أمر مثير للسخرية .

٤- اجتناب الكتابة لغرض اظهار دين الخصم بمظهر التفاهة بالنسبة للنصرانية، وأن نهاية هذا الدين أو ذاك قريب الزوال .

(وكريمر يشير هنا الى الكثير من كتابات المبشرين الذين تنبأوا، إما باختفاء الاسلام تماما أو انعطاف المسلمين للنصرانية) . وهذا مالم يحدث .

٥- اذا كان للنصرانية أن تصبح الدين المسيطر بدلا من الأديان الأخرى ، فليس علينا أن نظهرها ببساطة كصراع بين الحقيقة والباطل .

لأن العوامل السياسية ومثلها الاجتماعية التى توجد فى أى بلد هى التى تقرر قطعيا النتيجة .

وكريمر يشير هنا من طرف خفى الى التحولات السياسية القومية التى تفرض العلمانية وبالتالى ، حرية العقيدة .

ويستطرد (الخواجة) المبشر قائلا :

« فاذا حدث ان أحد الاديان غير النصرانية قد أزيح من السيطرة ، فانه من غير المحتمل ان حدوثه كان نتيجة مباشرة لجهود أرساليات التبشير فى احلال

النصرانية محله . ولكن قد يكون ذلك نتيجة اجتماع كل العوامل غير المباشرة لجهود المبشرين» .

وكريمر يشير هنا الى التعليم واجتذاب شباب هذا البلد أو ذاك للمدارس التبشيرية ، وخاصة شباب الطبقات الارستقراطية الحاكمة .

وقد كانت نتائج افتراضات كريمر فى دوائر التبشير فى أسيا وأفريقيا ناجحة، فقد تسلم زمام الحكم فى كثير من الدول الافريقية زعماء نصرتهم الارساليات ، وتعلموا فى مدارسها ، وتخرجوا فى جامعاتها ، فساعدهم الاستعمار على تولى دفة الحكم فى بلدان أكثر سكانها من المسلمين .

والشواهد كثيرة ، مثل نايريرى الذى التهم زنجبار وأباد المسلمين فيها .

أما فى افريقيا فان دراسة كريمر تركزت على التوصيات التى تبناها المؤتمر التبشيرى الذى انعقد سنة ١٩٢٦ فى لاسوتو حيث ناقش المؤتمر كل المشاكل التى يتعرض لها التبشير والمبشرون فى القارة السوداء ، وكان من قرارات ذلك المؤتمر :

١- أن المؤتمر يشعر بالحاجة العميقة لتبيان ان النصرانية ليست دين الرجل الأبيض ، بل انها دين الافارقة ، وعلى المبشر حينئذ ان يحرر نفسه من موقف النصرانية العقيم تجاه الافارقة وما يمثله المبشر نفسه من قيم دينية واخلاقية واجتماعية(١) .

وتنشر مجلة الدعوة المصرية استغاثة جمعية المسلمين فى مدينة لايدن لكافة قرائها من الفقراء والاغنياء ، فيصل الى بريد الجمعية بضعة دولارات اقتطعها من

---

(١) انظر اساليب التبشير فى بلاد المسلمين ص ١٥ ، ١٦ .

فمه طالب من امريكا ، أو أمرأة مسلمة من الكويت ، أو أحد موظفى شركة الطيران السعودية ، أو موظف صغير فى الاسكندرية ، فتمتلئ قلوبنا بالبشر بالرغم من قلة التبرعات ، فنقول : **أي والله أن الإسلام عند هؤلاء بخير .**

وفى الوقت ذاته يعتمد مجلس الكنائس العالمى مبلغ خمسين مليون دولار ، لانفاقها على التبشير واقامة المراكز والمدارس والمستشفيات وملاجئ الاطفال فى كل من تركيا وسوريا والأردن ومصر والسودان وتونس والجزائر ، والسنغال وملاوى وباكستان وبنغلاديش وهذه كلها دول اسلامية (١) .

واليكم مثالا من مظاهر التنصير فى هولندا :

يسكن هولندا الان مالا يقل عن ربع مليون مسلم ، جاؤوا اليها من اقطار متعددة ، كتركيا والمغرب وفلسطين وباكستان واندونيسيا ومن مستعمرات هولندا السابقة فى أمريكا الجنوبية جاءوا سعيا وراء الرزق وغالبية هؤلاء من العمال الذين يتعرضون مع أولادهم يوميا للتبشير المقصود والعفوى :

فالمقصود يبرز فى الجيل الجديد ، وحاجته الى التعليم .

فالتعليم فى المدارس ينقسم فى هولندا الى نوعين :

الأولى : مدارس حكومية علمانية لا يدرس فيها الدين.

الثانية : مدارس تابعة للكنائس المختلفة ، وهى مدارس دينية صرفة ، تتمتع باعانات الدولة واشراف الكنائس .

ولما كانت المدارس الحكومية تستوعب حاجتها من الطلاب والطالبات ، الذين يفضل أهلوهم ارسالهم لها ، فان المدارس الدينية على كثرتها تظل فى حاجة الى

(١) الدعوة . العدد ٧٨٩ ، ١٠ جمادى الأولى سنة ١٤٠١ هـ ، ص ٧ .

الطلبة ، فيضطر آباء الأطفال المسلمين الى ادخالهم الى المدارس الدينية التي تشجع العمال على ارسال أولادهم اليها .

وقد حدث أن نسبة الاطفال المسلمين في بعض مدارس امستردام واوترخت ولاهاي وغيرها ، زاد على تسعين بالمئة من عدد الطلاب ، وهذه المدارس الدينية لاتظهر هويتها لآباء الاطفال .

وقد تثبت أنا بنفسي[1] من ذلك حين عرضت أحدى محطات التليفزيون برنامجا عن إحدى هذه المدارس .

فذهبت مع أحد المسلمين الهولنديين وآخر من المستشرقيين الى هذه المحطة ، وطلبنا اعادة عرض الفيلم علينا فأعيد عرضه ، وكان من اعتراضنا على المخرج :

١- هل يعرف آباء هؤلاء الاطفال ان هذه المدرسة تدرس لهم الدين النصراني؟ لأن القانون الهولندي يفرض على ادارة المدرسة ان يكون الاباء على علم تام بنظام المدرسة ؟

فقال : الحق أنهم لايعرفون ، فقلنا له : أنت تعلم جيدا أن القانون الهولندي يفرض على ادارة المدرسة أنه اذا زاد عدد الطلاب الذين لايرغبون في دراسة الدين النصراني ، على عدد أولئك الذين يرغبون فيه ، فأن المدرسة يجب ان تتحول من مدرسة دينية الى مدرسة حكومية ! قال : أعرف هذا غير ان أحدا من المسلمين لم يطلب ذلك [2] .

ومن الحقائق التي لاينبغي أن تنسى أنه لم يتعرض دين في الوجود لمثل ماتعرض له الإسلام ، ولم تسفه عقائد نبي مثل ما سفهت عقيدة محمد عليه الصلاة

---

(١) أي الدكتور قاسم السامرائي صاحب محاضرة أساليب التبشير في البلاد الإسلامية .

(١) أساليب التبشير في البلاد الإسلامية ص ١٩ .

والسلام ، ولم يستهدف دين للسيف والقلم فى الماضى والحاضر مثل ما استهدف الاسلام ونبى الإسلام .

ولو كانت كل هذه الحملات المنظمة وغير المنظمة موجهة منذ أربعة عشر قرنا لأى دين، لما رأينا أحدا ينطق به ، وقد تضافرت جهود المستشرقين والمبشرين والصهيونية والاستعمار على هدف واحد وهو تفتيت الاسلام نفسه ، وذلك بالدعوة الى الإصلاح والتطوير ومسايرة المدنية ، وهدف هذه الدعوات هو :

١- قطع صلة الاسلام فى الوقت الراهن وفى المستقبل بالاسلام ، أو بعبارة أصح قطع التفكير والتشريع الاسلامى فى الحال وفى المستقبل ، بمصدر الوحى .

وبذلك يفقد الاسلام ثباته وصلابته وذاتيته المتميزة المستقلة ، ويصبح طوع الاهواء والاغراض التى يوجهه لها أصحاب المصالح .

٢- تفكيك الوحدة الاسلامية ، لأن الإسلام إذا فقد ارتباطه بذلك المصدر الأول الثابت الذى يجمع المسلمين على اشكال موحدة ، لم يعد هناك مايمنع من أن يتشكل كل مجتمع اسلامى فى تطوره بعوامل محلية يسيطر عليها الاستعمار الغربى فى كثير من الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وينتهى الأمر الى تقطيع المجتمع الإسلامى وامتصاصه فى مناطق النفوذ المختلفة ، وتأمين مصالح الاستعمار الذى يخشى ان تؤلف العصبية الإسلامية بين المجتمعات الإسلامية ، فتجمهم فى كتلة متعاونة تغلق الباب فى وجه الاستعمار بمختلف صوره واشكاله [١] .

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية لمحمد محمد حسين ، بيروت ١٣٩٩ هـ ص ١٦٢ .

٣- ونتيجة لذلك فإن قطع هذه الصلات السرية بين المسلمين ، سوف يهيئ للاستعمار الغربي والصهيونية العالمية أن تتعامل من موقع حاجة بعض هذه الدول الإسلامية إلى مساعدتها ، فتعرض عليها ماتشاء مثل ماكان جاريا مع شاه إيران وعلاقته بأمريكا واسرائيل ، ومثل ما يحدث الآن فى تركيا بعد الانقلاب الاخير على يد أتاتورك .

لقد عجز التبشير وعجز الاستشراق بكل صورهما ، عن حمل أى شعب مسلم على اعتناق النصرانية الغربية ، بيد أنهما لم يعجزوا عن خلق قيادات فكرية متغربة، تدعو الى الانسانية مرة ، والى محبة البشر ثانية ، أو إلى العالمية وتوحيد الأديان أو التوفيق بينهما ، مرة ثالثة ، واتخذت هذه الدعوات اشكالا وصورا مختلفة ، فالبشعر مرة ، والقصة والرواية أو المقالة الأدبية مرة أخرى ، أو بالمقالة السياسية أو بالنقد المغلف بالغيرة على الوطن من تطرف المتدينين .

وكل هؤلاء عبيد أرقاء وهم لايشعرون ، فمنهم من دعا الى الشيوعية ، ورأى خلاص المسلمين فيها ، ومنهم من رأى فى التمدن الغربى والأمريكى قمة الحضارة التى تهفو اليها الاعناق ، ومنهم من عبد (ماوتسى تونج) عبادة العجل ، ومنهم من رأى أن الحضارة والتمدن تعنى الانسلاخ من الرجعية وأربابها ، والرجعية عنده هى الدين ، ومن دان به ، واستشهد على تأخر المسلمين بتقدم ربة الحضارة أوروبا النصرانية - والقائمة طويلة [1] .

نعم لقد أثمرت الجهود التغريبية فى خلق مجموعة من العلماء والمفكرين المنسوبين الى الإسلام . فتسلموا من الارساليات والاستعمار دورهم ، فوفروا عليهم الجهود ، فعمل الاستعمار والماسونية ومن ورائهما الارساليات على التنويه بهم

(١) أساليب التنصير فى البلاد الإسلامية ص ٢٠ ، ٢١ .

والدعاية لهم ، فبوؤوهم مراكز التأثير فى بلدان أسلامية ، بل إن من هؤلاء المتفرنجين من النصارى والمسلمين ، مايزالون فى مراكز القيادة فى بلدان اسلامية اتخذت حكوماتها القومية أو العلمانية أو حتى تلك التى أعلنت « حرية العقيدة» ، أوتلك التى دعت الى إعادة كتابة التاريخ الإسلامى من وجهة نظر الأحزاب القومية .

بيد أن الثابت هو أن الاقنعة وان تعددت ، فان الوجه يظل هو ذلك الوجه فقد أصدر مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية كتاب « الملتقى الإسلامى المسيحى : الضمير المسيحى ، والضمير الإسلامى فى مواجتهمات لتحديات النمو » فى قرطاج – الحمامات– القيروان سنة ١٩٧٦م ، وجاء فى مقدمة هذا الكتاب التى كتبها عبد الوهاب بوحديبة مانصه :

« هذه الوثائق قدمت أثناء الملتقى الإسلامى المسيحى الذى دعونا اليه بقرطاج والحمامات والقيروان من ١١ إلى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٧٤ م ، وهى تعبر عن آمال عريضة وضعناها للملتقى ، أردناه همزة وصل وعربون إخلاص ، وجلعناه محل صدق وايمان ولم نتمكن من نشر مادار بيننا من نقاش مثمر ، ولا من اعطاء صورة عامة منه ولكننا نأمل أن تتجدد الفرصة وأن نعيش مرة أخرى ذلك الجو ، فنساهم بقسطنا المتواضع فى بناء صرح التفاهم والاخاء بين الأديان» .

وهذا التفاهم وهذا الاخاء سبق لمعهد الدراسات العربية فى الفتيكان أن دعا اليه وسماه «الحوار الإسلامى النصرانى » فى Islamo - Christiano, pu-bished by : Pantifco Istituo di Studi Arabi, Rome 1975.

وهذا ماتدعو إليه كل الكنائس والإرساليات التنصيرية وأساتذة التنصير فى الجامعات الأوربية والأمريكية ، والسبب كما رآه مستشرق ظريف ، هو أن النصرانية فشلت فى تنصير العالم الإسلامى ورأت نفسها تتجه للهلاك ، أردات بهذه الدعوة ان

تجر العالم الإسلامى معها وهى تقول : على وعلى أعدائى يارب [1] .

ومع أن نشاط هذه الإرساليات المباشرة ، قد انحسر ظله البغيض مع انحسار الاستعمار ، فإن هذه الارساليات لم تزل تعمل فى حرية تامة تحت شعارات أخرى كالمدارس والجامعات الاجنبية التى تزرع عقدة الخواجة فى نفوس طلابها ، وجمعيات الاحسان المحلية ، وقد تطورت وسائل التبشير فى عصرنا هذا ، وتغلغل العمل التبشيرى أيضاً الى وسائل الإعلام السمعية والمرئية والمطبوعات .

ففى عرض لنشاط جماعة الشباب لأجل المسيح Youth Of Christ قدمه التليفزيون الهولندى يوم ١٤ / ١ / ١٩٨٠م ، كان من ضمن نشاط هذا الشباب تجنيد الشباب الكينى لحضور المحاضرات التى تقيمها الارساليات التبشيرية وتوزيع الكتب التنصيرية مجانا أو بالاعارة على طلبة المدارس وذلك بواسطة المكتبات المتنقلة فى السيارات ، وظهر أن الشباب الكينى - شبانا وشابات - متحمس للقراءة، متعطش لقراءة كل ما يقع بيده ، علي قول مدير إحدى المدارس التى زارتها إحدى هذه السيارات ، وأردف مدير المدرسة قائلا :

« إننى أرى أن الدين له دور فعال فى تنمية شخصية الطالب وأننى لا أمانع اطلاقا أن يقرء الطالب مايشاء ، سواء عن النصرانية أو الإسلام ، لأن للدين جانبا فعالا ومهما فى صياغة معاملات هذا الطالب وتعرفه وبالتالى علاقته مع غيره » .

ومن هذا النشاط فانهم يصدرون مجلة تبشيرية تطبع منها عشرة آلاف نسخة، ولهم مركزان فى نايروبى [2] .

---

(١) أساليب التنصير فى البلاد الإسلامية ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣ .

أما فى السياسة ، فإن دور الارساليات التنصيرية فعال فى التأثير على الأحزاب المسيحية المهيمنة الآن فى هولندا وبلچيكا وايطاليا وانجلترا وعلى الاحزاب التى تسمى بالاحزاب اليمينية فى ألمانية وفرنسا ، والتى لها ثقل سياسى كبير فى تلوين سياسة الدولة من واقع هذا الارتباط ، حين تتعامل هذه الدولة سياسيا أواقتصاديا مع دولة إسلامية ، وان مواقف أوربا منذ الحرب العالمية الأولى ، ومواقف امريكا من القضايا الإسلامية لم يعد خرافة ، أما موقف روسيا المختلفة عقائديا عن أولئك ، فلم يكن أحسن حالا .

والمحصلة النهائية أنه ليس المهم – عند كل هؤلاء – أن يصبح المسلمون هوداً أو نصارى ، وليس المهم الآن تخريب الإسلام ، لأن عبيدهم يعملون هذا ، لكن المهم أن يتخلى المسلمون عن هذا الدين الذى تخشاه أوربا وتخشاه أمريكا ، وتخشاه روسيا ، وهؤلاء كلهم يخشون أن يجمع شعوبه فى تضامن قوى يفضى بهم الى التخلص من التبعية [١] .

(١) انظر المرجع السابق ص ٢٣ ، ٢٤ .

عملية التنصير لا تخدم البشرية

«إن المدارس الأجنبية فى العالم الإسلامى من الكثرة والتأثير بمكان ، والاقبال عليها يتضاعف عاما بعد عام ، وهناك إجماع على أن هذه المدارس ساعدت الأوربيين على معالجة كثير من المشكلات التى واجهتهم لتحطيم تركيا وتقسيم تركتها بين المستعمرين البغاة . يقول بعض المستشرقين : (ولا عجب فى أن تتفق آراء سفراء الدول الكبرى فى عاصمة السلطنة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوية التى أسسها الأوربيون كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية يرجع على تأثير العمل المشترك الذى قامت به دول أوربا كلها »[1] .

«ويقول أحد القساوسة الهولند يبن عن دور المدارس التبشيرية فى تحطيم آمال المسلمين : (ولكن عبثا يبنى هؤلاء (أى المسلمون) آمالهم على الجامعة الإسلامية لأن التربية النصرانية قد انبثت فى دمائهم بفضل مدارس التبشير وباحتياجات استمدتها حكومة هولندا من أصول الدين النصرانى ، ومن شأنها أن تزعزع آمال المسلمين الباطلة »[2] .

«على أن ظاهرة المدارس الاجنبية التبشيرية فى العالم الإسلامى تكاد تنفرد بهذا العالم فلا وجود لها بنفس التأثير والخطورة فى العالم غير الإسلامى ، وإن كان لها بين الوثنيين تأثير لا يمكن إنكاره ، بيد أنه لا يبلغ فى الخطورة والضرر مبلغ التأثير فى العالم الإسلامى ، فاخراج هؤلاء الوثنيين مما هم فيه الي عقيدة إلهية ، وإن نسخت وشوهت على أيدى أتباعها يختلف عن بقائهم فى دياجير الوثنية والضياع العقائدى، ولكن إخراج المسلم من دينه أو زعزعة إيمانه به هو الكارثة التى

(١) الاسلام والقوى المضاد ص ٣١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣ .

تودى بالمسلمين، وتودى فى النهاية بالعالم كله ، لأن خوف التبشير من المد الإسلامى والعمل الحثيث على التصدى له لا يخدم مستقبل البشرية ، ولا يكفل للنصرانية ظهورا وانتصارا فهى فى عقر دارها تذبل وينفض الناس عنها حتى أن دور العبادة الخاصة بها تعرض للبيع ، لأن أحدا لا يذهب اليها ، فاذا حارب التبشير الإسلام ومنعه من أن يسود ويقود فإن البشرية ستحيق بها كارثة مدمرة تنتهى به لا محالة إلى عصر الجاهلية وإن غزت أعماق الأرض وأجواز الفضاء .

«وإذا كان ماأوردته عن خطر التبشير فى بعض المناطق من العالم الإسلامى يبعث على القلق ويدعو الى التفكير العلمى فى الوقوف أمام تلك الحركات الحاقدة فإن خطر التبشير فى غير هذه المناطق ، لا يقل ضرواة ، وقد أسلفت أن حركة التبشير فى إحدى دول العالم الإسلامى تتلقى دعما ماليا هائلا فهناك تخطيط لتنصير هذه الدول الإسلامية فى فترة زمنية وجيزة (1) .

«ومن هنا يلجأ المبشرون الى استخدام وسائل النقل كالطائرات للتجول بين الجزر ، وقد أنشئت المطارات الخاصة لهذه الطائرات ، وفى الفلبين وغيرها من دول أسيا نشاط تبشيرى سافر لا يقل خطرا عما يحدث فى داخل العالم الإسلامى ، حيث يتجاوز الأمر حدود الدعوة بالقول الى الاضطهاد والتعذيب ، بل والقتل والتشريد من أجل حمل المسلمين على ترك دينهم ، وكأن هنا تخطيطا منظم تنفذه أجهزة التبشير والسلطات الحكومية للقضاء على الوجود الإسلامى فى قارة آسيا كلها ، تلك القارة التى انبثق منها النور أول ماانبثق فى بطاح مكة ثم انتشر فى أرجاء الأرض .

والحديث عن التبشير فى افريقيا كالحديث عنه فى أسيا ، فالسياسة واحدة والنشاط المحموم لا يفتر هنا أو هناك ، وقد أسلفنا أن فى إفريقيا وحدها أكثر من

(1) انظر غارة تبشيرية جديد على أندونيسيا لأبى هلال الأندونيسى ص ١٥٩، ط ليبيا .

مائة ألف مبشر ، وإن لهؤلاء وسائلهم المتنوعة ، وقد حققوا نجاحا ملحوظا فى كثير من الأقطار الافريقية ، ولا أنسى فى الحوار الإسلامى المسيحى الذى عقد بمدينة طرابلس بليبيا سنة ١٩٧٥م ان قسيسا إفريقيا بدأ حديثه بالاعتراف بأنه ينحدر من أسرة مسلمة ، ولكنه هدى الي المسيحية فآمن بها ، وأصبح من رجال الدين فيها ، فمثل هذا القسيس الذى يفخر بخروجه من الإسلام ، واحد من آلاف الضحايا الذين وقعوا فى قبضة المبشرين الذين أحدثوا بتعصبهم وأحقادهم اضطرابا فى البلدان الإفريقية نتيجة لما أذاعوه من افتراءات بلبلت الأفكار ، وشوهت الإسلام .

وكما مارس التبشير فى آسيا الإرهاب والتشريد والاضطهاد مارس كذلك فى افريقيا تلك السياسة ، بل إن دولا إسلامية أكرهت على الخضوع لأقليات مسيحية ، حتى تضعف شخصيتها الإسلامية أو تذوب فى شخصية الاقليات ، وبلغت الصفاقة التبشيرية فى افريقيا والعالم إلى حد أن تعلن الكنائس صراحة أن الإسلام دين باطل ، وخطر على افريقيا والعالم ، فحربه والقضاء عليه واجب مقدس ، كما يشير قرار الكنيسة الهولندية الإصلاحية بجنوب افريقيا [1] .

ومع تنوع وسائل التبشير التى أومأت اليها آنفا جدت فى السنوات الأخيرة وسائل أخرى منها جمع أطفال المسلمين الذين فقدوا العائل بسبب الحرب ، أو تعرضوا للهلاك بسبب المجاعات والفقر ، ونقلهم الى دور الرعاية والمدارس التبشيرية خارج العالم الإسلامى ، وتنشئتهم تنشئة نصرانية .

إن الإرساليات التبشرية كانت تقيم بعض الملاجئ فى البلاد الإسلامية وتجمع فيها اللقطاء والبؤساء لا لغرض إنسانى خالص ، وإنما لهدف تبشيرى مبرمج غير أن ماجد أخيرا تمثل فى نقل مئات الأطفال المسلمين من أوطانهم الى أوربا

---

(١) انظر جريد « المسلمون » العدد ٩٨ بتاريخ ١٢ ربيع الثانى سنة ١٤٠٧ هـ .

وأمريكا كما حدث مع أطفال لبنان وبعض الأقطار الافريقية ، وهناك يعيشون فى ظلال التوجيه التبشيرى ، ويشبون على غير دين ابائهم ، وقد يصبحون بعد ذلك وسيلة للتبشير بين أقوامهم .

«وإذا كان المبشرون يسعون الى المسلمين فى كل مكان منذ مئات السنين ويقيمون بينهم ، ويؤثرون الحياة الخشنة بين الاكواخ وبين الادغال ، فإن المسلمين أخذوا بعد الحرب العالمية الثانية يسعون الى التبشير فى داره ، وأصبحت الجمعيات والارساليات التبشيرية تقوم بعملها فى العواصم الغربية كما تقوم به فى الأماكن النائية فى الاقطار الإسلامية ، وذلك لأن ظاهرة الابتعاث الى دول الغرب والشرق التى لاتدين بالاسلام بعد تلك الحرب أتاحت للمبشرين أن يجدوا بين أيديهم اعدادا غفير من الشباب المسلم فحاولوا جذبه اليهم بوسائل شتى ، وكان ضعف الوازع الدينى لدى بعض هؤلاء الشباب ، أو ضعف الفهم السليم لدينه والحرص على الاعتصام به ، ييسر للمبشر ان يبلغ مأربه فى زعزعة العقيدة الإسلامية فى نفوس هؤلاء ان لم ينجح فى تنصيرهم .

«وقد جاء فى تقرير سرى صدر عن اتحاد الكنائس فى بريطانيا عما ينبغى على المبشرين النصارى ان يقوموا به لتنصير الطلبة المسلمين الذين يدرسون فى المعاهد والجامعات الانجليزية ، أن على المبشر أن يبدأ بالطلبة الذين ليست لديهم اهتمامات بدينهم ، فهم فريسة سهلة ، وأن عليه أن يحدثهم أولا عن القضايا التى تهمهم دون الاشارة الى الدين ، وأن يوثق صلته لهم فى المطعم والمعمل والملعب حتى يطمئن الطالب اليه ، ولا يرتاب فى صدقه وإخلاصه ، ثم يحاول المبشر بعد ذلك الدخول فى رفق وهدوء الى مايريد ، فلا يؤوب الطالب الى وطنه إلا بعد أن تخلى عن عقيدته الإسلامية .

ويطلب التقرير من المبشرين أن يكونوا منافقين مع الطلبة المسلمين ، فهم يدعونهم الى الاعتدال فى العلاقة مع الفتيات أمام هؤلاء الطلاب ، وأن يتجاهلوا ذكر المشاكل والمنازعات القائمة بين الدول الإسلامية ، وأن يتجنبوا كذلك كل حديث عن فلسطين ، وإعلان التأييد لإسرائيل ، وأن يتخلوا عن عادة الشح والبخل المشهورة فى المجتمعات الغربية ، ولذا يجب عليهم أن يدعوا الطلبة المسلمين إلى زيارة بيوتهم وإقامة الولائم لهم [1] .

«وليست ظاهرة الابتعاث وحدها هى التى جعلت التبشير بين المسلمين فى غير ديارهم خطرا عليهم ، فهناك الى جانب هذا ايضاً ، الهجرة الى أوربا وأمريكا للاقامة والعمل فهؤلاء المهاجرون الذين يبحثون فى الغالب عن مصدر للرزق على الرغم من محاولات التجمع وإقامة المراكز الإسلامية ، لا يجدون فى مهجرهم أو غربتهم ما يمنع شباك المبشرين من أن تمتد اليهم ، وقد تحدث بعضهم فذكر أن فى معظم العواصم الأوربية منظمات تسعى لاصطياد المهاجرين من المسلمين ، وبخاصة العمال منهم ، وتمنيهم بالحصول على مايريدون من عمل ، ثم تستدرجهم الى أماكن خاصة تموج بالانحلال والمنكر ، وبعد ذلك يقدمون لهم الافكار التبشيرية التى تدعهم فى حيرة من أمر دينهم ، وينتهى الحال ببعض هؤلاء الى التنصير ، أو على الأقل إلى نوبان القيم الإسلامية فى أعماقهم ، وعدم أكتراثهم بما يأمر به دينهم أو ينهاهم عنه .

وإذا كان الاستشراق فى العصر الحاضر قد جدد وسائله ، وتخلى عما كان يقدم عليه فى الماضى الى حد ما من الجهر بالاساءة الى الإسلام والمسلمين ، وزعم أنه نشاط علمى خالص ، فإن التبشير وهو صنو الاستشراق قد جدد من وسائلة ،

(١) انظر : مواجهة التبشير النصرانية بين صفوفة الطلبة المسلمين للدكتور فاروق مساهل مجلة «الأمة» العدد ٤٦ . ص ٢٨ .

وتخلى عن العنف الذى كان يأخذ به أحيانا ، وآثر الأسلوب غير المباشر فيما يدعو اليه ، وحاول أن يقدم السم فى الدسم ، وأن يلجأ الى النفاق والكذب والتغرير والتدليس ، فالغاية تبرر الوسيلة لديهم ، يقول وكيل إدار البعثات التبشيرية فى شرق بروما : « إن الهدف الذى يتعين على المبشر تحقيقه هو تحطيم قوة التماسك الجبارة التي يتميز بها الإسلام ، أو على الاقل إضعاف هذه القوة ، وإن على المبشر أن يدرس ويتفهم جيدا قرآن محمد ، ليعرف كيف يذكر الناس بأنه كانت هناك مدنية سابقة على الهجرة ، مدنية مسيحية ، وكان على المبشر ألا يدعو الى تنصير المسلمين بالغلظة والعنف ، بل يدعو الى ذلك بأسلوب غير مباشر ، كأن يسعى الى التقريب بين وجهات النظر الدينية ويستخدم الأسلحة السلمية كالصدقات والمعونات وإقامة المعاهد والمدارس والمؤسسات الخيرية » [1] .

«وإذا كان وكيل إدارة البعثات التبشيرية فى شرق بروما يطلب من المبشرين أن يتفهموا جيدا القرآن الكريم ، فإن هؤلاء يتلقون ، أيضاً ، دراسات لاهوتية ودورات تدريبية تمدهم بالأفكار والمبادئ والوسائل التى ينفذون من ورائها الى تحريف الكلام وإثارة الشبهات ، وإقامة الموازنات التى تصور الإسلام فى صورة منفرة على حين تضع المسيحية فى صورة جذابة زاهية .

والمنظمات التبشيرية على الرغم من عدم نجاحها فى تحويل عدد يذكر عن دينه الإسلامى ، فإننا لايمكن أن نتجاهل أو ننكر أنها نجحت بعض الشئ فى إثارة الشكوك فى نفوس القلة الضعفاء ، وفى الصاق بعض النقائص الباطلة المفتراة بالدين الحنيف ، واستطاعت أن تعزل الدين فى نفوس بعض المرضى عن الحياة ، حتى توهمت طائفة من المفكرين أن الدين مسألة شخصية قياسا على المسيحية فى أوربا [2] .

---

(١) انظر : الإسلام والقوى المضادة ، ص ٣٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٣ .

التغريب أحد أهداف التبشير والاستشراق

اذا كان التبشير قد استخدم التعليم فى المراحل الأولى منه ، كرياض الأطفال والمدارس الابتدائية ، والمتوسطة والثانوية ، كما استخدم العمل الخيرى والانسانى كإنشاء المستشفيات ودور العجزة والايتام ، فإن الاستشراق قد استخدم المنبر الجامعى ، والبحث العلمى ليثير عن طريق هذه الدراسات الأكاديمية المسائل التى تغذى الأغراض التى يسعى اليها ، والتى تهدف الى تقويض البنيان الفكرى الذى يقوم عليه تراثنا ، وبالتالى تشجيع التمزق ، وتأكيد الفرقة، والتشكيك فى الكيان الذاتى الذى يمثل - بالنسبة لنا - الحمى الذى نحتمى به من اخطار الغزو الفكرى فى شتى اشكاله وصوره [1] .

هل انتهت الحروب الصليبية ؟

افتتح نابليون بونابرت الحروب الصليبية الجديدة عام ١٧٩٨ م بدخول خيوله حرمة الأزهر ، فإن هذه الحروب لم تنقطع ولم تتوقف منذ ذلك الحين ، وهى تقترب الآن من نهاية قرنها الثانى ، لكن لايزال التاريخ يذكر الحقد الدفين الذى جعل أحد قواد أوروبا المسيحية يقف فى نهاية الحرب العالمية الأولى أمام قبر صلاح الدين ليقول له: ها نحن قد عدنا ياصلاح الدين .. وما هكذا يفعل القواد الرجال الشرفاء .. [2] .

وعلى طريق هذه الغزوة الصليبية الجديدة دفعت شعوب اسلامية كثيرة من دماء أبنائها .. ومن أرواحهم : فى الجزائر ، وفى الشمال الافريقى المسلم عامة ،

---

(١) مبادئ الثقافة الإسلامية ص ٧٨ مرجع سابق .

(٢) د . محمد عبد العليم مرسى : التغريب فى التعليم فى العالم الإسلامى ص ١٥ .

ولن ينسى التاريخ مافعلته ايطاليا المسيحية مع مسلمى ليبيا المجاهدين وعلى رأسهم الشهيد عمر المختار ، ولا ينبغى ان ينسى المسلمون .

وفي مصر .. حارب المسلمون موجات الصليبية الجديدة ،.. متمثلة فى الحملة الفرنسية .. والحملة الانجليزية على رشيد ، ولازالت الحملة الانجليزية الفرنسية الصهيونية فى أذهان الناس فى بلاد كثيرة من افريقيا وآسيا دفع المسلمون . ولازلوا يدفعون – الكثير من دمائهم وأرواحهم فقط لأنهم مسلمون ، ولأن اعدائهم – الصليبيين الجدد لايريدون ان ينسوا انهم هزموا ذات يوم على أيدى المسلمين ، كما انهم يخشون ان تقوم للإسلام قائمة من جديد ، وقد علموا من دروس التاريخ ان المسلمين حين يتحدون ، وحين يعودون الى دينهم القويم ، يكون لهم شأن آخر [1] .

وذا كان الصليبيون الجدد قد خرجوا بدروس واضحة تعلموا منها ومن حروبهم المتتالية مع المسلمين وأنه من الصعب بل ربما من المستحيل اخراج المسلمين خاصة فى المنطقة العربية عن دينهم الحنيف ، فلا بد من طريق آخر ومن ثم تفتق فكرهم الشيطانى عن بديل خطير للتبشير هذا البديل هو ميدان « **التغريب** » بدلا عن الدبابة والمدفع والطائرة وميدان التغريب يستخدم المدرسة ، والكتاب والصحيفة ، ودار السينما ، والاذاعة المسموعة والمرئية أى لجأ الى ميدان التغريب الثقافى [2] .

لما فشلت الصليبية القديمة في مواجهة أبطال المسلمين فى معارك الوغى ، وساحات الجهاد على شواطئ البحر المتوسط فتحوا أبواب دولهم على مصاريعها يدعون اليها الشباب من جامعاتنا « ليتلقوا التعليم هناك » فيذهبون .. ليضيع جزء منهم فى مجتمعاتهم الفاسدة ، وليعودوا الى قومهم وقد تناسوا دينهم وقومهم،

---

(١) انظر المرجع نفسه ص ١٦ .

(٢) انظر المرجع نفسه ص ١٧ .

وجاءوهم بأخطر مما يجئ به الصليبى الحاقد، حيث يطالبون قومهم بالانفتاح على الغرب بكل مافيه من « حرية » و« إباحية » ، و« انحراف » (١) ..!!

ميادين التغريب :

استخدم الخبثاء ميدان التغريب بكل الوسائل والأساليب ، والدس الخادع بحيث التبس على الكثيرين ، لتنوع ميادينه .. ولبريقها الخادع هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الذين حملوا لواءه فى كثير من الاحيان كانوا من أبناء الامة الذين خدعوا إذا احسنا الظن بهم ، أو الذين جعلوا من انفسهم طابورا خامسا لأوروبا المسيحية عن قصد (٢) .

وإذا كان « التغريب » قد تعددت ميادينه ، وتنوعت ساحاته فإن التعليم دون شك يبقى أخطر هذه الميادين والساحات ، حيث التركيز فيه على شباب الأمة فى عمرهم الباكر ، وحيث تشكيل شخصياتهم يحدد ملامح المستقبل ، ومن هنا فإن دراسة التغريب فى التعليم فى البلاد الإسلامية تكتسب أهمية خاصة ، ينبغى لفت الانظار اليها (٣) .

عقيدة الإسلام تتنافى مع التغريب

قال الاستاذ أبو الحسن الندوى المفكر الإسلامى :

« إن الإسلام عقيدة استعلاء من أخص خصائصها أنها تبث فى روح المؤمن بها احساس العزة من غير كبر ، وروح الثقة فى غير اغترار ، وشعور الاطمئنان فى غير تواكل ، وأنها تشعر المسلمين بالتبعية الانسانية الملقاة على كواهلهم ، تبعة

(١) انظر المرجع نفسه ص ١٧ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٨ .
(٣) المرجع نفسه .

الوصاية على هذه البشرية فى مشارق الارض ومغاربها ، وتبعة القيادة فى هذه الأرض للقطعان الضالة وهدايتها الى الدين القيم ، والطريق السوى . واخراجها من الظلمات الى النور بما اتاهم الله من نور الهدى والفرقان (١) .

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (٢) ... ، « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (٣) .

لقد أراد الله عز وجل لعباده المسلمين : أن يكونوا أقوياء أعزاء متمسكون بدينهم ، مطبقون لشعائره ، عاملون بأوامره ونواهيه، وهم اذ يكونون كذلك يكون لديهم الكثير ليعطوه لغيرهم من البشر : نورا ، وهداية ، وعلما ، وأخلاقا ، وعملا ، وتطبيقا .

وكل ماسبق يفهم من قول الله تعالي : « ولله العزة ولرسوله وللمؤنين » (٤) .

معنى التغريب :

ليس للتغريب تعريف محدد له يصفه وصفا قاطعا ... مانعا ، بحيث نقول هذا هو التغريب بالتحديد الدقيق .

لكن نستطيع الحديث عن معناه ومايفهم منه، ومدلوله كما يخبر عنه أحد مفكرى المغرب العربى : فهو عبارة عن محاولات استلاب شخصية الانسان المسلم .. فكريا وذلك عن طريق : « محو الشخصية العربية الإسلامية ، بحيث يصبح الانسان

(١) أبو الحسن على الحسنى الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسليمن ص ١٦ .
(٢) آل عمران : ١١٠ .
(٣) البقرة : ١٤٣ .
(٤)

المغربى - مثلا - تابعا لا كيان له ، سواء فى ذلك الكيان الوطنى أو القومى أوالدينى، ولايهم أن يظل اسمه محمدا - مثلا - وجنسيته من المغرب الفرنسى ، أوالجزائر الفرنسية ، أو تونس الفرنسية ، وإنما الذى يهم ان يكون محمد هذا مستلب الفكر عديم الشخصية » (١) .

وواضح مما سبق ان هدف المستعمر ان تذوب شخصية المسلم فى شخصية قاتله ، بحيث يكون تابعا له يتصرف فى حدود مايأمره به ، دون السماح له بحمل الجنسية الفرنسية .

ويذهب كاتب آخر الى ان الغزو الفكرى الذى ينتج عن التغريب « هو ان تتخذ أمة من الأمم مناهج التربية والتعليم لدولة من الدول الكبيرة ، فتطبقها على أبنائها وأجيالها ، فتشوه بذلك فكرهم وتمسخ عقولهم وتخرج بهم الى الحياة وقد أجادوا بتطبيق هذه المناهج عليهم شيئا واحدا هو تبعيتهم لأصحاب تلك المناهج الغازية»(٢) .

وأيضاً فإن الغزو الفكرى هو ان يحول العدو بين أمة من الأمم - وبخاصة الامة الإسلامية - وبين تاريخها وماضيها وسير الصالحين من إسلافها ، ليحل محل ذلك تاريخ تلك الدولة الكبيرة الغازية وسير أعلامها وقادتها ، فيشب المثقف من أبناء تلك الأمة المقهورة ، وليس فى نفسه مثل إلا مايقرأ عنه فى تاريخ الدولة الغازية .. فيذهل عن تاريخه وسير الصالحين من أسلافه ، ويذهل عن حاضره ومستقبله ويضل معالم طريقه (٣) .

---

(١) عبد الكريم غلاب : التغريب ودوره فى حركات التحرر فى المغرب العربى ص ٨٩ ، مجلة «المستقبل العربى» ، العدد ٣٦ فبراير ١٩٨٢ .

(٢) على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى المعاصر ص ١١ . دار البحوث العلمية ، الكويت .

(٣) المرجع السابق .

ومن أمثلة التغريب الحضارى ، مايتم على يد متولى السلطة من المستغربين من أمثال أتاتورك وبهلوى ، المجاورين للوطن العربى ..

فأصحاب السلطان الذين يميلون بدفة قوارب مجتماعتهم ناحية التغريب إما أن يكونوا عملاء أو خونة تربوا فى أحضان المستعمرين وأشربوا أفكارهم ، وإما ان يكونوا قد اشربوا هذه الأفكار والمعتقدات فى بعض المدارس الأجنبية التى يسمحون بها والتى هى طابور خامس خطير يعيث فسادا فى عقول أبناء المسلمين (١) .

أما فى أقصى الشرق حيث اليابان ، فنقرء لأستاذ يابانى محاولته فى تعريف « التغريب » فيقول: إن مفهوم التحديث غالبا ما يقف مع مفهوم التغريب على أساس ان معظم مايعتبر حديثا قد نشأ فى الغرب ، حيث إن أسلوب الحياة الحديثة متأثر بلا شك بالثورة الصناعية الغربية ، وكان تأثير تلك الثورة واضحا وعريضا حتى أن أية أمة من الأمم ، لم تستطع تفادى أثرها على شعبها (٢) .

ولقد أطلق المسؤلون والمفكرون اليابانيون صيحة تحذير لقومهم ، وأطلقوا شعار « **التكنولوجيا الغربية .. والروح اليابانية** » (٣) .

بل ان هذا الشعب اليابانى الواعى كان حذرا جدا منذ بداية نهضته الحديثة، فى نقله من الغرب فلم يفرط اطلاقا فى قيمه وعاداته وتقاليده، بل في كثير من الحالات وقف معاديا للرجل الغربى ، واعتبره « شيطانا » .

---

(١) انظر التغريب فى التعليم فى العالم الإسلامى ص ٤ .

(٢) ياسومازا كورودا : التحديث والاغتراب فى اليابان ص ١٢٣ المستقبل العربى العدد : ٦٩ نوفمبر ١٩٨٤ نقلا عن المرجع السابق .

(٣) التحديث والاغتراب .

ويظهر اعتزاز هذا الشعب بنفسه ، فى أحلك الظروف التى مرت به ، وهى ظروف الهزيمة الساحقة أمام امريكا فى الحرب العالمية الثانية أنه رفض أى تعديل يدخل على لغته ، وكان الجنرال « ماك أرثر» قائد قوات الحلفاء الغربيين قد طلب ذلك، ضمن مجموعة أخرى من الإصلاحات التربوية بغية انتزاع الروح العسكرية من أبناء اليابان ، ولو ان اليابانيين وافقوا على تعديلات فى لغتهم لما أبدع منه أحد هذا الأبداع المعجز الذى يشهد به العالم كله الآن (١) .

من جانب اخر يتحدث بعض الباحثين عن « التغريب » على أنه قرين للتغيير الاجتماعى ، حيث أصبح هذا التغيير الاجتماعى بديلا عن تنصير الأمة إذ يؤدى الى ابعاد المسلمين عن دينهم ، وهو بديل عن ردتهم الدينية (٢) .

أى أن هذا التغيير الاجتماعى بصورة أو بأخرى هو نوع من « التبشير» الذى كانت بدايته مع نهاية الحروب الصليبية ، « وقد بقى للتبشير حتى اليوم « تكتيكه » أو وسائله ، وبقيت « أيديولوجيته » أو فكرته ، لكن استراتيجيته قد تغيرت لما ظهر ان تنصير المسلمين أمر صعب ، فكان لابد من البديل ، وكان البديل هو التغيير الاجتماعى أو التغريب »(٣) .

---

(١) ادوارد : بوشامب التربية فى اليابان المعاصر ، ترجمة د/ محمد عبد العليم مرسى . مكتبة التربية لدول الخليج العربى الرياض : ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥ نقلا عن التغريب فى التعليم فى العالم الإسلامى ص ٢٥ .

(٢) د. على جريشة : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ص ٣٠١ ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر الفقة الإسلامى الذى عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٣٩٦هـ، ادارة الثقافة والنشر بالجامعة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

(٣) المرجع : السابق ص ٢٨٧ .

وعن التطور التاريخى للصليبية الجديدة فى تغيير جلدها مع بقاء هدفها الأصلى يقول الدكتور على جريشه:

« فى البداية كان الهدف واضحا : إخراج المسلمين من دينهم وإدخالهم الى دين آخر كما وضح من كلام المبشرين ، ثم لما صارت عملية « التغيير بلغة الأرقام صعبة إن لم تكن مستحيلة بين الشعوب التى تدين بالإسلام اقتصرت العملية على الجزء الأول منها ، وهو اخراج المسلمين من دينهم ، وكانت الوسائل الى ذلك هى نفس وسائل التبشير الأولى التى كانت تقوم بالشقين ، الاخراج من الإسلام ، والإدخال فى الدين الاخر .

ونجحت الخطة الثانية ، ولاتزال تعمل فى كثير من البقاع الإسلامية ثم كانت الخطة الثالثة التي لاتذهب الي عملية الاخراج من الدين تماما ، ولكنها تكتفى بالابعاد عن الدين ، من غير استعمال لفظ الابعاد ، حتى لا يستثير حفيظة المسلمين، وينبههم الى حقيقة الهدف .

وكانت وسائل التبشر بالأولى هى التى تستعمل لتحقيق الهدف الجديد مع تطوير فيها يجعلها أكثر نعومة وأكثر فاعلية إذن الهدف هو ابعاد المسلمين عن الإسلام ، باعتباره الخطر الكامن فى ذلك الإسلام ، كما يتصور الغرب أو يتوهم – وقد كانت الاشارة الى هذا الهدف تحت اصطلاحات أكثر تهذيبا مثل :

« التغريب » أو « التغيير الاجتماعى » [1] .

يتضح لنا من كل ماسبق ان « التغريب » الحادث فى العالم الإسلامى ، سواء ماتم على أيدى المبشرين أو المدرسين الاجانب الذين يعملون فى المدارس الاجنبية

---

(١) المرجع السابق ص ٣٠٠ .

التى تنفث سمومها فى عقول الناشئة من ابنائنا أو ماتم على أيدى فئات من أبناء مجتمعنا - للاسف - الذين خدعوا ببريق الحضارة الغربية .. هذا التغريب في النهاية ليس الا محاولات مستمرة ودائبة لتصفية الشخصية المسلمة ، ولتفريغها من محتواها الدينى العقائدى .

وإذا صفيت الشخصية الإسلامية - لاقدر الله - أصبح الاشخاص مجرد هياكل ممسوخة ، وإن كانت تتسمى بأسماء إسلامية ..

لكنهم فى نفس الوقت يصبحون مسلوبى الإرادة ، خائرى العزيمة ضعيفى التأثير ، فقدوا جذورهم المتينة التى كانت تربطهم بماضيهم التليد ، فجاءت فروعهم ضعيفة هزيلة وثمارهم فجة ذابلة ، وهم فى موقفهم هذا يأخذون ، ولايعطون أو يبذلون . وماهذه من صفات المسلم الحقيقى [1] .

وإذا كان « التحديث » يوضع مع « التغريب» على أساس أن كل ماهو حديث... قد جاء من الغرب ، كما ذهب الى هذا المفكر اليابانى ، إلا أن مفكرا إسلاميا له رأى مخالف حيث يبين لنا ان التحديث هو :

« امتلاك كل المعرفة التى يتفوق بها الغرب ، إنتاج المعدات التى ينتجها الغرب ، وكل ماتحتاجه أمه من الأمم لتحقيق هذا التحديث ، هو ارادة قومية ، ونظام صالح قادر على تعبئة هذه الارادة وتوجيهها فى طريق التصنيع أو التحديث إذا كانت البلد مستقلة أو فى طريق التحرير ، تحريرا لإرادة القومية عبر حروب التحرير الوطنية ، التى يتم التحديث من خلالها » [2] .

---

(١) انظر التغريب فى التعليم فى العالم الإسلامى ص ٢٨ بتصرف .

(٢) محمد جلال كشك .. ودخلت الخيل الأزهر . ص ١٤ . الدار العلمية بيروت . ذو الحجة ١٣٩١هـ يناير ١٩٧٢.

فإيمان الأمة بأن تخلفها ظاهرة عارضة ، وهى قادرة على التحديث مايدل على ثقتها فى نفسها ، وبأنها آخذة فى طريق القوة والاعتماد على الذات ، والنهوض بمجتمعها كل هذا دليل صادق على تحديثها .

أما «التغريب»

فيبدأ من اقناع الأمة الشرقية بأنها متخلفة فى جوهرها ، متخلفة فى تاريخها وصميم تكوينها ، ومن ثم فلابد من انسلاخها تماما عن كل ما يربطها بماضيها ، وعن كل مايميز ذاتها ، واعادة تشكيل المجتمع على الطراز الغربى ، من ناحية العادات والمظاهر السلوكية ، مع ابقائه متخلفا عاجزا عن انتاج سلع الغرب... فإذا ماالكتسب بعض أفراده بعض معرفة الغرب ، يجدون انفسهم غرباء عاطلين عن العمل فى مجتمعهم فيضطرون الى النزوح الى عالم المتفوقين .

المجتمع المغرَّب : هو ذلك المجتمع الذى تزدحم طرقاته بأفخر وأحدث السيارات المستوردة ، وتضم مدنه أفخم دور عرض الأفلام المستوردة ، ويرتدى أهله أحدث المنسوجات المستوردة وعلى أحدث الموضات الغربية ، ويثرثر مثقفوه فى قاعات مكيفة بأجهزة أمريكية أو روسية – « وليته قال : يابانية ... أو حتى كورية » – مشاكل المجتمع الغربى وآلامه .. ويملأون صفحات من ورق مستورد ، تطبع بحبر مستورد وبالات مستوردة حول قضايا الوجودية ، ومسرح اللا معقول ، والجنس الجماعى ، وتطور حركة الهيبيز و على بعد خطوات من كهوف مواطنيهم حيث البلهارسيا والتراخوما .. وكل تراكمات التخلف ، منذ القرن السابع عشر (١) ...!!!

(١) ودخلت الخيل الأزهر.

تاريخ التغريب :

إن هذا التغريب الذى حاق بعالمنا المسلم ، قد امتد على رقعته كلها .. دون مبالغة ، ودون حاجة لأن نعدد أسماء البلاد الإسلامية التى تعانى منه ، فالتعليم على جميع مستوياته يعانى منه ، وأجهزة الإعلام والثقافة مشبعة به ، ومعظم كتابات الذين وقعوا فى حبائله ... تغص بمفاهيمه، وبعض القيادات السياسية لا تعى خطورته ، وبعض القيادات العلمية تندفع فيه بلا تبصر ولاروية .

ومن ثم فلا يمكن تحديد فترة زمنية بعينها كى يمكن القول أن التغريب بدأ فيها ، خاصة وأن الاستعمار الغربى الذى ابتليت به مجتمعاتنا الإسلامية فى معظمها ، تفاوتت بدايات استعماره لها ، لكن يمكن القول بأن القرن التاسع عشر بصفة خاصة كان هو الفترة الحرجة بالنسبة له ففى بدايته أو قبيل تلك البداية بعامين اندفعت الحملة الفرنسية لتعبر مياه البحر المتوسط مدنسة أرض مصر الإسلامية ، ومفتتحة الحملة لصليبية الجديدة على العالم الإسلامى فى سنة ١٧٩٨م .

وخرج الفرنسيون ، ودخل الانجليز سنة ١٨٠٧ م وأخرجوا فورا ليعودوا من جديد فى سنة ١٨٨٢م كى يستقروا فيها لأكثر من سبعين عاما .

وفى أقصى الغرب اندفع الفرنسيون ليحتلوا الجزائر عام ١٨٣٠م مدعين بخطأ البحر المتوسط فى فصله للتراب الجزائرى عن التراب الفرنسى ، حيث هما أرض واحدة ، حتى الحقائق الجغرافية أرادوا قلبها .. !!

ثم احتلوا المغرب ، وتونس ، ولحقت بهم ايطاليا فى محاولة لإذلال المسلمين فى ليبيا .. لقد انفتحت نفوس الأوربيين للاستعمار الشره ، ودبت شرارة الصليبية التى لم تخمد منذ هزيمتهم أمام المسلمين منذ قرون على يد صلاح الدين ، والعز بن عبد السلام ، وقطز حول بيت المقدس ، جاءوا ينتقمون ، هنا فى عالمنا العربى ، وفى آسيا وافريقيا ، وحتى فى المحيط الهادى .. البعيد ..،.. حيث إندونيسيا .

فلما جاءت الحرب العالمية الأولى ، واتتهم الفرصة التى طال انتظارها ، فقد هزمت دول المحور ، والتى كانت تركيا « بلد الخلافة الإسلامية » متحالفة معها لقد جاءتهم الفرصة .. فرصة العمر بالنسبة لهم كى يفككوا أوصال الخلافة الإسلامية التى حمت المسلمين لقرون عديدة من الزمان ، ثم ليلتهموا بلاد تلك الخلافة واحدة وراء الأخرى ...

تفكك أمر الخلافة : أدى الى نزعات : « التغريب » و « التشريق » و «التحديث» و« التمدين » .

كما هو الحال فى فترات الاستعمار وعهود الحكم الوطنى (١) .

لقد كان تفكك البلاد الإسلامية ، وانقسامها على نفسها فتت وحدة الامة الفكرية ، وأضعف الحبل المتين الذى كان يربط مفكريها ببعضهم فبدأت تظهر فى كتاباتهم روح التمزق والانحلال ، وانعكس هذا بحكم منطق الأمور على عقل الأمة كلها ، مما جعلها « قابلة للاستغراب » فمرحلة القابلية – لاشك – تسبق مرحلة التقبل الواقعى .

ثم بدأ ظهور دول أوربا مع بداية القرن التاسع عشر ، وكان ظهورها بوجه أخر غير الوجه الذى ودعها به المسلمون فى الحروب الصليبية الأولى ، فأوروبا التي خرجت مهزومة ذليلة مقهورة من بلاد العالم الإسلامى ، تعلمت درس الحياة حيث نقلت منها علوم العرب وخبرتهم وتقدمهم ، وعكفت عليها بحثا ودراسة « وتطبيقا » وحينما جاءت « الصليبية الثانية » كانت مدججة بالسلاح و العلم والمطابع ، وانفجرت مع الطلقة الأولى ذكريات وتاريخ الحروب الصليبية بين الغرب والشرق ومن ثم هبت الجماهير الإسلامية تدافع عن وجودها .. عن تاريخها .. عن دينها وعن مقدساتها

---

(١) انظر التغريب فى التعليم فى العالم الإسلامى ص ٣٢ ، ٣٣ ، ومحمود أحمد مرسى : خلفيات النظام التعليمى العربى وفلسفته . مجلة المستقبل العربى الأعداد : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ أغسطس – سبتمبر – اكتوبر ١٩٨٢ م .

خوفا أن يدنسها الصليبيون الجدد الذين لم ينخدع فيهم أهل مصر ، حتى بعد ان ادعى كذابهم « نابليون » أنه اعتنق الإسلام (١) .. !!

هذا ويربط أحمد صدقى الدجانى بين الاستعمار والتفاعل الحضارى كمايسميه حيث يقول : « إن تفاعل الحضارات خاصية أساسية من خواص الحضارة مستمدة من كيانها الانسانى والاجتماعى ، فلم يكن بدعا ان يحدث التفاعل .. وحين ننظر الى سبل التفاعل الحضارى ووسائله ، نجد ان من بينها : الغزوات والحروب والفتوح وانتقال الاشياء المادية والاشخاص ، ونقل الافكار والآراء .. ويمكننا ان نلاحظ ونحن ندرس عملية التفاعل بين المجتمع العربى والفكر الغربى على مدى القرنين الأخيرين أنها تمت عبر هذه السبل جميعها ، وقد كان الاستعمار الغربى الحديث للوطن العربى مكانة خاصة بين هذه لسبل ، ومعلوم أن الحملة الفرنسية على مصر ، ثم بلاد الشام بدأت ١٧٩٨م وتلتها محاولة الانجليز احتلال رشيد عام ١٨٠٧م ، ثم تتالت غزوات الاستعمار الغربى الحديث فى ثلاث موجات بدأت أولاها بالجزائر ١٨٣٠ ، وشملت عدن ثم ساحل الخليج ، وتلتها الثانية ١٨٨١ م وشملت تونس فمصر والسودان فليبيا فالمغرب ، ثم جاءت الثالثة عام ١٩١٤ م وشملت بلاد الشام والعراق ، وقد عرفت أجزاء الوطن العربى كل انواع الاستعمار ، فعانت مصر مثلا من الاستعمار الاستغلالى وعانت تونس مثلا من الاستعمار «التمدينى »(٢) .

وأثباتا للحقيقة ان نذكر هنا ان الهدف الاساسى لكل انواع الاستعمار هو تخريب الانسان العربى المسلم عن طريق تغريبه وابعاده عن دينه وعقيدته بالاضافة الي نهب خيرات المنطقة العربية ونزوحها الى أوربا ، بل ومحاولة الاستقرار الدائم فى أرض العرب (٣) .

(١) انظر محمد جلال كشك : ودخلت الخيل الأزهرة .
(٢) أحمد صدقى الدجانى : الفكر الغربى والتغيير فى المجتمع العربى ص ٩١ .
(٣) التغريب فى التعليم فى العالم الإسلامى ص ٣٧ .

العلاقة بين التبشير .. والتغريب ... والاستعمار

إنها علاقة قوية ومترابطة ، فقد استطاع عدد من مفكرى الأمة الإسلامية ان يضعوا أصابعهم على تفكير عدوهم وتخطيطه، إن أوربا الصليبية لم تختف قط منذ هزم آخر ملوك حملتها الصليبية الأولى على شواطئ مصر ، وإذا كانوا قد غابوا عن انظار مسلمى الشرق لبضعة قرون فنسيهم بعض المسلمين ، إلا أننا نحن المسلمين لم نغب عن فكر أوربا (١) .

لقد عرفت أوربا ، وتاكدت انه كان وراء خسرانها معركتها الصليبية الأولى فى الشرق خطأ ما، فرأى مفكروها وقساوستها انه ينبغى أن يسبق معركتهم الصليبية المقبلة ، أو التالية شئ من الدراسة ، والاعداد كما انه لاينبغى أن يرفع الصليب على رأس كل حملة عسكرية غازية للشرق المسلم حتى لا يستثيروا غيرة المسلمين على دينهم ، ولعلنا لم ننس أن نابليون بونابرت السفاح التترى الجديد ، قد وزع منشورا على المصريين عند نزوله فى الاسكندرية يقول فيه : إنه يحترم الإسلام ، وأنه جاء ليخلصهم من ظلم المماليك .. !! فلما تمكن من مدينة الإسكندرية الباسلة ذبح حاكمها محمد كريم ، لأنه وقف فى وجهه ودافع عن وطنه .

وجاءت أولى الدراسات عن الشرق ، وكانت توصيات القساوسة إنشاء مدارس التبشير التى دُرّس فيها الإسلام والمسلمون وأوضاعهم ، ومن خلال هذه الدراسة بدأوا يدرسون أمورا فى الإسلام تشكك ضعاف النفوس فى كثير من يقينهم وبدأ التفكير الجدى فى عملية « الغزو الفكرى » قبل « الغزو العسكرى » ، إذ أن ذلك يمهد

---

(١) التغريب فى التعليم في العالم الإسلامى ص ٣٨ .

الطريق أمامهم ، ويبعثر جهود عدوهم ، فيوفر عليهم الكثير من المعارك قبل أن يدخلوا الحرب .

ومن ثم أصبح الغزو الفكرى للإسلام والمسلمين يهدف الجذور لا القشور ، ويحاول القضاء على الجوهر لا العرض ، ويركز على تشويه الأصول لا الفروع ، ومن هنا تركز الغزو الفكرى ضد امرين خطيرين هما : القرآن الكريم أصل الشريعة ، وما شرحه وفصله من سيرة رسول الله ﷺ فى العالم الإسلامى كله ، واللغة العربية لغة القرآن والإسلام ، وفى العالم العربى بالدرجة الأولى ، وفى كل مكان يمكن أن يعنى باللغة العربية بعد ذلك (١) .

سر نهضتنا :

أجمع المبشرون والمغربون كما قال الصواف : « على أن سر نهضتنا إنما يكمن وراء ديننا ، وإن الإسلام هو مبعث وحدتنا وقوتنا وانطلاقنا فى الحياة ، ثم أجمعوا أمرهم ودبروا كيدهم ، وقالوا : تعالوا نهدم بنيانهم بهدم إسلامهم ، فنحاربه فى نفوسهم ، ونضعفه فى قلوبهم وننفرهم منه ، ونبعدهم عنه ونشغلهم بمبادئ أخرى (٢) ، ومن ثم نجد الدجانى يستنتج ان تأسيس المدارس التبشيرية فى الوطن العربى قد بدأ قبل الغزو الاستعمارى الأوربى ، بل ومهد له بفاعلية، كما أن «التغريب » كان رسالة اساسية من رسائل هذه المدارس التبشيرية ، وهو يبين لنا أن هذه المدارس فى بلادنا كانت نتيجة من نتائج الاهتمام بالاستشراق في أوربا «والذي يؤرخ له رسميا بصدور قرار مجمع فيينا الكنسى عام ١٣١٢م بتأسيس عدد من كراسى الاستاذية فى : العربية واليونانية والعبرية والسيريانية فى عدة جامعات

(١) د. على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى و التيارات المعادية للإسلام ص ١١ مرجع سابق .
(٢) محمود محمد الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ص ١٧ .

أوربية ، وقد تجاوز مع الزمن دراسة لغات المنطقة الى دراسة حضارتها ، كما اسهم عصر الاستعمار الغربى فى بلورة أفكار محددة حول المنطقة ، وفى نقل افكار غربية اليها (١) .

ومن ثم فقد وافق المجمع الكنسى فى عام ١٣١٢م على تدريس اللغة العربية فى خمس جامعات أوربية هى باريس ، اكسفورد ، بولونيا وسلامنكا ، بالاضافة الى جامعة المدينة البابوية (Kurie) هذا وقد شجعت البابوية الرومانية دراسة لغات الشرق من أجل مصلحة التغيير (٢) .

لم يكن التغيير قاصرا على المستعمرين الأجانب ، والمستشرقين فحسب وإنما قامت فى العالم الإسلامى مجموعة من أبنائه غير الموالين له ساعدو المستعمر الأجنبى على اضعاف روح الأمة الإسلامية ، وعلى توهين عزائم أفرادها .. فكانوا بذلك عوامل هدم فى تصدع البناء الكبير ، فمهدوا بخياناتهم للغزوا الفعلى لأوطانهم ومثال ذلك الرجل الصنم : مصطفى كمال أتاتورك ، موظف التغريب الأول فى هذا المجال ، الذى حقق حلم جميع الدول الأوربية بالغاء الخلافة وإقامة الجمهورية فى تركيا عام ١٩٢٣م . وقد حاول مستميتا أن يبعد تركيا عن التيار الإسلامى، وأن يندفع بها تجاه تقليد الغرب – كما حاول بعده اسماعيل باشا فى مصر – لقد أحل أتاتورك كل ما هو أوربى غربى محل كل ما هو إسلامى ... وخفض عدد الواعظين.... واستبدل القبعة بلباس الرأس الوطنى ، وبلغت المأساة قمتها بإلغاء اللغة العربية ، وطلب من المؤذنين أن يؤذنوا باللغة التركية (٣) ، ولقد كانت خطورة كمال اتاتورك واضرابه أن أخذت الافكار الداعية الى تقليد الأوربيين تنتشر بين شباب الأمة الإسلامية ، كما يقول المفكر الإسلامى مالك بن نبى :

(١) الفكر الغربى والتغيير فى المجتمع العربى ص ٩٢ مرجع سابق .

(٢) د. محمود حمدى زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى كتاب الأمة : ص ٢٨ ، ٢٩ قطر : ١٤٠٤ هـ .

(٣) انظر على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى ص ٧١ – ٧٣ .

« فهذا يرنو إلى المذهب الكمالى ، وذلك ينزع الى التمدن الغربى ، ومنهم من انحدر الى مذهب المادة ، وكل واحد من هؤلاء يتخذ ملبسا يعبر عن نزعة تفكيره ، فهذا يلبس القبعة ليشعرنا بأنه يقفو أثر مصطفى كمال ، وأنه تزعم تحرير النساء ، وأنه يريد أن ينشر فى البلاد التدريس المدنى (اللا دينى) وأنه يريد أن يبدل مكان الشريعة القانون الوضعى [1] .

أهمية التعليم :

مما لاريب فيه أن التعليم له أهمية كبيرة فى حياة الأمم فهو وسيلتها الى التثقيف والرقى ، كما أنه عنصر أساسى من عناصر التغيير فى المجتمعات ، وبقدر التغيير الذي يحدث في شخصياتهم يكون التأثير فى مستقبل الأمة ذاتها .

مكانة المعلمين :

عنصر التعليم الأول والاساسى هو المعلم ، الذى تقوم عليه عملية التغيير المطلوب ، ومن ثم لابد من اعداد المعلمين الذين سيتولون التدريس اعدادا جيدا ، وبما ان المعلم هو حجر الزاوية ، فى الهيكل التعليمى ، فبدون اعداده الاعداد الجيد فقد تفشل انجح البرامج التعليمية ، مهما وفر لها من عناصر النجاح ولعل هذا هو الذى جعل بعض علماء التربية يصفون مهنة التعليم بأنها المهنة الأم The Mother Profssion ، وذلك لأنها تسبق جميع المهن الأخرى فى التأثير على شخصية الأفراد، كما أنها لازمة أساسية لها ، وهى بذلك تعتبر المصدر الأساسى الذى يمهد للمهن الأخرى ويمدها بالعناصر البشرية المؤهلة علميا واجتماعيا وفنيا وأخلاقيا [2] .

---

(١) مالك بنى نبى : شروط النهضة ترجمة د. عبد الصبور شاهين ص ٢٤ ، ٢٥ . دار الفكر بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

(٢) نقلا عن التغريب فى التعليم فى العالم الإسلامى ص ٤٦ .

وأيضاً فقد أصبح معروفا أن المعلمين « يتركون آثارا واضحة علي المجتمع كله ، وليس على أفراد منه فحسب ... إن عظماء العالم وكبار الساسة فيه ، وصناع القرارات الخطيرة .... كل هؤلاء جميعا قد مروا من خلال عمليات تربوية طويلة ومعقدة ، شارك فيها أساتذة ومعلمون ، وضع كل منهم بصماته على ناحية معينة من نواحي تفكيرهم ، أوعلى جوانب من جوانب شخصياتهم .. إن المعلمين يتركون بصماتهم واضحة على حياة المجتمعات التي يعملون فيها - سلبا وايجابا- كما ان تاثيرهم على حياة الأفراد ومستقبلهم يستمر مع هؤلاء الأفراد لسنوات قد تمتد معهم ما امتد بهم العمر إنهم يتدخلون فى تشكيل حياة كل فرد مر من باب المدرسة، ويشكلون شخصيات رجال المجتمع من سياسيين وعسكريين ومفكرين وعاملين فى مجالات الحياة المختلفة »[1] .

جاء فى كتاب « المشكلة الشرقية » طبع لندن عام ١٩٥٧م مايلى : « لا شك أن المبشرين فيما يتعلق بتخريب وتشويه عقيدة المسلمين قد فشلوا تماما ، ولكن هذه الغاية يمكن الوصول اليها من خلال الجامعات الغربية ، فيجب ان نختار طلبة من نوى الطبائع الضعيفة والشخصية الممزقة ، والسلوك المنحل من الشرق ولا سيما من البلاد الإسلامية ، ومنحهم المنح الدراسية وحتى نبيع لهم الشهادات بأى ثمن ، ليكونوا المبشرين المجهولين لنا و لتأسيس السلوك الاجتماعى والسياسى الذى نصبوا اليه فى البلاد الإسلامية ، ان اعتقادى القوى بأن الجامعات الغربية يجب أن تستغل استغلالا تاما جنون الشرقيين بالدرجات العلمية والشهادات ، واستعمال امثال هؤلاء الطلبة كمبشرين ووعاظ ومدرسين لأهدافنا ومآربنا باسم تهذيب المسلمين والإسلام »[2] .

---

(١) محمد عبد العليم موسى : « المعلم ... والمناهج ، وطرق التدريس ص ١٤ ، ١٥ عالم الكتب الرياض ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

(٢) عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى : الغزو الفكرى والتيارات المعادية ص ٥٠٨ ، ٥٠٩ مرجع سابق .

ولازال مجتمع الجامعة فى دول الخليج العربى يذكر – على سبيل المثال – ان إحدى جامعاته قد ارسلت تعميما تحذر فيه من خطورة الجامعات التجارية فى الغرب وخاصة فى امريكا ، والتى بدأت الاعلانات تظهر عنها ، بل وتصل الى صناديق بريد الأفراد ، تزف اليهم بشرى امكانية حصولهم على أعلى الدرجات العلمية ، حتى الدكتوراه، نظير مبلغ معين من المال لايتعدى آلاف من الدولارات (١) ..!!

ان خطورة الابتعاث لا تكمن فقط فيما يحدث للكثيرين من أبنائنا فى الخارج، ولكن فيما يعودون به من افكار تفعل فعلها فى عقول طلابهم بل وفيما ينشرونه ويكتبونه فى صحفنا ومجلاتنا ممتدحين ثقافة الغرب ، وتحلله بدعوى الحرية فى التعبير والكتابة .

إن كل هذا يرجعه أحد المفكرين الإسلاميين الي خطط محكمة وضعت لإفساد العالم الإسلامى وتحطيمه ، فمن هذه الخطط : « إرسال أكبر قدر ممكن من شباب المسلمين وأبنائهم الى ديار الغرب لينهلوا من ثقافته المسمومة هناك ، ويعودون الى ديارهم وقد ودعوا هناك دينهم ، وخلقهم ومبادئهم ، ورجعوا يحملون هم الامانة أمانة التبشير وحرب الرسالة » (٢) .

ولننظر الى الفرق فى المعاملة بين المسلم والصينى أو اليابانى فى جامعات الغرب الذى تتلمذ على ثقافة الإسلام وعلوم علمائه لنرى كيف يكون رد الجميل الى اصحابه :

عقد المفكر الإسلامى مالك بن نبى مقارنة قاسية تبين الفرق بين طلاب اليابان – الشعب الذى تمسك بقيمه وعاداته وتقاليده ، واحتقر الغرب وبين طلاب المسملين حين يذهبون للدراسة فى الغرب :

(١) التغريب فى التعليم فى العالم الإسلامى ، ص ٤٩ .

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ١٨ : بدون تاريخ ودار نشر .

يقول : « حين كان الطالب الياباني يذهب الى الغرب فى أواخر القرن الماضى، كان يذهب ليتعلم التقنية ، مع الحفاظ المتشدد على أخلاق بلاده ، كما سيذهب بعده التلميذ الصينى المتواضع - نسيان هماسين - ليتعلم فى مختبر جوليو كورى بباريس ، وليعود لبلاده بالمعلومات النووية التي تدهش العالم اليوم ، بينما غالبا ما يحدث للطالب الذى يذهب من بلادنا - نحن المسلمين - أن يعود بشهادة ، ولكن بعد ان يترك روحه فى مقاهى ، أو خمارات الحي اللاتينى ، أو النوادى الموجودة بسان حرمان .. !! [1] .

وفى نفس الوقت يؤكد أحد الباحثين على أن نمط البعثات التى نرسلها الي الغرب ، وكذا طرق تأهيل اعضاء هيئات التدريس فى جامعاتنا، كلها مجتمعة، تجعل جامعاتنا وكأنها امتداد للجامعات الأوربية والامريكية ، فهى بذلك منقطعة الصلة بالتقاليد العربية والإسلامية فى التعليم العالى ، كما ان الجامعات العربية تتفاعل مع الجامعات الاجنبية ثقافيا وعلميا أكثر مما تتفعال مع بعهضا [2] .

فهل هناك دليل على تغريب التعليم العالى أكثر من هذا .... ؟؟ ويمضى الباحث ليؤكد أنه على الرغم من أن الابتعاث يعود على الجامعات العربية والإسلامية بفوائد منها: ملاحقة التطور العلمى والثقافى العالمى ، وخلق علاقات علمية وثقافية مع الجامعات والمراكز العلمية والاجنبية ، بيد أن تأهيل أعضاء هيئة التدريس فى الجامعات الأجنبية قد يؤدى ببعض مبتعثينا الي تقبل المفاهيم والاطر الفكرية والبحثية الغربية [3] .

---

(١) مالك بنى نبى : بين الرشاد والتيه ص ١٠٧ دار الفكر . دمشق ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م .

(٢) محمد السيد سليم : الجامعات العربية وظاهرة التبيعية العلمية ص ١٤ . المستقبل العربى ع ٤٠ يونيو ١٩٨٢ م .

(٣) المرجع السابق ص ٩٦ .

وعن موضوع الابتعاث يتحدث المفكر الإسلامى أبو الأعلى المودودى فيتناول جانبا مؤلما ، وهو الذى يعد من خلاله اساتذتنا الجامعيون فى الخارج ، لقد مر على المسيحيين فى أوربا حين من الدهر كانوا يشدون الرحال الى الاندلس (Spain) ليتعلموا كتابهم - التوارة - من علماء المسلمين ، أما الآن فقد انقلب الأمر رأسا على عقب حيث أصبح المسلمون - واسفاه - يرجعون الى أهل الغرب (أوربا وأمريكا) يسألونهم : ماهو الإسلام ؟ وماهو تاريخه ؟ وماهى حضارته ؟ ليس هذا فقط بل قد أصبحوا يتعلمون اللغة العربية منهم (١) .

إن قمة المأساة فى موضوع التغريب هذا تتضح حين ينسلخ الاف من أبناء الأمة الإسلامية عن مجتماتهم تماما ، ويمتنعون عن العودة لأوطانهم الإسلامية التى ابتعثتهم ، ويستقرون فى بلاد الغرب بقصد العمل والاقامة هناك ، وهم بعلمهم هذا إنما يضعفون مجتمعاتهم الاصلية التى انفقت عليهم ، وانتظرت سنوات طوالا كى يعودوا اليها لينتشلوها من وهداتها فإذا بهم يخيبون أمالها ، وينضمون الى اعدائها مضيفيين الى قوتهم قوة أخرى يحاربون الإسلام والمسلمين بها (٢) .

وتاتى قمة المأساة وبشاعتها حين يتعرض أبناء هؤلاء المهاجرين من العلماء المسلمين لكارثة التحول عن دينهم الإسلامى الحنيف ، بفعل المؤثرات التى تزخر بها

---

(١) أبو الأعلى المودودى : الإسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة تعريب خليل أحمد الحامدى ص ٢٧١ . دار القلم الكويت ط الرابعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ ، وحول موضوع اهتمام جامعات الغرب بدراسة وتدريس الإسلام واللغة العربية ، وفى منح درجات الماجستير والدكتوارة فى مجاليهما يحسن الرجوع الى كتاب الدكتور : محمود محمد زقزوق الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى .

(٢) راجع د/ محمد عبد العليم مرسى : هجرة العلماء من العالم الإسلامى إصدار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

المجتمعات الغربية هناك ، والتى تنهار أمامها مقاومة هؤلاء الأبناء والبنات ، خاصة وقد اقتلعوا من مجتماعتهم الأصلية ، وابتعدوا عن منابع دينهم الحنيف ، وجميع بلاد العالم الإسلامى – تقريبا – تعانى من هذه الظاهرة الخطيرة ، والتى لم يعرفها المجتمع المسلم حين كان قويا مهابا ، وحين كان الأخرون يأتون اليه للعمل والإقامة[1] .

اللغة العربية :

مما تجدر الإشارة اليه ان اللغة هى وعاء الثقافة ، وهى وسيلة المجتمع ، للتعبير عن ذاته ، وللمحافظة على تراثه وأصالته وفى حالتنا نحن المسلمين فإن اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم[2] .

وهى التى ترك كثير من الشعوب لغاتهم الأصلية كى يتخذوها لغة لهم ، بعد أن اعتنقوا الإسلام طائعين مختارين ، ومن ثم قاوموا الغزاة المستعمرين حين حاولوا ان

---

(١) انظر المرجع نفسه .

(٢) بدليل قول الله عز وجل : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » . يوسف : ٢ .

« نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » . الشعراء ١٩٣ – ١٩٥

« وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد » . طه : ١١٣ .

« قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون » . الزمر : ٢٨ .

« كتاب فصلت أياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » . فصلت : ١٢.

« وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا » . الشورى : ٧ .

« إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تتقون » الزخرف : ٣ .

« وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا » . الاحقاف : ١٢ .

ينالوا من لغتهم ، أو حين حاولوا ان يفرضوا عليهم لغة غير لغتهم ، وتجربة الجزائر فى ذلك يشرف المسلمين جميعا [1] .

وحين كان أجدادنا المسلمون الأوائل ، الغر الميامين ، يسيرون على شرع الله الحنيف ، ويطبقون تعاليمه ، كانوا أعزة أقوياء فى كل شئ ، وكانوا علماء عاملين فنقلوا الى اللغة العربية علوم الحضارات السابقة عليهم ، ثم اضافوا اليها الشئ الكثير ، مثبتين للعالم أجمع ان اللغة العربية هى لغة الأدب والثقافة الرفيعة ، كما انها لغة العلوم المتنوعة ، بل ان الأوربيين المستنيرين ، فى خلال عصور الظلام التي عاشتها أوربا ، كانوا يتباهون بأنهم يعرفون العربية لغة العلم والتقدم حينئذاك [2] .

وما من أمة تركت لغتها وهجرتها الى غيرها إلا ذلت واستعمرت وأصبحت تابعة لغيرها ، وابتعد أبناؤها عن العلم والتقدم والابداع ويكفى ان نشير الى «اليابان» التى رفضت أى تعديل فى لغتها من جانب الأمريكيين ، بعد ضربها بالقنابل الذرية ، على الرغم من خضوعها لكل الشروط التي فرضت عليها ، ولكنها فيما يتعلق باللغة رفضت .. واصرت على الرفض ، لأنها لو كانت وافقت إذا لكانت شخصيتها كأمة قد محيت من الوجود بينما هى اليوم .... ما يعلم الجميع تقدما وانجازا [3] .

واذا ما انتقلنا من اليابان الى فرنسا ، وجدنا الضجة قد سبقتنا وسبب هذه الضجة ان صحيفة « لومند» أقامت الدنيا وأقعدتها انذاك ، لأن كلمات أوربية غير فرنسية قد تسربت الى اللغة الفرنسية ، فخاف الفرنسيون من ذلك على لغتهم أولا وعلى أمتهم الفرنسبة ثانيا .

---

(١) التغريب فى التعليم فى العالم الإسلامى ص ٥٣ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٥٤ .

(٣) راجع إدوارد ، د. بوشامت : كتاب التربية فى اليابان المعاصرة ترجمة د/ محمد عبد العليم مرسى . اصدار مكتبة التربية العربى لدول الخليج الرياض : ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .

وفى المانيا – فى عهد النازيين – أصر الألمان على أن يضعوا كلمات ألمانية موضع بعض الكلمات اللاتينية اليونانية التى كانت مستعملة ، وقد أكد « فينخته – كاتب ألمانيا – أن اللغة الألمانية قادرة على رفع معنويات الأمة واعادة وحدتها ، وتوطيد أركانها بعد أن كانت جيوش نابليون قد مزقت المانيا وجعلتها مايقرب من ثلاثين دويلة (١) .

أما فى العالم الإسلامى ، فنجد الغارة الخطيرة التى استهدفت لغة القرآن الكريم ، بقصد اضعاف روح الأمة ، وتفتيت وحدتها الفكرية والثقافية ، لتغريبها ، وابعادها عن اهم مصادر عزتها وقوتها ، ومما يؤسف له أن الذين اشتركوا فى هذه الغارة بالاضافة الى المستعمرين المغتصبين وعاونه عليها بعض المنتسبين لهذه الأمة الإسلامية العظيمة التى ابتليت بهذا الصنف العاق من ابنائها وأكبر شاهد ماقام به مصطفى كمال أتاتورك ، الذى تمخضت جهوده الخبيثه وأفكاره المسمومة بمايلى:

أ– منع الأذان والصلاة باللغة العربية .

ب– ألغى الخلافة الإسلامية ، وفصل تركيا عن باقى أجزاء الدولة العثمانية ، فحطم بذلك الامبراطورية الإسلامية العظيمة .

جـ– أعلن العلمانية ، وفصل الدين عن الدولة مقلدا بعض الدول الغربية التى تظاهرت بالعلمانية ، وأبطنت حرصها الشديد على الدين .

د– اضطهد علماء المسلمين أبشع اضطهاد، وقتل منهم العشرات، وعلق جثثهم على أعواد الشجر .

---

(١) د. على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى وأثرة فى المجتمع الإسلامى المعاصر ص ١٣٤ .

هـ- سعى الى حذف الكلمات العربية من اللغة التركية إمعانا فى البعد عن العروبة والإسلام .

و- أغلق كثيرا من المساجد وأجبر الشعب على تغيير زيه الوطنى ، ولبس الزى الأوربى .

ز- استبدل بالحروف العربية التى استخدمها الأتراك طوال ألف سنة الحروف اللاتنية ، ليقطع ماضى الشعب التركى عن حاضره .

ح- ألغى وزارة الأوقاف ومنع الصلاة فى جامع أياصوفيا وحوله الى متحف.

ط- فتح باب تركيا على مصراعية ليدخل منه علماء اليهود الذين نبذتهم المانيا ، واستعان بهم لتنظيم الجامعة التركية .

ي- ألغى المحاكم الشرعية وفرض القوانين المدنية السويسرية .

ك- الغى استعمال التقويم الهجرى واستبدله بالتقويم الغربى الميلادى .

ل- فرض العطلة الاسبوعية يوم الاحد بدلا من يوم الجمعة .

م- أسس حزب الشعب ، ومارس عن طريقه عملية الارهاب والبطش بالشعب التركى المسلم .

ن- الغى قوانين الميراث والزواج والأحوال الشخصية من الشريعة الإسلامية ، وحرم تعدد الزوجات والطلاق وساوى بين الذكر والأنثى فى الميراث .

س- شجع المرأة التركية والفتاة والشاب على الدعارة والفجور ، وأباح المنكرات .

ع- قضى على التعليم الدينى فى الجامعة والمدارس الثانوية والاعدادية والأبتدائية ، ومنع تأسيس المدارس الخاصة لتعليم الأطفال (الكتاتيب) (١) .

---

(١) عبد الله التل : الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام ص ٩٤ - ٩٦ . المكتب الإسلامى بيروت دمشق ط الثانية ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م

وإذا انتقلنا الى تونس إحدى البلدان الإسلامية فى شمال افريقيا وجدنا أن الاستعمار الفرنسى قد حاول فرض لغته على الشعب العربى المسلم هناك ، فحسب خطة محكمة بدأت اللغة الفرنسية اكتساح عدد مهم من المواقع الطبيعية للغة الوطنية عمليا لغة رئيسية وحيدة فى كثير من الأحيان لأهم المؤسسات الإدارية والاقتصادية.

فى المجال التربوى، اعتمدت الفرنسية لغة اساسية واحيانا وحيدة للتعليم بالمدارس العمومية ، ويمكن تصنيف المدارس الابتدائية بتونس قبل الاستقلال الى: مدارس فرنسية بحتة ليس للعربية فيها مكان ، ومدارس فرنسية عربية تنزل فيها اللغة القومية منزلة ثانوية فتعلم ، وكأنها لغة من اللغات الأجنبية .

وقد ظل عدد الساعات المخصصة للعربية فى هذه المدارس حتى ١٩٤٩م لايجاوز تسع ساعات من مجموع ثلاثين ساعة فى الأسبوع .

أما التعليم الثانوى فقد كان يشمل هو الاخر ثلاثة أصناف :

معاهد ذات مناهج فرنسية بحتة ليس للعربية فيها أكثر من مكان اللغة الاجنبية الاختيارية.

ومعاهد عرفت بمعاهد التعليم الصادقى اعتمد على الازدواجية اللغوية وأحلت فيها العربية في منزلة ثانية بعد الفرنيسة.

ثم التعليم الزيتونى الذى كان معربا بصفة كاملة (١) .

---

(١) عبد العزيز عاشورى : محاولة لتقويم تجربة التعريب فى تونس ص ٨٠ المستقبل العربى ع ٣٩، مايو ١٩٨٢ م

فإذا ما انتقلنا الى المغرب العربى طالعتنا هذه العناوين فى بعض المقالات الصحفية ، لنرى مدى ماوصلت اليه اللغة الفرنسية فى تشكيل عبء على نفوس المواطنين المسلمين وأرواحهم حتى أن بعض هؤلاء المواطنين اعتبروا وجود اللغة الفرنسية – وهذا جق – ماسا بكرامتهم ، وبمقدسات دينهم واستقلال وطنهم تقول هذه العناوين :

أ- استعمال اللغة الأجنبية يعتبر مساسا باللغة الوطنية ولغة القرآن .

ب- سيادة اللغة الأجنبية احتقار للغة العربية .

جـ- اللغة العربية يجب ان تحل محل اللغة التى فرضت علينا فى عهد الاستعمار .

د- فرنسة الادارة ضربة موجهة للغة البلاد .

هـ- جميع المرافق الادارية مازالت ترزح تحت وطاة اللغة الدخيلة .

و- استعمال اللغة الاجنبية يذكرنا بفترة سوداء من تاريخنا .

ز- يجب رفع الاضطهاد عن لغة البلاد وتحقيق الاستقلال الفكرى .

ح- اننا نرفض رفضا كاملا الاستمرار فى تجاهل اللغة الوطنية التى هى من مقدسات البلاد (١) .

لقد دخلت المغرب فى معارك طاحنة لتعريب التعليم الابتدائى فيها ابتداء من عام ١٩٦٧ حيث صدر بذك قرار فى أكتوبر من نفس العام ، وفى عام : ١٩٧٢ صدر قرار بتعريب التاريخ والجغرافيا والفلسفة فى المرحلة الثانوية .

---

(١) فاطمة الجامعى الحبانى : تقويم تجربة التعريب في المغرب ص ١٠٤ ، ١٠٥ المستقبل العربى ع ٣٩ مايو ١٩٨٢ .

ويذكر تاريخ التعليم فى مصر أن تدريس الطب حين أنشئ فى عهد محمد على ، على يد كلوت بك عام ١٨٢٧م كان يتم باللغة العربية فى ذلك الوقت المبكر من تاريخ التعليم المصرى .

إذ أن كلوت بك هذا « تعلم هو وزملاؤه اللغة العربية وألقوا بها محاضراتهم، كذلك قام طلاب البعثات بترجمة كتب الطب الفرنسية المشهورة الى اللغة العربية ... بيد أنه مع وقوع مصر تحت الاستعمار البريطانى ، تحولت المدرسة الى اللغة الإنجليزية »[١] .

أهداف المدارس الأجنبية داخل البلاد الإسلامية :

تعد المدارس الأجنبية داخل البلاد الإسلامية ركائز خطيرة فى ميدان التغريب بل هى من أخطر المؤسسات التى مازالت تعمل على تغريب الأجيال من ابناء الأمة الإسلامية ، ومن ثم فإن المجتمع الذى يسمح بافتتاح هذه المدارس على أرضه، يعطى القائمين عليها سلاحا من أخطر مايمكن، والآباء الذين يسمحون لأبنائهم بالالتحاق بهذه المدارس يعطون القائمين عليها سلاحا من أخطر ما يمكن حيث يتمكنون من خلال برامجها ومناهجها من تشكيل عقول الناشئة وتوجيههم الوجهة التى يريدون ، ولاريب أن هذه الوجهة ضد صالح مجتمعهم ، وضد عقيدته وأهدافه .

ومهما تكن الدعاوى حول السماح لهذه المدارس أن تعمل على أرض بعض بلادنا الإسلامية ، فهى بلاشك تنبئ عن ضعف فاضح من جانبنا، وعلى قوة من

---

(١) محمد أحمد سليمان مقومات تعريب التعليم الجامعى فى مجال العلوم الطبيعيةوالهندسية والطبية وغيرها مجلة إنماء الجامعات العربية بالقاهرة سبتمر ١٩٨٠ ص ١٣٠ - ١٤٣ .
نقلا التغريب فى العالم الإسلامى ص ٦٠ .

جانب أعدائنا ، قوة التأثير علينا بحيث نوافق على اعطائهم حق تقرير مصير أطفالنا ، فإذا قيل انها انشئت فى البداية لأبناء الجاليات الأجنبية ، قلنا إن خطرها قد امتد الى أبناء المجتمع الأصلى ، وبدأت تنشر وتنفث سمومها وتأثيرها فى أبناء المجتمع جيلا بعد جيل .

لقد بدأت الصيحات ترتفع فى بعض الصحف منبهة الى خطورة وضع هذه المدارس على مستقبل الأبناء ، وإن نسبة أبناء العرب المسلمين فى المدارس الأجنبية بالكويت أعلى من نسبة غيرهم من الأجانب (١) .

ويقول الشيخ على يوسف ملخصا خطر هذه المدارس الأجنبية « ما طمحت الدول الأوربية الى الاستيلاء على بلد ، أو اقليم من الشرق عموما الا وسبقت اليها بافتتاح المدارس بمرسليها الدينيين ، ومن تخلق بأخلاقهم ليمهدوا لها طريق الاستعمار » (٢) .

ولم يكن كلام الشيخ إلا وصفا صادقا للحقيقة المرة ، التى لم يخفها المستعمرون أنفسهم ، « مؤتمر أدنبرج » التبشيرى الذى عقد ١٩١٠م وحضره ١٢٠٠ من المندوبين ، وتفرغ الي ثمان لجان ، وخصت اللجنة الثامنة منها فى الاعمال المدرسية التي يقوم بها المبشرون ، اكتفت بهذه الكلمة عن المسلمين فقالت :

تجمع اراء سفراء الدول الكبرى فى عاصمة السلطنة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوى التى أسسها الأوربيون ، كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية ، ويرجع ذلك الى تأثير العمل المشترك الذى قامت به دول أوربا كلها (٣) .

---

(١) محمد عبد العليم مرسى : التعليم العالى ومسؤلياته فى تنمية دول الخليج العربى ص ٧٦ مكتب التربية العربى لدول الخليج الرياض ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .

(٢) د. عبد الستار فتح الله سعيد : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ص ١٩٨ . ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٤هـ ١٩٨٤ م

(٣) المرجع السابق ص ١٩٩ .

وبالأرقام وبدون تردد ، أومداراة يتحدث أحد القواد الفرنسين عن تأثير الغرب بمدارسه فى أبناء المسلمين ، وهو الجنرال « بير كيللر » فيقول :

« فى بداية حرب ١٩١٤م كان أكثر من اثنين وخمسين ألف تلميذ يتلقون تعليمهم فى مدراسنا ، وكان بين هؤلاء فتيان وفتيات ينتمون الى عائلات إسلامية عريقة ، مما جعل الجمعية المركزية السورية التي تألفت فى باريس تعلن عام ١٩١٧م أن جميع ميول السوريين وعواطفهم تتجه نحو فرنسا ، بعد أن تعلموا لغتها وخبروها على مر الأجيال (١) .

وإذا علمنا ان المدارس الأجنبية كانت تتمتع بالكثير من الاستقلال ، بعيدا عن اشراف أو رقابة من السلطات التعليمية فى بلادنا الإسلامية ، كما كان الحال فى مصر ، خاصة فى عهد اسماعيل باشا ، ومن ثم لا نندهش إذا علمنا حين نقرأ ان « غلاة المبشرين والقساوسة واضرابهم قد اطلقته يدهم فى وضع برامج للتعليم لمدارسهم حتى كانوا يلقنون فيها اطفال المسلمين مبادئ المسيحية وتعاليمها ويحفظونهم صلواتهم ونصوص كتبهم الدينية !!

وأخطر مافى المسألة ان هؤلاء الاطفال هم خاصة المسلمين وخلاصتهم من ناحية الاسر والبيوت التى ينتمون اليها ، ومن ناحية الثقافة التى يحصلون عليها ، ومن ناحية المستقبل الذى ينتظرهم فى قيادة امتهم – تبعا لذلك – فكريا وسياسيا واجتماعيا (٢) .

تولى محمد على حكم مصر بمساعدة مشايخ الأزهر وعلمائه ، لكنه عاد وانقلب عليهم وضايقهم، بل وضايق الأزهر ذاته وضيق عليه ، ولم يكن عجيبا بعد

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

ذلك ان ينحو خلفاؤه نحوه ، وأن يوسعوا على المدارس الأجنبية ، ويمنحوها كل ماتريد .. أرضاً .. ومالا .. وصلاحيات واستثناءات ولنقرأ : كيف كان يدار بلد من بلاد المسلمين لحساب المسيحيين من كل بلد أوربى .. اراد ان يكون له موطئ قدم فى أرض الكنانة .. ، فحصلوا عى امتيازات لايمكن تصديقها ، وكأن البلد كان بلاأهل ولا صاحب .، ولا عجب ، فلم يكن حكامه من أبنائه ولاكان يعنيهم أمره فقد :

أعطى سعيد (باشا) راهبات الراعى الصالح الألف الفرنكات ، وآلاف الجنيهات للمدرسة الإيطالية ، كما وهب للمدرسة الأخيرة ٨٠٠٠ ذراع من الأرض فى أحسن جهات الإسكندرية (١) .

* منح إسماعيل (باشا) راهبات الإحسان ٣٥٠٠ ذراع لبناء مدرسة عليها في الاسكندرية ، ومقادير هائلة من القمح سنويا (!!!)

وأيضاً للراهبات اليسوعيات ، ومدرسة الأوربيين ببور سعيد ، والمدرسة اليونانية والعازاريين والفرير بالاسكندرية ، كذلك منح الإرسالية الامريكية أرضا بالقرب من فندق شبرد ، ليقيموا عليها مركزا بالاضافة الى هبة مالية (تصوروا .. نحن فى مصر ... فى عهد اسماعيل .. المدين لشوشته .. نمنح الامريكيين .. هبة مالية ... !!!) مقدارها سبعة آلاف جنيه ذهب ، للبناء ، وكان يطلب الى الهيئات الادارية المحلية مد يد المساعدة للقائمين على أمر هذه المدارس الأجنبية » (٢) .

ولنتابع معا هذا الايقاع السريع لانشاء المدارس الأجنبية فى مصر لنرى هذا الحمى الذى استباح ببشاعة وشره ، فى بلد ترفع المآذن فى عاصمتها بالمئات :

---

(١) سعد مرسى ، وسعيد اسماعيل على : تاريخ التربية والتعليم ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩٧ .

* فى عام ١٨٧٦م تأسست ارسالية راهبات الرسول : Notre Dam Das Spotres كما أسست مدرسة لها فى طنطا عام ١٨٨١ م .

أما فى المنصورة فقد تأسست مدرسة الراهبات .

* وفى عام ١٨٨٠ م أسست مدرسة بواسطة ارسالية راهبات الميردى ديو Lamere de Dieu وذلك فى حى بولاق بالقاهرة ، كما قامت الارسالية نفسها بتأسيس مدرسة فى الاسكندرسة ١٨٨٢ م .

* انشأت مدارس الفرير مدرسة Saint Joseph بالقاهرة ١٨٥٤م ، ومدرسة أخرى بها أطلق عليها الملحقة ، كما أنشأت مدرستين أخريين فى الاسكندرية عامى ١٨٧٣م ، ١٨٨٨ م .

* بدأت ارسالية الجزويت بانشاء مدرسة للبنات فى حى المنشية بالاسكندرية عام ١٨٥٦م و قد اتبعت ذلك بمدرسة للبنين عام ١٨٥٧م ، وفى عام ١٨٦٧م توجت الارسالية عملها بإنشاء الكنيسة الاسكتلندية فى ميدان اسماعيل .

* فى عام ١٨٥٥ افتتحت الجالية اليونانية مدرسة للبنات بالاسكندرية ،وفى عام ١٨٦٠ م افتتحت مدرسة أخرى تضمن قسمين للبنين والبنات .

* فى عام ١٨٥٤م أنشأت الجالية الأرمينية مدرسة بجوار كنيسة السيدة العذراء بالقاهرة .

* وفى نفس الفترة أنشئت مدرسة تابعة للجالية الألمانية .

* وفى نفس الفترة أيضا أنشئت مدرسة تابعة للجالية الإيطالية [1] يجرى كل هذا النشاط المحموم على قدم وساق فى تغريب المجتمع المسلم في مصر ، هذا البلد

(١) المرجع نفسه ص ٢٩٩ – ٣٠٠ .

الذى هزم لويس التاسع ملك فرنسا ، وأذله هو وضباطه وجنوده الصليبين ، لكنهم فى هذه المرة وجدوا الحال قد تغير، بل وجدوا من يعطيهم امتيازات - على حساب الأمة المسلمة - ما كانوا ليحصلوا عليها فى أى مكان آخر بهذا (الكرم) السفيه خاصة حين نعلم أنه كان من بين هذه الامتيازات بخلاف الأموال والأراضى والمعونات مايلى :

أ- يعفى الطلاب الذن يذهبون الى مدارس الإساليات (المسيحية طبعا) من الجدية (!!!)

ب- يعفى من الاشتغال بإقامة السكك الحديدية والطرق العامة (!!!)

جـ- كانت هذه المدارس مستقلة تماما عن ديوان المدارس ، أو نظام المعارف، بحكم «الامتيازات الأجنبية» التى حصل عليها المستعمرون ، ورفقاؤهم فى مصر (١).

ونظرة واحدة فاحصة وواعية لامتياز اعفاء الطلاب الذين يذهبون الى مدارس الارساليات من الجندية ، ومن الاشتغال بإقامة السكك الحديدية والطرق العامة ، تبين لنا حجم الكارثة التى كان قد وصل اليها أمر تغريب التعليم فى مصر ... الإسلامية والذين يعرفون الاوضاع التى كانت سائدة فى مصر آنذاك . يعلمون أن الجندية التي كانت لمدة ثلاث سنوات ، وربما الى خمس ، كانت شيئا رهيبا بالنسبة لأفراد المجتمع المصرى ، حتى ان الشخص الذى كان (يصيبه الدور) ويطلب للتجنيد ، كان يودع فى قريته بالصراخ والعويل والبكاء ، وكأن أهل القرية يودعونه الي مثواه الأخير .. فإذا جاءت الارساليات الأجنبية وأعفته من كل هذا المصير الرهيب الذى كان ينتظره فإنه يشعر أولا تجاه الارساليات بالفضل العميق وغالبا سينفذ مايطلب منه ، وثانيا سوف ينفصل ، سواء أراد أم لم يرد ، عن أبناء وطنه .. من الفلاحين،

(١) المرجع نفسه ص ٣٠١ .

لأنه أصبح يحظى بمكانة تبعده عن أن يكون مجرد مواطن عليه حقوق معينة للوطن فهو يحظى بتعليم أجنبى مدعوم من السلطان (الخديوى) ومدعوم من السلطات الأجنبية بامتيازاتها ، بينما غيره من إخوته المواطنين عليهم أن يدافعوا عنه .. وعن الوطن ، فأى انفصال هذا الذى كان بين أبناء البلد الواحد... وأى تغريب [1] ..!!

ونفس هذا القول ينطبق على حق الاعفاء من اقامة السكك الحديدية والطرق العامة ، والتى كان العمل فيها مايشبه السخرة ، وكم مات من ابناء مصر بالآلاف ، فى حفر الترع ، وشق الطرق ، وإقامة الجسور ، وانشاء لخطوط السكك الحديدية ، والتى كانت فى مجملها - بالدرجة الأولى - لخدمة الأهداف الاستعمارية حتى وإن استفادت منها مصر .

لقد وضح تماما ان الهدف من اقامة المدارس الاجنبية فى البلاد الاسلامية هو تغريب أبناء المسلمين وابعادهم عن دينهم وعقيدتهم وفى حالة كمصر تأتى خطورة هذه المدارس على وحدة أبناء الشعب الواحد [2] .

سياسة الاستعمار التعليمية :

منذ عرف المسلمون انشاء المدرسة فى عصور حضارتهم المبكرة ، وهم يحافظون على قيم دينهم الغالية ، والتي كان من بينها الفصل بين البنين والبنات فى التعليم ، فلكل منهم مدارسه الخاصة ، ولكن بحلول المستعمر بأرض المسلمين ، نتيجة لضعفهم وتمزقهم ، بدأت اشكال جديدة للحياة تدخل الى بلاد الإسلام ، ويغزو المسلمين في عقر دارهم ، بل وفى أعز ماليديهم .. فى قيمهم ومعتقداتهم .

---

(١) انظر التغريب فى التعليم فى العالم الإسلامى ص ٨٤ .

(٢) المرجع نفسه .

وجاءت بدعة الاختلاط بين الفتيان والفتيات فى مراحل التعليم المختلفة ، باعتبار أن ذلك صيحة حضارية جاءت الينا من بلاد الغرب .. المتقدم ...!! ويبدو ان نظرية ابن خلدون حول تقليد المغلوب للغالب ، لأنه يشعر بالدونية أمامه فيها الشئ الكثير من الصحة وإلا فكيف تخلع المرأة المسلمة حجابها ، كما تفعل المرأة الغربية المتبرجة بدعوى الحرية والمساواة ، بل وأن ترتاد دور اللهو كما يفعل الرجل تحت نفس الدعاوى الزائفة .. ؟؟

وحتى تتم حلقة التغريب يبدأ الاختلاط منذ الصغر فى المدارس بحيث يشبون عليه وكأنه الوضع الطبيعى ، وغيره شاذ .

وبهذا السلوك نزعنا الحياء والخجل من سلوك فتياتنا أمهات المستقبل اللاتى من المفترض ان يحملن الأمانة ، وأن ينقلن السلوك السوى الذى أمر به الإسلام الى ابنائهن وبناتهن .

بدأت فكرة الاختلاط فى المدارس الخاصة ، ثم انتقلت الى مدارسنا العامة دون وعى من المسئولين عن التعليم في بلادنا ... ولقد كان من أفحش النتائج المدمرة بسبب هذا الاختلاط ، ظهور عادات وأخلاقيات جديدة فى المجتمع تحاد الدين ، وتضاده أو تتنافر مع ذوقه وآدابه في أقل الأحوال !! ، وكان ما أصاب المرأة المسلمة من ذلك بالذات هو المقتل الذى أسرع بالمجتمع نحو هاوية سحيقة لا يعلم مدها إلا الله تعالى (١) .

ولكي تكتمل حلقة التغريب نلاحظ مايلي :

« ضمن السياسة التعليمية الجديدة التى حلت بالتعليم الإسلامى جاءت مشكلة فصل علوم الدين ... عن علوم الحياة ، وصبغ الأولى بأنها علوم (أخروية) لاعلاقة

(١) انظر الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ص ٢٦٢.

لها بما يجرى فى المجتمع من أحداث ومشكلات ، كماأنها لاعلاقة لها بتقدم المجتمعات وتطورها ، ولاشك أن هذه السياسة كانت أمتدادا للنداء الشيطانى الذى دخل بين المسلمين ، والذى مؤداه فصل الدين عن الحياة بكل مافيها من سياسة واقتصادواجتماع [1] » الخ .

وجاء الجانب التطبيقى الشرير لهذا الفكر، لقد وجد الخلاف والشقاق بين أبناء الأمة الواحدة ، وظهر منهما جيلان مختلفان ، ثقافة وفكرا واتجاها .. ومادامت مواكب المتعلمين ستتجه لدراسة علوم الدنيا وفق الصيغة التى وضعت لها ، بما تحمله هذه الصيغة من عداء مدسوس أو سافر لأصول الدين وأحكامه ، وتزيين بعض المعارف الانسانية ، وبعض النظريات فإن النتيجة التي يقدرها واضعوا الخطة هى انتصار هذه العلوم ، وانتصار مادرس فيها ، وهزيمة علوم الدين بكل مافيها من حق وخير ومجد عظيم للناس .

وعلى أثر هذا الفصل المصطنع كان على دارسى العلوم الدينية فى معظم بلاد المسلمين أن يكونوا بعيدين عن كل مجال حيوى إلا مجال المساجد ، ومافيها من عبادات ، وبعض الوظائف ذات الاختصاص الدينى ، مع تضييق موارد الرزق فيها ، والجاء القائمين عليها الي طرق من الكسب تثير النقد اللاذع والازدراء والتندر [2] .

لقد ألمحنا الى الصلة القوية والعضوية المتبادلة بين كل من التبشير، والتغريب، والاستعمار ، فالتبشير مقدمة للتغريب والاستعمار، وأحيانا للاستعمار والتغريب ، والاخيران يمدان يد العون والمعونة للتبشير ، كى يعمل معاول فى هدم الجدار الإسلامى الذى كان متينا [3] . «والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون».

(١) التغريب فى التعليم فى العالم الإسلامى ص ٨٨ .

(٢) الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ص ٥١٠ .

(٣) انظر التغريب فى التعليم فى العالم الإسلامى ص ٨٩ .

وتتضح الصورة عن التبشير والإستشراق وأهدافهما فيما يلى:

إن عملاء التبشير والإستشراق، هم عملاء الاستعمار غير المنظور فى بلاد العروبة والإسلام، وهم الذين دربتهم دعوة التبشير على إنكار المقومات التاريخية والثقافية الروحية فى ماضى هذه الأمة ومستقبلها، وعلى التنديد والإستخفاف بها، وهم الذين وجههم كتاب الاستشراق إلى أن يصوغوا هذا الانكار والتنديد والاستخفاف فى صورة البحث، وعلى أساس من أسلوب الجدل والنقاش فى الكتابة، أوالإلقاء عن طريق المحاضرة أو الاذاعة، وإذا كان من دواعى استقرار الأوضاع فى البلاد العربية والإسلام: عزل عملاء السياسة عن الحياة السياسية فإن من صالح العروبة والإسلام، تنحية عملاء التبشير والإستشراق من جوانب التوجيه العام سواء فى التثقيف، أوالنشر أوالصحافة، أو الإذاعة.(١)

من أهداف التبشير والإستشراق:

١ – أن كلا منهما حجر الزاوية للاستعمار.

٢ – هدفهما توهين القيم الإسلامية فى عقول المسلمين.

٣ – إضعاف اللغة العربية وصرف العقول عن تعلمها.

٤ – تفريق الشعوب العربية والإسلامية وتقطيع أواصر القربى بينهم.

٥ – السخرية من حال الشعوب الإسلامية المعاصرة، والتنديد والازدراء بها فى المجالات الدولية العالمية يتضح هذا فيمايلى:

أولاً: هناك الدعوة إلى أن القرآن:

أ – كتاب مسيحى يهودى نسخه محمد!

(١) انظر الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص٤٥٩.

ب - وأن الإسلام دين مادى لا روحية فيه، يدعو إلى الدنيا وليس إلى صفاء النفوس والمحبة!!

ج - وأن الإسلام يميل إلى الاعتداء والاغتيال، ويحرض أتباعه على القسوة على غير المسلمين عامة!!

د - وأنه يدعو إلى الحيوانية والاستغراق فى الملذات الدنيا(1)!

ثانياً: وهناك الدعوة إلى:

ا - أن الفسلفة العربية فكر يونانى، كتب بأحرف عربية.

ب - وأن اللغة العربية الفصحى لم تعد صالحة اليوم، وبدلا منها يجب أن تستخدم العامية واللهجات الدارجة، كما يجب استخدام الحروف اللاتينية عوضا عن الأحرف العربية!

ثالثاً: هناك الدعوة إلى:

ا - إحياء الفرعونية فى مصر.

ب - والآشورية فى العراق.

ج - والبربرية فى شمال إفريقية.

د - والفينيقية على ساحل فلسطين ولبنان.

هـ - وإلى تفضيل الفارسية - كلغة آرية - على العربية كلغة سامية.

و - وإلى أن الذى حمل أمارات الحياة الأدبية الجديدة فى الشرق العربى فى نهاية القرن التاسع عشر، وكذا فى الشرق الإسلامى، وحمل مظاهر الحضارة عامة: هم نصارى لبنان، الذين تعلموا واستوحوا من جهود المبشرين الأمريكيين فى سوريا.

---

(1) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص٤٦٠.

ز - وإلى أن البربر وحدهم هم أصحاب المدنية فى شمال إفريقيا والأندلس.

ح - التنفير من حياة المسلمين الحاضرة، لأنها حياة بدائية ذليلة.

ط - وإلى أن السبب فى ذلك هو تعاليم الإسلام والتمسك بها(١).

هذه الأمور التى ينادى بها المستشرقون والمبشرون دليل على قوة الإسلام وعظمته.

الفرق بين التبشير والاستشراق:

مما سبق يتضح ماترمى إليه أهداف التبشير والإستشراق من الحط والسخرية من الإسلام، والمسلمين مما يدل على أن التبشير والإستشراق فى ذلك سواء، والفرق بينهما مايلى:

١ - أن الإستشراق أخذ صورة «البحث» وادعى لبحثه «الطابع العلمى الأكاديمى» بينما بقيت دعوة التبشير فى حدود مظاهر «العقلية العامة» وهى العقلية الشعبية.

٢ - استخدم الاستشراق: الكتاب والمقال فى المجالات العلمية، وكرسى التدريس فى الجامعة، والمناقشة فى المؤتمرات «العلمية» العامة.

٣ - أما التبشير فقد سلك طريق التعليم المدرسى فى دور الحضانة، ورياض الأطفال، والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والإناث على السواء، كما سلك طريق العمل «الخيرى» الظاهرى فى المستشفيات، ودور الضيافة.. والملاجئ للكبار، ودور اليتامى واللقطاء، ولم يقصر التبشير فى استخدام «النشر والطباعة» وعمل «الصحافة» فى الوصول إلى غايته.

٤ - إن البلاد العربية والإسلامية فى يقظتها الحالية تتعثر فى خطاها نحو التماسك الداخلى، ونحو تقوية العلاقات بينها، بسبب الرواسب التى

(١) المرجع نفسه.

تخلفت عن التبشير والإستشراق، وبسبب آخر له وزنه وأثره فى هذا التعثر، وهو ضعف المواجهة التى يلقاها فى البلاد الإسلامية هذان العاملان القويان فى تركيز الاستعمار، وبعثرة القوى الوطنية فى كل بلد عربى وإسلامى[1]

ما الذى ينبغى عمله إزاء التبشير والإستشراق؟

يقع على عاتق أجهزة الدعوة، والدراسات الإسلامية والإعلام : المقروء والمسموع والمرئى عبء كبير إزاء ماينبغى عمله فى هذا الشأن:

أولاً: أن تساهم هذه الأجهزة فى تنقية الحياة العربية والإسلامية من رواسب هذين العاملين فتبعد عملاءهما من دفة التوجيه فى كل الجوانب المتعددة وخاصة فى دور التعليم المختلفة، والإشراف الدقيق على المدارس الدينية التابعة وخاصة فى دور التعليم المختلفة والإشراف الدقيق على المدارس الدينية التابعة للفاتيكان فى طوابعها المختلفة: من فرنسية وإيطالية وأسبانية وألمانية وهلم جرا ....، وأن تكون على صلة وثيقة بالصحافة، ووزارات الثقافة، فى توجيه القلم والكتاب.

ثانياً: على هذه الأجهزة أن تكون مع المؤسسات التعليمية كالأزهر جهازا قويا يلقى به كتب المستشرقين وبحوثهم فى مجلاتهم ومؤتمراتهم فى الرد عليهم، وشرح القيم الإسلامية، وتقوية أواصر القربى بين الشعوب العربية والإسلامية.

ثالثاً: أن تخرج للمسلمين عاجلا فى مشارق الأرض ومغاربها على مختلف لغاتهم وجنسياتهم.

---

(١) انظر الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعما الغربى ص٤٦١ .

ا - «دائرة معارف إسلامية» يكتبها علماء مسلمون متمكنون فى فهم التراث الإسلامى من جميع بلاد العالم الإسلامى، وتكون مرجعا للجوانب الثقافية العديدة.

ب - وأن تقرأ «ترجمة» فى كل لغة من اللغات التى ترجم إليها القرآن فعلا بعد مراجعتها مراجعة دقيقة، من علماء لهم سعة اطلاع فى التفسير والعلوم والمعارف الإسلامية.

ج - وأن تخرج «قاموسا» للفقة الإسلامى، على نمط القواميس العلمية الحديثة فى الاجتماع والفلسفة وعلم النفس والاقتصاد.. يكون مرجعا سريعا لمعرفة المصطلحات الفقهية ومدلولاتها فى المذاهب الفقهية المختلفة.

د - وأن تصدر «مجلة» تتبع بحوث الإستشراق التى يوردها الغرب الصليبى للشرق الإسلامى فى الوقت الحاضر، سواء فى كتبه عن التراث الإسلامى، أو فى بحوث مجلاته العديدة التى تعنى بهذا التراث، وبوضعية المسلمين وتوجيههم.

وحركة الغرب فى توريده لهذه البحوث حركة ضخمة وسريعة، كما يرى من الدوريات التى تنشرها الجمعيات الاستشراقية فى مختلف بقاع العالم بلغات مختلفة، ومن الكتب التى تصدرها دور الطباعة الكبيرة فى عواصم أمريكا الشمالية وانجلترا وفرنسا

فالمطلوب إذا حركة ثقافية مضادة، ترد على مطاعن هذه الجمعيات ومفندة آراءها التى تنشرها وتذيعها على العالم بمختلف اللغات فهذا أوان الجهاد باللسان بالكلمة المكتوبة والمسموعة، ومن أجدر وأحق بهذا الموقف من أجهزة الدعوة والدراسات الإسلامية فى مواجهة الإستشراق وجمعياته؟ سوى أفراد قلائل منحم الله سبحانه بسطة فى العلم، ولكن المطلوب وجود مؤسسات تهتم بالوقوف فى وجه جمعيات التبشير والإستشراق.[١]

(١) انظر الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغبرى ص٤٦٣، ٤٦٤

وبالطبع فإن ما تتحقق لايفى بالغرض المطلوب خاصة إذا علمنا أن مطابع الغرب دائبة فى طبع ونشر المطاعن ضد الإسلام.

هدف التبشير:

مما ينبغى التنبيه إليه أن الإستشراق لون من ألوان التبشير لامم نفسه مع ظروف الحياة، وإذا كان الإستشراق نوعا من أنواع التبشير، فمعرفة هدف التبشير نفسه يعطينا صورة عن هدف الإستشراق، وإليك النصوص الثابتة لزعماء المبشرين توضح وتعبر عن هذا الهدف:

يقول لورانس براون[1]: «إذا تحد المسلمون فى إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضا، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولاتأثير»

ويصرح القس «كالهون سيمون» عن رغبة التبشير القوية فى تفريق المسلمين التى عبر عنها «براون» سابقا، بقوله: «إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السود، وتساعدهم على التملص من السيطرة الأوربية. ولذلك كان التبشير عاملا مهما فى كسر شوكة هذه الحركات، ذلك لأن التبشير يعمل على إظهار الأوربيين فى ثوب جديد جذاب، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها»[2]

فوحدة المسلمين إذن فى نظر التبشير يجب أن تفتت وأن توهن، ويجب أن يكون هدف التبشير هو التفرقة فى توجيه المسلمين واتجاهاتهم. والتبشير، إذ يرى هدفه المباشر تفكيك المسلمين.. حيث قد خبر قوتهم يوم أن كانوا تحت الخلافة العثمانية التى كسرت شوكة المستعمرين فلم يستطع المستعمر بسط سلطانه على

(١) فى كتابه: الإسلام والإرساليات.

(٢) د. عمر فروخ: التبشير والإستعمار ص٣٢.

بلاد الخلافة خاصة فى فلسطين، فهو قد عرف قوة المسلمين عن تجربة، كما عرفهم فى الحروب الصليبية ولهذا فهو يرى درء خطر وحدتهم باستعمار الشعوب الأوربية واستغلالها واستنزافهـا لثروات المسلمين. وفـى هـذا المعنى يقول لورانس بـراون: «الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام، وفى قدرته على التوسع والإخضاع وفى حيوته: إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى»[١]

أما مجلة العالم الإسلامى[٢] The Muslim world فتقول: «إن شيئا من الخوف يسيطر على العالم الغربى، ولهذا الخوف أسباب منها:

أ - أن الإسلام منذ أن ظهر فى مكة لم يضعف عدديا، بل دائما فى ازدياد واتساع.

ب - ثم إن الإسلام ليس دينا فحسب بل أن من أركان الجهاد، ولم يتفق قط أن شعبا دخل فى الإسلام ثم عاد نصرانيا».

وهناك هدف آخر يضـاف إلى مـاسـبق وهو: التنفيس عن الصليبيـة، وعن الانهزامات التى منى بها الصليبيون طوال قرنين من الزمان، أنفقوهما فى محاولة الاستيلاء على بيت المقدس، وانتزاعه من أيدى المسلمين الهمجيين!! يقول اليسوعيون: «ألم نكن نحن ورثة الصليبيين؟ أولم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيرى، والتمدين المسيحى ولنعيد فى ظل العلم الفرنسى، وباسم الكنيسة مملكة المسيح»؟[٣]

---

(١) نقلا عن التفكير الإسلامى فى العصر الحديث وصلته بالاستعمار الحديث ص٤٦٦.

(٢) عدد يونية سنة ١٩٣٠ تحت عنوان (الجغرافيا السياسية للعالم الإسلامى).

(٣) التبشير والاستعمار ص١١٧.

يؤيد ماسبق قول المستشرق الألمانى بيكر: «إن هناك عداء من النصرانية للإسلام بسبب أن الإسلام عندما انتشر فى العصور الوسطى أقام سدا منيعا فى وجه انتشار النصرانية، ثم امتد إلى البلاد التى كانت خاضعة لصو لجانها»(١)

وإذن هدف التبشير: هو تمكين الأوربى المسيحى من الدول الإسلامية.

والأسباب التى ذكرت هنا توصل جميعها إلى هذا الهدف فسواء:

ا - أكان التنفيس عن هزيمة الصليبية.

ب - أم الرغبة فى الانتقام من الاسلام لأنه قام فى القرون الوسطى فى وجه المسيحية.

ج - أم تشويه صورة الإسلام فى عقل الغربى، وفكر المسلم.

د - أم توهين المسلمين وتمزيقهم فى التوجيه والاتجاه هو السبب المباشر فى التبشير، فإن نتيجته حتما، وعلى أى وضع هو تمكين الأوربى المسيحى من المسلم الشرقى ومن وطنه.(٢)

وهنا يبدو واضحاً أن التبشير مقدمة أساسية للاستعمار الأوربى، كما أنه سبب مباشر لتفريق المسلمين وبث الشحناء بينهم: «ولقد كانت الدول الأجنبية تبسط الحماية على مبشريها فى بلاد الشرق، لأنها تعدهم حملة لتجارتها وآرائها ولثقافتها إلى تلك البلاد، بل لقد كانت ثمة ماهو أعظم من هذا عندها: لقد كان المبشرون يعملون بطرق مختلفة كالتعليم مثلا على تهيئة شخصيات شرقية لاتقاوم التسلط الأجنبى»(٣)

---

(١) التفكير الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص٤٦٧.

(٢) انظر المرجع نفسه.

(٣) التبشير والاستعمار: ص٥٠.

نظرة العقل الغربى إلى الإسلام

مما سبق يتبين أن العقل الغربى - عموما- يقف إزاء الإسلام فى نقطة التوازن بين الشد والجذب باتجاهين متناقضين :

أ- النزعة العلمية الموضوعية ب- والنزعة التخريبية ، وكل ما يرتبط أوبوازيها من احساس استعلائى تجاه كل ماهو شرقى ، ورغبة منفعية فى تدمير ثقة الشرقيين بأنفسهم .. إلخ .

بعض الغربيين يقدر على تخليص نفسه من أسر هذه النقطة فيميل إلى معالجة مايتعلق بالإسلام معالجة موضوعية ويقترب من الحقيقة ، بينما يندفع بعضهم الاخر باتجاه القطب المعاكس ، فيقف موقفا مضادا ، يتأرجح بين السباب والشتيمة ، وبين الحكم المنحاز المغطى من الخارج برداء العلمية وماهو منها بشئ .

وتبقى سائر المواقف الأخرى كالموجب والسالب، متحركة على طرفى (النقطة) قربا أو بعدا . إن ماقدمه الغربيون عامة والمستشرقون والمبشرون على وجه الخصوص يتضمن الأبيض والأسود ...، وليس كله سواء ، بل إن الرجل منهم قد يتضمن كلامه : الأبيض والأسود معا ، لأسباب منها : قوة الجذب المشار اليا آنفا ، ومنها الجهل ببعض المسائل ، ومنها التأثيرات الذاتية والثقافية [1] .. الخ .

يقول سير هاملتون جب : « إن العقل الغربى الحديث يعسر عليه بوجه خاص، أن يقوم بمحاولة استكناه طبيعة المواقف الدينية لدى أناس تختلف نظرتهم إلى الكون اختلافا بعيدا عن نظرة (الغربى) ، لأن الدين سواء أكان فى صورة قوية محسوسة، أو قوة ذات أثر روحى ، يتطلب تدريب ملكة الإدراك الحدسى ، أى يتطلب طفرة العقل التى تعبر خضم كل تلك المعلومات والمناهج المتبعة فى التحليل العقلى .

(١) انظر د. عماد الدين خليل : قالوا عن الإسلام ص١١ . الندوة العلمية للشباب الإسلامى ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م ، المملكة العربية السعودية الرياض .

وتتخطى حدوده لتستكنه بالتجربة المحسوسة ، وعلى نحو مباشر عنصرا من العناصر القائمة فى طبيعة الأشياء مما لايستطيع العقل أن يصفه أو يحدد هويته. « الإيمان و الثقة بما يرجى ، والإيقان بأمور لاترى » .

أما الرجل الغربى النموذجى الذى ورث الفكر الانجليزى العقلانى ، وقيم القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وأصبح موجها عقليا بقوة ذلك الفكر ، أو بقوة الفكر الألمانى ، وقيم السنوات المائة والخمسين الماضية ، فقد هزلت وأهملت لديه ملكة الحدس حتى أنه ليأبى أن يسلم بمحض وجودها ، ولذلك أصبحت أحكامنا الدينية – نحن الغربيين – شديدة الاختلال » [١] .

وهنا يجب أن نقف قليلا عند مسألة (حدود النص) أو (الشاهد، وضرورة عدم ممارسة الاقتطاع القسرى إزاءه ، فهناك فرق بيّن – بطبيعة الحال– بين خطيئة الاقتطاع القسرى للشاهد لتأكيد فكرة مافى سياق معين قد يصل الى أهداف ومواقع لم يفكر فيها صاحب النص أساسا ، وبين استقصاء الشهادات الإيجابية التى صدرت عن حشد من المفكرين الغربيين ، من بين سيل من المعطيات تتميز بموقفها السلبى من الإسلام ، مرة أخرى فإن ماقيل فى الإسلام من مواقع التحزب والخصومة والمصالح والظنون والأهواء كثير جدا ، وليس ثمة من لم يغترف من سيله الطامى ، ولو غرفة بيدة لكى يطلع على ماتتضمنه [٢] .

إن أقوال الغربيين تضمن طبقات يلى بعضها بعضا هبوطا: فهناك طبقة التشويه، فالتشكيك ، فالنفى الذى مارسه العقل الغربى كثيرا إزاء مايعتبر فى

---

(١) هاملتون جب : دراسات فى حضارة الإسلام ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٢) انظر : قالوا : عن الإسلام ص ١٢ ، ١٣ باختصار .

المنظور الإسلامى من قبيل البداهات والحقائق المسلم بها [1] .

نحن إذا « فى عصر التعصب والتباغض والخصام الذى يصنعه دين سماوى منحرف حينا ، ومذهب وضعى حينا آخر ، التباغض والخصام بين دين ودين ومذهب ومذهب ، ومايسوق اليه من صراع كثيرا ماتسبب فى إراقة انهار من الدماء البريئة ، وكما تتراكم الخبرات الثقافية ، والحضارية عموما بمرور الزمن ، فتزداد نضجا وتعقيدا واتساعا فى الطول والعرض والعمق فإنه فى مقابل هذا ، وعلى الجانب السلبى من حركة الزمن ودلالاتها تلتقى بتراكم خبرات ، أو بشكل أدق تجارب وذكريات الحقد الدينى والطائفى والمذهبى لكى تبلغ فى قرننا هذا شأوا بعيدا مترعا بالحزن والمرارة »[2] .

العقل الغربى بسبب من حيويته وتوقده ، يمثل عبر القرن الأخير على وجه الخصوص ، مركز ثقل خطير فى دائرة التصور والفكر والحياة وبما أن الدين - ابتداء - يقدم برنامجا للفكر وتصورا للحياة ، فإن تفحص موقف هذا العقل من الدين ، يعد ضروورة بالغة إذا ما أريد وضع اليد بشكل محدد على المساحة التى احتلها ، ويحتلها وسيحتلها الدين فى خارطة الوجود البشرى [3] لامحالة.

هذه مسألة ذات طابع عام يتضمن مطلق الأديان ، وبما أن العقل الغربى قد قال كلمته - أكثر من مرة - فى الدين المسيحى الذى يعد - إلى حد كبير - القوة

(1) انظر د عماد الدين خليل : المستشرقون والسيرة النبوية بحث مقارن فى منهج المستشرق البريطانى مونتجمرى وات نشر فى « مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية الجزء الأول : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، صدر فى اطار الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجرى .

(2) قالوا عن الإسلام ص٢١ .

(3) قالوا عن الإسلام ص ٢٣ .

الدينية الوحيدة الموازية للإسلام ، فى الديمومة والانتشار ، وبما أن هذا العقل قد أعلن أكثر من مرة رفضه للنصرانية ، وانسلاخه عنها بسبب من نقاط الارتطام العديدة بينه وبينها ، فإننا نريد أن نتفحص هنا بعض مايريد أن يقوله فى الدين الآخر : الإسلام (١) .

لقد عانى هذا العقل ، ولايزال من حواجز الرؤية الموضوعية - التى تمكنه من معاينة – الإسلام عن كثب ، والحكم عليه بالتجرد والعلمية التى ينادى بها هذا العقل ويتخذها منهج عمل له فى التعامل مع الظواهر والموجودات (٢) ..

هذه الحواجز ذات الجذور العميقة والطبقات المتعددة ، جعلته ، عبر قرون متواصلة ، يقول فى الإسلام مايرتطم – ابتداء – ببداهات الروح العلمية التى يؤمن بها ويلح عليها ، وهنا عبارة للمستشرق البريطانى (٣) يقول : « إذا حدث وأن كانت بعض آراء العلماء الغربيين غير معقولة عند المسلمين ، فذلك لأن العلماء الغربيين لم يكونوا دائما مخلصين لمبادئهم العلمية ، وأن آراءهم يجب إعادة النظر فيها من وجهة النظر التاريخية الدقيقة ».

ويقول نفس المستشرق : « إن موقف العلماء الغربيين كان غالبا سيئا لما يبدو أنه يتضمنه من انكار لمعتقدات الإسلام الفقهية ، ولذا كانت الدراسات الغربية عن القرآن غير موفقه حتى من وجهة نظر أفضل العلماء » (٤) .

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) هو مونتجمرى واط فى كتابه : محمد [ﷺ] فى مكة ص ٦ .

(٤) المرجع السابق ص ٥٥ ، ٥٦ .

وبمقدور المرء أن يتابع سيلا عرما من الكتابات والأقوال فى الإسلام ، تدفقت عبر أربعة قرون أو خمسة فإنه غير واجد فى معظم مساحاته إلا الكدر الذى يحجب نفاذ الرؤية الى الأعماق (١) .

هذه مسألة تكاد تكون معروفة للجميع ومهمة هذا البحث إثبات ، مايقوم به المبشرون والمستشرقون من محاولات دائبة لغزو عقول المسلمين بالفكر الضال وبالنصوص المحرفة ، وإثبات ان مايقولونه هو الصواب الذى ينبغى إتباعه ، ومن ثم لابد من التعريف الموجز بالإسلام :

الإسلام رسالة الله عز وجل الأخيرة إلى البشرية تدعمها :

الأدلة الآتية : « قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا » .

الأعراف : ١٥٨ .

« تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » القرقان : ١ .

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » . سبأ : ٢٨ .

« وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا » . النساء : ٧٩ .

ومحمد ﷺ هو خاتم النبيين والمرسلين لقوله تبارك وتعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » الأحزاب : ٤٠ .

« يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » الأحزاب : ٤٥ .

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك » المائدة : ٦٧ .

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . الأنبياء : ١٠٧ .

« وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » . آل عمان : ١٤٤ .

« يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر » . المائدة : ٤١ .

---

(١) قالوا عن الإسلام ص ٢٤ .

فهذه الايات وغيرها فى القرآن الكريم : تدل دلالة مؤكدة على أن محمدا ﷺ نبيا ورسولا، جمع بين النبوة والرسالة فهو خاتم النبيين وخاتم المرسلين ﷺ .

إن الإسلام رسالة الله عز وجل الأخيرة للبشرية حقيقة تحمل أهمية كبرى ، بقدر مايتعلق الأمر بفئتين من غير المسلمين ظنت إحداهما أن رحلة الأديان توقفت عند موسى عليه السلام ، وأخذت طابعها الأخير على يديه فليس ثمة بعده من نبوة ، ولا بعد دينه من دين ، وظنت الفئة الأخرى ، أنه ليس بعد المسيحية من دين اخر ، ومع مرور الزمن ثبتت كلتاهما عجزها عن قيادة الحياة ، والإنسان ، وملاحقة المتغيرات الفكرية والحضارية ، وبعد أن أخفقتا فى الاستجابة للتحديات التاريخية المتجددة التى لاينقطع سيلها ، ترك الحبل على الغارب ، ودعى الانسان ، الذى لم تقدر النصرانية على أن تأخذ بيده حتى النهاية ، دعى لكى يستجيش قدراته العقلية، وينقذ نفسه بنفسه ، وفق برامج عمل مرحلية ، تسلمه الواحدة منها للأخرى ، معتقداً أنه بهذا وحده قدير على ملء الفراغ ، ومنح الانسان القدرة على اجتياز رحلة الحياة على هدى وبينه .

وليس ثمة مجال للتأكيد هاهنا على اخفاق هذه المحاولات الوضعية المتواصلة، وبقاء الانسان معلقا ، من عنقه فى فضاء مخيف ، وليس ثمة من يمد يده إليه لكى يخلصة ويهديه سواء السبيل (١) .

عشرات بل مئات من المحاولات كانت الحياة نفسها محك اختبارها وكان فشلها – فى نهاية الأمر – معيار عدم قدرتها على أداء الدور الذى أريد للأديان أن تؤديه لصالح الانسان.

---

(١) قالوا : عن الإسلام ص ٢٧ بتصرف واختصار .

وهكذا فإن اعتبار الإسلام هو « الدين الأخير » يحمل أهميته البالغة ، ليس فقط فى دحض قناعات الفئتين آنفتى الذكر ، اللتين تشكلان المساحة الأكبر من البشرية ، بل باعتباره الدين الوحيد الذى يتحتم الانتماء اليه ، والعقيدة المتفردة من بين كل العقائد السماوية التى نسخها هذا الدين ، أو الوضعية التى أثبتت نسبيتها وعدم قدرتها على أداء مهمتها فى القيادة المتواصلة ، الناجحة للإنسان والحياة ،.. المستجيبة – أبدا– للمتغيرات والتحديات [1] .

ومن المميزات للدين الإسلامى ، باعتباره الدين الأخير الناسخ لماسبقه من أديان بدليل : « إن الدين عند الله الإسلام »[2] ، « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه » [3] .

فالإسلام هو الدين – القادر – على مواصلة الطريق حتى النهاية ، لما لديه من ميزتان أساسيتان :

أولاهما : عقيدة تتعلق بطبيعة الارتباط بين الإسلام ، وبين كافة الأديان السماوية التى سبقته .

وثانيتهما : حيوية تتعلق بقدرة هذا الدين على قياة الحياة البشرية ، وتمكنه من تلبية حاجيات الانسان ، بغض النظر عن اختلاف الزمن والمكان ، وتفاوت البيئات والأحوال[4] .

---

(١) انظر المرجع نفسه .

(٢) آل عمران: ١٩.

(٣) آل عمران : ٨٥ .

(٤) انظر قالوا : عن الإسلام ص ٢٨ ، وراجع للباحث: قبسات من الثقافة الإسلامية موضوع: «الدور الذى ينتظر هذه الأمة» ص١٩٢ ومابعدها .

إن اختيار هاتين الميزتين ، ليس من قبل المسلمين أنفسهم الذين يسلمون بهما تسليما قطعيا ، وإلا ماعدوا مسلمين ولا اقتنعوا بأحقية هذا الدين فى الانتماء اليه ... إن اختيار هاتين الميزتين ، والاقتناع بصدقهما وواقعيتهما ، يمنح الانسان غير المسلم قناعة كافية ، من بين قناعات أخرى كثيرة ، بأن دينا كهذا يستحق التقبل والانتماء اليه (١) .

إن القرآن الكريم ، والسنة النبوية لا يؤكدان فحسب « تصديق » الإسلام لكافة الأديان السماوية التى سبقته ، وهيمنته على روحها وجوهرها ، وصهره معطياتها الأصيلة فى كيان دينى متوحد ذى نسيج ، ولكنهما يتجاوزان ذلك بما يتضمنانه من حشود الصيغ والمفرادات الى تأكيد مشهود لحقيقة أن الإسلام هو خاتم الأديان السماوية جميعا ، وجوهرها وروحها ، وأنه كاخر محطة فى مسارها الطويل ، سيحمل كل ماتكفلت حمله من قيم وأهداف وخبرات سعت جميعا عبر أماكن وأزمان متفاوته و لتأكيد أهميتها للإنسان ولتنفيذها فى واقع الحياة (٢) .

والأدلة على تصديق الإسلام للأديان السماوية التى سبقته .. قبل تحريفها :

قول الله عز وجل : « نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقا لمابين يديه وأنزل التورات والانجيل » آل عمران : ٣ .

« وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتينكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين « آل عمران : ٨١ .

« وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه .. » المائدة : ٤٨ .

(١) قالوا عن الإسلام بتصرف واختصار .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٩ .

وقوله عز شأنه : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » يوسف : ١١١ ، وراجع سورة يونس : ٣٧ ، والاحقاف : ١٢.

إن اشتمال القرآن الكريم لمعطيات الأديان السابقة فى أصولها الصحيحة ، دفع الكثير من الدارسين الى ذلك الوهم المعروف ، وهو أن محمدا ﷺ قد تعلم من تلك الأديان وأخذ عنها ، والأمر ليس كذلك ، فإن ماتقضه الإسلام نفسه من تحريفات تلك الأديان ، التى ظن أصحابها ولايزالون أنها من صلب أديانهم ، وماطرده من أجسام غريبة – وثنية الأصول فى كيان هذه الأديان المساوية ، يؤكد أن محمدا ﷺ ، لم يبعث لكى يتلقى فحسب ، أو يرفض فحسب ، ولا حتى لكى يمارس عملا انتقائيا إزاء مفردات الأديان السابقة ، لكى يركب منها دينا جديدا ، وإنما المسألة على خلاف هذا كله ، فيما يبدو واضحا من كتاب الله سبحانه ومن سنة نبيه ﷺ : تنزيل دين جديد متميز فى طبيعة نسيجه ، والأهداف التى دعا الى تنفيذها ، وفى الوقت نفسه ليس معزولا عن تراث النبوات السابقة في التحريف .

إن الإسلام ما كان يتهاون أبدا مع كل مامن شأنه أن يمس شخصيته المتميزة، ودعوته المتفردة للتوحيد المطلق ، مما طرأ ويطرأ على الأديان السابقة ،، مما هو غريب عن نسيجها ذى الخيوط الواحدة الممتدة من السماء [1] .

يفهم مما سبق أن الإسلام ليس بدعا من الأمر ، وأن كل أبناء الأديان الأخرى مدعوون للإنضواء اليه ، لأنهم بهذا وحده سيكونون صادقين مع أنفسهم ملبين مطالب الدين الذى ينتمون اليه ، وأنهم بانتمائهم للدين الجديد « الإسلام» سيعززون القيم الأصيلة لأديانهم السابقة ، وسيمكنون لها فى الأرض ، إنهم بشكل من الاشكال ، مدعوون لمغادرة قطاراتهم التى انهكها المسير ، ونفد وقودها، والتحول

(١) انظر ص ٢٩ من : قالوا عن الإسلام .

الى قطار الإسلام ذى الوقود العجيب ، والذى أريد له أن ينطلق لكى يلف العالم كله ، وينقل الأجيال تلو الأجيال من ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الإسلام ، ومن عبادة العباد الى عبادة رب العباد تبارك وتعالى (١) .

إنه اختيار ليس صعب مناله أو تحقيقه ، والنتيجة التى يتوخاها الممتحن المخلص كائنة هناك فى نسيج معطيات هذا الدين ، منقوشة بوضوح متألق فى صفحات كتابه وكلمات رسوله ﷺ .

ومن المتيقن أنه بمجرد أن يتبين هذا اللقاء المرسوم بين الإسلام وبين اشقائه الذين سبقوه على الطريق ، بمجرد أن يتضح هذا العناق فى الروح ، وفى الجوهر، بين الأديان السماوية جميعا ، وقد تبين هذا وذاك فعلا ، فإنه سيكون بمثابة واحد من الإغراءات الأشد إثارة ، من الوعد المقنع ، بأن الانتماء لهذا الدين ليس خيانة ولاهرطقة ولا مروقا ، ولكنه الصدق مع الله ، والصدق مع النفس والضمير ، والتوحد الأكثر حيوية وعطاء مع حركة الدين السماوى فى هذا العالم ، إن الانتماء الى «الإسلام» دين الله الحق ، هو بمثابة دعوة للحنفى واليهودى والنصرانى ، فضلا عن الوثنى والملحد (٢) .

(١) انظر المرجع نفسه .

الإسلام أعظم رسالة إلى الوجود

هذا الدين الذى هاجر النبى ﷺ من أجل نصرته وإعلاء كلمته منذ أربعة عشر قـرنا ، من مكة المكرمـة الى المدينة المنورة ، فكانت هذه الهجرة فرقانا بين الحق والباطل مما حمل الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يجعلها مبدأ للتاريخ الإسلامى .

فكيف يتسنى نشر مبادئ هذا الدين القيم لنعرف العالم بحقيقة الرسالة الإلهية التي يحملها القرآن الكريم نورا وهدى وتكريما ، وعزة للانسان فى كل زمان وفى كل مكان ؟

إن ذلك – لا ريب – يتحقق عن طريق تعميم القرآن الكريم على أسس علميـة واعية مسؤلة لإطلاع شعوب العالم غير الناطقة باللغة العربية، على حقيقة القرآن وروح القرآن .

إن شبابنا شباب مثقف لا تنقصه الكفآت ، إنه شباب قد حصل ثقافة عالية ، ونال شهادات مرموقـة من جامعات عالية ، وتثقف باللغات ، وهـو شباب مؤمـن يعى قيمة دين الإسلام فى صلاح المجتمع (١) .

وبما أن الإسـلام ، هو أعظم رسـالة للوجـود ، فـقـد أنزل القرآن الكريم على أكرم رسول هو محمد ﷺ .

---

(١) انظر د . محمد صالح البنداق : المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ص ٥ ، ٦ . دار الآفاق الجديدة. بيروت ط الأولى ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠ م ، ودلالة كلمة « القرآن » كما قال الشافعى رحمه الله تعالى : « إن القرآن الكريم اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله تعالى » وهو ما اختاره السيوطى وهو مانطمئن إليه ، فيقول : « والمختار عندى فى هذه المسألة مانص عليه الشافعى» ص ١٢ ، ١٣ من « المستشرقون وترجمة القرآن الكريم »

وكان لنزول القرآن الكريم تبيانا وموعظة للناس مقصدان :

المقصد الأول : الهداية الى مافيه صلاح الناس فى معادهم ومعاشهم ، وتنظيم عبودية الانسان لربه سبحانه ، وكلها تكريم للإنسان ، وعلاقته بنفسه وبأخيه وبسائر الكائنات .

المقصد الأخر : أن يكون هذا الكتاب العظيم آية شاهدة مصدقة لما يبلغ النبى ﷺ عن الله تبارك وتعالى ، باعتباره معجزة أعجز أفصح البلغاء عن الأتيان بمثله .

فمن استقراء التاريخ يبدو ، أن عرب الجزيرة كانوا ينتظرون ارهاصاصات من السماء ، وكان بينهم الأمين محمد ﷺ « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جائتهم آية ليؤمنن بها »(١) .

وكانوا سادة البلاغة ، والبلاغة فخرهم : تهزهم القصيدة العصماء ، فترفع منهم قوما ذلوا ، أو تذل قوما عزوا ، فكانت إرادة الله تعالى أن يختار منهم محمدا ﷺ ليجعل منه نبيا رسولا يحمل إلى الناس قاطبة معجزة خالدة تتحدى الزمان والمكان هى عين البلاغة التى تهز العرب والتى هى فخرهم ، وميزتهم بين شعوب الأرض .

فلئن كان الروم يفخرون بالطب والنجوم ، والفرس باللغات والسياسة ، والصين بالصناعة والأصباغ ، والهند بالحساب والعلاج ، فالعرب افتخروا ببديع الشعر وبلاغة المنطق ، وتعريب الكلام ، إلى جانب فنون أخرى كالقيادة وفن الحرب ، وتعرف الأنواء والتبصير بالخيل ، والحفظ للمسموع .. الخ فأتاهم الله سبحانه بكتاب معجز « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »(٢) ..

---

(١) الأنعام : ١٠٩ .

(٢) فصلت : ٤٢ .

عجزوا عن تحديه ، أوعن الاتيان بسورة من مثله ، وقد طالما نعتوا النبى ﷺ بأوصاف تدل دلالة واضحة على حيرة نفوسهم ، لأن هذه الأوصاف مهما كانت جارحة ، فإنها لا تؤدى مرادهم بعد أن وقفوا عاجزين عن تحدى القرآن الذى تحداهم[1] ..

انظر حديث الوليد بن المغيرة ، وعتبة بن أبى ربيعة ، سفيرا قريش لدى النبى ﷺ بمهمة أقناعه بترك الدعوة وعدم تسفيه الهتهم .. راجع صدر سورة فصلت ، فعلى مر القرون والأزمان لم يحظ كتاب بمثل ما حظى به القرآن الكريم من عناية وحفظ دون إكراه ، وظل هو هو بفصه ونصه ، كما أوحى به الى النبى ﷺ لفظا ومعنى ، عبر الأجيال دون أى تحريف ، وليس بصحيح كما ثبت من معطيات التاريخ التى لايرقى اليها الشك ولا إلى كاتبيها ، بأن القرآن حمله العرب على رؤوس الرماح عندما فتحوا البلدان ، فالقرآن لم يكن محمولا على الرماح ولا بالسيوف ، إنما فى شغاف أفئدة المؤمنين به الذين ما حملوا السلاح ليرهبوا الناس ، بل حملوه دفاعا عن أنفسهم وعقيدتهم .

« إن الفتح الإسلامى نسيج وحده فى تاريخ البشرية ، لا يشبهه فتح ولايدانيه، ولايقاس به ، ولم ينقل المسلمون الأولون بهذا الفتح الإسلام إلى الأمم، بل نقلو به الأمم الى الإسلام »[2] .

(١) انظر المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ص ١٥ .

(٢) لواء الركن محمود شيث خطاب : الفاروق القائد ، وانظر المستشرقون وترجمة القرآن ص ٥٠ .

خصائص الإسلام الأساسية :

أما عن خصائص الإسلام الأساسية ، فهنا محاولة للتأكيد من :

١- قدرة دين الإسلام الأبدية على الاستجابة لمطالب الانسان فردا وجماعة ، وعلى قيادته ، عبر الصراط الى أهدافه المرتجاه .

٢- إذا قلنا إن الإسلام جاء لكى يعالج كافة مناحى الحياة البشرية : الفردية والجماعية ، الروحية والمادية ، والتربوية والتشريعية ، فهذا من قبيل محاولة إثبات أن الشمس تطلع من الشرق ، إن المطلع على طبيعة هذا الدين ، والمتفحص لتركيبه، يعرف أنه ماجاء ليعلم الناس الصلاة فحسب، بل لكى يقودهم فى الحياة ويرشدهم، وفق برنامج عمل مرسوم ، إلى مايجب أن يفعلوه وما يجب ألا يفعلوه فى مسائل الحياة جميعا (١) .

٣- إن هذا الدين بمثابة « الضرورة » الدائمة ، أو الحتمية الوحيدة للإنسان والجماعة البشرية إذا أراد ، وأرادات أن ترجع الى فطرتها الأصيلة ، وتستعيد توازنها المفقود، وتتجاوز تبعثرها وانشطارها وتعاستها .

فمن يستطيع أن ينكر مايتضمنه الإسلام من توازن بين كافة الثنائيات ، والوفاق بينها ، بينما هى فى سائر الأديان والمذاهب الأخرى تصطرع وتتقاتل ، وينفى بعضها بعضا ، .. إنه مامن دين أو مذهب - كالإسلام - قدر على لم هذه الثنائيات فى صميم الكينونة الانسانية ، فى تركيب الجماعة البشرية .. وتحويلها بالتناغم والتلاؤم إلى قوى توحد ، ودفع وانسجام فى مسيرة الانسان . إنه اللقاء الموزون بين الظاهر والباطن ، والحضور والغياب ، والمادة والروح ، والقدرة والاختيار،

(١) انظر قالوا عن الإسلام ص ٣١ .

والضرور والجمال، والطبيعة وماوراء الطبيعة ، والتراب والحركة والوحدة والتنوع ، والفردية والجماعية ، والأخلاقية والمنفعية ، والعدل والحرية ، والوحى والتجريب ، والدنيا والأخرة والفناء والخلود ... هذا اللقاء يشكل - بحق - واحدا من نقاط الجذب فى الإسلام (١) .

٤- من يستطيع أن ينكر قدرة الإسلام على تلبية مطالب الانسان أيا كان موقعه فى الزمان أو المكان ، وأية كانت درجة رقيه وتحضره ؟ إنه يخاطب ويخطط لعناصر الديمومة والاستمرار فى كيان الانسان ، ونسيج العلاقات الاجتماعية ، تلك؛ العناصر التى تعلو على المتغيرات ، وتتجاوز عوامل التعرية والتآكل التى تأتى بالغناء عن الكثير من القيم والخبرات الموقوته ، إنه إذ يفعل هذا فكأنه يتجاوز معضلة «المرحلية» التى أسرت ولاتزال الكثير من المذاهب والأديان ورفعتها الى الزوايا الضيقة ، فما لبثت حركة التاريخ أن تجاوزتها ، أو أرغمتها على الانسحاب من معترك الحياة .... لقد كان الإسلام وسيظل هو الاقدر من بين سائر المذاهب والممارسات ، على تلبية حاجيات الانسان وتطمين منازعه ، إن مجرد تفحص سيل المنتسبين الى دين الإسلام فى القرن العشرين .. يتبين لنا كم أن الإسلام قدير على تلبية مطالب الانسان ، دون ان يشكل انضواء الانسان اليه أى ارتطام على الإطلاق بين حالته التاريخية ، أو الحضارية ، وبين الصيغ والخرائط التى يلزمه الإسلام باعتمادها والاسترشاد بها عبر اجتيازه رحلة الحياة الدنيا (٢) .

٥- ومن يستطيع ان ينكر أن الإسلام جاء لكى يهدى الانسان ككيان بشرى فى كافة مكوناته ، وعلى قدر احتياجاته من غير زيادة أو نقصان ، وأنه بينما جنحت المذاهب والنظريات صوب جانب فحسب من جوانب الكينونة البشرية : العقل،

---

(١) المرجع نفسه ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) انظر قالوا عن الإسلام : ص ٣٢ .

أوالروح أو الغرائز ، أو الجسد ، أو الحس ، أو الوجدان .. الخ حتى عانت من التضخم والورم المرضى نجد الإسلام يتقدم بهندسته المعجزة لكى يتعامل مع الانسان بمكوناته كافة ، وإذا قلنا إن الإسلام هو رسالة الله عز وجل الأخيرة الى البشرية ، فإنه يكون من قبيل التناقض ألا يتضمن ميزة « التلاؤم» الكامل مع الإنسان فإن الله سبحانه وتعالى هو الذى أدرى بخلقه « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » بلى إنه يعلم ويعرف فى الوقت نفسه المنهاج الذى يصلح للإنسان ، ويأتى موازيا لحجمه ، ملائما تماما لدوره فى الأرض ، إن المؤمنين يعرفون هذا جيدا ، وهم يعيشونه صباح مساء ... لقد كان المسلم يعرف دائما أن إحدى مزايا دينه هو هذا التلاؤم بينه وبين الإنسان ، أما غير المسلمين فإنهم كثيرا ما اختبروا هذا الجانب ، فأكد لهم الاختبار صدق المقولة ، مما دفع بعضهم أن يعلن أنتماءه اليه (1) .

٦- ومن يستطيع أن ينكر – كذلك – حركية هذا الدين ، أو ديناميته الأبدية : وقدرته على ملاحقة المتغيرات، واستجابته للتحديات ، حضوره الدائم في مواجهة الأحداث والخبرات ؟ من يستطيع رغم مرور الإسلام بفترات اختناق وتصلب ، طالت حينا وقصرت أحيانا ، أن يقول بأنه « ما استرجع قدرته على الفعل والحوار فى أعقاب كل توقف ، أو أنه فقد قدرته على الجدل إثر كل اختناق .

٧- إن بمقدور المرء وهو يتفحص هذا الدين ، أن يلمح فى تركيبه خطين متوازيين كان وجودهما معا بمثابة حماية لذاتية الإسلام ، وتمكين له فى الوقت نفسه من التحرك والانفتاح لكى يجابه سائر الحالات والمتغيرات ويستجيب لمختلف الخبرات والتحديات(2) .

---

(١) انظر المرجع نفسه ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) انظر قالوا عن الإسلام ص ٣٣ .

أما الخط الأول فيتمثل بعناصر الديمومة والثبات التى لايلحقها التغيير، لكونها حقائق أبدية .. وأما الخط الثانى فيتمثل فى تلك الأمكانات الميسرة التى منحها الإسلام أتباعه ، كى يجتهدوا وأن يجابهوا بها المتغيرات .. استنادا الى الاسس والعناصر الدائمة الثابتة ، وهكذا يقطع الإسلام القرون تلو القرون وهو يحمل قدرته المزدوجة على حماية ذاته فى مواجهة العالم ، فيما لم تشهده أية عقيدة أو مذهب آخر .

٨- إن وحدة الدين والحياة ماتحققت يوما ماكما تحققت فى إطار هذا الدين، وإن ماقاله كبار الدارسين للإسلام كن غير أبنائه يؤكد صموده للاختبار فى هذا الجانب الحيوى وتفوقه فيه .

٩- إنه لا الأديان المحرفة ، ولا المذاهب الوضعية ، بقادر على أن تلم دفعة واحدة هذه المميزات مجتمعة نعم إنها قد تألقت فى هذا الجانب أو ذاك ، ونالت إعجاب الناس لهذه الميزة أو تلك ، ثم مالبث هذا التألق أن انطفأ ، بعد مرحلة زمنية محددة . ثم تحول الاتباع إلى عقائد ومذاهب أخرى ، بما كانوا قد انتموا اليه يوما ما كما يفعل الكثير من الناس ممن كانوا نصارى ، أو ماركسيين فى يوم ما من الأيام[1] .

أما فى الإسلام فإننا نجد حشدا من المميزات ، وقدرة فى الوقت نفسه على تجاوز أسر الزمان والمكان ، والامتداد الدائم عبر الحالات والمتغيرات والتحديات ، لكسب الانسان ، ومنحه القناعة بتفرد هذا الدين وتميزه على المذاهب والنظريات ، وهذا يبدو واضحا فى قرننا العشرين بسبب مامنى به الانسان من خيبة أمل ، وهو يتعامل مع هذه المذاهب والنظريات[2] الوضعية التى تملأ الأرض.

(١) انظر قالوا عن الإسلام ص ٣٤ .

(٢) انظر قالوا عن الإسلام ص ٣٤ .

نظرة فى معلومات المستشرقين عن الإسلام

المعلومات عن الإسلام والمسلمين تمتد زمانيا إلى أكثر من ألف وأربع مائة سنة .

كما تمتد مكانيا فتشمل العالم القديم والحديث على حد سواء ، وإن كان منشأ هذه المعلومات قد انبعث من مكة المكرمة، ثم المدنية المنورة ، مع بعثة محمد ﷺ إلى الناس كافة .

وتمتد لغويا بحيث تشمل اللغات العالمية الحية ، وبعض غير الحية ، وإن كانت اللغة العربية هى الأساس فى نقل المعلومات الإسلامية ، وبها نزل القرآن الكريم، وتحدث بها المسلمون الأوائل ، ولايزال كثير منهم يتحدث بها ، ويكتب ويحاضر..الخ .

وتمتد وعائيا فتشمل الأوعية التقليدية من المخطوطات والكتب ، وغير التقليدية من المطبوع وغير المطبوع ، وهى معلومات مشاعة لايملك أحد من الناس الحجز عليها ، فهى متاحة للجميع ، وليس لدى المسلمين اجراءات كهنوتية ، أو غير كهنوتية تحجب معلوماتهم عن بعض منهم أو عن غيرهم ، ومن أجل هذا كان الاشتغال بعلوم المسلمين الأصلية والفرعية متاحا للمسلمين ولغيرهم .

والحديث عن الاستشراق والمستشرقين حديث لايخلو غالبا من تدخل الهوى وسيطرة العاطفة على المنتمين الى الثقافة التى يتحدث عنها المستشرقون ، ذلك أن الاستشراق يطرق موضوعات ذات صلة قوية بالمبادئ والمثل التى تقوم على الدين ثقافة وفكرا [1] .

---

(١) انظر بحث الدكتور على ابراهيم النملة رحلات المستشرقين ص ٣٩، ٤٠ منشور فى مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية المجلد الأول العدد الأول : المحرم جمادى الأخرة ١٤١٦هـ - يوليو ديسمبر ١٩٩٥ .

وينبغى تدقيق النظر الى الاستشراق المهتم بالإسلام على أنه ميدان واسع طرق علماؤه مجمل فروع المعرفة الإسلامية وعلوم المسلمين بدءا بالقرآن الكريم وعلومه ، والسنة النبوية ، وسيرة الرسول ﷺ ، وعلم الرجال ، والفقة والعقيدة ، والمعاملات والظاهرات الاجتماعية فى الزمن الذى مضى وفى الوقت الراهن ،، إن الاستشراق والمستشرقين ظاهرة من الظاهرات التى صحبت انتشار الإسلام وعلومه فى العالم القديم والحديث [(١)] .

شهادة على تعصب فريق من المستشرقين : يقول المستشرق ستوى [(٢)] « إنكم فى البلاد العربية تعتقدون أن جميع المستشرقين متعصبون على الإسلام ، وما أرى هذا الاعتقاد صحيحا دون قيد ، نعم ، إن هناك فريقا تعصب بحكم صنعته التى يرتزق منها ، ولكن هذا الفريق معروف عندنا كما هو معروف عندكم ، وليس من الانصاف أن يشمل الحكم جميع الباقين ، إن الذين خدموا العربية كثيرون ، وقد حاولوا أن يكونوا منصفين فى أبحاثهم بقدر مايمكن للإنسان أن يكون منصفا »[(٣)] .

---

(١) هناك نقاش حول كنه الاستشراق من حيث كونه ظاهرة أو علما ، فبعض المفكرين المسلمين يرى أنه مجرد ظاهرة لا ترمى الى أن تكون علما ، لافتقارها إلى مقومات العلم من حيث وجود نظرية وأطر علمية يسير عليها مثله فى ذلك مثل التنصير والاستعمار ، بينما يرى مفكرون أخرون أنه علم قائم بذاته له أطره وأهدافه ووسائله.

(٢) مستشرق انجليزى عمل استاذا للغة العربية بجامعة «عليكرة» فى الهند ، ثم فى كمبردج ثم تفرغ لدراسة الأدب الفارسى ، ويذكر الاستاذ نجيب العقيقى : أنه يملك « أعظم مكتبة خاصة شرقية فى انجلترا » .

انظر المستشرقون : ٣ ط ٤ القاهرة : دار المعارف ١٩٨٠م ، ٢ : ١١٨ ، ١١٩ .

(٣) على حسنى الخربوطلى : المستشرقون والتاريخ الإسلامى ص ١٠٢ : الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٨م .

إن القارئ العربى كثيرا ماتعتريه حالة من الريبة والشك حيال كتابات الغربيين .. لكن الحق يجب قبوله أيا كان مصدره والباطل لايتوقف رفضه على معرفة مصدره ، وفى كتابات القوم قد يشوبها عنا شوائب من الخطأ لا ينبغى أن تكون حائلا بيننا وبين المعرفة ،عن كل ما يكتب عن بلادنا وتاريخها ، نقبل الحق وننتفع به وننفى الزيف ونرده على من زيفه [1] .

فالاستشراق إذن هو اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين بغض النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية [2] ، ومما ينبغى ملاحظته أن المجتمع المسلم فى القديم والحديث مثار اهتمام كثير من الثقافات الأخرى ، لمايحدثه هذا المجتمع من أثر على الحياة الاجتماعية ، بيد أن اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين يفتقر الى عامل مهم فى الدراسة الموضوعية والمنهجية ، وهو الانتماء لهذه الثقافة التى تنبع منها تلك العلوم والمعارف التى يدرسها غير المسلمين .. يقول المستشرق الألمانى أ.د. جريكة [3] : « .. ومما لاريب فيه أن النظر إلى الأشياء يختلف بين مفكر مسلم ، وبين مفكر لم يتخرج من مدرسة الإسلام ، تلك المدرسة المتورعة المتسامحة فى آن واحد ، فهو رجل لايفقه كلام الرسول ، إلا من سبيل الترجمة ، ولايستطيع التعبير إلا حسب منطق فكرى مباين ، فلابد إذن أن يؤدى ذلك إلى نتائج قد لاتكون نفس النتائج التى يصل اليه المفكر المسلم [4] .» .

---

(١) انظر د. على ابراهيم النملة : رحلات المستشرقين المقدمة ص ٣٩ .

(٢) انظر المرجع نفسه ص ٤١ .

(٣) مستشرق ألمانى معاصر ، كان رئيسا لقسم علوم الشرق والعصور القديمة بجامعة هالة بالمانيا.

(٤) من محاضرة أ.د حريكة فى الملتقى السنوى السادس للتعرف على الفكر الإسلامى الذى يعقد فى الجزائر : ٦/١ .

ومثل هذا ماقله (الفريد غيوم) (١) : « ليس هناك خطأ أكبر من خطأ بناء على حقائق عامة على أساس من المعارف الناقصة أو الضعيفة ، ومن لايعيش مع العرب (٢) لا يمكنه أن يلم الإلمام التام بأحوال وطباع ملايين المسلمين فى آسيا وأفريقيا، ولايمكنه أن يقول شيئا صحيحا ومؤكدا عن المجتمعات المتفرقة هنا وهناك، فلابد من التعايش كى يقوم أحدهم بالتعليق، أو الحديث عن الإسلام والمسلمين » (٣).

ومما سبق من الأقوال يقول الاستاذ محمد كر على (٤) : « ليس من المعقول أن نكلف من لم يتأدبوا بأدبنا ، ولم تعمل فيهم أحاسيسنا ولا دانوا ديننا أن يعتقدوا مانعتقد(٥) » .

هذا حق، لكن من حق المسلمين أن يطلبوا ممن يتحدثون عن الإسلام والمجتمعات الإسلامية أن يكونوا منصفين وموضوعيين .. ، ومن ثم « نحن لانطلب من

---

(١) تخرج فى جامعة أكسفورد ، عمل محاضرا للغة العبرية فى المعهد الملكى بلندن ، واللغات الشرقية درهام ، واستاذا زائرا للغة العربية بالجامعة الأمريكية ببيروت ، وكان عضوا فى المجمع العربى فى دمشق ، والمجمع العراقى ، كما عمل فى فرنسا ومصر ، من مؤلفاته : تراث الإسلام ، وأثر اليهودية فى الإسلام (ت ١٩٦٢م) انظر نجيب العقيقى المستشرقون : ١١٧/٢ ، ١١٨ ..

(٢) جرى على أقلام الكتاب الغربيين أن يعبروا عن المسلمين بالعرب .

(٣) نقلا عن د. على ابراهيم النملة : رحلات المستشرقين ص ٤٢ .

(٤) محمد كرد من مواليد دمشق ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م حرر جريدة الشام ، ثم الرائد المصرى ، ثم المؤيد ، ثم المقتبس ، كما عمل فى المجمع العلمى بدمشق مؤلفاته : خطط الشام ستة أجزاء ، وقفات مع الاستشراق والمستشرقين . راجع سيرته الذاتية فى : محمد كرد على : خطط الشام: ٣٣٣/٦ - ٣٤٧ بيروت مؤسسة الأعلى للمطبوعات ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

(٥) محسن جاسم الموسوى : الإستشراق فى الفكر العربى ص ١٩ . المؤسسة العربية للدراسات والنشر : ١٩٩٣م .

كل مستشرق أن يغير معتقده ويعتقد مانعتقده نحن عندما يكتب عن الإسلام ، ولكن هناك أوليات بدهية يتطلبها المنهج العلمى السليم ، فعندما أرفض وجهة نظر معينة لابد أن أبين للقارئ أولا و جهة النظر هذه من خلال فهم أصحابها لها ، ثم لى بعد ذلك أن أوافقها أو أخالفها »[1].

الاستشراق المعاصر: كان الأمل يرواد كل منصف أن يتغير موقف الاستشراق المعاصر عن سابقه، ولكن الواقع ان الاستشراق المعاصر يتكئ على الاستشراق القديم ، ولايستطيع الفكاك منه ، بيد أن هناك محاولات جادة لكنها بطيئة من بعض المستشرقين المعاصرين لتحسين صورة الاستشراق لدى العلماء والمفكرين والمثقفين المسلمين ، وتاكيدهم على النظرة المعاصرة للإسلام ، بعيدا عن التاثيرات الاستشراقية القديمة التى اتسمت بالهجوم المباشر على الإسلام والمسلمين من ناحية ، وأبراز الجهود العلمية القديمة التى أسهم بها المستشرقون ايجابا من ناحية أخرى مثل : « جون اسبوز يتور» [2] أحد تلامذة الاستاذ اسماعيل[3]

---

(١) د. محمود حمدى زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ٩٥ ط الثانية دار المنار ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

(٢) جون إسبوزيتو : مستشرق امريكى معاصر إيطالى الأصل ، تتلمذ على الاستاذ إسماعيل الفاروقى بجامعة تمبل بفيلادليفيا بولاية بنسلفانيا بأمريكا ، يعمل استاذا فى الأديان والشئون الدولية بجامعة جورج تاون بواشنطن ، رأس مجموعة من الهيئات المهتمة بالإسلام والشرق الأوسط ويرأس الان تحرير موسوعة العالم الإسلامى المعاصر التى ستنشرها جامعة اكسفورد ، وله آثار فى متابعة أوضاع المسلمين فى العصر الراهن ، انظر د. على ابراهيم النملة : رحلات المستشرقين ص ٤٤ هامش : ٢٦ .

(٣) اسماعيل بن راجى الفاروقى استاذ أمريكى من أصل فلسطينى عاش فى أمريكا ، ورأس قسم الأديان بجامعة تمبل بفيلادليفيا (توفى مقتولا فى رمضان سنة ١٤٠٧هـ) ، انظر المرجع السابق ص ٤٤ هامش ٢٥ .

الفاروقى رحمه الله تعالى فهو يحاول الانسلاخ من الاستشراق القديم ، حتى إنه ليكاد يخرج نفسه من المصطلح ، ويفضل أن يقال عنه إنه عالم إسلاميات و على أن يطلق عليه مصطلح (Orientalist) (١) .

مع هذا فإن معظم المستشرقين المعاصرين لايستطيعون النظر الى اقرانهم القدماء إلا نظرتهم إلى الرواد فى هذا المجال ، وإن لم يقبلوا جميع ماجاء به معظم المستشرقين القدماء ، ذلك أن ماجاء به القدماء من التصورات كانت تخاطب عقلية أخرى ، وتقدم لها تصورات تناسبها ، « وربما تكون بعض هذه التصورات الغربية عن الإسلام ونبيه (ﷺ) قددخلت إلى عالم النسيان ، وعفا عليها الزمن ، لا سيما مايتعلق منها بأساطير العصور الوسطى عن النبى (ﷺ) ولكنها مع ذلك لاتزال ، وستظل جزء أساسيا من تراث الغربيين لابد لنا من الاطلاع عليه ومعرفته » (٢) .

ويقول وليد نويهض : « لم تهدأ حركة الاستشراق ثاريا (كمنهج فكرى) إلا فى مرحلة تراجع المسلمين ، وبداية اقتحام أوربا معاقلهم وديارهم ، فى هذه الفترة دخل الاستشراق مرحلة جديدة ، وانتقل من الثأر والانتقام إلى الاستيلاء والغلبة وأخذ ينظر الى المسلمين من عدو تاريخى (الند للند) إلى عدو دونى أقل رقيا وتقدما من أوربا .. (٣) »

وعن المرحلة الجديد للإستشراق يقول وليد نويهض أيضاً : « لاشك نجح تحديث الاستشراق فى فترة تحوله من حركة سياسية ثارية إلى حركة معرفية عقلية

---

(١) راجع نفس المرجع السابق ص ٤٤ هامش ٢٦ .

(٢) جوستاف بفانملر : سيرة الرسول ﷺ فى تصورات المستشرقين : ترجمة د. محمود حمدى زقزوق ص ٦ . مكتبة ابن تيمية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

(٣) وليد نويهض : « نهاية الاستشراق» ص٣.

فى التخلص من الكثير من الفرضيات ، والافتراءات والأوهام السابقة ، فقد اعتمد الاستشراق السابق على نقل الأخبار من الشرق عن طريق الحجاج المسيحيين بعد عودتهم من زيارة الأراضى المقدسة (فى فلسطين) .

أما الاستشراق المعاصر فقد انتقل إلى العقل والنقد من دون أن يتخلص نهائيا من جوهر المرحلة السابقة ، لكنه بدأ بالاعتماد مباشرة على الرحلات والاحتكاك والاستطلاع ، مع ذلك لايمكن القطع نهائيا بين نشاط الرحالة وتمويل المؤسسات الحاكمة أو الناشئة إنذاك فى أوربا المتطلعة للسيطرة على طرق المواصلات وشبكة التجارة والمعابر البحرية ، وتركز النشاط الاستشراقى سابقا فى فئة النبلاء التى كانت تملك الامكانات لتمويل الرحلات ، ثم انتقل إلى فئات التجار وأخيرا الشركات »[1] .

ولايزال الاستشراق المعاصر بحاجة الى ان يثبت جديته فى نظرته العلمية الى علوم المسلمين ، وسوف تثبت الأيام والحقائق إن كان صادقا أم لا ، لاسيما فى ظل التطورات الحديثة القائمة التى تشهدها الساحة الإسلامية داخل العالم الإسلامى وخارجه ، والشعور الغربى أن الإسلام بدأ يشكل خطرا على الحضارة الغربية ، وأنه قد يكون العدو الجديد بعد أن تخلص الغرب من « العدو التقليدى فى هذا القرن من الزمان بتفتيت ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتى ، بتفكيكه واحداث المشكلات داخل الجسم المتفكك»[2] .

---

(١) وليد نويهض : « نهاية الاستشراق ص ١٨ .

(٢) انظر رحلات المستشرقين ص ٤٥ .

وفى هذا الصدد يوكد إدوارد سعيد [(١)] – وهو من أبرز من حمل على الاستشراق والمستشرقين رغم افتقاره إلى الانتماء الى الثقافة الإسلامية التى تحامل عليها الاستشراق والمستشرقون – يؤكد على أن « الاستشراق المعاصر يعلمنا الكثير عن عدم الأمانة الفكرية الناتج من المراءاة بهذا الخصوص ، والذى تكون نتيجته زيادة الانقسامات حدة وتوترا وجعلها أثيمة ودائمة فى آن واحد » [(٢)] .

وبالطبع لم يلق كلام إدوارد سعيد قبولا لدى بعض المستشرقين والمفكرين العرب ، وقد تعرض للنقد فى الصحافة وفى بعض الكتابات العلمية ، مما يجعل أحكامه أكثر قابلية للوزن بالميزان العلمى الدقيق ، ولايعنى موافقتها لهوى فى أنفسنا أن نقبلها على علاتها [(٣)] .

ومن المقولات التاريخية التى تزعم أن للمسيح (عليه السلام) « الحق فى استرجاع الجزيرة العربية التى أكدت الدلائل التى تجمعت لدينا فى الخمسين سنة الأخيرة على أن المسيحية كانت منتشرة فى هذه البلاد فى بداية عهدها » [(٤)] كما يقول المنصر والمستشرق الأمريكى « صموئل زويمر » [(٥)] .

---

(١) إدوارد سعيد أستاذ أمريكى من أصل فلسطينى درس فى جامعة كولومبيا بنيويورك وله كتابات متعددة حول نظرة الغرب إلى الإسلام منها : تغطية الإسلام ، وفهم الاسلام وغيرها ، وهو عضو فى المجلس الوطنى الفلسطينى ويذكر أنه يقيم الآن فى القدس ويواصل نشاطه الصحفى فى المجال نفسه راجع رحلات المستشرقين ص ٤٥ .

(٢) إدوارد سعيد : الاستشراق : المعرفة . السلطة الانشاء نقله الى العربية كمال أبو ديب ص ٣٢٤ دار الكتاب الاسلامى ط الثانية قم إيران ١٩٨٤م نقلا عن رحلات المستشرقين ص ٤٥ .

(٣) راجع رحلات المستشرقين ص ٤٦ هامش ٣٤ .

(٤) نقلا عن المرجع السابقة ص ٤٩ هامش ٥٤ .

(٥) صموئيل زويمر منصر ومستشرق أمريكى معروف فى منطقة الخليج، والمنطقة العربية، انشأ مجلة تعنى بالشئون الإسلامية من وجهة النظرة الاستشراقية التنصيرية، ويعد زويمر مثالا واقيعيا للترابط بين الاستشراق والتنصير (ت ١٩٥٢) راجع نجيب العقيق المستشرقون: ١٣٨/٣.(١) رحلات المستشرقين ص ٥٠ ، ٥١ .

ومن المآخذ على بعض الدراسات الاستشراقية اعتمادها على الانطباعية فى استصدار احكام على المجتمع المسلم ، أو على تعاليم اسلامية ، وتكثر الانطباعة هذه لدى المستشرقين الرحالة الذين لم يكتفوا بالقبوع فى مكاتبهم ومكتباتهم بل قدموا الى المجتمع المسلم فى الجزيرة العربية ، أوفى مصر ، أو فى المغرب العربى ، أو فى المشرق الإسلامى عموما ، ثم تتبعوا ممارسات المسلمين فى أى وقت ، وبنوا عليها أحكاما لا على المسلمين فحسب ، بل على الإسلام نفسه ، وهنا مكمن الخطر كما يقول الدكتور على ابراهيم النملة [1] - حيث إن دراسة مجتمع مسلم فى أى وقت واردة من المسلمين ومن غيرهم ، وواقع المسلمين مفتوح للدراسة من الجميع ، فان لم يدرسه المسلمون درسه غيرهم ، إلا أن هذا الغير سيعزو مايراه وما يكونه من انطباعات على أنها تمثيل « حى وعملى » للخلفية الدينية ، أو الثقافية ، أو العادات والتقاليد ، أو المبادئ التى يقوم عليها هذا المجتمع ، لاسيما عندما يتسمى بالمجتمع المسلم ، فتصدر الأحكام متخذة من ممارسات المجتمع حجة على الإسلام الذى نعتقد أنه صالح للتطبيق فى كل زمان ومكان لأنه دين الفطرة .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قد يعمد المتتبع للمجتمع المسلم تتبع الناقد أن يطبق على هذا المجتمع معاييره هو التى يمكن له أن يطبقها على مجتمعه هو بما يتصف به مجتمعه من مقومات قد لاتصدق جميعها على المجتمع المسلم الذى يتبعه بالنقد .

ومكمن الخطر هنا قلب الحقائق والموازين ، فالذى نؤمن به نحن المسلمين أن تعاليم الدين حجة على مطبقيها ، وليست ممارسات الأفراد أو المجتمعات حجة على التعاليم نفسها ، أى أن المجتمع المسلم يقاس بالإسلام ، ولايقاس الإسلام بالمجتمع أو بالفرد ، وهذا الخطأ لا يقع فيه المستشرفون وحدهم ، بل يقع فيه بعض المفكرين

(١) رحلات المستشرقين ص٥٠، ٥١ .

الاخرين من العرب ، ومن غيرهم ممن يسعون الى التقليل من شأن الدين فى حياة الأفراد والجماعات .

وقد رحل جمع من المستشرقين الى الشرق لأغراض شتى ... منها الاقتصادى والتجارى ، والاستعمارى ، والسياسى والتنصيرى ، والعلمى ، وأسهموا فى التنظيمات السياسية التى قامت آنذاك مثل : الجمعية الأفريقية التى أنشئت عام ١٧٨٨م ، وهيئة استكشاف فلسطين التى انشئت فى القرن التاسع عشر الميلادى وجمعية الهند الشرقية التى أنشئت سنة ٩٠١ هـ / ١٦٠٠م[١] كما اسهموا فى الحملات العسكرية التى احتلت البلاد العربية والإسلامية [٢] ، ومعلوم أن نابليون بونابرت [٣] قد احضر معه جمعا من المستشرقين كان لهم أثر فى محاوراته مع علماء الأزهر [٤] .

ومع هذه الجهود ، فإن المجتمع المسلم بعامة والجزيرة العربية ، بخاصة تمثل لغزا لدى كثير من المهتمين من الغربيين ، ومنهم المستشرقون ، فهى تمثل مهبط

---

(١) ساسى ، سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية ص ٦٤ مركز دراسات العالم الإسلامى مالطا ١٩٩١م : جزآن نقلا عن رحلات المستشرقين ص ٥١ .

(٢) محمود المقداد : تاريخ الدراسات العربية فى فرنسا : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ص ١٣٠- ١٤٢ - الكويت : سلسلة عالم المعرفة : ١٦٧ .

(٣) نابليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية على مصر قدم إليها فاحتلها ، وكان معه مجموعة من المستشرقين ليجادلوا علماء المسلمين ودخل الأزهر . حياته حافلة بالاحداث السياسية والعسكرية ، وانتهى به المطاف إلى المنفى حيث مات بالسرطان فى سنت هيلانة سنة ١٨٣١م راجع الموسوعة العربية ،، الميسرة بالقاهرة دار الشعب ص ١٨١٢.

(٤) محمود مقداد : تاريخ الدراسات العربية فى فرنسا ص ١٨٨.

الإسلام وموطن الأماكن المقدسة التى يحظر على غير المسلمين الدخول اليها [1] .

ومن المستشرقين الذين يطلقون أحكاما انطباعية كثيرة المستشرق الفرنسى «إرنست رينان» [2] فقد أصدر حكمه الانطباعى على الشرق وأهله ، لا سيما المسلمون منهم ، مع أنه ممن عاش فى الشرق ، ومن ذلك موقفه من العرق السامى الذى يرجع اليه العنصر العربى ، الذى كان منطلق انتشار الإسلام إذ يقول « إن الإنسان ليرى فى كل شئ أن العرق السامى يبدو عرقا غير مكتمل بسبب بساطته وهذا بالقياس الى العائلة الهندوأوربية ، مثل تخطيط بقلم رصاص – إذا جرؤت على استخدام هذا القياس – بالنسبة الى لوحة فنية ، فهو يفتقر الى ذلك التنوع ، وذلك الثراء وتلك الوفرة الفائضة من الحياة التى تشكل شرط الاكتمال ، والأمم السامية مثل أولئك الأفراد الذين لا يمتلكون إلا درجة ضئيلة من الإبداع المخصب ، ولذلك فإنهم بعد طفولتهم المباركة لاينالون إلا الدرجة ، الأكثر عادية من الخصب عرفت ازدهارها وتفتحها الأكمل فى عمرها الأول ، ولم تستطع بعدها على الطلاق أن تصل الى درجة البلوغ الحق » [3] .

---

(١) اشارة الى قوله الله تعالى :« إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » التوبة : ٢٨ .

وقوله ﷺ : « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها فى مدها وصاعها مثل مادعا إبراهيم عليه السلام لمكة » رواه الشيخان . انظر صالح حامد سعيد الرفاعى : الاحاديث الواردة فى فضائل المدينة : جمعا ودراسة ص ٤٩ : المدينة المنورة: الجامعه الإسلامية ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

(٢) إرنست رينان مستشرق فرنسى ، برز فى مجال المدارس اللاهوتية ، وتعمق فى اللغات الشرقية ونزل لبنان ، واهتم بالعقائد الإسلامية له مؤلفات منها : « تاريخ اللغات السامية » ومقالة بعنوان مطامع الشعوب الإسلامية (ت ١٨٩٢م) راجع نجيب العقيقى : المستشرقون : ١٩١/١ .

(٣) إداورد سعيد : الاستشراق ص ١٦٧ .

ويتجنى رينان فى كلمة أخرى القاها فى الكوليج دى فرانس سنة ١٨٦٢م على الإسلام فيقول « الإسلام هو احتقار العلم وإلغاء المجتمع المدنى ، إنه البساطة المروعة ، للعقل السامى ، التى تحد من الدماغ الإنسانى ، وتحول بينه وبين كل فكرة مرهفة ، وكل إحساس رقيق ، وكل بحث عقلانى ، ولتجعله فى خدمة توتولوجة أزلية «الله هو الله » [(١)] .

وبعبارة أخرى لترجمة أخرى : « الإسلام هو النفى الكامل لأوربا ، الإسلام هو التعصب ، الإسلام هو احتقار العلم ، القضاء على المجتمع المدنى، إنه سذاجة الفكر السامى المرعبة يضيق الفكرى الانسانى يغلقة دون كل فكرة دقيقة دون عاطفة لطيفة دون كل بحث عقلانى ليضعه أما حشو سرمدى : الله هو الله » [(٢)] .

هذا هو مفهوم (رينان) عن الإسلام ، ونحن نعلم أن الانسان عدوما يجهل، ولأن المعيار عندنا يناقض ماقاله تماما يناقض الأراء التى جمعت بين النقص العرقى، والنقص الدينى فى انطباعاته عن العرب لكونهم يكونون عنصرا رئيسيا فى السامية[(٣)] .

(١) نقلا عن رحلات المستشرقين ص ٥٧ .

(٢) نقلا عن المرجع السابق ص ٥٧، وللرد على هذه المقولة وسابقتها راجع «معابر الثقافة الإسلامية إلى أوربا) للباحث.

(٣) انظر رحلات المستشرقين ص ٥٧ .

الحضارة الغربية فى الميزان

الأزمـة التى يعانيها الفكر الغربى بجناحيه: العلمانى والمادى ، والتى يعيشها الانسان المعاصر ، والتى تجابه الحضارة الغربية المتفوقة بنذور التعاسة ، وتصيب جسدها الخاوى بالقروح والشروخ ، لقد تلبورت هذه الازمة فى جوانبها كافة ، من خلال طبيعة الحياة الغربية المعاصرة ، وحشود الشهادات التى أدلى بها ولايزال عدد ليس بالقليل من مفكرى الغرب وعلمائه وأدبائه وفلاسفته وفنانيه [١] .

ثم إن هؤلاء الذين يقولون كلمتهم فى الحضارة الغربية ويدينونها ليسوا أناسا عاديين ، إنهم بلا ريب – زهرة الثقافة الغربية ، وطليعتها التى لاتعبر عن نفسها فحسب ، ولكن عن حشود المثقفين الذين يجتازون الممر الضيق نفسه ويكادون أن يختنقوا .. ومن ثم فإن هناك حشدا من المثقفين الكبار يتمردون على ثقافة بلغت بهم شوطا من الطريق ، وهم يريدون أن يواصلوا الرحلة صوب المصير فلا تقدر معطياتهم الثقافية على منحهم المزيد ، لقد « امتلكوا العالم » كما يقول ولوسن ثم «ماذا بعد؟» «إن الإنسان بطبيعة تركيبه ذى النزوع الى الماورائيات يريد أن يتجاوز العالم الى الكون ، جدران المادية الى الغيب ، الطبيعة [٢] . إلى ماورائها ، والسلطة الى الحرية ، إنه يريد أن يكسر الأسوار ، وينطلق بحثا عن الإله المفقود ، بعبارة أخرى إنهم يريدون العقيدة التى تلبى نزوعهم الطموح ، وأن المرء ليلمس بوضوح هذا التوجه صوب العقيدة الشمولية المتوازنة فى معظم المؤلفات الغربية »[٣] .

---

(١) انظر قالوا عن الإسلام ص ٣٥ .

(٢) انظر قالوا عن الإسلام ص ٣٦ .

(٣) انظر قالوا عن الإسلام ص ٣٦ .

وإننا لنلمح على ضوء هذه الأزمة القائمة التى تعانيها الثقافة الغربية الدافع الذى جعل حشدا من كبار المثقفين الغربيين عبر الربع الثانى من القرن العشرين ، من مثل : أرثركوستلر ، وأندريه جيد ، وريتشارد رايت ، واكناز سيلونى ، وستيفن سبنــدر ، ولويس فيشر ، وبيكاســو ، وأرجون ، وجــارودى وغيرهــم يلجــأون الــى الماركسية ؟ ... إنه ارتماء المرْهقين الباحثين عن الخلاص بأية طريقة ، ومن خلال أى برنامج يمتلك رؤية عقيدية شاملة تأخذ بيد الانسان ، حتى ولو كان الذى يصوغها هو الشيطان [1] .

هذه الفلسفة المادية التى ترفض الغيب والروح ، وتنكر وجود الله سبحانه وتعالى وتقطع الطريق إلى الجنة ، وتحارب وجود الله تبارك وتعاظم إنها هى الأخرى تحجّم الانسان ، وتحصره فى النطاق الضيق ، وتغلق الأبواب عليه لكى لاينطلق صوب الافاق الرحبة التى تتجاوز حدود المنظور ، والملموس وتتأبى على الجنس وصرخات الأمعاء [2] .

وإذا كان هناك فارق يكمن فى امتلاك الماركسية النظرة الشمولية للعقيدة والفلسفة التى استهوت أولئك المثقفين ، لكن الجوهر هو الجوهر ، والنسيج هو النسيج، فلابد لهؤلاء من بحث ، وعن حل يكون أقدر على تلبية طموح الانسان ، بما أنه « إنسان » لا « حيوان اجتماعى » ، ولا مجرد أداة ميكانيكية ، أو رقم مضاف الى الشمال أو اليمين ، حل يمكّن المثقف الغربى من التحقق الذاتى الضائع ، وإذا كانت الاكثرية القلقة لم تقدر على ايجاد طريقها صوب الهدف ، فإن اسلام عشرات الغربيين بل مئاتهم ، إشارة مؤكدة على أن هناك من يقدر على الوصول ، وعلى أن رحلة البحث عن المصير الموازى لحجم الانسان ستؤتى ثمارها بإذن الله تعالى [3] .

---

(١) انظر قالوا عن الإسلام .

(٢) انظر قالوا عن الإسلام ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) انظر المرجع نفسه ص ٣٧ ، ٣٨ .

إن الأزمة الغربية الراهنة ، فى جوانبها الفكرية والنفسية والحضارية ، تأخذ ابعادا شتى يتمثل فى الضمور والضحالة الروحية اللذان تعانيهما الحضارة المعاصرة بكافة مذاهبها ونظمها ومعطياتها ، الضمور والضحالة اللذان يصلان حد الخواء ، وانعدام أى بعد يمنع الانسان المعاصر رؤية أوسع مدى ، وتجربة أعمق غورا ، يتجاوز بهما سطحية حياته المادية ورتابة تجربته المباشرة ويكسر جدران الحس القريب ، فيمد فى تجربة « الانسان » ويمنحها كثافة أشد ، وتوغلا أبعد ، ومنظورا ، أوسع لتكون الحياة والعالم والانسان أكثر غنى .. **إن حضارة تفتقد اليقين الدينى لن يكون بمقدورها أن تمنح الانسان كل مايريد ، وأن الانسان إن لم يجد نفسه فى بيئة تتعامل معه كإنسان ، بكل مكوناته ، وأشواقه ، ومنازعه ، فإنه سيتمرد – ولاريب – على هذه البيئة وينشق عليها ، طال الزمن أم قصر (١) .**

« إن الإسلام فى نهاية التحليل ، وبدايته كذلك ، دعوة الى التقدم والتحضر بأى منظور ومن أية زاوية ، وإن المنتمين اليه يجدون فرصتهم الحقيقية لذلك ، ليس من قبيل الادعاء والغرور ، ولكن من خلال العقل والتحقيق اللذين يحرسهما الإيمان والتقوى ، ويدفعهما الإحسان الى المزيد »(٢) .

إن الإسلام الحنيف هو أعظم رسالة الى الوجود حملها محمد ﷺ الى البشرية كافة وبلغها بأمانة منقطعة النظير .

(١) انظر المرجع نفسه ص ٣٨ .

(٢) قالوا : عن الإسلام ص ٤٦ .

وسائل الغزو الفكرى

يستعمل المستشرقون الكثير من الوسائل للتشويش على الإسلام ، والرسول ﷺ ودعوته ، مستهدفين إغراق المسلمين فى تيارات فكرية مضللة ، لتغيير اهتمامهم بدينهم الحنيف ، ومبادئه القويمة ، وتقليل التزامهم بمبادئ هذا الدين الهادى الى الصراط المستقيم .

ومن هذه التيارات الفكرية والعقبات والتحديات التى يبثها الغزو الفكرى فى العصر الحديث ويضعها فى طريق الاسلام مايلى :

أولاً – المادية : آفة العصر الحديث التى اتسم بها وعرف، وهى تشمل كل ألوان الحضارة المادية (صناعة ، زراعة ، تجارة مبان الخ) حتى أصبحت هذه الآفة تتحكم فى تفكير الناس ، وتغلب صبغتها على سلوكهم .

ومن افات المادية: أنها تنكر المشاعر الإنسانية ، التى يعمل الدين على غرسها وتنميتها فى النفوس : كالرحمة والمودة والعطف والإيثار، وكل مايشيع فى كيان الانسان من العواطف الانسانية النبيلة نحو أهله وقرابته ومجتمعه والانسانية كلها [1].

ومن آفة المادية أيضاً: أنها تتملق شهوات الناس ، وتدخل عليهم من الجانب الضعيف فيهم حيث تميل النفوس وترغب ، كما اشار القرآن الكريم : « إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا» [2] .

---

(١) انظر الدعوة الى الله على بصيرة ص ٢٥٢ .

(٢) الانسان : ٢٧ .

ولقد استغل المستشرقون أقوال الصوفية فى الإساءة الى الإسلام ، وادعوا أنه لا يصلح للعصر الحديث .. لأنه يدعو الى الزهد فى الحياة ، والانقطاع عنها استنادا الى تعاليم الصوفية التى تقرر أن الزهد فى متاع الدنيا دليل الاتباع الصحيح للدين وهذا زعم باطل وقول مضلل ، ولكن المستشرقين استفادوا منه فى محاولة صرف شباب المسلمين عن دينهم ، وإغراقهم بتيار المادية المشككة فى تعاليم الإسلام(١) .

ومن آفة المادية أيضا : إنكارها على الدين الدعوة الى الايمان بما وراء الحس، كالدعوة الى الإيمان بالله عز وجل وصفاته ، والإيمان بالملائكة واليوم الآخر والحساب والجنة والنار... الخ. وكل مالا يقع فى مجال المدركات التى هى مجال العقل المادى فى الحكم على الاشياء وقبولها أو رفضها ، فتغرق الناس فى الشهوات ليتخذوا من حبها دينا وينصرفوا عن دين الله الحق (٢) .

وواجب كل غيور أن يبين أضرار المادية على مستقبل الإسلام والمسلمين، بل والناس أجمعين ولنتعرف على أصل المادية :

أصل المادية الغربية :

تعد الحضارة الغربية وريثة الحضارة اليونانية والرومانية : فى تراثهما السياسى والعقلى والمدنى ، لقد ورثت عنهما كل ماخلفتاه ممن ممتلكات ونظام

---

(١) انظر الدعوة الى الله على بصيرة ص ٢٥٣ .

(٢) الاستشراق وجهوده وأهدافه فى محاربة الإسلام والتشويش على دعوته : د. عبد النعيم محمد حسنين : بحث منشور فى المجلد الخامس من بحوث المؤتمر العالمى الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة ص ١١ ، ١٢ . فى المدينة المنورة.

سياسى ، وفلسفة اجتماعية ، حتى كان من خصائص الحضارة الاغريقية اليونانية، وشعارها يتمثل فى :-

١- الإيمان بالمحسوس ، وقلة التقدير لما لايقع تحت المحسوس .

٢- قلة التدين والخشوع .

٣- شدة الاعتداد بالحياة الدنيا ، والاهتمام الزائد بمنافعها ولذائدها .

٤- النزعة الوطنية (١) .

ومن ثم فإن أصول المادية الغربية ترجع الى الدولتين : اليونانية والرومانية أما الأمة اليونانية ، فكانت أمة موهوبة من أنجب أمم العالم وأذكاها وأكثرها استعدادا للعلم والأدب ، ومن أخصبها أذهانا وعقولا ، وقد مثلت فى العالم دورا خالدا بفلسفتها وأدبها ووفرة من نبغ فيها من العلماء والحكماء والعبقريين تزهوا بآثارهم مكتبات العالم(٢) .

فليست حضارة الغرب المادية اليوم وليدة القرن العشرين المسيحيى كلا، بل ترجع الى الحضارة اليونانية والحضارة الرومانية ومن ثم خلفتهما فى تراثهما حتى انطبعت فيها ميولهما ونزعاتهما وخصائصهما ، بل انحدرت اليهما فى الدم أيضاً ، فقد كانت الحضارة اليونانية أول مظهر رائع حفظه لنا التاريخ للعقلية الأوربية وأول حضارة - سجلها التاريخ - قامت على أساس الفلسفة الأوربية تجلت فيها النفسية البشرية .

---

(١) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ للشيخ السيد أبى الحسن على الندوى ص ١٥٧ . ط الثامنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م دار الكتاب العربى بيروت لبنان .

(٢) انظر المرجع نفسه .

لقد كانت المادية اذن هى شعار الحضارة اليونانية من ثقافة وعلم وفلسفة وشعر ودين ، فلم يستطيعوا ان يتصوروا صفات الله وقدرته إلا فى شكل آلهة شتى نحتوا لها تماثيل وبنوا لها معابد وهياكل :

فللرزق إله ، وللرحمة إله وللقهر إله ، ثم نسبوا اليها كل مايختص بالجسم المادى ونسجوا حولها نسائج من أساطير وخرافات ، وصوروا المعانى المجردة وتصوروها فى اشكال : فللحب إله وللجمال إله ، وليس نظام العقول العشرة والافلاك التسعة فى فلسفة ارسطا طاليس إلا رشحة من رشحات هذه المادية [1] .

وقد اعترف العلماء الأوربيون بغلبة المادية فى الحضارة اليونانية ، ونوهوا بها فى كتبهم أمثال العالم الألمانى الدكتور « هاس» الذى قال : « إن المدنية اليونانية هى مركز المدنية الغربية الحاضرة ...، وكان المثل الكامل عندهم : الجسم الجميل المتناسب ، وليس هذا إلا اعتداد بالمحسوسات اعتدادا كبيرا ...، وكان الدين خلوا من الروحانية المعنوية ، لم يكن فيه علم الدين ، ولا طبقة رجال الدين ، أما اللون الروحى الذى فى تقاليد « ارفس» وغيرها فإنما هو مستعار من الشرق ولايصح أن ينسب الى المدنية اليونانية» [2] .

يقول ليكى [3] : « إن الحركة اليونانية كانت عقلية ، وذهنية محضة ، وكانت الحركة المصرية بالعكس من الأولى روحية باطنية » .

وينقل (أبو ليس) المؤلف الرومى قوله : « إن المصريين كانوا يعظمون الهتهم بالتضرع والبكاء ، وكان اليونان يعظمون آلهتهم بالرقص والغناء » [4] .

---

(١) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ ص ١٥٦ .

(٢) انظر المرجع السابق .

(٣) فى كتابه تاريخ أخلاق أوربا .

(٤) نقلا عن : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٥٩ .

وكان من أثر شدة الاعتداد بالحياة الدنيا والمبالغة فى قيمتها عند اليونانيين الولوع بالتماثيل والفنون والغناء والموسيقى التى يسميها اليونان الفنون الجميلة ، ولهج الأدباء والمؤلفين بالحرية الشخصية التى لاتعرف قيدا ، ولاتقف عند حد تأثير سيئ فى أخلاق اليونان ومجتمعها، فانتشرت الفوضى فى الاخلاق .

وأصبح هم الرجل الجرى وراء الشهوات العاجلة ، وانتهاب المسرات والتهام الحياة التهام الجائع النهم [1] .

يقول ليكى : « إن اليونان كانت لهم ثروة علمية ضخمة أنتجوها وزادوا فيها على مر العصور والقرون ، وكانت رومة لاتزال فى طورها الجندى ، لاتملك أثرا من الآثار الأدبية بل كانت لغتها قاصرة فى التعبير عن الأفكار والمعانى العالية – ومن ثم – انقلبوا صاغرين للمدنية اليونانية مأخوذين بسحرهم فى كل قسم من أقسام العلم ، فكان المؤرخون الأقدمون فى الروم يؤلفون كتبهم باليونانية ، واستمرت اليونانية لغة التأليف والعلم » [2] حقبة من الزمن .

ومن ثم انتقلت الفلسفة اليونانية ، والثقافة اليونانية ، بل النفسية اليونانية الى الروم ... وكان بين الأمتين شبه كبير فى الخصائص الفطرية وإيمان بالمحسوس وغلو فى تقدير الحياة وشك فى دين ، وضعف فى يقين ، واضطراب فى العقيدة ، واستخفاف بالنظام الدينى وطقوسه ، واعتزاز بالقومية وتعصب لها وحب مفرط للوطن[3] .

---

(١) انظر ماذا خسر العالم .. ص١٦ .

(٢) نقلا عن المرجع السابق ص ١٦٢ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ١٦٢ .

ويقول الراهب (أوغستين): «إن الروم الوثنيين كانوا يعبدون آلهتهم فى المعابد، ويهزأون بهم فى دور التمثيل»[1] فلم يكن للدين تأثير فى أخلاق الأمة وسياستها ومجتمعها يقول ليكى:

«إن الدين الرومى كان أساسه على الأثرة، ولم يكن يرمى إلى رفاهية الأفراد وسلامتهم من المصائب، والمتاعب، والشاهد على ذلك أنه ظهر فى رومية مئات من الأبطال والعظماء ولكن لم ينهض فيها زاهد واحد فى الدنيا عزوف عن ملذات الحياة، ولاتسمع مثالا فى تاريخ الروم للتضحية والإيثار إلا وتجده لاتأثير فيه للدين ولكن مبنيا على الوطنية»[2].

والظاهرة التى كان يستأثربها الروم من بين أمم الأرض المعاصرة لهم. هى روح الإستعمار والنظرة المادية البحتة إلى الحياة... يقول الأستاذ محمد أسد[3]:

«إن الفكرة التى كانت تسيطر على الإمبرطورية الرومانية هى إحتكار القوة لها، وإستغلال الأمم الأخرى لمصلحة الوطن الرومى فقط... إن الروم لم يدينوا بالدين جديا أبدا، كانت آلهتهم محاكاة لأساطير الأغريق وخرافاتهم، وقد آمنوا بهذه الأرواح محافظة على الروابط الاجتماعية التى كانت تربطهم وتوحدهم..»

فساد الأخلاق قضى على الإمبراطورية الرومية:

يصور الكاتب الأمريكى «درابر» حالة هذه الأمبرطورية فيقول:

---

(١) نقلا عن ماذا خسر العالم.. ص١٦٣.

(٢) تاريخ أخلاق أوربا نقلا عن المرجع السابق.

(٣) فى كتابه: الإسلام على مفترق الطرق.

«لما بلغت الدولة الرومية فى القوة الحربية، والنفوذ السياسى أوجها، ووصلت فى الحضارة إلى أقصى الدرجات هبطت فى فساد الأخلاق، وفى الانحطاط فى الدين والتهذيب إلى أسفل الدركات...، وكان مبدؤهم فى الحياة وهدفهم: إنما هى فرصة للتمتع ينتقل فيها الإنسان من نعيم إلى ترف، ومن لهو إلى لذة..، كانت موائدهم تزهو بأوانى الذهب والفضة مرصعة بالجواهر، ويحتف بهم خدمهم فى ملابس جميلة خلابة، وغادات رومية حسان وغوان عاريات كاسيات غير متعففات تدل دلالا...، وقد أدرك هؤلاء الفاتحون الذين دوخوا العالم أنه إن كان هنالك شئ يستحق العبادة فهو القوة..، وإن رأس الدولة الرومية هو رمز لهذه القوة القاهرة فكان نظام رومة المدنى يشف عن أبهة الملك، ولكنه كان طلاء خداعا كالذى نراه فى حضارة اليونان فى عهد انحطاطها»[1]

من أسباب اتجاه الغرب إلى المادية

ا- اعتناق قسطنطين النصرانية، ومع ذلك لم تستطع المسيحية فى عهده هزيمة الوثنية بالرغم من حصولها على ملك عريض زمن قسطنطين، بل اختلطت مبادئ الوثنية بالمسيحية، فلم تستطع أن تغير من سيرة الروم المنحطة شيئا.

ب- زيادة عدد الرهبان الذين اتخذوا الرهبانية حركة حتى وصل عددهم فى أحد أيام عيد الفصح خمسون ألفا من الرهبان..، وحتى وصل عددهم فى القرن الرابع عدد أهل مصر..، كان هدفهم من هذه الحركة تعذيب الجسم، فكان الراهب «مكاريوس» فيما تحدثوا عنه: أنه نام ستة أشهر فى مستنقع ليقرص جسمه العارى ذباب سام، وكان الراهب «يوسيبيس» يحمل نحو قطارين من حديد، وأقام ثلاثة أعوام فى بئر نزح، وكان بعض الرهبان لايكتسون دائماً، وإنما يتسترون بشعرهم

(١) نقلا عن المرجع السابق ص١٦٥ .

الطويل، ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام، ويسكنون مغارات السباع، والآبار والقبور، وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح ويتأثمون عن غسل الأعضاء، وأزهد الناس عندهم وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة.

يقول الراهب اتهينس: إن الراهب أنتونى لم يقترف اثم غسل الرجلين طول عمره، والراهب إبراهام لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة، وقال الراهب الاسكندر متحسرا: وأسفاه لقد كنا فى زمن نعد غسل الوجه حراما، فإذا بنا الآن ندخل الحمامات... الخ العجائب التى كان يفعلها الرهبان، والمنافية لأبسط قواعد النظافة،والطب.

جـ- ما أثرته الرهبانية فى أخلاق الأوربيين، فقد كان الرهبان يفرون إلى الصحراء لانقاذ أنفسهم من الآخرة تاركين وراءهم الآباء والأمهات والأولاد والأزواج أيامى، والأولاد يتامى عالة يتكففون الناس، وكانوا يفرون من ظل النساء، ويتأثمون فى قربهن، والاجتماع بهن، وكانوا يعتقدون أن مصافحتهن فى الطريق والتحدث إليهن، ولو كن أمهات وأزواجا أوشقيقات تحبط عملهن وجهودهن الروحية[1].

وصدق فيهم قول العليم الخبير: «رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلاابتغاء رضوان الله فمارعوها حق رعايتها..»[2]

د- عجز الرهبانية تعديل مساو المادية الجامحة، فحاولت عبثا تغيير الفطرة بنظام لاتطيقه الإنسانية.،، فكانت حركة الفجور والإباحة، وحركة الغلو فى الزهد والرهبانية تسيران فى البلاد النصرانية جنبا إلى جنب[3].

(١) انظر ماذ خسر العالم... ص١٦٨، ١٦٩ .

(٢) انظر المرجع نفسه ص١٧١ .

(٣) انظر المرجع نفسه ص١٧٢ .

بل إن المدن التى ظهر فيها أكثر الزهاد كانت أسبق المدن فى الخلاعة والفجور، وقد اجتمع فى هذا العصر الفجور والوهم اللذان هما عدوان لشرف الإنسان وكرامته، وقد ضعف رأى الجمهور حتى أصبح الناس لايحفلون بسوء الأحدوثة والفضيحة بين الناس.

هـ- بالرغم من تمتع البابوات فى تلك العصور الوسطى بنفوذ واسع وسلطان عظيم، لم يكن للملوك ولا للأباطرة، وكان ممكن أن يتقدموا بأوربا تقدما صحيحا فى العلم والمدنية تحت ظل الدين لكنهم لم يفعلوا، بل أساءوا استعمال هذا السلطان الهائل فاستغلوه لأنفسهم ونفوذهم وجاههم، وبقيت أوربا تتسكع فى دياجير الجهل والخرافة والانحطاط وأصيبت المدنية بحكمهم فى صميمها .. حتى كان اضطهاد الكنيسة للعلم..، وانفجر بركان العقلية فى أوربا، وحطم علماء الطبيعة والعلوم سلاسل التقليد الدينى..، وأعلنوا اكتشافاتهم العلمية واختباراتهم، فقامت قيامة الكنيسة، وقام رجالها بإنشاء محاكم التفتيش التى تعاقب - كما يقول البابا - أولئك الحدث والزنادقة الذين هم منتشرون فى المدن وفى البيوت والأسراب والغابات والمغارات والحقول، وأخذت على عاتقها أن لاتدع فى العالم النصرانى عرقا نابضا ضد الكنيسة، وبثت عيونها فى البلاد طولا وعرضا وأحصت على الناس الأنفاس حتى قال عالم نصرانى: «لايمكن لرجل أن يكون مسيحيا ويموت حتف أنفه».

ويقدر من عاقبتهم هذه المحاكم (٣٠٠,٠٠٠) بثلاثمائة ألف، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفا أحياء، كان منهم العالم الطبيعى (برونو) نقمت عليه الكنيسة لشدة آرائه فحكمت عليه بالقتل، واقترحت بأن لاتراق قطرة من دمه، وكان ذلك يعنى أن يحرق حيا، وكذلك كان.

كما عوقب العالم الطبيعى المشهور (غاليلو Galilio) بالقتل، لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس(١).

و – كان لابد بعد كل ما حدث أن ينصرف الغرب عن الدين ورجاله إلى المادية بكل معانيها وبكل ما تتضمنه هذه الكلمة من عقيدة وأخلاق واجتماع وعلم وأدى وسياسة وحكمة، وكان ذلك تدريجيا، فقام علماء الفلسفة والعلوم والطبيعة يتظرون فى الكون نظرا مؤسسا على أنه لاخالق ولامدبر ولاآمر، وليس هناك قوة وراء الطبيعة والمادة، تُصرِّف هذا العالم وتحكم عليه وتدير شؤونه، وصاروا يفسرون هذا العالم الطبيعى ويعللون ظواهره وآثاره بطريق ميكانيكى بحت وسموا هذا نظرا علميا مجردا، وسموا كل بحث وفكر يعتقد بوجود إله، ويؤمن به، طريقا تقليديا لايقوم عندهم على أساس العلم والحكمة، واستهزأوا به واتخذوه سخريا، وكانت النتيجة أنهم جحدوا كل شئ وراء الحركة والمادة وأبو الإيمان بكل مالا يقع تحت الحس والاختبار.. حتى غدا الإيمان بالله وبما وراء الطبيعة من قبيل المفروضات التى لايؤيدها العقل ولايشهد بها العلم.(٢)

نعم، «إنهم لم يجحدوا بالله إلى زمن طويل، ولم يكاشفوا الدين العداء ولم يجحدوا به كلهم، ولكن منهج التفكير الذى اختاروه والموقف الذى اتخذوه فى البحث لم يكن ليتفق والدين الذى يقوم على الإيمان بالغيب وأساسه الوحى والنبوة، ودعوته ولهجه بالحياة الأخروية، ولاشئ من ذلك يدخل تحت الحس والاختبار، فلم يزالوا يزدادون كل يوم شكا فى العقائد الدينية(٣)»، وبعدا عن أصولها، وهكذا استطاعت

(١) انظر ماذا خسر العالم.. ص١٧٥، ١٧٦.
(٢) انظر المرجع السابق ص١٧٨ .
(٣) المرجع نفسه .

الكنيسة إبعاد الغرب عن الدين وتعاليمه لينطلق نحو المادية[1] الجامحة.

دعــاة الماديــــة:

نهض الكتاب والمؤلفون والأدباء والمعلمون والاجتماعيون والسياسيون فى كل ناحية من نواحى أوربا ينفخون صور المادية، وينفثون بأقلامهم سمومها فى عقل الجمهور وقلبه، ويفسرون الأخلاق تفسير ماديا: تارة ينشرون الفلسفة النفعية، وطورا فلسفة اللذة الأبيقورية[2].

وكان منهم السياسيون أمثال: «ميكاويلى الفلارنساوى ١٤٦٩ - ١٥٢٧م) الذين دعوا من قبل إلى فصل الدين عن السياسة، وتقسيم الأخلاق إلى شخصية وإجتماعية، وقرروا أن الدين - إذا كان لابد منه - فهو قضية شخصية لاينبغى أن تتدخل فى أمور السياسة والدولة، وأن الدولة عندهم أعز وأهم من كل شئ، وأن النصرانية إنما موضوعها الحياة الأخروية وأن المتدينين والصالحين لايفيد وجودهم الدولة، وإن كان يفيد الكنيسة، وعلى الملوك والأمراء أن يتخلقوا بأخلاق الثعالب، ولايحتشموا من نقض العهود والكذب والخيانة والغش والنفاق، إذا كان فى ذلك أدنى مصلحة للدولة إلى غير ذلك، ونجحت هذه الدعوة وساعدتها عوامل كثيرة من الوطنية والقومية التى خلفت الديانة القديمة[3].

وما قام به الأدباء والمؤلفون، وأصحاب اليراع والقريحة مما كان له الأثر السيئ فى أحداث ثورة ١٧٨٩م على الأخلاق القديمة، والنظم الاجتماعية خاصة بعد

---

(١) تعريف المادية: مذهب يسلم بوجود المادة وحدها، وبها يفسر الكون والمعرفة والسلوك. والمادية التاريخية مذهب «كارل ماركس» الذى يرمى إلى تفسير النظم الاجتماعية والأحداث التاريخية بالظواهر الاقتصادية. المعجم الوسيط مادة: مدّ.

(٢) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ ص١٧٩.

(٣) انظر المرجع السابق ص١٨٠.

ثورة فرنسا الكبرى، فزينوا للناس الاثم، ونشروا دعوة الإباحة، وإطلاق الطبائع من كل قيد، والفرد من كل مسئولية، ودعوا إلى التهام الحياة البهيمية وإرضاء الشهوات وانتهاب المسرات واستعجال الطيبات وغلوا وأسرفوا فى تقدير قيمة هذه الحياة، وجحدوا كل شئ سوى اللذة العاجلة، والنفع المادى الظاهر المحسوس[1].

لقد تحولت الحياة فى أوربا، وأصبحت فى القرنين (١٩، ٢٠) نسخة مكررة من الحياة اليونانية والرومانية الوثنيتين الجاهليتين، ولاغرابة فى ذلك فالأوربيون اليوم إنما ينحدرون من أولئك اليونان والرومان، والسلائل الأوربية الأخرى فأينما يممت رأيت دينا خلوا من الروحانية، كما لاحظ الدكتور «هاس» فى ذكر الحضارة اليونانية.

كما ترى رقة الدين وقلة الخشوع والجد فى أعماله، وكثرة اللهو والطرب فى الحياة كما ذكر «ليكى» عن الديانة اليونانية، وهو نتيجة الوضع الدينى الذى وصلت إليه أوربا، فإنه لايتفق والخشوع لله، والجد فى عبادته، ومن العجيب أن الجمهور تلقى كل هذا بالقبول وحلت عنده محل الدين.

كما ترى تهافتا على ملذات الحياة تهافت الظمآن على الماء والفراش على النار، والحرص على اقتطاف جنى الحياة وثمارها باليدين[2]، وهكذا عبث الشيطان بعقولهم.

المادية ديانة أوربا :

لقد أصبحت المادية فى أوربا اليوم هو دينها الذى يملك عليها القلب والمشاعر ويحكم على الروح، لاالنصرانية التى جاء بها عيسى عليه السلام، لقد وضح هذا

(١) انظر المرجع نفسه.

(٢) انظر ماذا خسر العالم... ص١٨١.

الأمر الأستاذ الألمانى محمد أسد[1] حين قال:

«لاشك أنه لايزال فى الغرب أفراد يعيشون ويفكرون على أسلوب دينى، ويبذلون جهدهم فى تطبيق عقائدهم بروح حضارتهم، ولكنهم شواذ إن الرجل العادى فى أوربا ديمقراطيا كان أوفاشيا، رأسماليا كان أواشتراكيا عاملا باليد، أو رجلا فكريا إنما يعرف دينا واحدا، وهو عبادة الرقى المادى والاعتقاد بأنه لاغاية فى الحياة غير أن يجعلها الإنسان أسهل، وبالتعبير الدارج «حرة مطلقة» من قيود الطبيعة، أما كنائس هذا «الدين» فهى المصانع الضخمة ودور السينما، والمختبرات الكيماوية ودور الرقص ومراكز توليد الكهرباء، أماكهنتها فهم رؤساء الصيارف والمهندسون، والممثلات وكواكب السينما، وأقطاب التجارة والصناعة والطيارون والمبرزون الذين يضربون رقما قياسيا، ونتيجة هذه النهامة للقوة، والشره للذة النتيجة اللازمة ظهور طوائف متنافسة مدججة بالسلاح، والاستعدادات الحربية، مستعدة لإبادة بعضها بعضا إذا تصادمت أهواؤها ومصالحها، أما فى جانب الحضارة فنتيجتها ظهور طراز للإنسان يعتقد أن الفضيلة فى الفائدة العملية والمثل الكامل عنده والفارق بين الخير والشر هو النجاح المادى لاغير».

«إن الحضارة الغربية لاتجحد الله فى شدة وصراحة، ولكن ليس فى نظامها الفكرى موضوع لله فى الحقيقة، ولاتعرف له فائدة ولاتسعى بحاجة الله»[2]

وهنا شهادة أصرح على اضمحلال الدين الرسمى فى أكبر مراكزه، واستنكاف أهله من الانتساب إليه لأحد كبار المعلمين فى «لندن» وهو الأستاذ جود (Joad) رئيس قسم الفلسفة، وعلم النفس فى جامعة لندن قال؟:

---

(١) فى كتابه: الإسلام على مفترق الطرق ص٥٠.

(٢) المرجع السابق ص٤٠ .

«سألت عشرين طالبا وتلميذة كلهم فى أوائل العقد الثانى من أعمارهم: كم منهم مسيحى بأى معنى من معانى الكلمة؟ فلم يجب بنعم إلا ثلاثة فقط، وقال سبعة منهم إنهم لم يفكروا فى هذه المسألة أبدا، أما العشرة الباقية فقد صرحوا أنهم معادون للمسيحية..، وإن الأحوال والآثار فى هذه البلاد لتدل على أن الكنيسة النصرانية ستموت فى القرن الآتى:

وإليك مايؤيد هذا الرأى نقلا عن صحيفة يومية:

اخترع رجل فى السابعة والسبعين من عمره طريقة تحول بها نسخ الكتاب المقدس العتيقة إلى حشو البنادق، وتصنيع الحرير الصناعى واللدائن وأوراق النقد الثمينة، وإن آلته قد نصبت فى Cardiff Factory، وفى ثمانية مصانع أخرى وتصنع بنسخ التوراة القديمة أسلحة حربية، وقد استثمر المخترع بالآلة ثروة عظيمة بعدما عاش فى ضنك من العيش.

ويختم الأستاذ مقالته هذه بجملة من التوراة – ولأجمل منها – لمخاطبة القسوس، ورجال الدين أمثال (كينين بيرى) ونميره «فليسمع من له أذنان»[(١)]

وقال الأستاذ جود أيضا:

«إن بعض المؤلفين يقولون: إنا لانستطيع أن نجمع بين عبادة الله وعبادة المال، وأنا أسلم أن الأمر ليس بميسور، ولكن متى تكون المهمات فى الدنيا ميسورة سهلة؟ فمهما اختلفنا فى المبادئ..، فنحن مشغوفون بحب المال، وعقيدتنا أن الثروة هى المقياس الصحيح لعظمة الفرد والحكومة، وكانت سببا لظهور مبدأين لهما الأهمية التاريخية الكبرى:

---

(١) نقلا عن المرجع السابق ص١٨٣ .

أحدهما: مبدأ عدم التدخل الاقتصادى الذى كان سائدا على القرن التاسع عشر، ويدعى أصحاب هذا المبدأ أن الإنسان يبنى عمله على أعظم نفع يجلبه، وأن ليس الباعث على الأعمال الالتذاذ بالعواطف القلبية، بل الالتذاذ بالثروة.

والمبدأ الثانى الذى يسود القرن العشرين: هو مبدأ التنظيم الاقتصادى المنسوب إلى ماركس، ويقوم هذا المبدأ على أن نظام الانسان الاقتصادى إنما يتأسس على حوائج الإنسان المالية، وهذا النظام هو الذى يخلق الأدب والأخلاق والدين والمنطق ونظام الحكومة، ولم يكن هذان المبدءان لينالا القبول الذى نالاه لولا شغف الناس فى بلادنا بالمال والاهتمام الزائد به».

ويقول الأستاذ جود: «إن نظرية الحياة التى تسود على هذا العصر وتحكم عليه هى النظر فى كل مسألة وشأن من ناحية المعدة والجيب»

وقد أجاد صحفى أمريكى مشهور تمثيل هذه النفسية فى كتابه فى داخل أوربا (Inside Europe) بقوله:

«إن الانجليز إنما يعبدون بنك انجلترا (Bank of England) ستة أيام فى الأسبوع، ويتوجهون فى اليوم السابع إلى الكنيسة»[1]

موقف المادية من الدين:

إن هؤلاء الذين لايؤمنون بحياة أخرى، ولايعتقدون وراء اللذة والتمتع بالحياة والعلو فى الأرض غاية عليا، ولايذكرون الله إلا نادرا، ولايرجون له وقارا كيف يرجى منهم أن يتضرعو إلى الله سبحانه إذا مسهم الضرر ويخبتوا إليه وينيبوا إذا دهمهم الخطر، كما ذكر الله عن المشركين الذين كانوا يؤمنون بالله:

---

(١) نقلا عن: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ ص١٨٥ .

«وإذا غشيهم موج كالظل دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين»[1]

لكن هؤلاء بإمعانهم فى المادية والتمسك بالأسباب الظاهرة والتعلل بها، واستغنائهم عن الله سبحانه، قد وصلوا من القسوة والغفلة إلى حيث صدق عليهم قول العزيز الحكيم: «ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون: فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون»[2]

وقول الله عز وجل: «ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم ومايتضرعون»[3] فلا تكاد تشعر أوتسمع فى خطب الزعماء والوزراء فى أوربا برقة قلب وانكساره وأخبات إلى الله فى أدهى ساعات الحرب وأمرّها، ولاتشاهد شيئا من ذلك فى أخلاق الشعب وأعماله وأفراحه، ويعد ذلك مفكرو الغرب وأدباؤه من باب التجلد وقوّة القلب وإباء الضيم، وقد افتخر أحد زعماء الانجليز وكبار رجال السياسة فى البرلمان الانجليزى بأن رجال الشعب الانجليزى لم يستسلموا للحوادث والنوازل، واستشهد على ذلك بأن المشتغلين بالرقص واللهو فى سنغافورة لم يتحولوا عن أماكنهم، ولم يؤخروا أدوار الرقص والغناء، وطيارات اليابان تمطر المدينة بوابل من القنابل، ويحكى هندى عن سهرة شهدها قال:

«بينما نحن فى الرقص إذ سمعنا الإنذار بالغارة الجوية فساد الهدوء فى المكان، ثم قال أحد أصحاب المجلس ماذا ترون، هل يستمر الرقص أم

(١) لقمان: ٣٢ .

(٢)الأنعام: ٤٢.

(٣) المؤمنون: ٧٦.

يؤخر؟فأجابت فتاة: بل نستمر راقصين، وهكذا كان، وبوت الحارة فضلا عن النادى الذى كنا فيه بالأغانى»(١)

قارن هذه الطبيعة الغربية المادية بالنفسية الدينية وتعاليم الدين وعمل المتدينين وسيرتهم فى الحروب والأخطار فى قول الله عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون».(٢)

وكان محمد ﷺ «إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة».

وفى غزوة بدر الكبرى قال ابن هشام عن ابن اسحاق: ثم عدَّل رسول الله ﷺ الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه فيه أبو بكر الصديق رضى الله عنه، ورسول الله ﷺ يناشد ربه ماوعده من النصر ويقول: «اللهم أنجز لى ماوعدتنى، اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك»

فالتزمه الصديق من ورائه، وقال: يا رسول الله! أبشر، فوالذى نفسى بيده، لينجزن الله لك ما وعدك(٣)

ويقول عبد الرحمن الكواكبى فى مستهل هذا القرن(٤):

---

(١) الغارات الجوية: لأنما محمد أرف الدهلوى ص٧١ .

(٢) الأنفال: ٤٥ .

(٣) أخرجه الإمام مسلم (١٧٦٣) من حديث عمر رضى الله عنه، وأخرجه البخارى ٧/٢٤٤/٢٢٦ والترمذى من حديث ابن عباس قال النبى ﷺ يوم بدر: «اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر بيده، فقال حسبك، فخرج وهو يقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر» القمر ٤٥وراجع زاد المعاد فى هدى خير العباد: لابن قيم الجوزية تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط حـ٣ ص١٧٦ ط الثالثة عشر ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ .

(٤) فى كتابه: «طبائع الاستبداد .

«الغربى مادى الحياة قوى النفس شديد المعاملة حريص على الاستئثار حريص على الانتقام كأنه لم يبق عنده شئ من المبادئ العالية والعواطف الشريفة التى نقلتها له مسيحية الشرق، فالجرمانى مثلا جاف الطبع يرى أن العضو الضعيف فى الحياة من البشر يستحق الموت، ويرى كل الفضيلة فى القوة، وكل القوة فى المال، فهو يحب العلم ولكن لأجل المال ويحب المجد، ولكن لأجل المال، واللاتينى منه مطبوع على العجب والطيش يرى العقل فى الانطلاق، والحياة فى خلع الحياء، والشرف فى الزينة واللباس، والعز فى التغلب على الناس».

وهذا تصوير صادق للطبيعة الأوربية المادية، وتحليل صحيح للنفسية الغربية، ومن ثم نرى الكواكبى رحمه الله تعالى قد جعل الألمانى واللاتينى مثلا لسائر الأوربيين.

أما ماركس المادى فيرى «أن النظام الاقتصادى هو روح الاجتماع وأن الدين والحضارة وفلسفة الحياة والفنون الجميلة كلها عكس لهذا النظام الاقتصادى»[1]

من جنايات المادية :

لقد جنحت المادية الغربية بالغرب بعيدا عن الدين والخلق... فكان من نتائج هذه المادية الجارفة، والتربية اللادينية التى ليست فيها نصيب للأخلاق ومخافة الله عز وجل، والإيمان بالآخرة أن أصحاب المراكز الكبيرة، ورجال السياسة والمسئولين يرتكبون فى بعض الأحيان جنايات لايتنزل إليها أكبر الآثمين، وذلك لمصلحة سياسة وهمية لبلادهم وأمتهم، أولجاه شخصى، أوربح مالى، فمن أغرب ماروى فى تاريخ البشر من القسوة والظلم أن الانجليز قد أوقعوا فى بنغال (الهند) مجاعة مفتعله بمنع استعمال القوارب التى يحصد الناس عليها مزارع الأرز وهو غذاء رئيسى

(١) نقلا عن ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص١٩١ .

للبنغال، واحتكروا الحبوب، ولم يمكنوا الناس منها حتى فسدت وتلفت وتسببوا بهذا العمل الخسيس فى موت مئات الألوف من الناس جوعا والحبوب وفيرة فى البلاد، والمواصلات ميسورة، والقطر غادية رائحة، والهند بلاد مخصبة تستطيع أن تغذى بلادا أخرى وحدث ذلك كله بسبب ما توقعوه من إقبال الناس على الجندية، وليبرهنوا على فشل الحكم الذاتى فى إدارة البلاد، وهذه السياسة الفجة كانت تستخدمها انجلترا فى كل بلد استعمرتها.[1]

وما حدث من تأييد ترومان للصهيونية، ودولة إسرائيل فى فلسطين، ومعارضته للقضية العربية مع وضوح برهانها، ولكن الهدف هو كسب ود اليهود،، والتمتع بنفوذهم السياسى والمالى والصحافى، وليكسب انتخابه أما تعاميه عن براهين الدول العربية الساطعة، فهذا أمر ليس فى الحسبان ولايقيم له كبير وزن أو اهتمام.

وسكوت أمريكا على ماكانت تفعله فرنسا من فظائع فى الجزائر، ووقوفها بجوار هذه الدول الجائرة فى قضية الجزائر العربية الإسلامية، وتعاونها على الاثم والعدوان.. كل هذه أدلة تنبئ عن ضعف أخلاق العظماء فى أوربا وأمريكا، وأن الحياة السياسية إنما تدور على الفوائد المادية لاالمبادئ الأخلاقية[2]

فتذكروا يا أولى الألباب عما يحيكه الأعداء على مر الزمان.

تمجيد الغرب للمادية لماذا؟:

لأنه يمتلكها، ولكنه خفف من وزن الجانب الروحى، والمثالية الإنسانية، لأنه لايريد فى الجانب العملى أن يسلك مع الشعوب التى استعمرها نفس السلوك

---

(١) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص١٩٤ .

(٢) انظر المرجع السابق ص١٩٥ بتصرف واختصار.

الخاص بأصحاب القوة المادية، وهم الأوربيون، كما تحتم ذلك الروحية الدينية، أوالمثالية الإنسانية..

فالتفكير المادى العلمى، أوالطبيعى له اتجاهان:

١ - الاتجاه الميكانيكى، وهو لايرى وجوداً للروح أوالعقل، فضلا عن أن ينسب إليها تدبير الجسم.

٢ - الاتجاه المادى الديالكتيكى، وهو المذهب المادى الماركسى، ويرى وجود العقل والروح، ولكن وجودها بعد وجود المادة، وتابع لوجودها ..، ومعنى ذلك أنه إذا فنيت المادة فلا بقاء للروح أوالعقل، والله: لأنه خال عن المادة لاوجود له، أما الاتجاه الروحى، وهو الذى يرى وجودا للروح سابقا على المادة، وليس متوقفا عليها. ولذا يقول الله كعلة للكون، وهذا الاتجاه يقابل الاتجاه المادى بقسميه السابقين.[1]

وفى مجال التنفيس الصليبى جال (الاستشراق) جولته فى بحث الاسلام وعرض تعاليمه..، جال جولته باسم البحث العلمى، والمعرفة العقلية، وصيانة تراث الإنسانية الماضى.[2]

أثر الحملات الصليبية فى تشويه الإسلام:

يتحدث صاحب كتاب «الإسلام على مفترق الطرق»[3] عن أثر الحملات

(١) انظر د. محمد البهى: الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص١٨٦، ١٨٧ هامش ١.

(٢) المرجع نفسه ص١٨٧.

(٣) نقل هذا الكتاب إلى العربية وطبع ثلاث طبعات كانت الأخيرة فى ١٩٥١م، وصاحبه هو المستشرق النمساوى بولدفايس أعتنق الإسلام، وتسمى باسم «محمد أسد» وشغل منصب رياسة قسم للشرق الأوسط فى وزارة الخارجية الباكستانية.

الصليبية فى تشويه الإسلام وعن دراسة (الاستشراق) لتعاليمه فيقول: «... إلا أن الشرق بعثه الصليبيون لم يقتصر على صليل السلاح، ولكنه كان قبل كل شئ، وفى مقدمة كل شئ: شرا ثقافيا، لقد نشأ تسميم العقل الأوربى عما شوهه قادة الأوربيين من تعاليم الإسلام ومثله العليا أمام الجموع الجاهلة فى الغرب، فى ذلك الحين استقرت تلك الفكرة المضحكة فى عقول الأوربيين:

من أن الإسلام دين شهوانيه، وعنف حيوانى، وأنه تمسك بفروق شكلية، وليس تزكية للقلوب وتطهيراً لها، ثم بقيت هذه الفكرة حيث استقرت..

«إن من أبرز الحقائق على ذلك الفيلسوف والشاعر الفرنسى فولتير، وهو من ألد أعداء النصرانية وكنيستها فى القرن الثامن عشر، لكنه كان فى الوقت نفسه مبغضا مغاليا للإسلام ولرسول الإسلام»(١)

ويقول صاحب الكتاب واصفا عمل المستشرقين فى هذه العبارات:

«لاتجد موقف الأوربى موقف كره غير مبالاة فحسب - كما هى الحال فى موقفه من سائر الأديان والثقافات عدا الإسلام - بل هو كره عميق الجذور، يقوم فى الأكثر على صدود من التعصب الشديد، وهذا الكره ليس عقليا فقط، ولكنه أيضا يصطبغ بصبغة عاطفية قوية!

«قد لاتقبل أوربا تعاليم الفلسفة (البوذية) أو (الهندوكية)، ولكنها تحتفظ دائماً فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلى متزن ومبنى على التفكير.

«إلا أنها حالما تتجه إلى (الإسلام) يختل التوازن، ويأخذ الميل العاطفى فى التسرب، حتى أن أبرز المستشرقين الأوربيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العامى فى كتاباتهم عن الإسلام...، ويظهر فى جميع بحوثهم على الأكثر، كما لو أن

---

(١) الاسلام على مفترق الطرق ص٥٨.

الإسلام لايمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث فى البحث العلمى، بل إنه متهم يقف أمام قضاته، !! إن بعض المستشرقين يمثلون دور «المدعى العام» الذى يحاول إثبات الجريمة، وبعضهم يقوم مقام «المحامى» فى الدفاع !! فهو مع اقتناعه شخصيا بإجرام موكله، لايستطيع أكثر من أن يطلب له – مع شئ من الفتور – اعتبار الأسباب المخففة !!

«وعلى الجملة، فإن طريقة الإستقراء والاستنتاج التى يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع «دواوين التفتيش» تلك الدواوين التى أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها فى العصور الوسطى! أى أن تلك الطريقة لم يتفق لها أبدا أن نظرت فى القرائن التاريخية بتجرد وغير تحزب، ولكنها كانت فى كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها! ويختار المستشرقون (شهودهم) حسب الإستنتاج الذى يقصدون أن يصلوا إليه مبدئيا، وإذا تعذر عليهم الإختيار العرفى للشهود عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التى شهد بها الشهود الحاضرون، ثم فصلوها عن المتن، أوتأولو الشهادات بروح غير علمى، من سوء القصد، من غير أن ينسبوا قيمة ما إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر.. أى من قبل المسلمين أنفسهم»[1]

(١) المرجع السابق: ص٥١، ٥٢.

من أئمة الماديين فى العالم:

برز أئمة الالحاد من الفلاسفة على مر التاريخ، منذ عهد الاغريق، حتى العصر الحاضر، من الذين كانت لهم آراء ظاهرة، حاولوا فيها تفسير الوجود، والكون، وظاهراته، والتغيرات التى تجرى فيه، والحياة وما تستتبع من إرادة وشعور وفكر، تفسيرات مادية تستبعد استبعاداً كلياً فكرة وجود خالق أزلى أبدى عليم حكيم قدير، يفعل مايشاء ويختار.

وقد ورد منهم فى مجموعة من الكتب الفلسفية ما يلى:

١- «ديموقريطس» فيلسوف إغريقى (٤٧٠-٣٦١ق.م).

٢- «أبيقور» و «الأبيقوريون» و «أبيقور» فيلسوف إغريقى (٣٤١-٢٧٠ق.م).

٣- «توماس هوبز» فيلسوف إنجليزى وهو أول الماديين المحدثين (١٥٨٨-١٦٧٩م).

٤- «دافيدهيوم» فيلسوف اسكتلندى (١٧١١-١٧٧٦م).

٥- «شوبنهور» فيلسوف ألمانى (١٧٨٨-١٨٦٠م).

٦- «كارل ماركس» يهودى ألمانى (١٨٢٤-١٨٩٩م).

٧- «بخنر» فيلسوف ألمانى (١٨٤٤-١٩٠٠م).

٩- « سبنسر» فيلسوف إنكليزى (١٨٢٠-١٩٠٣م).

١٠- «برتراند رسل» فيلسوف إنكليزى (١٨٧٣-١٩٧٠م).(١)

---

(١) انظر كواشف زيوف فى مذاهب الفكرية المعاصرة رل: ص٤١٩ - ٤٢٠.

ثانياً: الوجودية: من أخطر الدعوات على الشباب من الجنسين، فهى دعوة خادعة مضللة وتيار فكرى منحل، يحاول به أعداء الإسلام أن يغرقوا فيه بلاد المسلمين، فيتحول الشباب إلى رقعاء ومخنثين وعاطلين وفى النهاية إلى التهلكة(١). وهى إحدى الوسائل الخبيثة للغزو الفكرى.

ومن آفات الوجودية :

ا – الدعوة إلى التحلل من كل ما يربط الفرد بالمجتمع من نظم وتقاليد وعادات وقواعد، وأن يطلق نفسه على هواها تهيم فى كل واد، وترعى كل مايصادفها على طريقها من غير وعى، أوتفكير أوتقدير، ومن غير تقيد بشئ ما، فلا دين ولاوطن ولازوجة ولا ولد ولابيت يخضع له ويكن له الاحترام والتقدير(٢).

ب – إن الوجودية تيار فكرى جارف، أوجدته المادية المعاصرة، إنها دعوة إلى عزل الإنسان عن عالمه الروحى، وتحويله إلى حيوان لاضباط لحركاته، ولاموجه لتصرفاته، ولامبادئ وقيم تنظم سلوكه وتعصمه من الزلل والانحراف، إنه إنسان شكلاً لأنه مجرد من العواطف والمشاعر الآدمية(٣).

جـ – إن زعيمها بول سارتر يقول: «إن ما ينبغى أن تكون عليه حياة الوجودى هو توديع مايسميه الجبناء وجدانا وضميرا، والاستجابة إلى داعى الحيوانية، وتلبية كل ما تدعو إليه شهوته، ونبذ كل التقاليد والتعاليم الاجتماعية، وتحطيم القيود التى ابتدعتها الأديان»(٤). هل هذا تفكير عاقل؟

د – إنها مسلطة على إفساد طبيعة الإنسان، وتدمير عقلة وقلبه وروحه، وجعله على صورة إنسان بلا عقل ولاقلب ولاروح، ومع أنها دعوة خبيثة مدمرة إلا أنها انتشرت وذاعت بين أمم الحضارة والمدنية المعاصرة فى ربوع أوربا وأمريكا، وهذا

---

(١) انظر الدعوة إلى الله على بصيرة ص٢٥٦.

(٢) انظر المرجع السابق.

(٣) انظر المرجع السابق.

(٤) انظر المرجع السابق.

دليل مادى على انفلات هذه المجتمعات من تعاليم الدين، والإنسلاخ عن آدابه، فوقعت فريسة الإلحاد والكفر.

هـ - إن الذى وضع بذور الوجودية[1] أصابع اليهود، فتولوا ترويجها فى المجتمعات الأوربية والأمريكية، وهم يحاولون بشتى الطرق تصديرها إلى بلاد المسلمين ومجتمعاتهم، ويوهمون الشباب بأنها دعوة إلى التحرر والبعد عن الرجعية والتخلف، وفى الحقيقة يضمرون زلزلة المجتمعات بالرذيلة والانحرافات الأخلاقية.

و - إن المستشرقين يروجون لهذه الدعوة الضالة الفاسدة، ليتحلل الشباب من دينه، وخلقه الفاضل، ويتمرد على العقل السليم والمنطق الحكيم، ومن ثم يصبحون عبيد شهواتهم، فلا يكون لهم بأس، ولايخشى لهم خطر على الاستعمار بأنواعه الظاهرة والخفية، وهذا هو القضاء على قوة الإسلام والمسلمين فى صمت ودون ما حرب معلنة.

تحذير أفراد الأمة من الوجودية

إن الواجب على الدعاة والمعلمين وأساتذة الجامعات وأولياء الأمور اليقظة والحذر والحيطة لأبناء وطنهم فالكل فى سفينة واحد، إن غرقت غرقوا جميعا وإن نجت نجوا جميعا كما قال ﷺ:

«مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالو: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنافإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا»(١)

---

(١) تعريف الوجودية: هى فلسفة ترى أن الوجود سابق على الماهية، وهذا تعريف بالمعنى الأعم. وبالمعنى الأخص ما ذهب إليه سارتر إلى أنها تقوم على الحرية المطلقة التى تمكن الفرد من أن يصنع نفسه ويتخذ موقفه كما يبدو له تحقيقا لوجوده الكامل المعجم الوسيط مادة: وجد.

(١) أخرجه الامام البخارى بإسناده عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما فى «باب الشركة».

ثالثاً : العلمانيــــة : إحــدى وسائل الغزو الفكرى ومن الدعـوات الخبيثـة التـى أفرزتها المادية المعاصرة، هدفها الفصل بين الدين والعلم، وهى دعوة خادعة مضللة، لأنها تنتسب إلى العلم، وفى الحقيقة تدعو إلى عزل العلم عن الدين، وإفهام الناس أن العلم يتعارض مع الدين وأن الدين يقف حجر عثرة فى طريق التقدم العلمى، وهذا الحكم إن كان قصده الكنيسة والمعابد، فإنها لاتنطبق بحال على دين الاسلام ونظرة فاصحة إلى أوج عظمة الإسلام فى الأندلس وصقلية وبغداد والقاهرة... إلخ يستطيع الحكم على أن الإسلام لايعادى العلم[1].

سبب ظهور العلمانية :

أ – يرجع ظهور العلمانية فى أوربا نتيجة الصراع العنيف الذى نشب بين رجال العلم ورجال الكنيسة، وكانت الكنيسة ذات سلطان قوى فى أوربا فى القرون الوسطى، فكانت متحكمة فى العقل الأوربى الذى كان لايقبل رأيا أوفكرا، إلا إذا كان مصدره الكنيسة ورجال الدين فيها[2].

ب – أن الكنيسة تكاد تكون صاحبة السلطة المسيطرة طوال القرون الوسطى فى أوربا، حتى ابتدأ الإنسان الأوربى كشف مجالا آخر يرى فيه استقلاله عن الكنيسة، وهو مجال البحث العلمى الطبيعى، ثم أخذ يشعر بوجود نفسه المستقل يوم أعلن قانون الجاذبية، ثم يوم أعلن عن استخدام قوة البخار فى الصناعة، فكان كلما أكتشف قوة أخرى ابتعد عن الكنيسة وسيطرتها، ونال منها وزاد ابتعاده عنها أكثر بعد أن عرف قوة الكهرباء، وفجر الذرة، وبحث الفضاء، وهو حينما يعادى الكنيسة، فهو يحرص على حريته فى حركة البحث وفى السلوك فى ظل دولة قوية مستقلة عن الكنيسة، وعن رأى رجال الاكليروس.[3]

---

(١) راجع للمؤلف: معابر الثقافة الاسلامية.

(٢) انظر الدعوة إلى الله على بصيرة ص٢٥٨.

(٣) انظر للدكتور/محمد البهى العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق ص٨، ٩ من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ط الأزهر ١٩٧٦م.

جـ - صدّر أعداء الإسلام دعوة العلمانية إلى البلاد الإسلامية، على يد تلاميذ المستشرقين فى بلاد المسلمين مروجين لفصل العلم عن الدين، متناسين أن هذه الدعوة تتنافى مع مايدعو إليه الإسلام، الذى لادخل له فيما حدث فى النصرانية من صراع بين رجال العلم ورجال الكنيسة[1] إن العلم فى الإسلام نوع من العبادة التى يثاب المسلم على أدائها تقربا إلى الله عز وجل. فبه يعرف الانسان ربه وخالقه، ومايجب عليه من ولاء لله سبحانه، واستقامة على أوامره واجتناب نواهيه، حيث لايكون عمل الا عن علم، ومن ثم كانت دعوة الإسلام إلى العلم، والاجتهاد الدائب فى طلبه، وإلى تفضيل الذين يعلمون على الذين لايعلمون كما يتضح من قول العليم الخبير: «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون»[2].

وقد رفع الله عز وجل قدر الذين آمنو والذين أوتوا العلم درجات فقال تبارك وتعالى: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»[3] . كما قال سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ : «وقل رب زدنى علما»[4]

لماذا ظهرت العلمانية فى المجتمعات الإسلامية ؟

إن العمانية فى حقيقة الأمر والواقع ليس لها مكان فى وجود الإنسان مع الإسلام، فإما أن يوجد الإسلام ولاعلمانية، أوتوجد العلمانية ولا إسلام، أى لايمكن التوفيق بينهما.

إما العلمانية فهى فى تصور بعض المسلمين المعاصرين، وفى محاولتهم التوفيق بينها وبين الإسلام فى مجتمع إسلامى. فتعود إلى قصور فى تصور الإسلام وفهمه، ثم إلى رغبة فى محاكاة حلول فى تفكير الغرب، لمشاكل كانت وليدة البيئة الغربية، ونتيجة الصراع فيها حول السلطة والتفرد بالقوة فى كل جوانبها فى المجتمع الأوربى[5].

(١) انظر الدعوة إلى الله على بصيرة ص٢٥٨ .

(٢) الزمر: ٩.

(٣) المجادلة: ١١.

(٤) طه: ١٤٤.

(٥) انظر العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق ص٧.

تعريف العلمانية[1] **اصطلاحا**: هى نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الدينى والعبادة الدينية، هى اعتقاد بأن الدين والشئون الاكليريكية «اللاهوتية والكنسية» والرهبنة لاينبغى أن تدخل فى أعمال الدولة وبالأخص فى التعليم العام.

والتحول إلى العلمانية هو التحول من الملكية الدينية إلى الملكية المدنية، أومن الاستعمال الدينى إلى الاستعمال المدنى، هو التخلص من سلطة الرهبنة، والعهد الرهبنى، هو التحول إلى الانتماء المدنى.[2]

دوافع العلمانية الفصل بين الدولة والكنيسة فى القرنين (١٧ ، ١٨):

تكمن الدوافع فى الفصل بين الدين والدولة أوالدولة والكنيسة فى الأسباب التالية:

١ - الحرص على سيادة الدولة سيادة مطلقة فى مواجهة سلطة الكنيسة، ووصايتها السابقة فى القرون الوسطى على الانسان.

٢ - اتهام المسيحية ببعد بعض تعاليمها عن العقل: كعقيدة التثليث وعقيدة الطبيعة الإلهية الإنسانية للمسيح، ومحاولة تصفية المسيحية على أساس من منطق العقل، وتسمية مايخضع للعقل باسم دين العقل.

---

(١) تنسب العلمانية على غير قياس إلى العالم أو العالمية Seculsrisn والعلمانى Secular هو مايتعلق بالحياة الدنيوية المؤقتة، وليست له قداسة مقابل الشئون الكنسية، ومنه الموسيقى الدنيوية مقابل الموسيقى الدينية أوالكنسية، والمدرسة المدنية مقابل المدرسة الإكليريكية. انظر العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق ص٨.

(٢) انظر العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق.

٣- النظر إلى الدين فى التربية على أنه ضد «الطبيعة» بناء على تعاليم المسيحية «بالخطيئة الموروثة».

٤- اعتبار الدين أمرا متطورا، وليس بنهائى، وبالتالى حقائقه حقائق متغيرة وقابلة للنقض[١]

أما المرحلة الثانية للعلمانية فى القرن التاسع عشر، فهى مرحلة:

العهد المادى، أومايسمى «بالثورة العلمانية» مرحلة الجناح اليسارى من مدرسة هيجل[٢] فى القرن التاسع عشر. ويمكن تلخيص نتائج هذه المرحلة والمرحلة السابقة لأهم خصائص الفكر العلمانى فى أوربا فيمايلى:

١ - إن دافع «العلمانية» فى القرنين السابع عشر والثامن عشر كان هو: التنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة، ولذا كان الفصل بين السلطتين هو الحل الفلسفى، أوالرسمى لهذا التنازع.

٢ - إن الدافع عليها فى القرن التاسع عشر، أوفيما يسمى: بين اليسار الثورى، أوالمتطرف فى مدرسة هيجل، هو الاستئثار بالسلطة، ولذا كانت العلمانية غير مساوية لمفهوم الفصل بين الكنيسة والدولة بل كانت إلغاء للثنائية، بهدم الدين كمقدمة ضرورية للوصول إلى «السلطة المنفردة» التى هى سلطة «جماعة العمل» أو«المجتمع» أو«الدولة» أو«الحزب» حسب تحديد بعض هؤلاء اليساريين المتطرفين. ومما سبق نستطيع القول: بأن العلمانية هى أصل التطرف فى العالم اليوم.

---

(١) انظر د. محمد البهى: العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق ص١٧ بتصرف واختصار.

(٢) هو جورج فلهلم فريدك، فيلسوف ألمانى له: علم المنطق، وموسوعة العلوم الفلسفية، وكتب فى الأخلاق والتاريخ والدين، فلسفته مؤداها: أن للكون روحا يبتدئ فى مراحل تطورية يعينها المنطق الجدلى، ومحصله أن فكرة ما تولد نقيضها، ومن تفاعل النقيضين تنتج فكرة تؤلف بينهما ..، ففكرة الوجود تولد فكرة العدم، ومن تآلفها تنتج الصيرورة... راجع: كواشف زيوف- مرجع سابق - ص٧١ هامش ٣.

تعريف العلمانية:

جاء فى القاموس الانجليزى أن كلمة (علمانى) تعنى:

(١) دنيوى أومادى. (٢) ليست بدينى أوليست بروحانى.

(٣) ليس بمترهب ليس برهبانى.

وجاء أيضاً فى نفس القاموس، بيان معنى كلمة العلمانية حيث يقول: العلمانية هى النظرية التى تقول: إن الأخلاق والتعليم يجب أن لايكونا مبنيين على أسس دينية.

وفى دائرة المعارف البريطانية نجدها تذكر عن العلمانية أنها: حركة اجتماعية تهدف إلى نقل الناس من العناية بالآخرة إلى العناية بالدار الدنيا فحسب.

يفهم مما تقدم أمران:

أولهما: أن العلمانية مذهب من المذاهب الفكرية: التى ترمى إلى عزل الدين عن التأثير فى الدنيا، فهو مذهب يعمل على قيادة الدنيا فى جميع النواحى: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية وغيرها بعيداً عن أوامر الدين ونواهيه.

ثانيهما: أنه لاعلاقة للعلمانية بالعلم كما يحاول بعض المراوغين أن يلبس على الناس بأن المراد بالعلمانية هو الحرص على العلم التجريبى والاهتمام به، فقد تبين كذب هذا الزعم.

ولهذا لوقيل عن هذه الكلمة «العلمانية» إنها: «اللادينية» لكان ذلك أدق تعبيراً وأصدق وكان فى نفس الوقت أبعد عن التلبيس وأوضح فى المدلول.

وللعلمانية صورتان كل صورة أقبح من الأخرى:

الصورة الأولى: العلمانية الملحدة وهى التى تنكر الدين كلية وتنكر وجود الله الخالق البارئ المصور.

ولاتعترف بشئ من ذلك بل تحارب وتعادى من يدعو إلى مجرد الإيمان بوجود الله وهذه العلمانية بفجورها ووقاحتها قد حكمت على نفسها بالكفر.

وخطر هذه الصورة من العلمانية من حيث التلبيس على عوام المسلمين خطر ضعيف وإن كان لها خطر عظيم من حيث محاربة الدين ومعاداة المؤمنين ومحاربتهم وأيذائهم بالتعذيب والقتل.

الصورة الأخرى: العلمانية غير الملحدة وهى علمانية لاتنكر وجود الله وتؤمن به إيماناً نظرياً لكنها تنكر تدخل الدين فى شئون الدنيا وتنادى بعزل الدين عن الدنيا وهذه الصورة أشد خطراً من الصورة السابقة من حيث الإضلال والتلبيس على عوام المسلمين[1]

ولاسبيل إلى التغلب على هذه العقبة إلا بصبغ الإعلام على اختلافه فى العالم الإسلامى بالصبغة الإسلامية وجعله يخدم الدعوة الإسلامية ويرشد أبناء المسلمين إلى الأخلاق الفاضلة ويدلهم على طريق الخير والرشاد بدلا من طريق الشر والفساد[2]

---

(١) العلمانية وثمارها الخبيثه للشيخ عبد الله الجبرين ص. ٦، ٧، ١٥، ٢٨.

(٢) كيف ندعو للإسلام؟ لفتحى يكن ص٨٨.

٣ – إن البحوث الطبيعية، والتقدم العلمي بالتدريج، منذ نهاية القرون الوسطى، هى التى جرأت أرباب هذا الفكر العلمانى على الخروج على وصاية الكنيسة، وعلى الاستقلال فى النشاط الانسانى، وحركة المجتمع عن أى رأى يصدر منها.

٤ – إن الفكر العلمانى سواء فى مرحلته الأولى أوالثانية، لم يسلم فى أوربا من مواجهة فكر فلسفى آخر معارض، فقد قامت مدرسة كمبردج بمعارضة هوبز، أشد المفكرين العلمانيين صلابة ضد الكنيسة فى مرحلة العلمانية الأولى كما قام كثيرون فى المرحلة الثانية منها بمعارضة المادية عند فيرباخ[1] والمادية التاريخية عند ماركس[2]، وبنقض الأسس الفلسفية التى تبناها الاتجاه المادى المعاصر، سواء أكانت أسسا تنتهى إلى دائرة البحث الطبيعى، أو إلى دائرة الاقتصاد، وأبرز المعارضين لهذا الاتجاه المادى كتلة المنشقين اليساريين من أتباع: «برنشتين»[3] الذين لقبوا من أعدائهم اليساريين.. بالمرتدين.

٥ – إن الموطن الذى ولد فيه الفكر العلمانى: «فى مرحلتيه» هو: انجلترا، وفرنسا، وألمانيا، لم يأخذ بالاتجاه العلمانى فى التطبيق فى الحياة

---

(١) هو «لودفج اندرياس فيورباخ» فيلسوف ألمانى عاش ما بين (١٨٠٤ – ١٨٧٢). اعتنق أولا مذهب «هيجل» ثم نبذ المثالية المطلقة، واعتنق المادية الطبيعية. ومن أقواله: إن الشعور الدينى يتولد عن أمانى الانسان، وإن الدراسة الفلسفية الصحيحة هى الانسان نفسه، تأثر بكتاباته: «ماركس» و«انجلز» مؤسسا الشيوعية الحديثة. انظر كواشف زيوف ص٧٢ هامش ٣.

(٢) فيلسوف يهودى ألمانى وعالم اجتماع، وصاحب المذهب المادى التاريخى. راجع د. محمد البهى: الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص٣٢٦ هامش ١.

العملية، فالتاج البريطانى لم يزل حاميا للبروتستانت، وفرنسا لم تزل حامية للكثلكة فى صورة عمليةوالدولة فى انجلترا وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية، وألمانيا – رغم إعلان أنها علمانية – فإنها تساعد المدارس الدينية من ضرائبها الخاصة التى تجيبها من الموطنين، مع علمها باستقلال هذه المدارس فى برامجها التعليمية، وببعدها عما تجرية الدولة من تفتيش على النفقات التى تنفقها.

والجانب الآخر الذى يتبنى البلشفية كدين وكسياسة، بدل المسيحية فى أوربا الشرقية، لم يأخذ منذ الستينات السياسة «التعايش السلمى فقط، مع الرأسمالية الغربية، وإنما يأخذ كذلك بسياسة «حسن العلاقات» مع دولة الفاتيكان.(١)

وعن معنى تعريف العلمانية أيضا تقول دائرة المعارف البريطانية:

«هى حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة، والإهتمام بالحياة الدنيا وحدها، ذلك أنه كان لدى الناس فى العصور الوسطى رغبة شديدة فى العزوف عن الدنيا والتأمل فى الله واليوم الآخر، ومن أجل مقاومة هذه الرغبة طفقت العلمانية تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية حيث بدأ الناس فى عصر النهضة يُظهر تعلقهم الشديد بالانجازات الثقافية البشرية، وبإمكانية تحقيق طموحهم فى هذه الحياة القريبة، وظل هذا الاتجاه يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية»(٢).

(١) انظر د. محمد البهى: العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق ص٢٩، ٣٠.
(٢) نقلا عن الشيخ محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة ص٤٤٥.

يتضح من هذا التعريف أن العلمانية لاعلاقة لها بالعلم، وإنما تعلقها منصب على الحياة المادية، متجاهلة أمر الدين.

نشأة العلمانية:

لم تنشأ العلمانية نشأة طبيعية، إنما تولدت إثر الصراع الذى نشب بين رجال الدين الكنسى والعلم، حتى أدى إلى ماطبعت عليه الحضارة الغربية المعاصرة كرد فعل ضد رجال الكنيسة، الذين يمثلون الدين، وكان هذا بداية نشأة العلمانية نعم لقد:

«نشأت الحركة العلمانية عن هذا الصراع العنيف الذى استقر أواره بين رجال العلم والكنيسة قرونا، إذ كانت الكنيسة بسلطانها القوى فى القرون الوسطى متحكمة فى العقل الأوربى، حيث لايقبل فكر أورأى لايكون مصدره الكنيسة ورجال الدين منها، وكان من سلطان الكنيسة أنها تملك حق الغفران للعصاة والخاطئين ومرتكبى الكبائر من المسيحيين، كما أن لها حق الحرمان والطرد من ملكوت الله ومن ساحة رحمته فى أتباعها.

ومن هنا كان لها أن تتحكم فى عقول الناس، بعد أن أعطاها الدين «دين المسيحية الذى اصطنعت» الحق فى أن تتحكم فى عقول الناس وضمائرهم، وقلوبهم، وأن تنكر كل قول يقوله العلماء فى الطبيعة والكيمياء حتى أن الكنيسة لتكفر هؤلاء العلماء، وتحكم عليهم فى أحيان كثيرة بالزندقة والكفر وأخيرا القتل»[1].

لقد سيطرة المادية على الحياة العامة فى أوربا، حتى أن اليهود لهم فى هذا المجال الباع، والصولجان، ولعبوا دورا بارزاً فى اتجاه الفكر الحديث، من أجل

---

(١) الأستاذ عبد الكريم الخطيب: الدعوة إلى الإسلام ص١٠٢.

القضاء على المسيحية أولا، ثم الإسلام ثانياً.. إن اليهود كانوا من «وراء فصل الدين عن الدولة فى أوربا بغية القضاء على بقايا الدين الذى حرفوه فى الماضى وقاموا بتعطيلة وحبه عن المجتمع داخل جدران الكنيسة فى عصر النهضة»[1]

فالاعتقاد المسيحى يعتمد على ظاهر النص، فيعتقد المسيحيون أن مملكة المسيح عليه السلام ليست فى هذا العالم، وأن مملكة الله لله، ومملكة قيصر لقيصر.

كما أن المسيحية لم تأت بتشريع جديد، كما لم يبعث عيسى عليه السلام مشرعا فقد ورد عنه: «أننى لم أجئ لأغير الناموس ولكن لأقرر».

«وإنما أمر عيسى بإحياء شريعة موسى والعمل بها».

كما أن وجود بعض النصوص المحيرة فى العهد القديم، قد أجهدت العقل المسيحى بلاشك، كما أجهدت الفكر الانسانى الخلاق والمنطلق[2].

لقد وقع العقل المسيحى فى حيرة بسبب الدين الذى انتابته عوامل التعرية، فأبعدته عن حظيرة الحق، فكان لابد من الخروج من هذه الحيرة إلى آفاق العلم الرحب وحده، فوقع فى الشقاء، حيث حدث له رد الفعل الذى يتسم بالعنف والتطرف فى غالب أحواله وتكون النتيجة المؤلمة انحراف من نوع جديد..، يهرب المتمردون على المادية بعد توغلهم فيها وتعمقهم إلى أجواء الروح المثالية التى لارصيد لها من الواقع ويهرب المتمردون على الفناء الذاتى باسم الروح إلى عوالم المادية الرافضة لكل مطامح الروح والحس العينى العميق.

(١) الدكتور على جريشة: أساليب الغزو الفكرى ص٦١.

(٢) انظر د: فاروق عبد السميع: الأحزاب السياسية ص٩٧ وما بعدها.

وهكذا فالتمرد على الانحراف فى غالب أحواله لايأتى إلا بانحراف من نوع جديد ولن يخرج الانسان من هذه الحلقة المفرغة، ويعيده إلى توازنه الأصيل بين روحه وجسده إلا الدين لأنه المنهج الوحيد القائم على الموضوعية، والنظرة الشاملة لأنه صادر عن الله سبحانه وتعالى.(١)

إنه لابد من التوازن بين الجسد والروح، ليعيش الانسان متساوقا مع نفسه، بحيث لايطغى جانب على حساب آخر، ولايوجد التوازن الحقيقى بين البدن والروح إلا فى دين الإسلام، ومنهجه التقويم.

لقد عجز العلم الحديث عن التوازن أوالموائمة بين الروح والبدن، وأثبت عجزه وفشله إزاء ها، بالرغم من كشوفاته، واختراعاته وتقنيته، وتقدمه المذهل فى عالم الصناعات، وكان المنتظر أن يجعل العلم من الانسان سيدا، مطمئنا على غده، يمشى على الأرض غير خائف ولاوجل، ولكن الذى حدث هو العكس تماما.

يقول الدكتور الكسيس كاريل فى كتابه المشهور: «الانسان ذلك المجهول»:

«إننا بتعلمنا سر تركيب المادة وخواصها استطعنا الظفر بالسيادة تقريبا على كل شئ موجود على ظهر البسيطة... فيما عدا أنفسنا، ... إن علم الكائنات الحية بصفة عامة...، والانسان بصفة خاصة لم يصب مثل هذا التقدم...، إنه لايزال فى المرحلة الوصفية، فالإنسان كل لايتجزأ، وفى غاية التعقيد، ومن غير الميسور الحصول على عرض بسيط له وليست هنا طريقة لفهمه فى مجموعه، أوفى أجزائه فى وقت واحد، كما لاتوجد طريقة لفهم علاقته بالعلم الخارجى، ولكى نحلل أنفسنا فإننا مضطرون إلى الإستعانة بفنون مختلفة، وإلى إستخدام علوم عديدة، ومن

(١) انظر د: عماد الدين خليل: تهافت العلمانية ص٥٢. باختصار.

الطبيعى أن تصل كل هذه العلوم إلى أمور مختلفة فى غايتها المشتركة، فإنها تستخلص عن الإنسان ماتمكنها وسائلها الخاصة من بلوغه فقط، وحتى بعد أن تضاف هذه المستخلصات بعضها إلى بعض فإنها تبقى أقل غناء من الحقيقة الصلبة...، فأغلب الأسئلة التى يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشرى تظل بلا جواب؛ لأن هناك مناطق غير محدودة فى دنيانا الباطنية مازالت غير معروفة...، من الواضح أن جميع ماحققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الانسان غير كاف، وإن معرفتنا بأنفسنا مازالت بدائية فى الغالب..، فالعقل كما يقول برجسون: يتصف بعجز طبيعى عن فهم الحياة وبالعكس، فإننا نحب أن نكشف فى جميع العوالم، تلك الأشكال الهندسية الموجودة فى أعماق شعورنا، ونحن لانملك أى فن. يمكننا من النفوذ إلى أعماق المخ وغوامضه»، أوإلى الاتحاد المتناسق بين خلايا[1]». اهـ

وبما أن العلمانيين يتجاهلون حقيقة الإنسان المركبة من روح ومادة، لن يستطيعوا التعامل مع الإنسان، لقصور نظمهم، ومحدودية عقولهم، ومن ثم تتضح لنا هذه الحقائق:

ا - إن العلمانية تضع الحواجز بين عالمى الروح والجسم، مع أن الإنسان ليس فيه فاصل بين روحه وجسده.

ب - إنها أبعدت الدين عن المشاركة فى أى نشاط إنسانى حتى أفقدت القيم الدينية إيجابيتها وفاعليتها لدى الانسان
واعتبر الدين عند العلمانيين قيما سالبة.

جـ - بقيام العلمانية بتنظيم حياة الانسان بدلا من الدين أوقعته فى القلق

(١) نقلا عن كتاب تهافت العلمانية د. عماد الدين خليل ص٥٤ ومابعدها.

الدائم، بسبب ازدواج السلطة بين مشاعره الباطنية، وقوانينه الوضعية.

د - حينما أغفلت القيم الدينية، ألغت ما توارثته المجتمعات الإنسانية من تعاليم الأديان، ففتحت المجال للتصادم بين هذه القيم الجماعية وبين القيم المادية الفردية المفروضة.

هـ - حينما ألغت القيم الدينية أوأهملتها، جعلت جل اهتمامها للقوانين المادية حكما على الانسان، وحركته فى الحياة واستندت لضمان تطبيقها على مجرد القوة وعوامل الضبط الخارجي فقط.

و - لم يستطع واضعوا القوانين - على فرض نزاهتهم وحيدتهم - تحقيق التوازن بين الروح والجسد التمثلة فيه، ومن ثم كان التمرد والعصيان، اللذان يحتمان على واضعى القوانين إلى تغييره، وإعادة صياغته من جديد لضمان استمرار الطاعة، وخلال عمليات التغيير والتبديل المستمرين، وما يستغرقانه من وقت يعيش المجتمع فى تمزق وتخلخل.

ز - ترى العلمانية للإنسان لكى ينطلق فى الحياة أن السياسة لاخلق لها، ومن ثم فهى لاتلتقى مع الدين فكلاهما على طرفى نقيض[1].

العلمانية فى بلاد المسلمين: ظهرت العلمانية فى بلاد المسلمين خاصة فى وسائل الاعلام: المقروءة والمسموعة والمرئية فى العصر الحديث وقبل أن نتحدث عن هذه العقبة يجب أن نعرف العلمانية لغة ونتعرف على آثارها:

---

(١) انظر د. أحمد عبد العال: العلمانية من مذكرة الثقافة الاسلامية ص٨ ومابعدها - كلية الشريعة - وأصول الدين بالجنوب.

من الآثار الخبيثة للعلمانية فى العالم العربى والاسلامى:

١ - رفض الحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى وإقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة والإستعاضة عن الوحى المنزل على سيد البشر محمد بن عبد الله ﷺ بالقوانين الوضعية التى اقتبسوها عن الغربيين المحاربين لله ورسوله واعتبار الدعوة إلى العودة إلى الحكم بما أنزل الله وهجر القوانين الوضعية تخلفاً ورجعية وردة عن التقدم والحضارة.

٢ - تحريف التاريخ الاسلامى وتزييفه وتصوير العصور الذهبية لحركة الفتوح الإسلامية على أنها عصور همجية تسودها الفوضى والمطامع الشخصية.

٣) إفساد التعليم وجعله خادماً لنشر الفكر العلمانى وذلك عن طريق.

ا) بث الأفكار العلمانية فى ثنايا المواد الدراسية بالنسبة للطلاب.

ب) تقليص الفترة الزمنية للمادة الدينية إلى أقصى حد.

ج) منع تدريس بعض النصوص الدينية.

د) تحريف النصوص الشرعية.

هـ) إبعاد المدرسين المتمسكين بدينهم عن التدريس، ومنعهم من الاختلاط بالطلاب وذلك عن طريق تحويلهم إلى وظائف إدارية أو إحالتهم إلى المعاش[1]!!.

إن القوانين الوضعية التى أقتبسها المسلمون من أعدائهم العلمانيين وطبقوها فى أمور حياتهم المختلفة: أباحت الانحراف والفساد فى عالم السياسة والربا والاحتكار فى عالم الاقتصاد والتحلل من الأخلاق الفاضلة فى عالم الاجتماع

(١) العلمانية وثمارها الخبيثة ص٦٦-٧١ بتصرف.

وسمحت للمرأة المسلمة بالاختلاط بالرجل فى مظاهر النشاط البشرى المختلفة مما أدى إلى الانحراف وإشاعة الفاحشة والفساد فى المجتمعات الاسلامية، نتيجة لعدم الالتزام بمبادئ الاسلام.

والأدهى من ذلك وأمر أن الانحراف صور أحيانا على أنه علامة على التحرر والتقدم وكسر قيد التخلف.

ولاسبيل لإزالة هذه العقبة الكأداء من طريق الدعوة إلى الله إلا بالرجوع إلى كتاب الله الحكيم وسنة رسوله الكريم وتحكيمها فى أمور المسلمين وتطبيق حكم الله فى جميع ميادين الحياة فى بلاد المسلمين ونبذ القوانين الوضعية وكل ما يتعارض مع شرع الله سبحانه وتعالى[1]

« إن العلمانيين يرفضون تحكيم الشريعة الإسلامية لعدم صلاحيتها حيث قالوا: التشريعات الإسلامية ذاتها قد تجاوزتها ظروف الزمان والمكان. فلم تعد فى منظورهم صالحة لحكم العصر، وذلك لأن النصوص الدينية ثابتة والحياة الدنيا متغيرة ولاسبيل لتحكيم الثابت على المتغير».

يقول الدكتور فؤاد زكريا: «يرتكز الداعون إلى الجمع بين الدين والدنيا ومن ثم بين العقيدة والسياسة على مبدأ صلاحية النص الدينى لكل زمان ومكان.

وهذا المبدأ فى ذاته يولد تناقضاً أساسياً عند تطبيقه على القضية التى نقوم الآن بتحليلها.

ذلك لأن الدنيا بطبيعتها متغيره وأحوال المجتمع والانسان والسياسة لاتكف عن التطور وهذه فى نظر أى إنسان لديه الحد الأدنى من الثقافة العصرية..... إلى أن قال ومبدأ الاسلام دين ودنيا إذا كانت الدنيا لاتكف عن التغير.

(١) انظر الدعوة إلى الله على بصيرة د. عبد النعيم محمد حسين ص٤٨.

والتغير معناه: أن ما يصلح لها فى زمان ومكان معين قد لايصلح فى زمان ومكانآخرين.(١)

«وقال: إن التجارب المعاصرة فى تطبيق الشريعة كانت كلها فاشلة بل إنها اضطرت آخر الأمر التخلى عن نظم فى الحكومة مضادة لما تدعو إليه جميع الشرائعالسماوية...»(٢)

إن الذى ينبغى الإشارة ولفت الأنظار إليه: أن كثيراً من البلاد الاسلامية فى العصر الحديث يسود فيها الحكم بغير ما أنزل الله فقد أدى ضعف المسلمين وتمزقهم إلى فقدهم الثقة بأنفسهم. فأثر فيهم الغزو الفكرى الذى وجهه إليهم أعداؤهم وجعلهم يقلدون هؤلاء الاعداء بدون وعى ويقتبسون قوانينهم الوضعية ويطبقونها فى بلادهم.(٣)

وتبدأ هذه الخطوة بالحديث عن ضرورة الأجتهاد المستنير لتحقيق روح الاسلام وجوهر الاسلام وتحدى المصلح التى هى المقصود الأول لكافة الأحكام الشرعية.

ولاتتحقق الاستنارة على وجهها إلا بتحكيم هذه المصلحة فى النصوص بحيث تكون المصلحة فوق النص وإن كان فى القرآن... إلى أن قال فليبق النص مقدساً يتعبد الناس بتلاوته وتنتقل الحاكمية إلى المصلحة كما تردها الاهواء البشرية المتقلبه.(٤)

لباسالعلمانية:

(١) كتاب الصحوة الاسلامية ص٣٠ للدكتور فؤاد زكريا.

(٢) كتاب الوهم والحقيقة ص١٧٣ - ١٧٤ للدكتور فؤاد زكريا.

(٣) كتاب الدعوة إلى الله على بصيرة ص٤٨.

(٤) نقلا عن كتاب العلمانية ص٢٣ للدكتور صلاح الصاوى.

لبست العلمانية ردائين:

أحدهما: يتظاهر بالحياد تجاه الدين: فى عقائده وعبادته المحضة، وحصر الدين فى دائرة تخصصه، وتظاهروا بعدم إلغاء الدين إلغاء كليا ويزعم لابسوا هذا الرداء: أن تعاليم الدين فى شئون الحياة غير صالحة، لأنها غير علمية ولاعقلية «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا».[1]

ثانيهما: يعلن الحرب على الدين كله، ويسعى بكل حيلة لإلغائه إلغاء كليا، وجعل المادية، ومفاهيم التطور الذى للكون والإلحاد بالله عز وجل، والكفر بكل القيم الدينية هى المذهب السائد، ويتخذ لابسوا هذا الرداء كل وسائل المكر والكيد والقهر والإكراه والتزييف الفكرى للحقائق، وفرض القوانين، ومناهج السلوك، وبرامج التعليم الموجه بغية تحقيق هذا الهدف...، فالعلمانية شعار يتستر بالعلم، وبالتزام ماتثبته الحقائق العلمية، ويوحى ضمنا أويعلن صراحة أن الدين يتناقض مع العلم.

وبهذا الزعم الباطل يضيقون دائرة اختصاص الدين تضييقا شديداً.[2]

من نتائج الاتجاه العلمانى:

أن الذين تمذهبوا بالمذهب العلمانى، انطلقوا يبحثون فى كل مجال من مجالات الحياة عما توصلهم إليه علمانيتهم من أفكار ومناهج ونظم لاتخاذها مذاهب لهم...، فكان من إفرازات العلمانية: المذاهب الاقتصادية المختلفة المعاصرة من رأسمالية إلى اشتراكية مختلفة إلى شيوعية على اختلافها أوتناقضها كلها من منتجات العلمانية مع العقلانية، وأن المذاهب السياسية المعاصرة من ديمقراطية إلى ديكتاتورية على اختلافها أوتناقضها هى من نتاج العلمانية مع العقلانية، وكذلك

(١) الكهف: ٥.

(٢) كواشف زيوف ص١٦٤، ١٦٥ بتصرف واختصار.

المذاهب الأخلاقية المتخالفة والمتناقضة أحيانا من نتاج الاتجاه العلمانى أوالعقلانى، وهكذا سائر المذاهب الاجتماعية المختلفة والمتناقضة أحيانا والآراء والأفكار والمذاهب المختلفة وعلم النفس وفى سائر العلوم.

وطبقت العلمانية فى التعليم ومناهجه فأبعد الدين عنه.

وطبقت فى السياسة والحكم فعزل الدين عنهما.

وطبقت فى الاقتصاد ونظم الأموال فعزل الدين عن هذا المجال.

وطبقت فى القوانين المدنية، فوضع العلمانيون قوانينهم.

وطبقت فى الفنون فانطلق هواة الفن ينتجون انتاجهم المختلف مستهينين بالدين وبفضائل الأخلاق وبفضائل السلوك.

وسقط العلمانيون العقلانيون فى مذاهب متخالفة ومتناقضة أحيانا، ولم يقدموا للإنسانية مناهج سليمه تحل مشكلات الحياة البشرية على مستوى الفرد والجماعة...، وكل ذلك بإهمالهم لدين الله به الحق الذى ختم الله به جميع الرسالات للناس جميعاً وهو الإسلام.[1] وركزوا جل اهتمامهم فى صرف الناس عن الدين إلى الإلحاد.[2]

---

(١) المرجع السابق ص١٦٦، ١٦٨ بتصرف واختصار.

(٢) تعريف الإلحاد:

يراد من الإلحاد هنا المعنى المصطلح عليه فى هذا العصر، وهو إنكار وجود ربٍّ خالق لهذا الكون، متصرف فيه، يدبّر أمره بعلمه وحكمته، ويجرى أحداثه بإرادته وقدرته.

أما اعتبار أن الكون أومادته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها واعتبار ظاهرة الحياة، وما تستتبعه من شعور وفكر حتى قيمتها عند الإنسان، من أثر التطور الذاتى فى المادة، فهذا كذب وافتراء وضلال وكفر.

....

وربما كان يطلق على هذا النوع من الكفر كلمة «زندقة» وصاحبها «زنديق» ويجمع على «زنادقة».

والإلحاد فى الأصل هو الميل والعدوان والجور والظلم وهو فى اللغة يقال: لحد فى الدين لحداً، وألحد فى الدين إلحاداً، لمن مال وعدل عن صراطه وحاد، أوجار وظلم.

وقول الله تعالى: «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه. سيجزون ماكانوا يعملون» الأعرف: ١٠٨. نقلا عن كواشف زيوف فى المذاهب الفكرية المعاصرة ص٤٠٩.

أى: يجورون فى أسمائه عز وجل عن الحق، ويميلون بها عن معانيها، وعن كمالاتها. ومن ذلك اشتقاق مشركى العرب أسم وثنهم «اللات» من الاسم الأعظم «الله» واشتقاقهم اسم وثنهم «العزّى» من اسم الله «العزيز» ونحو ذلك.

وقول الله عز وجل :

«إن الذين يلحدون فى اياتنا لايخفون علينا. أفمن يُلقى فى النّار خير أم من يأتى آمناً يوم القيامة، أعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير». فصلت: ٤٠.

يلحدون فى آياتنا: أى يحرفون فى دلالاتها ومقاصدها، ويميلون بها عن الحق والهدى الذى جاء فيها، بتفسيرات يتبعون فيها أهواءهم ومذاهبهم.

وقول الله عز وجل:

* إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد. ومن يُرِدْ فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم» الحج: ٢٥.

أى: ومن يرد فيه عملاً مصحوباً بميل عن صراط الله بظلم فى حق الله أوحق عباده، كالصدّ عن سبيل الله، والعدوان على حقوق عباد الله. فجزاؤة أن يذيقه الله من عذاب أليم.

وجاء فى الحديث: «احتكار الطعام فى الحرم إلحاد فيه» أخرجه أبو داود عن على بن أمية، أشار السيوطى إلى أن درجته (حسن) وروى الطبرانى فى الأوسط عن ابن عمر، عن النبى ﷺ: «احتكار الطعام بمكة إلحاد». أى:

ظلم وعدوان وميل عما أوجب الله فى حقه، لتأمين رزق المقيمين فيه والوافدين إليه نقلا عن كواشف زيوف فى المذاهب الفكرية المعاصرة ص٤١٠.

ظاهرة الالحاد فى التاريخ الانسانى:

كان الإلحاد ظاهرة فردية شاذة، وربما أجتمع عليه فئات قليلة شاذة من هواة الأجرام، والظلم والعدوان، والفسق والفجور والطغيان، وربما كان نزعة متأله متسلط من البشر، يجحد الرّب الخالق ليجعل نفسه إلهاً، فيعبده الناس من دون الله.

١ – ولم يصبح الإلحاد ظاهرة وبائية فى كتل بشرية وتجمعات إنسانية ثقيلة، وخطيرة إلا بعد أن خطط اليهود لنشر الالحاد فى الناس، ولجعله مذهباً، وإقامة منظمات ودول كبيرة تدين به، وتكون مُناخاً طبيعياً فى أيدى شياطينهم، الذين يحتلون من هذه المنظمات والدول مراكز القيادة والتوجيه، ثم عملوا بكل ما أوتوا من مكر وخبث ودهاء وقوة ومال، لتحقيق هذا الهدف، الذى زعموه ممهداً لإقامة دولتهم الكبرى، التى يحلُمون بأن تحكم العالم كله.

جاء فى البروتوكول الرابع، من برتوكولات شياطين صهيون:

«يجب علينا أن ننزع فكرة الله ذاتها من عقول «الجوييم» الأميين، وأن نضع مكانها عمليات حسابية، ورغبات مادية» نقلاً عن كواشف زيوف المذاهب الفكرية المعاصرة ص٤١١.

٢ – طرق انتشار الإلحاد المعاصر.

أما إنتشار الإلحاد فى الناس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، فكان له أكثر من طريق اتخذها اليهود وأجراؤهم ووكلاؤهم والمنظمات الخاضعة لهيمنتهم، أوالسائرة فى مخططاتهم. نقلاً عن كواشف زيوف فى المذاهب الفكرية المعاصرة ص٤١٢.

موقف الإسلام من العلمانية:

أما موقف الإسلام من العلمانية فهو موقف الضد لأنه:

أولاً: يوم أن شدد فى دعوته على «التوحيد» ومقاومة «الشرك» فى العبادة قصد إلى رفع الازدواجية، والثنائية فى تحديد مصير الإنسان، وفى توجيهه، وإلى المساواة فيما بينه وبين الناس، فليس بينهم معصوم سوى رسول الله ﷺ فى تبليغ ما أمر بتبليغه إلى الناس. والجميع بعد ذلك سواء فى جواز الخطأ والصواب فى تفكيرهم وسلوكهم وتصرفاتهم[1]

ثانياً: يوم أن وجه الإسلام دعوته إلى أهل الكتاب بقوله: «قل: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم: أن لانعبد إلا الله، ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون».[2]

فطلب إليهم الاتفاق على احتفاظ الانسان بسيادته وكرامته، وذلك بألا يعبد الإنسان سوى الله وحده، فلا يعبد شيئا من أجزاء الطبيعة، فلايعبد إنسانا فردا، أوممثلا لجماعة كمجتمع، أودولة، أوحزب، فيوم أن ناداهم على الاتفاق على هذا المبدأ، لم يكن مستأثرا وحده بالسلطة، كما لم يكن مهينا للبشرية ولامستذلا للإنسان.

إن دعوة عدم الشرك بالله، وعدم تأليه الطبيعة أوأحد أجزائها، وإن عدم خضوع الإنسان للإنسان الشخصى، أوالمعنوى - فى تواضع العابد ومذلته - هى دعوة لإبعاد الإنسان عن مصدر المذلة، وللاحتفاظ بالمساواة فى الاعتبار البشرى، وإذا عبد الإنسان الله عز وجل وحده، فإنما يتقرب بعبادته إياه إلى محاكاة قيم عليا

---

(١) انظر د. محمد البهى: العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق ص٣١.

(٢) آل عمران: ٥٤.

تصور صفاته جل شأنه، وهى صفات الكمال: فى العلم، والخلق، والقدرة، والحياة، والتدبير، والارادة والغنى بالذات... إلى آخر صفاته التى يتحدث عنها القرآن الكريم، ومن شأن محاكاة مثل هذه القيم العليا فى ذات الإنسان العابد لله سبحانه وحده،، تأكيد سموه الإنسانى واعتباره البشرى[1].

وتفيد الدعوة إلى أهل الكتاب فى دلالتها، ليكونوا على قدم المساواة مع المسلمين فى المحافظة على البشرية من الإهانة والمذلة، وفى ممارسة حق الاعتبار الإنسانى فى غير خشية ولاخوف، لم يكن الإسلام إذن ذا نزعة انفرادية فى تولى سلطة، ولاذاميل متطرف للقضاء على معارضة المعارضين، وبذلك يقضى القرآن فى دعوته على نزعة الاستئثار بالسلطة لفريق من الناس دون فريق آخر، وهى تلك النزعة التى كانت الدافع إلى العلمانية فى مرحلتها الثانية وهى مرحلة اليسار المتطرف.[2]

إن ختم الرسالات السماوية برسالة الإسلام، فيه فائدة عظمى للإنسان فحين يعتقد انتهاءها بدين الإسلام، فإنه يشعر بمدى استقلاله، ويحول بينه وبين أن يترقب إملاء آخر، أونبى آخر لاحق، وهو إذ يمارس الآن هذا الاستقلال فى التفكير، فإنه لايكون مرتبطا إلا بتلك المبادئ الموضوعية والعامة، وهى التى تحدد نظام الحياة للإنسان فى جوانبها المتعددة: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والمالية، والأسرية،والتوجيهية[3]

(١) انظر: العلمانية والاسلامية بين الفكر والتطبيق ص٣٧.

(٢) انظر المرجع نفسه.

(٣) انظر المرجع نفسه ص٣٨.

العلمانية فى مجال التطبيق

ظهر تطبيق العلمانية فيمايلى:

أولا: فى البلاد الأوربية التى أخذت بفكرة العلمانية فى مرحلتها الأولى، ولم تزل ترعى المسيحية كدين بالإسهام من ضرائب الدولة نفسها، فى مساعدة التعليم الدينى فى مدارس الجمعيات الدينية، وهى لاتحول إطلاقا دون أن ينتشر التعليم الدينى فى المدارس الخاصة، وإن كانت لاتعد كثيرا بالمساعدات المادية خشية من احتكاك السلطات الدينية المتعددة مع الدولة، إن بدا أنها تؤثر مثلا بقليل أوبكثير بعض الكنائس دون بعض، على نحو ماعليه الوضع فى الولايات المتحدة الأمريكية، فالدولة الاتحادية تعترف بثلاث سلطات دينية: سلطة الكنيسة الانجيلية، وسلطة الكنيسة الكاثوليكية، وسلطة الحاخامية اليهودية[1]

ولم تزل تدخل نفسها ضد مايظن أنه يمس شئون الكنيسة من قريب أوبعيد ففى سنة (١٩٥٨) كتب الدكتور محمد البهى ثلاث مقالات فى مجلة الأزهر عن المستشرقين والمبشرين، اعتبرت بعض دوائر الفاتيكان أنها تنطوى على بعض الإحراج لشئون التبشير الكاثوليكى على وجه الخصوص، فكان أول احتجاج وصل إلى وزارة الخارجية المصرية هو احتجاج سفارة الولايات المتحدة الأمريكية، تلاه احتجاجات أخرى عديدة من السفارات الغربية التى تمثل فى بلادها أكثرية بروستنتية أوكاثوليكية على السواء. وكذلك لم تزل الدولة العلمانية الغربية ترعى المسيحية كدين، والكنيسة كسلطة دينية، بالحرص على جباية الضرائب الخاصة بالكنيسة عن طريق أجهزتها الإدارية، وعلى حماية أملاكها، وتمكينها من مباشرة رسالتها[2]

---

(١) انظر العلمانية والاسلام مرجع سابق ص٤٣ .

(٢) انظر العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق ص٤٣ .

وهدف الدولة العلمانية فى فصلها عن السلطة الدينية هو اتقاء الاصطدام معها وليس محاولة تخريب قيمها الدينية، ولامحاولة الاعتراض على ماتراه السلطة الدينية من واجبات وطقوس وشعائر...، وحتى رجال الدولة أنفسهم اليوم يخضعون فى ظروف معينة لملاءمة أنفسهم مع تقاليد الكنيسة، وعلى سبيل المثال: دوق أوف وندسور، وأنتونى إيدن فى انجلترا: كلاهما اضطر إلى ترك الوظيفة العامة، أو إلى عدم السعى إليها، لأن سلوك كل منهما فى حياته الزوجية لايتفق مع ماتراه الكنيسة من تقاليد فى الزواج، والجنرال (ديجول فى فرنسا) أقال وزير التربية الاشتراكى فى وزارته الأولى – بعد عودته للحكم فى المرة الثانية – بسبب عدم موافقة الوزير على مساعدة المدارس الدينية فى فرنسا، من مدارس الجزويت، والفرير بمبلغ ستين مليونا من الجنيهات الاسترلينية فى ميزانية سنة ١٩٦٣. من غير حق التفتيش عليها من قبل وزارة التربية[١].

وجون كنيدى فى انتخاب الرياسة فى الولايات المتحدة لم يفز على ريتشارد نيكسون فى سنة ١٩٦٠ إلا بنسبة ضئيلة، نظرا لأنه ينتمى إلى الأقلية الكاثوليكية، وخرج فى ترشيحه عن التقليد المتبع هناك[٢] وكل هذا يدل على احتضان الغرب للكنيسة واحترام تقاليدها.

وحياد الدولة الذى بشرت به العلمانية فى البلاد الغربية، وكذلك المساواة فى الحقوق والاعتبار فى ظل هذا الحياد تنقضه التفرقة العنصرية فى مجتمعاتها، كالمجتمع الأمريكى فى الولايات المتحدة مع الزنوج، والمجتمع الانجليزى فى انجلترا مع المستوطنين والوافدين من دول «الكومنولث»، فتشريع عديد من الولايات فى أمريكا، لايسوى بين البيض والزنوج، ويتعارض مع حياد الدولة الفيدرالية، الذى هو

(١) انظر المرجع السابق ص٤٤.

(٢) المرجع نفسه.

إحدى نتائج العلمانية، كما يدعى، وتشريع البرلمان الانجليزى الخاص بترحيل بعض القادمين من بلاد (الكومنويلث) وإعادتهم إلى بلادهم، وبوضع قيود خاصة فى سبيل الإقامة فى انجلترا لمن يفد من هذه البلاد، لايتفق مع علمانية الدولة وفصلها عن الكنيستوالدين[1].

من تقاليد البلاد العلمانية:

تجاوز حياد الدولة كنتيجة للعلمانية من بلاد اسكندنافيا الكنيسة كسلطة واعتقاد الدين وممارسة طقوسه كأمر شخصى إلى السلوك الشخصى للافراد: فالدولة فى أى من هذه البلاد تقف الآن موقف الحياد فى العلاقات الجنسية وعن هذا الموقف شاع: زواج «المجموعة» وابتدأ حل زواج الأخ بأخته وأصبح من حق التلميذ والتلميذة أن يعرفا فى مراحل الدراسة - منذ الثامنة - صورة المعاشرة الجنسية، والحمل، وتطور الجنين حتى الولادة، من أفلام ورسوم تعرض عليهم، كما أصبح من حق الشبان والشابات زيارة معارض جنسية تقام فى أماكن عامة يطلعون فيها على الصور المتنوعة للجنسين، وعلى كتب الجنس، وأفلام الحب المكشوفة، كما يسمونها، وزواج التجربة، وهو المعاشرة الجنسية بين الفتى والفتاة قبل الزواج، وقد لايصل الأمر بعد ذلك إلى الزواج، لكنه تقليد معترف به ومسلم به الآن فى البلاد العلمانية، سواء فى الشرق الأقصى أم الغرب، وقلما يعترض عليه أبو الفتاة أو أمها، كما أن الزنا لايعد سببا لطلاق الزوج من زوجته فى الدانيمارك باعتبار أنه أمر شخصى كذلك.

ودولة الفاتيكان - فى الطرف الآخر كممثلة للسلطة الدينية - لم تزل تقوم من جانبها بدور كبير فى سياسة البلاد التى فيها أغلبية كاثوليكية عن طريق الأحزاب السياسية التى تسمى (بالديمقراطية المسيحية)، وكذلك فى السياسة الدولية العالمية،

---

(١) المرجع السابق ص٥٤.

فالأحزاب الديمقراطية المسيحية هى أجهزة للعمل على رسم الخطة لتنفيذ اتجاه الفاتيكان فى الدرجة الأولى وعن طريقها حالت الكنيسة حتى الآن دون أن تتطرف العلمانية إلى النوع اليسارى الآخر الذى يقيم «البلشفية» دينا بدل المسيحية.[1]

ثانياً: إن إلغاء المسيحية فى الشرق الأوربى، وتعويضها بالبلشفية تحقيقا للعلمانية..، لم يحقق الهدف الذى استهدفته الماركسية اللينينية حتى الآن، وهو تحويل البلشفية إلى «دين الدولة» ليرتبط به المواطنون من أى مجتمع اشتراكى دون أى ربط آخر من النزعة إلى القومية..، فالقوميات وكذلك الاتجاهات الدينية السابقة، مازالت تلعب دورها فى تعويق سير «العالمية» التى تشيد بها الثورات الماركسية..، وأن مظهر «العالمية» التى قصدت إليها العلمانية بمفهوم إلغاء المسيحية هو مظهر يفرضه سلطان القوة فى الدولة، وليس تعبيرا عن التحول إلى الماركسية[2]

ثالثاً: فى الدولة الإسلامية: يلاحظ أن تركيا هى الدولة الإسلامية فى الشرق التى أعلنت العلمانية الغربية كأساس لسياستها الجديدة، منذ تولى مصطفى أتاتورك السلطة فيها بعد الحرب العالمية الأولى، والسياسيون فى الغرب على الخصوص ومعهم المستشرقون فى بحوثهم وكتاباتهم، يشيدون بتقدم صناعى علمى فيها، ويعودون بأسبابه إلى دخول تركيا مجال الغرب بدون إسلام، ففصلها بين الإسلام - كدين - والدولة، هو العامل فى نظرهم الذى قربها من الدول المتطورة.

إن تركيا فى قبولها للعلمانية كانت مجبرة فى تسوية الصلح الذى دار وراء الكواليس مع الحلفاء، بعد انتصارهم فى الحرب العالمية الأولى، وقصد الحلفاء من

---

(١) انظر العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق ص٤٥، ٤٦.

(٢) انظر المرجع السابق ص٤٦.

إعلان تركيا العلمانية وفصل الإسلام عن الدولة - وهى مركز الخلافة الإسلامية أمرين: **الأول**: إلغاء الخلافة الإسلامية، لأنها الأداة التى تجمع المسلمين من عرب وعجم فى آسيا وأفريقيا، وإلغاء الخلافة أداة لتمزيق المسلمين إلى عرب ينطقون بالعربية، وغير عرب ينطقون بلغاتهم الوطنية، وعندئذ يمكن التبشير بينهم بالقومية العربية فتتسع الهوة بين المسلمين، ومن عجب أن الأكذوبة صدقتها بعض الشعوب العربية ونادت بها.

ويتضح مما سبق قيام «جامعة دول عربية» لتؤكد سيادة كل دولة عربية فى مواجهة دولة عربية أخرى، وبذلك يضعف الترابط على أساس اللغة العربية والتى اعتبرت وحدها - دون دول الاسلام الأخرى - حجر الزاوية فى مفهوم القومية العربية، وشأن العرب الآن بعد قيام الجامعة العربية يساوى شأن غير العرب المسلمين فى تفرقهم على أساس من لغاتهم الوطنية العديدة.[1]

وإبعاد المسلمين غير العرب بالتبشير بالقومية العربية بعد إلغاء الخلافة الإسلامية، ثم إضعاف فاعلية القومية العربية بين العرب من جديد بقيام دول عربية يؤكد استقلال كل دولة، ويلاحظ أن هذا وذاك كان مقدمة ضرورية لعزل فلسطين عن قوة المسلمين مجتمعين، وعن قوة العرب وحدهم مجتمعين كذلك، كان تمهيدا لقيام شوكة فى ظهر المسلمين إنها إسرائيل.[2]

الأمر الآخر: الذى قصده الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى، أصحاب العلمانية الغربية من إعلان تركيا للعلمانية... عزلها عن التراث الإسلامى، وتكوين أجيالها القادمة فى بعدهم عن الصلة بالإسلام وعن العرب معا، وبذلك تصبح تركيا المسلمة قريبة إلى الغرب فى ميوله واتجاهاته، على نحو ما أبعد الإسلام من

(١) انظر المرجع نفسه ص٤٧.

(٢) انظر المرجع نفسه.

إسبانيا، ومن البلقان، وجزر البحر الأبيض المتوسط، ولكى يتم التحول عن الإسلام كانت كتابة اللغة التركية بحروف لاتينية بدلا من الحروف العربية[1].

الهدف من تقدم تركيا:

لم يكن التقدم الصناعى والعلمى فى تركيا بسبب الفصل بين الدين والدولة أى لم يكن بسبب إبعاد الإسلام عن شئون الدولة، وماتجر إليه مبادئه - كما يقال ويدعى من التخلف - وإنما كان مكافأة من الغرب والشرق على السواء لتركيا على أبعاد الإسلام...، وأيضا بسبب المساعدات الأجنبية التى قدمت لتركيا من جانب الاتحاد السوفيتى - سابقا - فى الشرق، والولايات المتحدج الأمريكية على الخصوص من الغرب، وهى مساعدات اقتصادية وفنية وعلمية، لتتحول إلى نموذج بين البلاد الإسلامية.

فمصلحة الاتحاد السوفيتى داخلية وخارجية فى كون تركيا بلدا علمانيا: فمصلحته الداخلية فى إخضاع البلاد الإسلامى الآسيوية، وفى بلاد القوقاز على الخصوص - للأيديولوجية الجديدة وهى إيدلوجية البلشفية، أوإيديولوجية إلغاء الدين، والإيمان بالدولة وحدها، فإذا أصبحت تركيا بلدا علمانيا - ومعظم المسلمين فى بلاد القوقاز هم من الأتراك، كان من اليسير على الأجيال الناشئة لهذه البلاد أن تضخع للدين الجديد (للعلمانية) لابحكم الجوار ولاصلة القرابة فقط وإنما: لأن تركيا مركز الخلافة وعلى رأس الامبراطورية الإسلامية قد أعلنت الآن عزل الإسلام عن شئون الدولة، وأخذت لنفسها طريقا جديدا فى الحياة، هو طريق ممهد على الأقل للعلمانية الماركسية، وإذن لابد أن يكون الإسلام عامل تخلف، هكذا المنطق[2] !!

---

(١) انظر المرجع السابق ص٤٨.

(٢) انظر المرجع نفسه.

أما مصلحة الاتحاد السوفيتى الخارجية فتتمثل فى كون تركيا بلدا علمانيا، هى إمكان التأثير بهذا النموذج على بلاد أخرى إسلامية مجاورة من آسيا: كإيران وأفغانستان، فتضعف من علاقتها بالإسلام، وبذلك تصبح مجالا حيويا للاقتصاد والأمن السوفييتى، والاحتلال الروسى القيصرى لإيران فى فترة من الزمن، وحمله على إنشاء «البهائيين» أو «البابيين» فيها تخريبا للقيم الإسلامية، يعلن عن مدى التطلع الروسى الغاشم إلى هذه البلاد الإسلامية منذ وقت طويل قبل الثورة فى ثورة سنة١٩١٧م[١]

أما الغرب فله مصالح اقتصادية عديدة، واستثمارات مالية كبيرة فى البلاد الإسلامية فى آسيا وأفريقيا، ومن شأن قبول هذه البلاد للعلمانية أن يسهل للغرب طريق الحركة فى سبيل الاستغلال الاقتصادى، سواء أكان من مصادر الثروة، أم من دائرة الطاقة البشرية وكتاب: «الإسلام قوة الغد العالمية» لبول شمتز (سنة ١٩٣٦)[٢]. يوضح فى غير لبس امكانيات البلاد الإسلامية فى الثروة الأرضية والمعدنية، وتكاملها، وطاقة المسلمين فى الخصوبة الجنسية، ويسر الارتباط بينهم على الإيمان بالله، ينذر أوربا بالفناء، إن هى مكنت المسلمين من التجمع، واستخدام هذه القوى الثلاث، ونداء هذا الكتاب الموجه إلى الأوربيين بالإنذار يعبر عن عمق الرغبة الدينية فى الحيلولة دون تجمع المسلمين على الإسلام[٣]، وتناسوا: «والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون».[٤]

---

(١) انظر المرجع السابق ص٤٩ .

(٢) ترجمه الدكتور محمد شامة الأستاذ فى كلية أصول الدين – القاهرة.

(٣) انظر العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق ص٤٩ .

(٤) يوسف: ٢١.

ومع كون تركيا بلدا علمانيا، يفصل بين الاسلام والدولة، فإنها بشأن حرية الأفراد فيها فى ممارسة العبادة الإسلامية. لاتقل عن أى دولة إسلامية أخرى لاتعلن رسميا: الفصل بين الدين والدولة.. فما أعلنته تركيا، مارسه الاستعمار الغربى عمليا وفى تدرج وإحكام، ولم يفلت أى بلد إسلامى، أو أكثرية إسلامية فى آسيا وأفريقيا من الاستعمار الغربى ومن ممارسته العلمانية وإضعاف الاسلام فيها، فالإسلام فى غالبية هذه البلاد كما يقول الدكتور محمد البهى[1] رحمه الله أبعد:

أ – فى سياسة الحكم: فنظام الحكم فى سيره: إما علمانى غربى أى رأسمالى، وإما علمانى شرقى أى بلشفى ماركسى.

ب – وفى سياسة التوجيه والتعليم: يشار إلى الإسلام فى بعض مناهج المرحلتين الأولى والثانية، على استحياء ويغفل تماما فى التعليم العالى والجامعى، حتى فى بلاد التى تعلن رسميا أنها تمارس الإسلام فى حياة المواطنين فيها.

ج – وفى سياسة التشريع والقضاء: مالم يلغه الاستعمار من مبادئ الاسلام أومظاهره، تولى الحكم الوطنى الغاءه بعد الاستقلال.

د – وفى شئوون الدعوة الإسلامية ألغت الأوقاف الإسلامية.

هـ – وفى سياسة المال والاقتصاد لايعنى فيها: إن كانت ملائمة، أوغير ملائمة للمبادئ الإسلامية والاتجاه الإسلامى فى حياة المسلم.

و – ولم يبق إلا الأحوال الشخصية، أحوال الزواج، والطلاق، النفقة والحضانة والعدة إلى آخر موضوعاتها... فهل النداء بالعلمانية وصيحة من يسمون أنفسهم بالعلمانيين فى البلاد الإسلامية هى لإلغاء هذه الأحوال الشخصية، لإلغاء المظهر الباقى من شخصية المسلمين؟

(١) العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق ص٥٠، ٥١.

لم يبق من الإسلام فى الأحوال الشخصية كفاصل بين المسلمين وغيرهم إلا أن المرأة المسلمة لاتتزوج بغير مسلم: إذ الطلاق سعى إليه الغربيون والشرقيون، واقتربوا فيه من الإسلام على درجات مختلفة، فهل تنحصر العلمانية التى ينادى به اليوم فى جواز المسلمة بغير المسلم؟

هل فى جواز المسلمة بغير المسلم مصلحة الدولة؟ وتحقيق لمعنى العالمية؟ أم هو الاندافع فى التقليد؟

رابعاً: إن البلد الذى أعلن الإسلام دستورا له، وقام كدولة على أساس منه وهو باكستان، بقى له من مظاهر التخلف على عهد الاستعمار بعد استقلاله..، مايفسر الآن بأن سببه الإسلام والتمسك به، ويثير هذه القضية كثير من المستشرقين مثل: (ويلفريد سميث) فى كتاب «الإسلام فى التاريخ» فيوازن بين تركيا العلمانية وباكستان الإسلامية، ويخرج من الموازنة بذكر: أن الإسلام بإبعاده عن الدولة كان السبب فى تقدم تركيا، وباحتضانه، وبتأسيس الدولة عليه كان سببا فى تخلف باكستان، مع أن كلا من الدولتين أسيوية، ولا يتكلم العربية كلغة أولى، ولكن:

أولاً: لأن باكستان بقيت فى صلتها بالإسلام بعد الاستقلال، يعنى لم تتخذ دستورا إسلاميا، تأخذ به فى جميع نواحى المجتمع الباكستانى، ولم يوضع الإسلام موضع التجربة كدستور وكقانون، وكمنهج فى التربية والسلوك فى حياة المجتمع الإسلامى الباكستانى، واستمرار هذا الوضع على عهد الاستعمار هو الذى هيأ للحركات اليسارية والانفصالية فى شرق باكستان وغربها اليوم: أن تقوى وتزداد فاعليتها[1].

ثانياً: المصادر الأجنبية التى قدمت المساعدات الاقتصادية والفنية والعلمية لتركيا العلمانية، ليس فى مصلحتها أن تقدم مثل هذه المساعدات لباكستان المسلمة،

(١) انظر المرجع السابق ص٥١.

حتى لاتزدهر، ويكون ازدهارها عامل تحريض الدول الإسلامية الأخرى فى آسيا وأفريقيا: على تمسكها بالإسلام والسعى إلى الأخذ به فى مجالات الحياة المختلفة، إذ من المؤكد أن قوة الإيمان بالإسلام فى البلاد الإسلامية تشكل وحدها العقبة الأولى فى طريق تبعية هذه البلاد للأيديولوجيات الأجنبية الغازية، كما يشكل الإيمان نفس العقبة فى طريق التوسع الإسرائيلى فى البلاد العربية، ومحاولة إعلان العلمانية الغربية وتطبيق الاشتراكية البلشفية فى الوطن العربى هى محاولة تمهد لإسرائيل الاطمئنان على المستقبل والتسوع الاقتصادى والعلمى فى هذه البلاد، كما تمهد للكتل الاستعمارية المنافسة على خيرات الشرق الأوسط ومركزه، وأن تصل إلى نفوذ فيها.

ومن ثم فلا يقال: إن الإسلام يحد من حرية الإنسان، ويفرض الوصاية على الإنسان أويكره الإنسان، إن رسالته هى رسالة الانسانية فى مستواها الفاضل.

وإذن فليس فى الاسلام جمود، طالما كان الإجتهاد مبدأ أساسيا فيه، وهو مبدأ ملاحقة التطور، والوقائع المتجددة، فى إدراجها تحت مبدأ من المبادئ العامة فيه.

وليس كذلك فى عقائد الإسلام تعقيد؛ لأنه يفصل بين مستوى الله عز وجل، ومستوى الإنسان فصلا تاما، «ليس كمثله شئ» «لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير». فلا يختلط الإنسان فى خطئه وصوابه بالله فى قدسيته وحكمته.

وأيضا ليس فى الإسلام أى باعث يبعث على مايسمى: «بالتخلف» طالما لايرى شرا فى الدنيا، وفى الحياة المادية: من أكل وشرب وزواج ونسل وزينة...، وإنما يرى الشر فقط فى «الإسراف» والغلو فى الاستمتاعه بما فيه، وأيضا يرى الإسلام: أن الإنسان يحمل وزر نفسه وخطيئته وحدها: «ولاتزر وازرة وزر أخرى وإن تدع

مثقلة إلى حملها لايحمل منه شئ ولوكان ذا قربى»[1] فالإسلام كدين ينظر إلى الإنسان على أنه «وحدة» مستقلة، تنطلق فى غير قيود من أخطاء سبقت، وفى مسئولية شخصية فردية مستقلة متحركة تسعى إلى العمل دون كسل أو توان، ودون قنوط، وهى فى سعيها عابدة لله وحده تحمل فى قلبها وعلى لسانها شهادة التوحيد أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله، تتصل بالله من غير وسيط ولا كفيل، وبالإيمان بالله عز وجل يتحرر الإنسان من كل إلزام خارج عنه... تلك أسس النظرة الإسلامية إلى الإنسان.

معنى الدعوة إلى العلمانية:

لوكان الإسلام فى أوربا ما نشأت العلمانية فى الفكر الأوربى، ولما وصل تفكير بعض المفكرين فى أوربا إلى التطرف فى المادية، والجنوح إلى شحن النفوس بالأحقاد ودفعها إلى الانقلاب الدموى لحل بعض المشاكل الاجتماعية.

وإن طلب تطبيق العلمانية فى مجتمع إسلامى من حاكم، فهو هروب من المسئولية التى يلقيها الإسلام على الحاكم، فالإسلام يطلب الاستقامة فى السلوك وأداء الأمانة فى الحكم والعدل والشورى المتبادلة والرعاية... الخ.

وإذا دعا المفكر إلى العلمانية، فإنما لقصور خطير فى معرفة الإسلام وخداع نفسه وغيره بعرض قضايا، يدرك أطرافها فقط دون جوهرها وغايتها.

وإذا دعا السياسى إلى العلمانية، فهو للتلاعب بالفكر غير الناضج، والتمويه فى حلبة المنافسة السياسة.

وإذا دعا فتى وفتاة إلى العلمانية فإنما القصد هو التحلل من التزام الإيمان فى التوجيه والسلوك، والأنطلاق فى شهوة البطن والفرج والملبس والزينة[2]... الخ.

---

(١) انظر المرجع السابق ص٥٢ - ٥٤ بتصرف واختصار.

(٢) انظر المرجع السابق ص٥٤.

ماذا تريد العلمانية فى شرقنا العربى الإسلامى؟

هل تريد أن نقوم على الفصل بين سلطة دينية وأخرى مدنية؟ فما هدف الفصل إذن؟

أهو خلق لدولة داخل دولة؟ وسلطة بجانب سلطة؟ فهل تتم وحدة الأمة والمجتمع على هذه الصورة؟ أم يزداد مصدر الاحتكاك بحكم المحافظة على البقاء؟

أتراد العلمانية فى شرقنا على نمط إلغاء الدين وإشاعة الإلحاد لتنفرد الدولة بسلطانها؟.. ما هو البديل عن الدين فى الدولة إذن؟ ماهو الدين الجديد؟ ويجيب الدكتور محمد البهى رحمه الله قائلاً:

ا - أهو القومية العربية فى شرقنا؟ وما مضمونها؟ أهو تاريخ العرب وقد كونه الإسلام؟ أم هو اللغة الفصحى، وليست موجودة إلا فى القرآن الكريم؟

أم هو اللهجة العامية؟ وأية لهجة من اللهجات القائمة فى المحيط العربى هى التى تسود؟

ب - أهو الماركسية أو البلشفية: كما تسمى رسميا فى السياسة الدولية؟ وأى ضرب من ضربيها: أهو الضرب الأرثوذكسى منها الذى لايهادن الرأسمالية؟ أم ذلك النوع الآخر الذى يوصف من أصحاب الضرب الأول بأنه «ردة» وهو الذى يضع التعايش السلمى كأسلوب للعلاقات الدولية بدلا من عدم المهادنة؟!!

وهل عن لهجة عامية واحدة يمكن أن تجتمع الأمة العربية؟ وهل فى نوع من البلشفية يؤمل فى أن تتحد؟

إن النصيحة التى تقدم للحاكم والمفكر والسياسى وكل فتى وفتاة هى دراسة الإسلام أولاً دراسة واعية متأنية، وعلماء المسلمين هم أقدر الناس على دراسة كتاب الله عز وجل واستخلاص ماينفع الناس فى دنياهم وآخراهم التى لامحيص عنها[1] وتقديمه زادا نافعا لكل البشر.

(١) انظر المرجع السابق ص٥٤ - ٥٥ بتصرف واختصار.

العالم الغربى عالم ملحد لماذا؟[1]

لأنه لايؤمن بدين، وهو مادى لايعرف للروح معنى: إن أمريكا التى تعبد الحديد والذهب والبترول - كما يقول أمين الريحانى - قد غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون أنهم يدعون إلى حياة روحية وسلام دينى. وبينما نرى فرنسا دولة علمانية فى بلادها نجدها الدولة التى تحمى رجال الدين فى الخارج.

أن اليسوعيين المطرودين من فرنسا هم خصوم فرنسا فى الداخل وأصدقاؤها الحميمون فى مستعمراتها.

وكذلك ايطاليا، التى ناصبت الكنيسة العداء وحجزت البابا فى الفاتيكان، كانت تبنى جميع سياستها الإستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين. حتى الروسية السوفاتية التى تدعو فى بلادها إلى محاربة الأديان - كما يقال - رأيناها، بعد الحرب العالمية الثانية، حينما أرادت أن تحقق لنفوذها توسعاً اقليمياً وسياسياً، قد تظاهرت بالعطف على رجال الدين ودعت إلى مجمع مسكونى فى موسكو وحملت إليه المؤتمرين فى طائراتها.

ثم شرف ستالين نفسه أولئك المؤتمرين بمقابلته. وكثيراً ما كان الرجال العسكريون من الانكليز خاصة يحضون حكوماتهم على بث المبشرين فى العالم، كما نصح الجنرال هايغ الحكومة البريطانية أن ترسل مبشريها إلى شبه جزيرة العرب[2]

---

(١) معنى الإلحاد لغة: تقول: ألحد السهم عن الهدف مال عنه، وفى الدين طعن فيه، وأشرك وفى التنزيل العزيز: «إن الذين يلحدون فى آياتنا لايخفون علينا». انظر المعجم الوسيط مادة: لحد، والقاموس المحيط مادة: لحد، وانظر ص٣٧٦ هامش ٢ من هذا البحث.

(٢) انظر الحديث عن التبشير والاستعمار فى هذا البحث الذى بين يديك.

تقلب المبشرين

فهل ثمة مبرر لاستمرار هذه العداوة إلى أيامنا هذه؟

إذا اعتبرنا أن أساس العداوة سياسى دنيوى لاروحى دينى، أيقنا أن هذه العداوة من المبشرين نحو الاسلام لايزال لها مبرراتها.

لقد أبرز لورنس براون هذا الموقف فى صورة واضحة حينما قال: «إذا اتحد المسلمون فى امبراطورية عربية أمكن أن يصبحو لعنة على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له. أما إذا بقوا متفرقين فانهم يظلون حينئذ بلا وزن ولاتأثير. أما القس سيمون فكان أوضح فى التعبير لما قال أن الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب السمر (كذا) وتساعدهم على التملص من السيطرة الأوربية.

ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً فى كسر شوكة هذه الحركة، ذلك لأن التبشير يعمل على اظهار الأوربيين فى نور جديد جذاب، وعلى سلب الحركة الاسلامية من عنصرى القوة والتمركز اللذين هما فيها:

إذا كانت الوحدة الإسلامية تكتلا ضد الاستعمار الأوربى، ثم استطاع المبشرون أن يظهروا الأوربيين فى غير مظهر المستعمر، فان الوحدة الإسلامية حينئذ تفقد حجة من حججها وسبباً من أسباب وجودها.

من أجل ذلك قالوا يجب أن نحّول بالتبشير مجارى التفكير فى الوحدة الإسلامية حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل فى المسلمين.

وكذلك كان الأفرنسيون يخافون من المساعى لتحقيق الوحدة الإسلامية.

وعلى هذا الأساس أصبح الأتراك خطراً على أوربا منذ دخلوا فى الإسلام، لا لأنهم مسلمون بل لأنهم قد أصبحوا قوة تستطيع أن تقف فى وجه الأطماع الأوربية. حتى السنوسية، وهى فرقة من المرابطين.

– المجاهدين – نشأت فى طرابلس الغرب، قد أصبحت على قلة أشياعها وقلة انتشارها قوة ترهب الاستعمار، لالشئ إلا لأن الاتحاد قوة تفسد على المستعمرين أعمالهم. ولقد بالغ المبشر صموئيل زويمر حينما هاله أن يرى نفراً من النصارى يدعون إلى مصادقة المسلمين فى الصين.

أن هذه «الصداقة» فى رأى زويمر تخلق فى نفس النصارى جبناً عن التبشير.

على أن اليسوعيين لايريدون أن يتنازلوا عن روحهم الصليبية، أنهم لايزالون يذكرون المبشر تحت علم الصليب... يحلم بالماضى وينظر إلى المستقبل وهو يصغى إلى الريح التى تصفر من بعيد، من شواطئ رومية ومن شواطئ فرنسا. وليس من أحد يستطيع أن يمنع تلك الريح من أن تعيد على آذاننا قولها بالأمس وصرخة اسلافنا (الصليبيين) من قبل: أن الله يريدها(١). أى الحرب!

تهكم المبشرين على الإسلام والمسلمين

ومن أشد أعداء العرب والمسلمين رجل أرمنى اسمه لطفى ليفونيان ألف بضعة كتب للنيل من الاسلام. ومع أن العلم. قليل فى كتبه، فإنه خص هذه الكتب باستعراض أركان الإسلام والتهكم علينا.

ويبلغ بلطفى ليفونيان الجهل إلى أن يقول إن المسلمين جهلة لأنهم يعتقدون التنزيه فى الله تعالى.

والتنزيه فى علم العقائد الدينية هو أن ننفى عن الله سبحانه وتعالى صفات هى للبشر كالجسم والأنف واللحية.

ومن الأمور التى تستحق التفكه بها قول مبشر اسمه تلسن يزعم فيه أن

(١) التبشير والاستعمار.

الإسلام مقلد، وأن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية، وسائر ما فيه أخذ من الوثنية كما هو أو مع شئ من التبديل.

ويبلغ التدجيل ذورته بمبشر اسمه المحترم جون تاكلى أنه يقول عن المسلمين: يجب أن نستخدم كتابهم «أى القرآن الكريم»، وهو أمضى سلاح فى الإسلام، ضد الإسلام نفسه لنقضى عليه تماماً.

يجب أن نرى هؤلاء الناس أن الصحيح فى القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً.[1]

ويتعرض المبشرون عادة بعقليتهم هذه لتفسير القرآن الكريم ويكثرون من الانتقاد والتهكم.

زعم فريدريك بلس أن القرآن الكريم لم يفرق بين مريم والدة عيسى عليه السلام وبين مريم ابنة عمران، أخت موسى وهارون. ويقول بلس:

خاطب القرآن مريم على لسان قومها بعد أن ولدت عيسى، ولم يكن لها زوج، بقوله:

«يا أخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً»[2] ثم قال: كيف تكون مريم أخت موسى التى عاشت قبل المسيح بألف وأربعمائة سنة هى أم المسيح.

ولكن بلس لم يعرف أن هذا من باب الكناية فى علم البلاغة، ومؤداه: مريم التى تشبه (فى العفة) ابنه عمران أخت هارون، كما نقول نحن مثلاً: «يا أخا العرب» مدحاً لرجل لاصلة له بالعرب أحياناً.

---

(١) التبشير والاستعمار.

(٢) (مريم) : ٢٨.

وبعد الأخطاء الدالة على جهل المبشرين، تأتى سلسلة طويلة من التحامل والافتراء.

واشهر هذه التهم أن الاسلام قام بالسيف. قال نلسون: وأخضع سيف الإسلام شعوب أفريقيا وآسيا شعباً بعد شعب. ويزعم لطفى ليفونيان أن تاريخ الاسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح. ولا أريد أن استشهد بكل ما قيل فى ذلك، ولكنى أحب أن أجلى النقطة التالية فقط.

قسم الإسلام الناس عرباً وغير عرب: أما العرب فلم يكن يقبل منهم إلا الإسلام، فمن أبى منهم قتل. وذلك واضح فى تسع وعشرين آية من سورة براءة أوالتوبة.

هذه الآيات متعلقة بمشركى العرب، ذلك لأن الدين الذى نشأ فى بلاد العرب وجب أن يعتنقه جميع العرب. أما من ليسوا عرباً من اليهود والنصارى فان الاسلام يعرض عليهم، فان قبلوه فذاك والا فهم أحرار يعيشون مواطنين للمسلمين. فالاسلام إذا لم يعرض على البشر كلهم بالسيف، وإنما عرض عليهم فقط الإسلام. أما العرب خاصة فلم يقبل منهم الا الإسلام.

ذلك كله معروف فى مواضعه من القرآن الكريم.[1]

وأما الذين يتعرضون لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم بالافتراء فمبشرون كثيرون جداً، بل كل المبشرين. فقد قال ف.ج. هاربر:

إن محمداً كان فى الحقيقة عابد أصنام، ذلك لأن ادراكه لله فى الواقع «كاريكاتور» وسماه بعضهم «كذاب مكة». ومنهم من زعم أن محمداً لم يستطع فهم النصرانية، ولذلك لم يكن فى خياله منها الا صورة مشوهة بنى عليها دينه الذى جاء به إلى العرب.

---

(١) التبشير والاستعمار.

أما المسلمون فيقول عنهم هؤلاء المبشرون أنهم لايفهمون الأديان ولايقدرونها قدرها . ثم ليس الإسلام فيما زعموا إلا مزيج مشوه من الآراء والمدركات الخاطئة. وكذلك قال آخرون عنهم إنهم لصوص وقتله ومتأخرون، وأن التبشير سيعمل على تمدينهم.

وهناك مزعم ثالث، هو أن الاسلام تنقصه الناحية الروحية، وأنه دين مادى. حتى اليهودية ليست عند هؤلاء ديناً مادياً كالإسلام.

وكذلك يزعم هؤلاء أن الإسلام نظام شرعى أكثر منه نظاماً أخلاقياً روحياً.

أن الواجبات الدينية والخلقية على مايزعم هؤلاء فرضت على المسلمين فرضاً، وكل ما يستطيع المسلمون أن يفعلوه هو أن يؤدوا هذه الفروض كما فرضت عليهم. ويبدو جهل المبشرين فى مزعم آخر، وهو أن المسلم يتزوج أربع نساء كما يشاء ثم يطلقهم كما يهوى لسبب أو لغير سبب.

ويتوسع بعضهم فى هذه المزاعم فيقول (جسب) مثلاً ان المسلمين قد حكموا على المرأة بأن تبقى جاهلة، ثم إنهم يضربونها على هذا الجهل: إنهم أفسدوها ثم أخذوا يضربونها لأنها فاسدة.

وكذلك يزعم (جب) نفسه أن القرآن يدعو إلى ضرب المرأة حتى المرأة الفاضلة تخشى هذا العقاب، ذلك لأن الإسلام نظام ناقص والمرأة فيه مستعبدة!!

على أن أغرب مافى تلك المزاعم الجاهلة مزعم المستشرق الافرنسى لويس ماسينيون. لقد انصرف ماسينيون فى عهده الأخير عن العلم إلى التبشير لأن التبشير وسيلة إلى استعباد الذين يبدلون دينهم على يد المبشرين.

زعم ماسينيون أن المسلمين يعتقدون فى شأن عيسى ابن مريم على ماجاء فى القرآن. من أجل ذلك يرجو أن توجه الجهود إلى جعلهم يعتقدون بعيسى ابن

مريم نفسه، ولكن باسمه المسيحي، ولقد غاب عن ماسينيون «وذلك مستغرب» ان نظر المسلمين ونظر المسيحيين إلى عيسى ابن مريم مختلفان، ولاشأن لنا بذلك الآن. على أننا نود أن نقول للمستشرق ماسينيون أن «العلماء» لايؤخذون بالأسماء وتشابه الالفاظ، ولا هم أيضاً يسترون مكائدهم الاستعمارية بالعلم.

وأن الذين يعرفون لويس ماسنيون ويعرفون كتبه وبحوثه لايمكن أن يعتقدوا أن أموراً يسيرة في العلم والتاريخ والاجتماع مثل هذه تخفى عليه!

هذه هي الآراء التي ينشرها المبشرون على أقوامهم في أوربا وأمريكا وكلها كذب وافتراء، وهكذا يصورون الاسلام حتى يبرروا دوام التبشير بين المسلمين لتدوم لهم دراهم تدر عليهم من جماعات غافلة عن الحقائق أو أنها لاتزال تعتقد أن للاعلان والافتراء قيمة في القرن العشرين[١].

---

(١) انظر التبشير والاستعمار في البلاد العربية.

عدم الإكراه فى دين الإسلام:

الأدلـة فى هذا المقام كثيرة منها قول الله تبارك وتعالى: «لا إكراه فى الدين»[1] «لست عليهم بمسيطر».[2]

وقوله عز وجل «فمن شاء فليؤمن»[3] ولم تكن الغزوات الكثيرة التى قام بها المسلمون لحمل الشعوب على الدخول فى الإسلام، بل كانت لفتح الطريق لاعلامهم بالإسلام ومبادئه القويمة ليعرف الناس ما فى الإسلام من خير وعدل ومساواة، ومافى اتباعه من هداية واصلاح، فإذا دخلوا فيه فإنما يدخلون عن طواعية واختيار، لاعن إكراه وإجبار وبالدعوة والأرشاد أشرقت شمس الإسلام على أنحاء الدنيا المختلفة، وسعدت بالدخول فيه أجناس مختلفة الألسنة والألوان.

وكان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يفرض على الولاة الذين يرسلهم إلى الأقاليم أن يحملوا أمانة الدعوة إلى الإسلام، ويقوموا ببيانه، والتعريف بحقائقه، فقد كان يقول لولاته: «ما أرسلتكم لتضربوا أبشار الناس ولكن لتعلموهم أمور دينهم» وبذلك تتحقق الدعوة الإسلامية، ويقوم أمرها.[4]

والدعوة إلى الله على بصيرة - كما عرفها شيخ الأسلام ابن تيمية - هى: «الدعوة إلى الايمان بالله، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت، والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والايمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه».[5]

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) الغاشية: ٢٢.

(٣) سورة الكهف آية ٢٩.

(٤) محمد أبو زهرة: الدعوة إلى الإسلام، ص٧.

(٥) ابن تيمية: مجموعة الفتاوى، ج٥، ص١٥٧، ١٥٨.

فالدعوة الإسلامية تهدف إلى تبيان الحق وإبلاغه للناس، لأن دعوة الإسلام هى دعوة الحق، كما قال الله عز وجل: «له دعوة الحق»[1]

فالدعوة الإسلامية منهج يقوم على بيان الحق وإظهاره، وكشف الباطل ووسائله وأساليبه بشتى الطرق، ومختلف الأساليب والوسائل التى بينها الله سبحانه حين أمر بالدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن، وهذا يتطلب أمرين:

أولهما: تبصير المسلمين بحقيقة دينهم ووسيلة ذلك تعليم أبناء المسلمين أمور دينهم، لأن الكثيرين منهم مسلمون بالوراثة لا عن دراسة، فهم يرثون الدين عن آبائهم، كما يرثون العقار والأموال، ولايحاولون دراسة أمور دينهم، والوقوف على مبادئه القويمة، وهناك فرق بين الدراسة والوراثة.

ثانيهما: تبليغ الاسلام لغير المسلمين، لينعموا بما فيه من خير وعدل ونور ومساواة ونظم تكفل لهم السعادة فى الدنيا والآخرة.[2]

وفى الوقت الذى ينشط فيه المبشرون فى إدخال المسلمين فى النصرانية، نؤكد لهم أن أمة الإسلام أمة داعية.

حيث إن الدعوة إلى الله على بصيرة واجبة فى كل حين، فدعوة الناس إلى الإسلام، وأمرهم بالمعروف ونهيم عن المنكر، واجب إسلامى يجب على المسلمين أن ينهضوا به ويجدر بهم أن يولوه حقه من جهدهم وتفكيرهم ووقتهم، بل إن هذا الواجب بالذات هو المهمة الأصلية الأساسية لكل داعية[3] وكل مسلم يشرفه أن يعين داعية أوأن يكون هو داعية.

(١) سورة الرعد: آية ١٤.

(٢) الدعوة إلى الله على بصيرة ص٢٢ - ٢٤.

(٣) فتحى يكن: كيف ندعو الناس إلى الاسلام، ص١٤.

وقد أمر الله – جل جلاله – أمة الإسلام أن تكون أمة داعية إلى الخير، آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله..[1]» .

وقوله سبحانه: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»[2]

وكما أمر بذلك خاتم الأنبياء والمرسلين – صلوات الله وسلامه عليه – فى أحاديث كثيرة، تدعو إلى وجوب النهوض بالدعوة إلى الله تعالى بمختلف الوسائل التى تتيسر للداعية، فمن ذلك قول الرسول ﷺ : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».[3] وقوله – صلوات الله وسلامه عليه –: «يا أيها الناس إن الله يقول لكم: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم، وتسألوننى فلا أعطيكم وتستنصروننى فلا أنصركم».[4]

وقوله ﷺ: «من كتم علما مما ينفع الله به الناس فى أمر الدين ألجمعه الله يوم القيامة بلجام من النار».[5]

إن الدعوة الإسلامية واجبة وجوباً مؤكداً فى العصر الحديث بخاصة بعد أن طغت الحياة المادية، وفشت الجاهلية فى الأفكار والأخلاق والنظم، وكثر دعاة هذه

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

(٣) رواه مسلم فى كتاب الايمان باب بيان كون النهى عن المنكر من الايمان.. الخ ج١ ص٦٩ رقم ٧٨ط عيسى الحلبى.

(٤) رواه الترمذى وقال حديث حسن.

(٥) رواة ابن ماجة فى المقدمة باب من سئل عن علم فكتمه ٩٧/١ رقم ٢٦٥ فى إسناده محمد بن داب. كذبه أبو زرعة وغيره ونسب إلى الوضع.

الجاهلية والمدافعين عنها، مما يوجب دعوة الناس إلى الإسلام، وإقناعهم به، وبالنزول عند أصوله وأحكامه، حتى تتيسر إقامة مجتمع إسلامى، واستئناف حياة اسلامية تقوم على مبادئ الإسلام، تطبق أحكامه وتهتدى بهديه، حتى نستطيع تفويت الفرصة على المبشرين والمستشرقين ومن يدور فى فلكهم، ويسير على نهجهم.

إن دعاة الإسلام مطالبون ببذل قصارى جهدهم للقيام بشرح الإسلام، وتبليغه إلى الناس.

وتبسيطه لهم بحسب مستوياتهم فى الفهم والأدراك، وهذه الأمانة التى أؤتمنوا عليها ليكونوا ورثة الأنبياء بحق، ثم ليسمعوا قول الرسول الأعظم ﷺ -: «مامن نبى بعثه الله فى أمة قبلى، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل».[(١)]

والدعاة إلى الله عز وجل فى العصر الحاضر حملهم ثقيل، لأن عليهم أن يواجهوا جاهلية هذا العصر فى شتى صورها وأشكالها، وأن يتصدوا للمنكر فى مختلف أنواعه وألوانه، وأن يعلنوا الحق واضحا، ليؤمن من يؤمن عن بينة، تنفيذا لقول الله عز وجل: «وقل الحق من ربكم»[(٢)]

فالذين عاصروا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء به، بايعوا على قول الحق، دون خوف من أحد إلا الله، فقد روى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال:

(١) رواة مسلم كتاب الإيمان رباب بيان كون النهى عن المنكر من الايمان.. الخ - ج١ ص٦٩ رقم ٨٠ط عيسى الحلبى.

(٢) سورة الكهف: آية ٢٩.

«بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى المنشط والمكره، وأن لاننازع الأمر أهله، وأن نقوم أونقول بالحق حيثما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم»[1]

لأن الدعاة إلى الإسلام يحملون مواريث النبوة، فعليهم أن يضطلعوا بأعبائها، وأن يتصدوا للباطل مهما كان طاغيا، مؤمنين بأن النصر للمؤمنين، وأن هذا النصر حق على الله رب العالمين، وهو سبحانه أصدق القائلين. «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد».[2]

إن الدعوة إلى الله واجبة فى كل حين، لأن المسلمين اليوم فى حاجة إلى أن يعودوا إلى الإسلام الصحيح، الذى أوحاه الله إلى رسوله ﷺ ليستعيدوا مجدهم، وليعود إليهم عزهم، لأنهم لما غيروا ما بأنفسهم غير الله مابهم، وهذه سنة الله فى خلقه، وهى سنة ثابتة لاتتغير ولاتتبدل. «إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»[3]

حاجة المسلمين إلى الدعوة:

فالدعوة إلى الله عز وجل على بصيرة ضرورة لازمة فى كل عصر وحين، والناس فى حاجة ماسة إليها، لأن الناس لايستغنون عن رزق الله، ولا عن هدايته فهم فقراء إليه فيما يطعم أبدانهم من جوع، وفيما يزكى أرواحهم من كدر[4]

والمسلمون اليوم فى حاجة ماسة إلى أن يعودوا إلى الاسلام الصحيح، المصفى من الخرافات والأباطيل، ليعود إليهم مجدهم، وليصيروا أساتذة الدنيا

(١) رواه البخارى فى كتاب الأحكام باب كيف يبايع الأمام الناس ج٩ ص٩٦ط الشعب.

(٢) الآية من سورة غافر: ٥١ وراجع للشيخ محمد الغزالى: مع الله، ص٢٢.

(٣) الرعد: ١١.

(٤) محمد الغزالى: مع الله، ص٢٢.

وقادتها، كما أراد الله لهم، وهى غاية يتوق إلى الوصول إليها المسلمون المجاهدون فى كل مكان.

إن الدعوة إلى الإسلام دعوة إلى الحياة الصحيحة الكريمة، ويكفى أن ننظر إلى أحوال العالم اليوم، وهو غارق فى الحياة المادية المليئة بالشهوات والمعاصى والشقاء، ليتضح لنا مدى الحاجة إلى دين الله الحق، لينقذ البشرية مما تعانيه من شقاء.

إن العالم اليوم يتقلب بين فلسفات شتى، بعضها ينكر الله سبحانه أصلاً، والبعض الآخر يسئ معرفته، ويغلب هواه على هدى الله سبحانه، فماذا جنى العالم من جحده لله سبحانه أوجهله بحقيقته وحقوقه؟!.. شقاء يرجم العالم بالدماء فى أيام الحروب، ويرجمه بالقلق فى أيام السلم، فهو بين الحروب الساخنة والباردة محطوم الأعصاب، فارغ الفؤاد.

وقد يكون هناك فريق من البشر ميسر اللذائذ، مفلت الزمام، يرتع فى الدنيا مثلما ترتع الأنعام، فإما أعطبتها فتن الحياة التى إرتكست فيها وإما أخِّر لها جزاؤها فى جهنم، فهى هنالك تدعو ثبورا وتصلى سعيرا.[1]

إن الدعوة إلى دين الله الحق هى المنقذ للبشرية من ضلالها وشقائها، فلا بد أن يؤمن الناس بوجود الله تعالى الخالق لكل شئ والمالك لكل شئ والقادر على كل شئ سبحانه.

والايمان بوجود الله هو أساس العقيدة الاسلامية الصحيحة، لأن الايمان الحق بالله تعالى يدفع الإنسان إلى التصديق بكل ما أخبر به، وتنفيذ كل ما أرشد إليه من أمر ونهى وهذا يبين ضرورة الدعوة إلى الله على بصيرة فى كل حين، لأن

(١) أنظر محمد الغزالى: مع الله، ص٢٢ - ٢٣ باختصار.

الإسلام دين الكافة فإن خاتم الأنبياء والمرسلين محمدا ﷺ أرسل إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا، كما قال رب العالمين جل جلاله: «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً».(١)

وكما قال سبحانه: «قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً».(٢)

فالناس فى كل زمان ومكان مطالبون بالاستجابة لما جاء به رسول الإسلام – صلوات الله وسلامه عليه – ولما سجله القرآن الكريم فى محكم آياته، وهو كتاب لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كما قال رب العالمين.

والاسلام دين الأجيال، فهو دين الجيل الذى بعث فيه محمد ﷺ ودين الأجيال من بعده حتى يوم الدين(٣). إنه لمن مكرور القول أن نقول إنه لانبى بعد محمد – ﷺ – فهو خاتم النبيين والمرسلين، كما قال رب العالمين فى محكم كتابه: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين»(٤)

فينبغى أن ينهض اتباع محمد ﷺ بواجب الدعوة إلى دين الله الحق، فى كل عصر وحين، مادام الإسلام دينا عاما، ودينا خالدا يخاطب البشر أجمعين، ويزودوا عن حياض أمتهم من خطر المبشرين والمستشرقين.

والناس الذين لم تبلغهم دعوة الإسلام فى حاجة ماسة إلى دعاة معلمين، يعلمونهم مبادئ هذا الدين القويم، لأنه لاتكليف من غير إعلام، ولاثواب ولاعقاب من غير علم برسالة الإسلام، ومن غير دعوة إليها، فلابد من دعوة دينية مستمرة

---

(١) سبأ: ٢٨.

(٢) الأعراف: ١٥٨.

(٣) محمد أبو زهرة: الدعوة إلى الاسلام، ص١٩.

(٤) الأحزاب: ٤٠.

استمرار الزمن، متجددة تجدد العصور، يتنقل فيها الدعاة بين البشر، ليرشدوهم إلى صراط الله المستقيم، حتى يتحقق العلم بهذا الدين الحق، الذى هو دين الله، فلا دين سواه، كما قال جل وعز: «إن الدين عند الله الإسلام».(١) «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه»(٢)

«قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين»(٣)

يقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى(٤): «وقد دلت هذه الآية الكريمة على أمور ثلاثة:

أولها: أن دعوة المؤمنين إلى الله تعالى من اتباع النبى ﷺ وأنه من تخاذل عن الدعوة لايعد من اتباع النبى ﷺ.

ثانيها: أن تكليف النبى ﷺ تبليغ رسالة ربه تكليف لأمته، لايتخلى عنه مؤمن ولايتركه أمين.

ثالثها: أن يكون الداعى له بصر بالأمور، يأتيها من طرقها المسلوكة فى رفق ليناً فى دعوته، يأتى الأمور فى مصادرها ومواردها، مؤمنا بها، على بينة من أمرها، لاتأخذه فى الحق هوادة، وليس للباطل عنده إرادة.

وإن الآية الكريمة فى جملتها تدل على أن الإيمان وحده لايكفى فى اتباع النبى ﷺ بل لابد لكمال الاتباع من الدعوة إلى الله، وهو الهادى إلى سواء السبيل،

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) آل عمران: ٨٥.

(٣) سورة يوسف: آية ١٠٨.

(٤) فى كتابه: الدعوة إلى الإسلام، ص٢٤.

فمن اهتدى من بعد البيان فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها، وما الله يريد ظلماً بالعباد.

ولقد جعل الله الحكيم الخبير أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس، لأنها أمة داعية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، كما وصفها - جل جلاله - فى محكم كتابه - وهو - سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته.

ولذلك جعل الله - جلت حكمته - أمة الإسلام أمة وسطا، وخير الأمور أوسطها، فهى الأمة المثلى، ودليل مثاليتها أن الله جعل أفراد هذه الأمة شهداء على الناس، يبينون لهم الحق والايمان، كما جعل الله سبحانه الرسول ﷺ شهيداً بأن ما يبلغونه هو الحق، وشهادة المسلمين على الناس تقتضى دعوتهم إلى الحق، وشهودهم لحالهم فى إيمانهم وكفرهم، وشهادة الرسول ﷺ عليهم فى أنهم وضحوا رسالته للناس، وبينوا شريعته ويتضح هذا من قول الله عز وجل: «وجاهدوا فى الله حق جهاده»[1]

وقد بين الله - جل جلاله - أن هذه الشهادة قائمة مستمرة وذلك فى قوله سبحانه: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير».[2]

ولقد شرف الله أمة الإسلام بأن جعلها خيرا أمة أخرجت للناس وكلفها بالدعوة إلى دينه الحق، وجعل أمر الدعوة واجبا على المسلمين، ودليلا على اتباعهم لما جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين، ولذلك وجب على أمة الإسلام أن تحمل أمانة الدعوة إلى الإسلام فى كل عصر وحين، كما أمرها بذلك رب العالمين، أنها دعوة إلى الخير، وأى خير أعظم من الدعوة إلى دين الله الحق، الذى فيه صلاح البشر، وفيه الفلاح فى الدنيا والآخرة.

(١) سورة الحج آية ٧٨.

(٢) سورة آل عمران: من الآية ١٠٤.

والنصوص القرآنية صريحة فى مطالبة أمة الإسلام بالدعوة إلى الله، كل على حسب علمه وطاقته فى التوجيه والارشاد[1].

لقد عاشت الأمة الإسلامية قرونا عديدة فى مقدمة الأمم، فكانت هى الأمة الأولى فى العالم كله، دينا وخلقا، وكانت حضارتها أرقى الحضارات التى شهدها تاريخ البشرية جمعاء، فكانت الأمم المعاصرة لها، تخشى بأسها، وتطلب ودها، ولقد صدق الشاعر حين قال.

يا من رأى عمرا تكسوه بردته والزيت أدم له والكوخ مــأواه

يهتز كسرى على كرسيه فرقا من بأسه وملوك الروم تخشاه

ولقد حملت الأمة الإسلامية فى أوقات قوتها وعزتها وتماسكها حضارة الإسلام للعالم كله، حملتها بالعلم والخلق، قبل أن تحمل السيف فى وجه أعداء الإسلام، ولم تكره أحدا على الدخول فى دينها، لأن رب العالمين، قال فى محكم كتابه العظيم: «لا إكراه فى الدين».[2]

وإنما دخل الناس فى دين الله أفواجا لما رأوا صفاء العقيدة الإسلامية وسموها، واتفاقها مع العقل والمنطق والفطرة السليمة، وأنه دين يخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور النظم الوضعية إلى عدالة الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

وحين بدأ الغرب نهضته، بدأ الشرق الاسلامى غفوته، لأن المسلمين حين خرجوا عن نهج دينهم القويم، بعدوا عن أسباب قوتهم وأصابهم الضعف والتخلف، وهذه سنة الله سبحانه فى خلقه، حين يتخلون عن منهجه ودعوته.

(١) الدعوة إلى الله على بصيره للدكتور عبد النعيم محمد حسنين ص٢٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

العقبات التى تعترض طريق الدعوة إلى الإسلام أهمها مايلى:

١ - جهل المسلمين بأمور دينهم.

٢ - وجود إعلام علمانى: فأجهزة الإعلام المختلفة مصطبغة بالصبغة العلمانية، وهى تحاول إبعاد أبناء المسلمين عن التمسك بمبادئ دينهم والتحلى بالأخلاق الفاضلة. فيجب على الذين يحملون أمانة الدعوة إلى الإسلام أن ينبهوا أولياء أمور المسلمين إلى خطر الإعلام العلمانى فى بلادهم، وإلى أنهم مسئولون أمام الله عز وجل عما يحل بالمسلمين، وأن يطالبوهم بالعمل على إبدال الصبغة العلمانية المضللة فى الإعلام بالصبغة الإسلامية الهادية.

٣ - الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل: العقبة الثالثة فى طريق فهم الإسلام هى أن كثيرا من البلاد الإسلامية فى العصر الحديث يسود فيها الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل، وكان السبب هو المستعمر الذى آلى على نفسه محاربة الإسلام فى عقر داره فاحتل بلاد المسلمين حتى أفقدهم الثقة بأنفسهم، فأثر فيهم بغزوه الفكرى الذى وجهه إليهم، وجعلهم يقلدون الغزاة، ويقتبسون قوانينهم الوضعية، ويطبقونها فى بلادهم، فهجر المسلمون - فى كثير من بلادهم - ما أنزل الله من نظم حكمية فيها خيرهم وصلاحهم، لأن الله خالقهم، وهو أعلم بما يتفق مع فطرتهم، وتستقيم به أمورهم فى ميادين الحياة المختلفة من سياسية واقتصادية واجتماعية. ولقد رحل الإستعمار، فما حجة القائمين اليوم على سُدة الحكم فى عدم تطبيق شرع الله سبحانه؟

٤ - التبشير والاستشراق: وهما عاملان من عوامل تنازع المسلمين فيما بينهم بسبب مايقومان به من تشويه للإسلام ونبيه ﷺ ومعجزته التى أيده الله بها ألا وهى (القرآن الكريم).

مما جعل المسلمين متفرقين متباغضين مع أن كتابهم واحد ودينهم واحد.

أما العوامل التى تساعد على فهم الإسلام وتوحيد المسلمين فهى:

١ – كثرة الثروات فى العالم الإسلامى.

٢ – الموقع الجغرافى المناسب:

إن الموقع الجغرافى للعالم الإسلامى يجعل أمة الإسلام أمة وسطا، فقد شاءت إرادة الله – جلت حكمته – أن يكون موقع العالم الإسلامى ذا أهمية كبيرة، لأنه يعد مركزه الدائرة بالنسبة للعالم كله، فقد ثبت بالدراسة العلمية الصحيحة أن الكعبة المشرفة هى المركز لدائرة العالم كله، بحيث لو أردنا أن نرسم بالفرجار دائرة للعالم كله، لصار لزما علينا أن نضع سن الفرجار على الكعبة المشرفة حتى يمكننا رسم هذه الدائرة[1].

٣ – رباط العقيدة:

إن العقيدة الإسلامية تربط بين المسلمين فى مختلف ديارهم برباط قوى متين، يستطيع الدعاة إلى دين الإسلام أن يستفيدوا منه فى الدعوة إلى توحيد الصفوف من أجل النهوض بالأمة الإسلامية، حتى تستعيد مجدها، وتصير أمة قائدة لركب الحضارة الإنسانية الفاضلة من جديد.

٤ – لغة القرآن وأهميتها فى الدعوة: إن اللغة العربية لغة القرآن الكريم مهمة جدا فى الدعوة إلى دين الحق، لأنها لغة مشتركة بين المسلمين جميعا، على اختلاف

---

(١) أثبت هذه الحقيقة العلمية د. حسين كمال الدين حين كان أستاذا بكلية الهندسة بجامعة الملك سعود بالرياض فى بحث قدمه لمؤتمر الفقة الإسلامى الذى انعقد فى مدينه الرياض فى شهر ذى القعدة من عام ١٣٩٦ هـ.

أقطارهم وألسنتهم وألوانهم، فقد شاءت إرادة الله وحكمته أن تكون العربية لسانا لوحى الله، ووعاء لكتاب الله الحكيم القرآن الكريم، وهذا يعنى أن الله الحكيم الخبير قد اختار اللغة العربية، وجعلها رابطة قوية بين المسلمين جميعا، فهم يشعرون بحاجتهم إلى اللغة العربية، ليتعرفوا بواسطتها على أمور دينهم، وليعرفوا مافى القرآن الكريم، من فرائض وهدى حكيم، وليدرسوا بها هدى الرسول محمد ﷺ.

فاللغة العربية إذن هى وسيلة المسلمين جميعا إلى تعلم أمور دينهم، وإلى الالمام بالثقافة الإسلامية الرفيعة، مما يجعلها رباطا قويا، يربط بين المسلمين فى مختلف ديارهم، وييسر مهمة الدعاة إلى دين الله على بصيرة، ويساعد على توحيد صفوف المسلمين، وتآزرهم، وتعاونهم فى العمل على مافيه رفعة شأنهم، وتحقيق الخير لهم.

ولا أدل على أهمية اللغة العربية فى تيسير التفاهم بين المسلمين وتوحيد صفوفهم من أن أعداء الإسلام والمسلمين على اختلاف ألوانهم - يحاربون هذه اللغة، ويحاولون إضعافها، وصرف أبناء المسلمين عن تعلمها وإتقانها لينصرفوا عن تعلم أمور دينهم، وعن التزود بالثقافة الإسلامية اللازمة لهم، ليقفوا منها على أمجادهم، وليستلهموا منها العظات والعبر التى تحثهم على التقدم والرقى، ومواكبة ركب الحضارة الحديثة، وما فيها من تقدم علمى تقنى مذهل.

٥ - وجود تاريخ مشترك بين المسلمين:

كما يلتقى المسلمون حول تاريخ مشترك، فهم جميعا - على اختلاف أقطارهم وأجناسهم - يتفقون على أن تاريخهم الحقيقى يبدأ بالإسلام، وهم ينظرون إلى التاريخ الإسلامى نظرة احترام وإجلال واعتزاز، لأنه يتصل بدينهم الحنيف، وفيه سيرة نبيهم الكريم ﷺ وتاريخ الدعوة إلى الله، والصراع بين الحق والباطل.

إن التاريخ المشترك رباط متين، وعامل قوى من عوامل توحيد صفوف المسلمين لو أحسن الدعاة إلى الله الاستفادة منه بتوفيق من الله العلى العظيم.

٦ – وجود ثقافة مشتركة بين المسلمين:

والمسلمون على اختلاف أجناسهم وديارهم توجد بينهم ثقافة مشتركة، فهم جميعا يحرصون على التزود بثقافة إسلامية معينة، كدراسة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، والسيرة النبوية المطهرة، والتاريخ الإسلامى المجيد، والتوحيد والفقه وغيرها من علوم الدين الإسلامى الحنيف.

٧ – تشابه المسلمين فى كثير من أمور حياتهم:

والمسلمون فى كثير من أمور حياتهم متشابهون تماما، بحيث يدرك من يراهم أنهم أمة واحدة تلتزم بنظام معين، ينظم حياتها الدينية والدنيوية، برغم اختلاف شعوبها وأجناسها وألوانها وألسنتها، إن المسلمين جميعا ينطوون تحت تعاليم الإسلام، فهم جميعاً مطالبون بأداء فرائض وسنن واجتناب محرمات وفقا لتعاليم دينهم الحنيف، وآدابه ومبادئه القويمة لأنه دين الفطرة الانسانية السليمة.[1]

إن المسلمين جميعا مكلفون بأداء خمس صلوات فى اليوم والليلة، وأفراد كل جماعة مسلمة يشتركون فى مواقيت الصلاة على حسب المكان الذى تقيم فيه، كما يتفقون فى طريقة أداء الصلاة، ويشتركون كذلك فى مواقيت صومهم وحجهم، وفى مقادير الزكاة المفروضة على الأغنياء والقادرين منهم، وهم جميعاً مكلفون بأداء هذه الفرائض على سواء لافرق فى أدائها بين إنسان وآخر مهما كانت منزلته.

(١) انظر: الدعوة إلى الله على بصيرة ص٤٤ ومابعدها بتصرف واختصار.

من أسباب تقبل شعوب الأمة العربية والإسلامية لوافدات المذاهب الفكرية المعاصرة.

كان من المتبادر إلى الذهن أن تبقى وتظل شعوب الأمة الإسلامية منيعة محصّنة، لاتسمح بتسلل ضلالات المذاهب الفكرية المعاصرة إليها. وذلك لأن الإسلام الذى تدين به هذه الشعوب، هو الدين الربانى الحق الذى لم يدخله تحريف ولاتبديل، وهو الدين الذى يهيمن على العقول والأفكار بسلطان الحق وبراهينه، ويهيمن على النفوس والقلوب بكماله وملائمته للفطرة الإنسانية، وأن الإسلام لديه الحل الأمثل لكل مشكلات الحياة، وبأنه جاء بالنظم المشتملة على أحسن صورة ممكنة بالنسبة إلى الواقع البشرى، وفيها مايضبط جنوح الأفراد، ويقيم العدل، ويكبح جماح ذوى النوازع الطاغية والأهواء الباغية، ولولا أن الإسلام حق بذاته، مؤيد بتأييد الله عز وجل محفوظ بحفظه سبحانه، لم تبق منه بقية تصارع قوى الشر والطغيان فى الأرض التى ما تركت سبيلا من المكر إلا سلكته، ولا سببا لإطفاء نوره إلا أخذت به، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

وهناك عدة أسباب هيأت المناخ المناسب لتقبل كثير من أفراد هذه الشعوب لوافدات المذاهب الفكرية المعاصرة، مع ما تحمله من زيغ وباطل وضلال.[1]

السبب الأول: أن معظم المسلمين هجروا قرآن ربهم، وتهاونوا فى تطبيق أحكامه، وأخلدوا إلى متاع الدنيا وشهواتها وتنازعوا عليها، فأدت بهم إلا الاختلاف والفرقة، مما أطمع فيهم أعداؤهم، فوجهوا إليهم الجيوش والحملات التى سيطرت على بلادهم وتسخيرهم لميولهم ومبادئهم.

السبب الثانى: تفشى الجهل بين معظم المسلمين فى جميع أقطارهم وبلدانهم، وبعدهم عن العلم، حتى أدى بهم إلى الانحطاط والتقهقر بعد القرون

(١) انظر: كواشف زيوف ٩١

العلمية الذهبية التى احتل المسلمون فيها قمة الحضارة، وكانوا فيها قادة الركب الإنسانى إلى كل تقدم صحيح فكرى وتطبيقى[1].

وتفشى الجهل بين معظم المسلمين قد كان فى الحقيقة نتيجة للسبب الأول... مع أن الإسلام يدفع المسلمين دفعا إلى الأخذ بأسباب العلم والبحث العلمى، والتسابق فيه، وأخذ النصيب الأوفى منه، فى كل مجال من مجالاته النافعة، فالعلم سبب من أسباب القوة التى أمر الله بإعدادها جهد الطاقة والاستطاعة، وهو النور الذى يهدى إلى سبل السعادة والنجاة فى الدنيا والآخرة.

وطبيعى أن يكون فشو الجهل بالدين، وبالمعارف الحقة فى مختلف مجالات العلم مناخا ملائما لتسلل الأفكار الباطلة المموهة بزخارف كاذبة تخدع السذج وتفتن الغافلين، وهذا بلا ريب أن الإسلام أمسى لدى كثير من المسلمين إسلاما تقليديا موروثاً، لا إسلاما قائماً على الاقتناع والفهم عن بصيرة علمية.

السبب الثالث: تسرب شوائب وتشويهات إلى مفاهيم كثير من المسلمين، وهى المفاهيم التى تحددت بها تصوراتهم للإسلام مع أنها مفاهيم خاطئة إلا أن هناك من يميل إليها ويركن، وهذه المفاهيم الخاطئة يمكن جمعها فيمايلى:

أ - الصورة المختلطة المهزوزة لدى مفاهيم بعض المسلمين لحقيقة التعاليم الإسلامية، وعدم إدراك ووضع كل منها فى مكانه الصحيح.

فلا تمتاز الكبائر عن الصغائر، ولا المحرمات ولا الفرائض الكبرى عن الواجبات الصغرى، ولا الواجبات عن المندوبات، ولا الفاصل بين مايجب فعله أوتركه، أوبين ما يقضى الورع بفعله أوتركه.

وسبب وجود هذه الصورة المهزوزة المختلطة فى عقل المسلمين: الجهل

(١) راجع للباحث «معابر الثقافة الإسلامية إلى أوربا».

بالتعاليم الإسلامية الصحيحة، وقلة أجهزة التثقيف الإسلامى العام فى مختلف بلاد المسلمين.

ب – الصورة التى دخل فيها أخطاء لدى رسم المفاهيم الإسلامية الصحيحة مثل:

١ – الخطأ فى الاجتهاد، وله أسباب كثيرة يعرفها علماء أصول الفقة الإسلامى.

٢ – الخطأ فى تقويم ما توصل إليه الاجتهاد...

٣ – التعصب للرأى أو للمذهب ضد الآراء، أوالمذاهب الأخرى، وهذا التعصب لا عذر فيه مطلقا.

ج – الصورة المزورة المشوهة من قبل أعداء الإسلام، والتى أساء عرضها التبشير والاستشراق، فقبح جمالها وإشراقها الماكرون والمفسدون، والهدف إفساد عقول أبناء المسلمين وصرفهم عن دينهم.

د – الصورة التى حصل فيها تغيير فى النِّسب بين مفردات وأجزاء التعاليم الإسلامية...

وأسباب التغيير فى النِّسب داخل هذه الصورة يؤدى إلى فقدان الإدراك السليم الكامل الشامل للمفاهيم الإسلامية بوجه عام، يتولد عن هذه الصورة نتائج خطيرة منها مايلى:

١ – فساد النسب لأجزاء الصورة الإسلامية العظيمة.

٢ – الخلل فى وحدة النظام الكلى للمفاهيم الإسلامية التى يكمل بعضها بعضا.

٣ – تشتت شمل وحدة المسلمين، فلكل فريق صورة إسلامية خاصة به، تختلف نسب أجزائها عن صور غيره من الفرقاء فيظهر التعصب من خلال هذه الصورة.

٤ – توجيه كل طاقات العمل دفعة واحدة، لتحقيق ما احتل معظم الساحة فى الصورة ذات النسب الفاسدة...

هـ – الصورة المزورة للتعاليم الإسلامية تزويرا كليا أوجزئيا، وأمثلة هذه الصورة المزورة نجدها عند الفرق المنحرفة الضالة، التى عمل على إنشاء جيوبها أعداء الإسلام، فتظاهروا بالانتساب إليه نفاقا، ليعملوا على هدمه من الداخل.[1]

السبب الرابع: تسلل أعداء الإسلام إلى حصون الأمة الإسلامية ومعاقلها، التى كانت بالإسلام حصينة محفوظة، ونتيجة لهذا التسلل الشيطانى الخبيث ظهرت داخل الحصون الإسلامية تنظيمات موصولة سرا بالأعداء من خارج الحدود. فقامت المحافل الماسونية، ونوادى الروتارى، وقامت الأحزاب ذات الشعارات البراقة والمعادية سرا أوجهارا للدين، والمرتبطة عن طريق الولاء الخفى للدول الغربية أوالشرقية المعادية للإسلام.

وانطلق الغزو الفكرى والنفسى والخلقى والسلوكى فى كل طريق، ودخل فى كل باب داخل شعوب الأمة الإسلامية[2] وعملت دسائسه على ترسيخ قناعات بضرورة التنازل عن الإسلام، أو عن بعض شرائعه وأحكامه ومتابعة الدول الغربية أوالشرقية المعادية للإسلام والمحاربة له...، وهكذا بدأت تزحف إلى شعوب الأمة الإسلامية زيوف المذاهب الفكرية المعاصرة زحفا منذراً بالخطر الكبير، وسقطت الخلافة الإسلامية بفعل الدسائس الصليبية واليهودية، ومساعدة المؤازرين للغزاة من داخل البلاد الإسلامية ذاتها، من طوائف قديمة كانت تضمر الحقد ضد الأمة الإسلامية، ومرتدين عن الإسلام منافقين فى الانتماء إليه، وأجراء متهاونين فى أعز ما يمتلك عليه الإنسان وهو عقيدته.

---

(١) انظر أ. عبد الرحمن حسن حبنكة: أجنحة المكر الثلاثة، وكتاب : غزو فى الصميم، وكتاب: كواشف زيوف فى المذاهب الفكرية المعاصرة ص٩٦.

(٢) انظر: كواشف زيوف.. ص٩٦.

واقتسم الأعداء الاستعماريون معظم بلاد المسلمين، بعد سقوط الخلافة، واستطاعوا الفصل بين دول أبناء الأمة الواحدة، وكان الرمز المعروف بينهم «فرق تسد» وهكذا أضحى الاستعماريون أسياد الأمة الإسلامية بعد أن فرقوا بين دولها، بل جعلوا من هذه الدول أعداء متنافرين، وبين كل دولة إسلامية وأختها مشاكل، وعداوة لاتنتهى، وكلما انتهت مشكلة اختلقوا أخرى وهكذا، والهدف ليظل المستعمر جاثما بصورة أوبأخرى على صدور المسلمين.

وكان أول اهتمام هؤلاء المستعمرين: المؤسسات التعليمية، لنشر المذاهب الفكرية الهدامة، واختلاق الأفكار الفاسدة والتشكيك فى مبادئ الإسلام وأحكامه وشرائعه.[1]

السبب الخامس: تراكم النكبات التى تعرض لها المسلمون من قبل أعدائهم من داخل بلاد المسلمين ومن خارجها، قد أصابت المسلمين بالذهول وتبلد الحس: أما غالبيتهم، فقد حل بهم اليأس، وكادوا يفقدون الأمل فى عودة المجد إلى شبابه، وأما الخاصة منهم فقد أصيبوا بالجمود، وأما القلة القليلة فهى التى كانت تنظر إلى المستقبل إلى منزل الكتاب ومجرى السحاب بأن الإسلام الحق لابد أن ينتصر فى نهاية المطاف.

السبب السادس: وجود طوائف غير مسلمة داخل شعوب الأمة الإسلامية قويت شوكتها بمناصرة الدول الاستعمارية الغربية والشرقية لها سرا وعلانية، وتمكنها من أخطر مراكز الإدارة والقوة العسكرية فى البلاد.

بالإضافة إلى المرتدين عن الإسلام من أبناء المسلمين، ومعهم الذين استأجرهم الأعداء من مختلف الطبقات وأنواع التخصصات...، وكان لهذا السبب تأثير عظيم فى تخلف المسلمين، وضعف موقفهم الإدارى والسياسى والعسكرى،

---

(١) انظر أ. عبد الرحمن حسن حبنّكه: كواشف زيوف ص٩٧.

واستهانت جماهيرهم بأمر الإسلام، وبشئون المسلمين، وانصرفوا إلى أمور دنياهم الخاصة، فتسلل الأعداء والأجراء إلى توجيه دفة البلاد.

إن الطوائف غير المسلمة التى ظلت آمنة مستقرة فى كنف الإسلام، لايمسها أذى ولا ظلم طوال ثلاثة عشر قرنا، قد كانت تخفى صدورها على عداء شديد للإسلام والمسلمين، وتضمر حقدا دفينا عليهما، وتنتظر الفرصة لهدم الإسلام وإبادة المسلمين، وقد جاءتها الفرصة بسقوط دولة الخلافة فاقتنصتها، ولم تضيعها وهى الآن تخطط وتنفذ، فى ظل الغزو الفكرى والاقتصادى والسياسى[1].

ولن تخرج الأمة الإسلامية مما هى فيه إلا بالرجوع إلى خالق القوى والقدر خالق الأرض والسماء إلى تعاليم الإسلام المنقذة من الضلال.

السبب السابع: فتنة شعوب الأمة الإسلامية بالحضارة الغربية المادية، وتطلعهم إليها بشغف وانبهار لشعورهم بالنقص، مع التصورات الخاطئة بأن هذا التقدم يحمل فى طياته سعادة الناس وأمنهم وراحتهم، كل هذا جعل ما يقدم للناس من أية بيانات تصحيحية تميز بين الحق والباطل والخير والشر، تذهب أدراج الرياح.

لكن المخلصين من هذه الأمة لايملون من إسداء النصح لأبناء أمتهم، وكشف الحقائق فى أن التقدم العلمى المادى الصناعى صالح لأن يستعمل فى الخير وفى الشر، ولا يضبط توجيه هذا التقدم إلا أن يسترشد بتعاليم الإسلام وشريعته الربانية...، لقد كانت هذه الفتنة بالحضارة الغربية المادية،، والانبهار بمنجزاتها مناخا ملائماً جداً لزحف مالدى الغربيين من سلوك وأفكار وعادات، ومذاهب فكرية حديثة، مناقضة تماماً لمبادئ الإسلام ومفاهيمه، وشرائعه، وأخلاقه ونظمه وسائر تعاليمه الحقه.[2]

---

(١) انظر المرجع السابق ص٩٨.

(٢) انظر: كوالشف زيوف: ص٩٩.

وقد كان الشيخ جمال الدين الافغانى حكيم الاسلام يرى: ان سوء المسلمين أكشف الحجب الحائلة بين شعوب اوروبا والاسلام، ومن أقواله: «إذا أردنا ان ندعو أحرار أوروبا الى ديننا فيجب علينا ان نقنعهم أولاً اننا لسنا مسلمين، فانهم ينظرون الينا من خلال القرآن هكذا – ورفع كفيه وفرج بين أصابعهما – فيرون وراءه أقواماً فشا فيهم الجهل والتخاذل والتواكل ... فيقولون: لو كان هذا الكتاب حقاً مصلحاً لما كان أتباعه كما نرى...»

والحق نقول: ان كثيراً من المسلمين اليوم مسلمون بالاسم لا يعرفون دينهم فى تشريعهم وعاداتهم التى يأخذون بها انفسهم فى هذه الايام، ولهذا لا يصح والحالة هذه اطلاق لفظ (الاسلام) عليهم، فكما أن اى فرد لا يقبله اى حزب فى عداده بدون ان يعمل بمبادئ الحزب فكذلك الاسلام لا يصح اطلاقه على شخص لاتظهر أعماله مطابقة لتعاليم الاسلام.

ولكننا نرى اليوم فى البلاد الاسلامية نهضة جبارة لا حياء الاسلام واظهار حقيقته تتراءى لنا تباشيرها بجهود كثير من العلماء المخلصين وبعض رؤساء الدول الاسلامية الذين ينتظر على يدهم الخير الكثير، وبعض المعاهد والجمعيات الدينية التى يدرّس فيها الاسلام على وجهه الصحيح.

الذين شوهوا الاسلام.

وإذا كان حال العالم الاسلامى كما وصفنا فليس بغريب على غير المسلمين ان يتنكروا للأسلام خصوصاً العالم الغربى الذى يتميز بطابع خاص هو الجهل بحقيقة الاسلام، وسبب ذلك: تلك الحملة الباطلة التى قام بها أعداؤه لتشويهه أمام أقوامهم والتى فيها من الافتراء على التاريخ والكذب الشئ الكثير وذلك ما نشروه من كتب ورسائل وقصائد تخدم غرضهم. يقول الكونت (هنرى دى كاسترى) فى كتابه (الاسلام خواطر وسوانح) : «... لست أدرى ما الذى يقوله المسلمون لو علموا أقاصيص القرون الوسطى وفهموا ما كان يأتى فى أغانى القوّال من المسيحيين».

شهادة بعض علماء الغرب فى التسامح الاسلامى

جاء فى الاخبار النصرانية شهادة تؤيد مدى التسامح الاسلامى وهى شهادة «عيشويابه» الذى تولى كرسى البطريركية من سنه ٦٤٧ - ٦٥٧هـ . إذ كتب يقول: «ان العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون. انهم ليسوا باعداء للنصرانية بل يمتدحون ملتنا ويوقرون قسيسينا وقديسينا ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا».

واستطاع (ميخائيل الاكبر) بطريق انطاكية اليعقوبى أن يحبذ فيما كتبه فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر ما قرره اخوانه فى الدين، وأن يرى اصبع الله فى الفتوح العربيه حتى بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكم الاسلامى خمسة قرون، وقد كتب يقول بعد أن سرد اضطهادات هرقل : «وهذا هو السبب فى أن إله الانتقام الذى تفرد بالقوة والجبروت والذى يديل دولة البشر كما يشاء فيؤتيها من يشاء ويرفع الوضيع، لما رأى شرور الروم الذين لجأوا إلى القوة فنهبوا كنائسنا وسلبوا أديارنا فى كافه ممتلكاتهم وانزلوا بنا العقاب فى غير رحمة ولا شفقة أرسل أبناء اسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم . وفى الحق اننا إذا كنا قد تحمّلنا شيئاً من الخسارة بسبب انتزاع الكنائس الكاثوليكية منا إعطائها لأهل خلقيدونية فقد استمرت هذه الكنائس فى حوزتهم.

ولما سلمت المدن للعرب خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التى وجدت فى حوزتها (وفى ذلك الوقت كانت قد انتزعت مناكنيسة حمص الكبرى وكنيسه حران).

ومع ذلك فلم يكن كسباً هيناً أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا فى أمن وسلام»[1]. هذا شهادة انصاف

---

(١) سير.ت.و. ارنولد «الدعوة إلى الاسلام»: ص٥٣ .

نقدمها للمبغضين والكارهين للإسلام والمسلمين.

ويقول «سير . ت . و .أرنولد» أيضاً فى كتابه (الدعوة الى الاسلام)(١):

«ومن هذه الامثله التى قدمناها آنفاً عن ذلك التسامح الذى بسطة المسلمون الظافرون على العرب المسيحيين الذين يعيشون فى وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح».

ويقول ايضاً قبل ذلك فى ص٤٨: «ويمكننا أن نحكم من الصلات الودية التى قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب بأن القوة لم تكن عاملاً حاسماً فى تحويل الناس إلى الاسلام، فمحمد نفسه قد عقد حلفاً مع بعض القبائل المسيحية وأخذ على عاتقه حمايتهم، ومنحهم الحرية فى إقامة شعائرهم الدينية، كما اتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم».

وهذه شهادة اخرى على تسامح الاسلام من الاستاذ «متز» إذ يقول: «إن ما يميز المملكة الاسلامية عن أوروبا النصرانية فى القرون الوسطى أن الأولى يسكنها عدد كبير من معتنقى الأديان الاخرى غير الاسلام، وليست كذلك الثانية، وان الكنائس والبيع ظلت فى المملكة الاسلامية كأنها خارجة عن سلطات الحكومة، وكأنها لا تكون جزءاً من المملكة، معتمدة فى ذلك على العهود وما أكسبتهم من حقوق. وقضت الضرورة أن يعيش اليهود والنصادى بجانب المسلمين، فأعان ذلك على خلق جو من التسامح لم تعرفه أوروبا فى القرون الوسطى، كان اليهودى أو النصرانى حراً فى أن يدين بدينه، ولكنه إن أسلم ثم ارتدّ عوقب بالقتل».(٢)

---

(١) ترجمة حسن إبراهيم وزميليه ص٥١.

(٢) لخص هذا القول الدكتور أحمد أمين فى كتابه «ضحى الاسلام» عن كتاب «نهضة الاسلام» لمتز الذى ترجمه خدا بخش عن الالمانية.

وهذه شهادة نختتم بها تسامح الاسلام من عالم كبير، وهو الاستاذ شكرى قرداحى، فقد نشر كتاباً بالفرنسية سماه «إيجاد وممارسة القانون الدولى الخاص فى بلاد الاسلام» تكلم فيه عن حالة الاجانب فى بلاد المسلمين، متتبعاً فى بحثه أدوار التاريخ . فأفاض يفصّل الأطوار التى مرت فيها حالة الاجانب على عهد الدولة العربية أولاً، ثم على عهد الدولة التركية، فلم يجد بداً من الاعتراف . بأن معاملة الأجانب فى بلاد المسلمين كانت تصدر عن شعور صادق بالتسامح لا يوجد مايقابله فى معاملة الدول الغربية. ثم لما تقرر نظام الامتيازات فى بلاد المسلمين بإلحاح الدول الغربية، وهو النظام الذى جعلوه مشابهاً لنظام الاقليات العنصرية فى العهد الراهن، ظهر جلياً أمر لم يكن منتظراً، ذلك أنه قد ثبت أن حالة الاجانب تحت ظل الامتيازات اصبحت أقل ملاءمة لهم من كل وجه من حالتهم على عهد الدولة الاسلامية.فاتضح أن عاطفة التسامح الاسلامى كانت أجدى عليهم من نظام الحماية التى يتمتعون بهاالآن هذه شهادة بعض العلماء فى التسامح الاسلامى، وهى سيرة لا يوجد لها مثيل فى الأمم قديماً وحديثاً.(١)

فالتسامح الاسلامى يعتبر من أقوى الأدلة على أن القرآن وحى إلهى لا عمل إنسانى، وإلا فأنّى للأمم فى عهد اعتزازها بقومياتها وأديانها أن تتغلب على اهواء نفوسها فتقوم على نظام من المعاملات يقصر عن مثله ما أو جدته المدنيّة بعد مجالدة الحوادث دامت قروناً طويلة، وبعد أن بلغت من العلوم شأواً لم يكن يتخيله الاقدمون فى أيامهم الأولى.(٢)

هذه شهادات الأجانب تفقأ عيون دعاة الغزو الفكرى فى أقطار الإسلام والمسلمين.

---

(١) نقلاً عن كتاب روح الدين الاسلامى تأليف عفيف عبد الفتاح طبارة ص٢٨٧ ومابعدها.

(٢) انظر المرجع نفسه.

شهادة بعض علماء الغرب في الفتح الاسلامي

نود في هذا المقام أن نستشهد بأقوال مؤرخين وكتاب لا يمتون إلى الاسلام بصلة، وانما هم علماء اجتماعيون يعطون الحوادث حقها من العناية، ويضعون الأمور في نصابها.

قال الدكتور (جوستاف لوبون) في كتابه «حضارة العرب» : «سيرى القارىء حين نبحث في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم، أن القوة لم تكن عاملاً في أنتشار القرآن، وأن العرب تركوا المغلوبين أحراراً في أديانهم، فإذا حدث أن انتحل بعض الشعوب النصرانية الاسلام واتخذ العربية لغة له، فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس عهد بمثله، ولما كان عليه الاسلام من السهولة التي لم تعرفها الأديان الاخرى»[1]

ويقول في موضع آخر : «كان يمكن أن تعمى فتوح العرب الأولى أبصارهم فيقترفون من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة ويسيئون معاملة المغلوبين ويكرهونهم على اعتناق دينهم الذي كانوا يرغبون في نشره في أنحاء العالم، ولو فعلوا ذلك لتألبت عليهم جميع الأمم التي كانت بعد غير خاضعة لهم، ولأصابهم مثل ما أصاب الصليبيين عندما دخلوا بلاد سورية مؤخراً.

ولكن الخلفاء السابقين، الذين كان عندهم من العبقرية ما ندر وجوده في دعاة الديانات الجديدة، أدركوا أن النظم والأديان ليست مما يفرض قسراً، فعاملوا أهل سورية ومصر واسبانيه وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة في مقابل حمايتهم لهم، وحفظ الأمن بينهم، والحق ان الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل

(١) نقلاً عن الترجمة العربية للأستاذ محمد عادل زعيتر ص١٤٥.

العرب»[1]. «ورحمة الفاتحين وتسامحهم كان من اسباب اتساع فتوحهم واعتناق كثير من الأمم لدينهم ونظمهم ولغتهم التى رسخت وقاومت جميع الغارات، وبقيت قائمة حتى بعد توارى سلطان العرب عن مسرح العالم، وإن انكر ذلك المؤرخون، وتعد مصر أوضح دليل على ذلك، فقد انتحلت مصر ما جاءها به العرب وحافظت عليه ولم يستطع الفاتحون الذين سبقوهم اليها من الفرس والأغريق والرومان أن يقلبوا الحضارة الفرعونية القديمة وأن يحملوها على ما أتوها به»[2].

ويقول فى موضع آخر : «وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوروبة المنصفين القليلين الذين أنعموا النظر فى تاريخ العرب. قال (روبرتسون) فى كتابه (تاريخ شارلكن) : ان المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الجهاد والتسامح نحو اتباع الأديان الأخرى الذين غلبوهم وتركوهم أحراراً فى إقامة شعائرهم الدينية».

وقال (ميشود) فى كتابه (تاريخ الحروب الصليبية) :«إن الاسلام الذى أمر بالجهاد متسامح نحو أتباع الأديان الاخرى، وهو قد أعفى البطاركة والرهبان وخدمهم من الضرائب، وقد حرّم قتل الرهبان - على الخصوص - لعكوفهم على العبادات، ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس. وقد ذبح الصليبيون المسلمين وحرقوا اليهود عندما دخلوها».

ويقول الكونت (هنرى دى كاسترى) فى كتابه (الاسلام خواطر وسوانح) «بعد أن دانت العرب وآمنت بالقرآن واستنارت القلوب بنور الدين الحنيف برز المسلمون فى ثوب جديد امام أهل الأرض قاطبة، هو المسالمة وحرية الافكار فى المعاملات. وتتابعت آيات القرآن تأمر بالمحاسنة بعد تلك الآيات التى كانت تنذر القبائل المارقة...» . «هكذا كانت تعاليم النبى بعد إسلام العرب وقد اقتفى إثره فيها الخلفاء

(١) المصدر السابق ص١٤٦.

(٢) حضارة العرب ص٦٢٩.

من بعده، وذلك يحملنا على القول كما قال (روبرتسون) : «إن شيعة محمد هم وحدهم الذين جمعوا بين الحماسة ومحبة انتشار دينهم، وهذه المحبة التى دفعت العرب فى طريق الفتح وهى سبب لا حرج فيه. فنشر القرآن جناحيه خلف جيوشه المظفرة، إذ أغاروا على الشام وساروا سير الصواعق إلى أفريقيا الشمالية من البحر الأحمر الى المحيط الاطلانطيكى ولم يتركوا أثراً للعسف فى طريقهم الإ ما كان لا بد منه فى كل حرب وقتال، فلم يقتلوا أمة أبت الاسلام»[1].

«ولانتشار الاسلام ورضوخ الامم لسلطانه سبب آخر فى هاتين القارتين: آسيا وافريقياً الشمالية هو : استبداد القسطنطينية، فانه كان قد بلغ منتهى العسف ووصل جور الحكام الى درجة أزهقت النفوس، فلما جاء الاسلام تراموا اليه هرباً من الضرائب الفادحة واستلاب الأموال»[2].

«على ان الاسلام لم يكن له عمال مخصوصون يقومون بالدعوة له وتعلم مبادئه كما فى الديانة المسيحية، ولو انه كان له أناس قوامون لسهل علينا إشكال معرفة السبب فى تقدمه الغريب، فاننا شاهدنا الملك شارلمان يستصحب معه على الدوام فى حربه ركباً من القسس والرهبان ليباشروا فتح الضمائر والقلوب بعد ان يكون هو قد باشر فتح المدائن والاقاليم بجيوشه التى كان يصلى بها الأمم حرباً تجعل الولدان شيباً، ولكنا لا نعلم للاسلام (مجمعاً دينياً) ولا رسلاً وراء الجيوش ولا رهبنة بعد الفتح، فلم يكره أحدا عليه بالسيف ولا باللسان بل دخل القلوب عن شوق واختيار وكان نتيجة ما أودع فى القرآن من مواهب التأثير والأخذ بالألباب [3]».

وقد اعترف كثير من المؤرخين بأن أنتشار الاسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة المذهبية التى جلبتها الروح

(١) ص ٣٥ من الترجمة العربية لأحمد فتحى زغلول لكتاب l' islam imprssion et ervder

(٢) نفس المصد السابق ص٣٨

(٣) المصدر السابق ص٣٩ - ٤٠

الهيلينية الى اللاهوت المسيحى، وبسبب ما وجدوه فى الاسلام من خير لهم ، وقدرته على نشلهم من الفوضى التى يتخبطون بها : «اما الشرق الذى عُرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة فقد كانت الثقافة الهيلينيه وبالاً عليه من الوجهة الدينية لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية الى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة مليئة بالشكوك والشبهات فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها . فلما اهلّت آخر الأمر أنباء الوحى الجديد فجأة من الصحراء لم تعد تلك المسيحية الشرقية التى تمزقت بفعل الانقسامات الداخلية... وتزعزعت قواعدها الأساسية واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذه الريب، ولم تعد المسيحية بعد ذلك قادرة عل مقاومة اغراء هذا الدين الجديد الذى بدد بضربة من ضرباته كل الشكوك التافهة، وقدّم مزايا مادية جليلة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التى لا تقبل الجدل. وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى في أحضان نبى بلاد العرب».(١)

وجاء فى كتاب (العلم الاسلامى الجديد) : «ولم يبتغ العرب من فتوحهم احراز المغانم ودرس المعالم، بل كانوا ضد ذلك أبناء أمة كريمة تحب العلم والتعليم، وتجل ميراث الحضارات السابقة. وقد تشابكت بين الغالبين والمغلوبين أحكام المصاهرة وعقدت قلوبهما على الآخوة الدينية، فلم يلبث الفريقان أن امتزج بعضهما ببعض ليخرجا للناس حضارة جديدة، هى حضارة الاسلام التى أحيت آثار اليونان والفرس والروم وطبعتها بطابع العزيمة العربية والعبقرية الاسلامية».(٢)

هذه هى أقوال بعض المؤرخين والكتاب فى الفتح الاسلامى، وهى سيرة لايوجد لها مثيل فى التاريخ الدينى والاجتماعى لأمة من أمم الأرض مما يشهد على أن القرآن له تأثير عظيم فى الجماعات البشرية مما لايوجد لكتاب قبله، وهو بذلك يعطى البرهان الواضح على أنه وحى إلهى.(٣)

(١) المرجع نفسه.

(٢) نقلا عن كتاب روح الدين الإسلامى ص٤١٠.

(٣) نقلا عن المرجع السابق.

وءلدينا الآن رسالتان بقلم الاستاذ «نشكنتابا دهيايا» الرئيس الماضى لكلية حيدر اباد (واستذ التاريخ فى كلية مهراجا فى ميسورى) والاولى موضوعها «لماذا انتحلت الاسلام» والثانية «محمد نبى الاسلام» وقد أصبح اسم المؤلف بعد اسلامه محمد عزيز الدين، وهو من العلماء الافاضل الذين ساحوا فى البلاد زمناً طويلاً ودرسوا الأديان المختلفة، وفى الرسالة الأولى ذكر أسباب هدايته واتخاذه الاسلام ديناً لا يُبارى فى الصحة والسلامة.

كان المؤلف فى أول أمره شديد الاعجاب بمذهب العقليين[1] لكنه لم يلبث أن تحوَّل، لان هذا المذهب لم يرو له غليلا فأخذ فى درس الدين البوذى وأعجب بظاهر رفعته الاخلاقية لكنه وجده أخيراً على عكس طبيعة البشر فملَّه، وكان ذلك أثناء وجوده فى البلاد الالمانية حيث القى خطابين موضوعهما البوذية بلغة تلك البلاد، ومن ثم ذهب إلى باريس وبطرسبرج وبعد ما تعلم الافرنسية اعجب برنان وكان من تأثير ذلك انه أخذ فى درس لغت الساميين وأديانهم وكرَّس قسما عظيماً من حياته لدرس المقابلة بين الأديان العظيمة يعني اليهودية والزردشتية والبرهمية من الجهة الواحدة والبوذية والنصرانية والاسلام من الجهة الأخرى. ووقف فى سبيله إلى التنصر مسألة الفداء ومسألة[2] الهلاك الأبدى وما يضاف اليهما فى الكاثوليكية من اعتقاد العصمة البابوية والتحول فى العشاء الربانى . ثم رجع إلى البلاد الهندية على هذه الحال من

(١) المذهب العقلى أو العقلانية أو العقليين: اتجاه لتمجيد العقل واعتماد أحكامه أصاب أم أخطأ، ضد الاتجاه الدينى مهما كان الدين حقا، ومهما كان الذى نسب إليه صوابا، فالمحكَّم فى هذا الاتجاه هو العقل..، وقد أفرز هذا الاتجاه العقلى: الإلحاد وادعا آآته الباطلة، والديكتاتورية والديمقراطية فى السياسة والرأسمالية على اختلاف درجاتها فى الاقتصاد، وآراء كثيرة فى تعليل ظاهرات الكون تعليلات فلسفية لاتخضع للتجربة ولا للمشاهدات الحسية. راجع كواشف زيوف.. ص١٥٩ باختصار

(٢) الإسلام روح المدنية ص٥٥ – ٥٦ مرجع سابق.

تبلبل الفكر، وهنالك فرّغ نفسه مدة لدرس الرياضة (التصوف) لكنه عاد منها أيضاً غير مقتنع، ولم يُعط البوذية والاسلام حقهما من الدرس حتى ذلك الحين فدرس الأولى منهما ثم جاء إلى الاسلام الذى استماله أخيراً وأثر فى نفسه أثراً باقياً، وكان قد شعر بصحته منذ مدة طويلة، ولكن الظروف الخارجية منعته من التصريح بذلك حتى الثامن والعشرين من شهر آب (اغسطس) حين صرّح فى محفل بدخوله فى الاسلام برسالته «لماذا انتحلت الاسلام».

وبنى رضاه بالاسلام على ثلاثة أبواب رئيسية:

(١) صحة أخبار الاسلام وانه الدين التاريخى الوحيد (٢) موافقته للعقل (٣) انه عملى (لا خيالى) . ويقول فى رسالته «ان ميدانه التاريخى قد أثر حتى فى أعداء محمد وأتباعه» واستشهد بكلام الأستاذ (بسورث سمث) ذكرنى خُطبه وهو «أننا فى الحقيقة نعرف بعض نتف من تاريخ المسيح ولكن أنى لنا من يكشف الحجاب عن السنين الثلاثين التى أعدت الطريق الى الثلاث .... وفى الاسلام كل شئ على خلاف ذلك. هنا يقوم التاريخ بدلا من الغامض المظلم... وهنا لا تُضل المرء نفسه أو غيره من الناس لأن نور النهار يسطع على كل ما يمكن أن يصل إليه» (١) والنقطة الثانية فى بحثه جرئ الاسلام على قواعد العقل وقد ذكر القاعدتين الأساسيتين فى الدين – توحيد الله ورسالة النبى محمد ﷺ وقال: «يجب على كل صحيح عاقل ان ينقاد لهذه الحقيقة البسيطة الجليلة و هى توحيد الله الخالص (لاكتوحيد اليهود الذين جعلوه إلهاً خاصاً بهم) ولا يوجد فى الاسلام تعاليم مثل «ثلاثة فى واحد، أو ثلاثين مليوناً من الآلهة».

ولا يردُ قاعدة الرسالة النبوية باحث لأنه «متى نسيت الحقائق الاساسية التى تُبنى عليها الحياة الاخلاقية الدينية وأبهمت، ومتى أصبح الانسان مفرطاً فى حب دنياه طامعاً سيء الاخلاق مادياً بحتاً – يظهر فى تاريخ الأمم أناس اخلاقيون

---

(١) الاسلام روح المدنية ص٥٥ – ٥٦ مرجع سابق.

أحيتهم الروح الخالصة فى مولدهم ونشأتهم حتى يصبحوا أنبياء ورسلا لله ووظيفتهم تذكير الناس ما كانوا نسوه وإحياء ما كانوا فقدوه. ويضاف الى ذلك كله ان الاسلام على طبق حياة الانسان العلمية. وربما توهّم الناس فى بعض الاحيان أن تعاليم بوذا والمسيح على أحسن الكمال، لكن هذا خطأ وهذه التعاليم أشبه بالكمالات الباردة الواردة فى القصص والروايات وربما كان فيها (جمال شعرىٌ) إلا انه لا يُعدُّ طريقة لحكم الانسان المدنى الصناعى على صحة التعاليم والمبادىء: فمن الواجب علينا ان ننظر الى حالات البشر أولا ثم نحكم على كمال التعاليم بالنسبة لفائدتها. وعلى هذا المبدأ تماماً (يعنى النظر إلى حاجات البشر) أباح الاسلام تعدد الزوجات. وسنن الزواج فى هذا[1] الدين أقرب للعمل وأشد موافقة لحاجات الجمعية البشرية وأجلب لترقيها من الجهة الاخلاقية الروحية (يُعَرِّض بانتشار الفحش فى البلاد الغربية الى حد لا يوصف) ولمباىء الاسلام لآخر هذا الخط من الرفعة وشرف المكانة.

وذكر فى رسالته الثانية «محمد نبى الاسلام» مختصرات من حياة النبى صلى الله عليه وسلم ونبذاً من التحويل المدهش الذى أجراه فى العالم وفى الختام يجيب الكاتب عن اعتراضات المنتقدين المتعصبين» ١هـ.

هذه بعض شهادات الاغيار فى الاسلام وهى قليل من كثير ولو عمد الى جمع ما قالوه فى مديح الاسلام وانه دين اجتماعى سياسى شرعى اخروى... الخ لضاقت به الصفحات فان المقالات والمؤلفات فى ذلك أكثر من ان تُحصى، وأجلُّ من تُستقصى، وفيما قدمناه من ذلك كفاية لمن أراد الاستبصار والاعتبار، وأما من لم يزل حاملاً علم التعصب ومحتجباً تحت برقع الرياء أو الأوهام فلا يفيده دليل ولاتقنعه حجة ولو كانت كالشمس فى رابعة النهار.[2]

---

(١) نقلا عن المرجع السابق ص٥٨.

(٢) نقلاً عن المرجع نفسه ص٥٩، وراجع كتاب قالوا: عن الاسلام. د. عماد الدين خليل فقد جمع فيه طائفة كبيرة من هذه الأقوال.

الخلاصة والخاتمة

نختتم هذا البحث مستخلصين من الغزو الفكرى المتمثل فى الاستشراق والتبشير وملحقاتهما من المذاهب الهدامة التى يثيرها الحاقدون على الإسلام والمسلمين فيما يلى:

١- الاستشراق ميدان فسيح متعدد الوجهات ونو أهداف وفئات ومدارس.. الخ وهو قديم وحديث ونو أهداف وأغراض متعددة، ومنطلقات مختلفة، والتعميم فى الأحكام على الاستشراق ليس مطلوبا، وليس دقيقا، والتخصص هو الذى يبين الغث من السمين، وهناك ما يربو على مائة وعشرين ألف عمل استشراقى قديم وحديث، فهل يمكن استقراء الآراء فى هذه الأعمال الاستشراقية كتبا كانت أم بحوثا ومقالات؟ انظر رحلات المستشرقين ص٦٠.

٢- إن أدبيات الاستشراق وفرقه وتنوعه، وتعدد اللغات التى كتب فيها، والاتجاهات التى سارت على منوالها لا تزال فى حاجة أكيدة إلى غربلة وتقويم. وبعض المحاولات التى قام بها بعض الباحثين سواء أكانوا من المسلمين أم من المستشرقين أنفسهم بقيت إلى هذه دون الأهمية التى يكتسبها هذا الموضوع...، فواجب علينا إذن أن نقوم بعملية مراجعة طويلة النفس لننصف عقيدتنا، وهو ما يتطلب منا نقدا علميا لمناهج بعض المستشرقين، وتفكيكا لطرق تحليلهم، وكشف القناع عن ملابسات مواقفهم، وإثبات مواطن الخطأ فى كتبهم ومصادرهم». عبد الوهاب أبو حديبية: «الحياة الاجتماعية الاسلامية كما صورها بعض المستشرقين» فى مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الاسلامية: ٢/ ١٤٠ مكتب التربية العربى لدول الخليج ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٣- هناك أكثر من ألف وتسع مائة وخمسين عملا عربيا يناقش الاستشراق بعمومياته، وخصوصياته، بسلبياته وإيجابياته- كما يقول الدكتور على إبراهيم النملة - إلا أن المطلوب من المسلمين كل فى تخصصه العمل الدائب، واليقظة المستمرة والعين الساهرة لكل ما يكتبه ويذيعه المستشرقون والمبشرون مادام هذا الإسلام بيننا، ومادمنا شرقيين نصر على أننا متماسكون بديننا متميزون به عن غيرنا، ومتى ما تحققت رغبة الكفرة والملاحدة فى إبادة الشرق وتغريبه، فإن الاستشراق حينها سيتوقف، الأمر الذى لا يبدو أنه سيتحقق - إن شاء الله تعالى - بقدر ما يمكن أن يتحقق عكسه، ولكن ليس عن طريق الإبادة، بل عن طريق إحياء هذا الشرق بما يحمله من رسالة هى للناس كافة. تراجع الآيات:

«تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا». الفرقان: ١.

«قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا...». الأعراف: ١٥٨.

«وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا». سبأ: ٢٨.

٤- إن المستشرقين لايخلو أحدهم من أن يكون قسيسا أو استعماريا أويهوديا، وقد يشذ عن ذلك أفراد.

٥- إن الإستشراق بوجه عام ينبعث من الكنيسة، وفى الدول الإستعمارية يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجية جنبا إلى جنب يلقى منهما كل تأييد وحماية.

٦- لاتزال الدول الإستعمارية كبريطانيا وفرنسا حريصة على توجيه الإستشراق وجهته التقليدية كأداة هدم للإسلام وتشويه لحياة المسلمين.

ففى فرنسا «بلاشير» و«ماسينيون» وهما شيخا المستشرقين الفرنسيين يعملان فى وزارة الخارجية الفرنسية كخبيرين فى شئون العرب والمسلمين.

وفى انجلترا وجدنا الاستشراق له مكانة محترمة فى كل جامعات لندن وأكسفورد وكمبردج وأدنبره وجلاسكو ويشرف عليه يهود استعماريون ومبشرون، وهم يحرصون على أن تظل مؤلفات: جولد تسيهر ومرجليوث، وشاخت هى المراجع الأصلية لطلاب الاستشراق، وللراغبين فى حمل الدكتوراه عندهم من العرب والمسلمين، ولايوافقون على منح رسالة يكون موضوعها إنصاف الإسلام قال الدكتور أمين المصرى، وهو خريج كلية أصول الدين فى الأزهر، وكلية الآداب ومعهد التربية فى جامعة القاهرة عما لقيه من عناء فى سبيل الحصول على شهادة الدكتوراه فى الفلسفة من انجلترا.

ولما وصل عندهم وأطلع على برامج الدراسة - وخاصة دراسة العلوم الإسلامية فيها - هاله ما رآه من تحامل ودس فى كتب المستشرقين وخاصة «شاخت» فقرر أن يكون موضوع رسالته هو «نقد كتاب شاخت فى تاريخ الفقة الإسلامى» وتقدم إلى البروفسور «أندرسون» ليكون مشرفا على تحضير هذه الرسالة وموافقا على موضوعها، فأبى عليه هذا المستشرق أن يكون موضوع رسالته نقد كتاب «شاخت» وعبثا حاول أن يوافق على ذلك، فلما يئس من جامعة لندن ذهب إلى جامعة كامبردج، وانتسب إليها وتقدم إلى المشرفين على الدراسات الإسلامية فيها برغبته التسجيل فى الموضوع السابق، ولكنهم رفضوا، وأخبروه بصريح العبارة:

إذا أردت النجاح فى الدكتوراه فتجنب انتقاد شاخت، فإن الجامعة لن تسمع لك بذلك، وعندئذ حول موضوع رسالته إلى «معايير نقد الحديث عند المحدثين» فوافقوا، ونجح فى الحصول على الدكتوراه، وهو الآن أستاذ فى كلية الشريعة بجامعة دمشق. راجع مصطفى السباعى: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ص٧وما بعدها.

٧- يمثل الإستشراق فى أمريكا الآن ذروة العداء للإسلام والمسلمين، ويشرف على الدراسات الإسلامية فى جامعاتها أشد أعداء الإسلام تعصبا وحقدا.

٨- غرور الغرب فى قوته المادية والعلمية، حتى اعتقد أنه أصل جميع الحضارات فى التاريخ - ماعدا المصرية - وأن العقلية الغربية هى العقلية الدقيقة فى التأمل والتفكير والمنطق السليم، أما غيرهم من الشعوب - وخاصة الإسلامية - فإن عقليتهم بسيطة ساذجة، كما عبر بذلك المستشرق جب فى كتابه «وجهة الإسلام» يقصد أن العقلية الإسلامية تدرك الأمور بواسطة الجزئيات، ولاتدركها إدراكا كليا. أنظر الإستشراق والمستشرقون ص٥٩، ٦٢.

٩- سيأتى اليوم الذى ينقلب فيه المسلمون إلى دراسة تراث الغرب ونقد ماعندهم من دين وعلوم وحضارة وقد حدث.

١٠- لو استعمل المسلمون معايير النقد العلمى التى يستعملها المستشرقون فى نقد القرآن والسنة فى نقد كتبهم المقدسة - عندهم - وعلومهم الموروثة، ماذا يبقى لهذه الكتب عندهم؟ وماذا يكون فيها من ثبوت؟

١١- فى توجيه النقد لبعض المستشرقين أمثال جولد تسيهر، فإننا لاننسى جهود المنصفين من المستشرقين فى نشر نفائس كتبنا القديمة، ودأبهم فى البحث عن الحقيقة، فليس العلم محتكرا لأمة دون أخرى.

والإسلام، وهو دين الله سبحانه للعالم كله، لايمكن أن يستأثر بفهمه طائفة دون أخرى، فليفهم من شاء ماشاء بشرط التحلى بصفة العلماء وهى: الإنصاف والإخلاص للحق والبعد عن التعصب والهوى.

١٢- إن الإمريكيين منذ أن دخلوا ميدان التبشير والإستشراق زادوا القوى المناوئة للإسلام شراسة وإصرارا، وأمدوها بسيل موصول من المال والرجال فهى لاتنى تواصل هجومها العلمى... إننا نعد الثعابين الزاحفة أخف شرا من ثعابين البشر - كما يقول الشيخ محمد الغزالى - أولئك الذين يخفون طبائعهم اللاذعة وراء بسمات الوجوه ونعومة اللقاء.

فإذا استمكنوا أفرغوا سمومهم كلها فى أجساد الضحايا المذهولة.

١٣- لابد من حركة علمية مضادة للاستشراق تستفيد منه فى التخطيط لإيجاد لفهم الغرب وأسباب تقدمه وتفوقه، وعوامل ضعفه وجذور تفتته، وموقفه من المسلمين الذين يعيشون بين ربوعه.

لابد من الدعوة الملحة إلى علم «الاستغراب» أى دراسة مالدى الغرب، فى مقابل «الإستشراق» أى دراسة علوم الشرق وأوضاعه.

١٤- هدف الإستعمار اذن اجتثاث الإسلام من أصوله، وازهاق روح الجماعة المتشبثة به، وتتضافر جهود المبشرين والمستشرقين من جهة، وخطط الساسة فى الميادين الاقتصادية والعسكرية من جهة أخرى حتى يصلوا فى نهاية المطاف إلى غايتهم.

١٤- لماذا لاتكون جهود هؤلاء موجه إلى الإلحاد، ومحاربته، وكف شروره التى تهدد العالم بوخم العواقب والكوارث بدلا من مجابهة الإسلام والمسلمين وهم أهل عقيدة صحيحة.

١٥- لقد ضلل الإستعمار الثقافى ألوفا من المسلمين فى سعيهم وشوه بصائرهم وأذواقهم.. إن الإستعمار الذى زحف على العالم الإسلامى بذل جهودا مضنية لشغل المسلمين عن دينهم - ولايزال - وسبيله إلى ذلك

سوق الشهوات أمام العيون الجائعة، وإضعاف العقائد والفضائل فى نفوسهم، وإبعاد الإسلام شكلاً وموضوعاً عن كل المجالات الجادة، وتضخيم كل نزعة محلية رغبة فى تمزيق الأخوة وإضعاف الرباط العام بين المسلمين.

١٦- إن الإسلام لايفتعل التعصب ضد أديان أخرى، ولايجعل الاختلاف الدينى ذريعة قتال وخصام، والدليل: أن البضعة عشر مليونا من يهود العالم عاشوا بين ظهرانى المسلمين - كما يقول الشيخ محمد الغزالى - ما أحسوا غبنا، ولاشكوا اضطهاداً مثل ما وقع عليهم فى أوربا.

إن أوربا رمتنا بدائها وانسلت، إنها كانت ولازالت تجعل الخلاف الدينى والمذهبى مثار حروب وعدوات، وهى بهذه العقلية تحاول تمزيق الكيان العربى الذى عاش المسيحيون فى كنفه دهرا طويلا مواطنين مكافئين للمسلمين فى الحقوق والواجبات،وهدفها.

إما قتل الإسلام، وإما خلق فتن طائفية فى كل مكان، والخطة معروفة، وعلى المسلمين أن يتنبهوا لها ولمروجيها ويفضحوا نواياهم.

د. محمود محمد رسلان

ثـبـت المراجـع

القـرآن الكريـم

١- **آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم**: د. جابر قميحة (دعوة الحق) سلسلة شهرية تصدرها رابطة العالم الإسلامى - مكة المكرمة ع ١١٦ السنة العاشرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٢- **أساليب التنصير فى البلاد الإسلامية**: محاضرة ألقاها د. قاسم السمرائى - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية الشريعة بالرياض، ١٤٠٠هـ - ١٤٠١م.

٣- **الإسلام على مفترق الطرق**: محمد أسد تعريب، د. عمر فروخ ط الثالثة، ١٩٥١م.

٤- **الإسلام فى مواجهة التحديات المعاصرة**: تعريب خليل أحمد الحامدى - دار الفكر - الكويت ط الرابعة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٥- **الإسلام فى مواجهة الاستشراق العالمى**: د. عبد العظيم المطعنى ط الأولى - دار الوفاء - المنصورة.

٦- **الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام**: عبد الله التل - المكتب الإسلامى - بيروت، دمشق، ط الثانية، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٧- **انسانية الإنسان**: دينيه دوبو الحائز على جائزة نوبل فى العلوم - نقد علمى للحضارة المادية ترجمة د. نبيل صبحى الطويل - ط الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - مؤسسة الرسالة.

٨- **أوربا والإسلام:** د. عبد الحليم حمود - المكتبة العصرية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٩- **التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبى ﷺ وبلاد المسلمين:** محمد عزت اسماعيل الطهطاوى - ط الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م - الزهراء للإعلام العربى.

١٠- **التبشير والاستعمار فى البلاد العربية:** د. مصطفى الخالدى - ط الخامسة، ١٩٧٣.

١١- **المبشرون والمستشرقون فى موقفهم من الإسلام:** د. محمد البهى - ط الأزهر بدون تاريخ.

١٢- **تاج العروس:** للزبيدى - ط الخيرية - مصر، ١٣٠٦هـ.

١٣- **جذور البلاء:** عبد الله التل - ط الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - المكتب الإسلامى بيروت.

١٤- **حضارة العرب:** جوستاف بوبون ترجمة إلى العربيه - الأستاذ/ محمد عادل زعيتر.

١٥- **دراسات فى الثقافة الإسلامية:** مدخل إلى الدين الإسلامى د. أمير عبد العزيز - دار الكتاب العربى بيروت لبنان - مكتبة إحياء التراث الإسلامى - مكة المكرمة بدون تاريخ.

١٦- **الدعوة إلى الإسلام:** سيرتوماس. و. أرنولد ترجمه إلى العربية د. حسن إبراهيم حسن وزميليه - ط الثالثة، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٧٠.

١٧- **الدعوة إلى الله:** على بصيرة د. عبد النعيم محمد حسنين - ط الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م - دار الكتاب المصرى - القاهرة.

١٨- **دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين:** للشيخ محمد الغزالى ط الثالثة، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ - دار الكتب الحديثة - القاهرة.

١٩- **روح الدين الإسلامى:** عفيف طباره ط السادسة والعشرون، ١٩٨٥ - دار العلم للملايين - بيروت لبنان.

٢٠- **زاد المعاد فى هدى خير العباد:** لابن قيم الجورية تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط - ط الثالثة، عشر ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢١- **السنة ومكانتها فى التشريع:** د. مصطفى السباعى، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠مدمشق.

٢٢- **الاستشراق فى الفن الرومانسى الفرنسى:** د. زينات بيطار عالم المعرفة - رقم ١٥٧ - اصدار المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب: الكويت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.

٢٣- **المستشرقون وترجمة القرآن الكريم:** د. محمد صالح البنداق - ط الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م - منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت.

٢٤- **المستشرقون والإسلام:** زكريا هاشم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

٢٥- **الإستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية:** إبراهيم خليل أحمد- مكتبة الوعى العربى - الفجالة - القاهرة.

٢٦- **الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى:** د. محمود حمدى زقزوق - قطر، ١٤٠٤هـ.

٢٧- **الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم:** د. مصطفى السباعي - ط الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٨- **معجم ألفاظ القرآن الكريم:** وضعه محمد فؤاد عبد الباقي - ط الشعب- القاهرة، ١٣٧٨هـ.

٢٩- **معجم مقاييس اللغة:** لابن فارس - ط الحلبي - مصر، ١٣٩هـ.

٣٠- **المعجم الوسيط:** مجمع اللغة العربية - القاهرة - ط الثانية، ١٩٧٣م.

٣١- **العقيدة والشريعة:** تاريخ التطور العقدى والتشريعي في الدين الإسلامي للمستشرق المجرى أجناس جولد تسيهر - ترجمة: د. محمد يوسف موسى، د. على حسن عبد القادر، والأستاذ عبد العزيز عبد الحق ١٣٧٨هـ - ط دار الكتاب العربي - القاهرة، ١٩٥٩م.

٣٢- **التعليم العالي ومسئولياته في تنمية دول الخليج العربي:** محمد عبد العليم مرسي - مكتبة التربية العربي لدول الخليج: الرياض، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٣- **العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق:** د. محمد البهي - مجمع البحوث الإسلامية - ط الأزهر، ١٩٧٦م.

٣٤- **الغارة على العالم الإسلامي:** محب الدين الخطيب، مساعد اليافي - ط الرابعة - ط السلفية القاهرة، ١٣٩٨هـ.

٣٥- **الفتوحات الإلهية على الجلالين:** للشيخ الجمل - ط الحلبي بدون تاريخ.

٣٦- **تفسير النسفي:** للإمام عبد الله أحمد محمود النسفي - ط الحلبي بدون تاريخ.

٣٧- **فضل العلم وآداب طلبته وطرق تحصيله:** وجمعه أبو عبد الله محمد سعيد رسلان - ط الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - دار العلوم الإسلامية - القاهرة المهندسين.

٣٨- **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي:** ط الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م - مكتبة وهبة - القاهرة.

٣٩- **فى جولة مع المستشرقين:** عبد الخالق سيد أبو رابية - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

٤٠- **مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه؟** الشيخ محمد الغزالى - ط الأولى، ١٩٨٤م مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة: عمان : الأردن.

٤١- **قذائف الحق:** للشيخ محمد الغزالى ط الأولى، ١٣٩٣ هـ - منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت.

٤٢- **قالوا: عن الإسلام:** د. عماد الدين خليل الندوة العالمية للشباب الإسلامى الرياض ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٤٣- **القاموس المحيط:** مجد الدين الفيروز باذى - ط الخامسة - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة، ١٣٣٢هـ - ١٩١٣م.

٤٤- **قصص الأنبياء:** الشيخ عبد الوهاب النجار - ط الثالثة ط مصر، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.

٤٥- **كواشف زيوف فى المذاهب الفكرية المعاصرة:** عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى - دار القلم دمشق - ط الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

٤٦- **لماذا يرفض الإنسان شريعة الله؟** (الجنس بين الإسلام والعلمانية) سلسلة دراسات إسلامية أبو الأسباط الحافظ يوسف موسى - ط الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨.

٤٧- **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟** للشيخ السيد أبى الحسن الندوى- ط الثامنة - دار الكتاب العربى بيروت لبنان، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٤٨- **معاول الهدم والتدمير فى النصرانية وفى التبشير:** ط الرابعة عالم الكتب، ١٩٨١م. إبراهيم سليمان الجبهان.

٤٩- **من كتاب حكم النبى ﷺ للفيلسوف الروسى الشهير تولستوى:** تعريب سليم قبعين - ط الثالثة، ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م.

٥٠- **مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية:** صدر فى إطار الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجرى عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - مكتبة التربية العربى لدول الخليج، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥١- **التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى:** الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيرى الذى عقد فى مدينة جلين آبرى بولاية كولورادو فى الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٧٩م.

٥٢- **نظرات استشراقية فى الإسلام:** د. محمد غلاب. وزارة الثقافة - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر- بدون تاريخ.

البحــوث والمجــلات

(١) **رحلات المستشرقين:** د. على إبراهيم النملة بحث منشور فى مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية المجلد الأول العدد الأولى – المحرم – جمادى الآخرة ١٤١٦هـ– يوليو ديسمبر ١٩٩٥.

(٢) **الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام:** د. على جريشة من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقة الإسلامى الذى عقدته جامعة الإمام محمد بن سعد الإسلامية بالرياض، ١٣٩٦هـ.

(٣) **الإسلام اليوم:** مجلة دورية تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» ع١٢ : ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

(٤) **المستشرقون والسيرة النبوية:** بحث مقارن فى منهج المستشرق البرياطانى مونتجمر وات نشر فى «مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامى» جـ١: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. صدر فى إطار الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجرى.

(٥) **مجلة الأزهر:** ذو الحجة ١٣٩٢هـ – ١٩٧٣م.

(٦) **مجلة الجامعة الإسلامية** :ع الأول ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٩٥ يونية ١٩٧٥م.

(٧) مجلة البيان: مجلة تصدر عن المنتدى الإسلامى فى لندن العدد الرابع عشر ١٤٠٩هـ.

الفهـــرس

الفصل الثامن : من وسائل الغزو الفكرى

والحمد لله رب العالمين

تصويب الخطأ

ص	س	الخطأ	الصواب	ص	س	الخطأ	الصواب
ج	١١	أخد	أخذ	٩٩	٨	الإنجيل	الأناجيل
م	٤	عليه	عليها	١٠٠	٣	إلها ما	إلهاما
٨	١٦	حقيقتان	حقيقتين	١٠٢	٨	التثليث	والتثليث
		معاصرتان	معاصرتين	١٠٣	٦	لصورة	الصورة
١٧	١٢	ليصبح	ليصبحوا	١١٢	١٠	الكببير	الكبير
		له	لها		١٧	وظائفة	وطائفة
	١٣	تربطه	تربطهم		٢٠	والطهار	والطهارة
١٨	١٤	سباب	أسباب	١٢٠	٥	وكراس	وكراسى
٢٨	١١	شعار	شعاراً	١٢٤	٢٠	بينهما	مابينهما
٦٦	١٥	المسيلمين	المسلمين	١٤٤	٧	يهظر	يظهر
	١٩	السيرة	السيطرة	١٤٩	١٥	المسحيية	المسيحية
٧٣	١١	عى	على	١٥٠	٤	والتوضح	والتوضيح
٧٥	٩	والمسلمون	والمسلمين	١٥٢	١١	قى	فى
٧٩	١٦	الموثرات	المؤثرات	١٥٤	١٦	هذه	هذا.
٨١	١٣	يكترثو	يكترثوا	١٥٧	١٢	والمنصريين	والمنصرين
٨٤	٣	الصليبين	الصليبيين	١٦٠	٥	تبشرية	تبشيرية
٨٥	١٠	اشيلية	اشبلية	١٦٨	١٤	أنه	أنه إذا
٩٤	١٣	إى	إلى	١٧٩	١٠	النجاب	البنجاب
٩٥	١١	كل	حل	١٩٠	٢٠	ملجاء	ملجأ
	١٢	بالإمان	بالإيمان	١٩٢	١	انبرج	أدنبرج
					٢٠	تبشير	تبشيرية

تابع تصويب الخطأ

ص	س	الخطأ	الصواب	ص	س	الخطأ	الصواب
١٩٦	١٩	سقطرة	سومطرة	٣٢٤	٢	وعلى	على
١٩٩	١١	المسحيين	المسيحيين		١٦	الجديد	الجديدة
٢٠٢	٧	المسحية	المسيحيين	٣٣٥	٩	محال	مجال
٢١١	١٣	سنت	سخت		١٦	ممن	من
٢١٥	١٢	بيروتو	بيروت	٣٤٠	١٩	قطارين	قنطارين
٢٢٧	١	بالبشير	بالتبشير	٣٤١	٨	والطب	والصحة
٢٢٨	٤	ذاكر	ذاكرا	٣٤٣	٤	وادى	وأدب
	٦	بأسبباها	بأسبابها	٣٥٤	٦	شهوانية	شهوانى
٢٣٠	٥	واتخذواها	واتخذوها		٢٠	العامى	العلمى
	١٤	الأحيال	الأجيال	٣٥٦	هامش ١	مذاهب	المذاهب
٢٣١	٧	القائمة	القائمة	٣٥٧	١١	لاضباط	لاضباط
٢٦٤	٥	منه	منهم	٣٦٦	٤	تجيبها	تجبيها
٢٦٦	١٥	أمه	أمة	٣٦٧	١٥	اصطنعت	اصطنعته
٢٧٥	٥	جوانب	جانب	٣٦٨	٣	وحبه	وحبسه
٢٨٧	١١	أطلقته	أطلقت	٣٧٠	١١	خلايا	خلاياه
٢٩٠	٧	الجدية	الجندية	٣٧٠	٩	التمثلة	المتمثلة
٢٩٨	هامش ١	الغبرى	الغربى	٣٨٠	هامش ١	والإسلامية	والإسلام
٣٠٠	هامش ١	التفكير	الفكر	٣٩٠	٧	والتسوع	والتوسع
		الحديث	الغربى	٤١١	٩	عليما	علينا
٣٠١	هامش ١	التفكير	الفكر	٤١٤	١٧	إلا	إلى
٣٠٣	١٦	بيدة	بيده	٤١٨	٣	فروقوا	فرقوا
٣٠٨	١٤	قياة	قيادة	٤٢٢	هامش ٢	لمتنر	لمتزه
٣١٣	٨	ينتظروون	ينتظرون	٤٢٣	١٦	الحوادث	لحوادث

كتب للمؤلف

* المسيحية الأولى وتطورها (مخطوط) رسالة ماجستير
* الدعوة الإسلامية فى مصر منذ الفتح حتى آخر عهد عمر بن عبد العزيز (مخطوط) رسالة دكتوراه (كلية أصول الدين القاهرة)
* فجر الدعوة الاسلامية فى مرحلتها المكية (مطبوع)
* الفرق فى الميزان (مطبوع)
* الخطابة نشأتها وميادينها (مطبوع)
* فجر الدعوة الإسلامية فى مرحلتها المدنية (مخطوط)
* رسالة الحج والعمرة (مطبوع)
* قبسات من الثقافة الإسلامية (مطبوع)
* معابر الثقافة الإسلامية إلى أوربا (مطبوع)
* الدعاة الأول فى أرض الكنانة (مطبوع)

مكتبة المطيعي
للطبع والنشر والتوزيع
٢٦٧ شارع العباسية
ت: ٨٢٠٩٦١ - ٨٣٤٢٧٩٢